The Islamic University– Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of ARTS
PHD of ARABIC LANGUAGE

الجامعـــــــة الإســــلاميــة ـ غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــة الآداب
دكتـوراه لـغـة عـربيـــة

الوجوه البلاغية والدلالية

في تفسير دَرْجِ الدُرَرِ للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)

Rhetorical and Semantic Aspects in the Interpretation of Darj Ad-Dorr by Abd Al-Qaher Al-Jirjani

إعدَادُ البَاحِثِ
فؤاد عمر علي البابلي

إشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
نعمان شعبان علوان

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الدكتوراه
فِي اللغة العربية فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزَة
سبتمبر/2017 م – محرم/1439هـ

الجزء الأول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/   Ref:

التاريخ: 2017/9/23م   Date:

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **فؤاد عمر علي البابلي** لنيل درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية،** وموضوعها:

الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 03 محرم 1439هـ، الموافق 2017/9/23م الساعة العاشرة صباحاً في قاعة مبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. نعمان شعبان علوان	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. محمد شعبان علوان	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. يوسف شحدة الكحلوت	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة	مناقشاً خارجياً	....
أ.د. سعيد محمد الفيومي	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/قسم اللغة العربية.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث باللغة العربية

يعد كتاب (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) للإمام عبد القاهر الجرجاني من كتب التفسير القيمة التي تم تحقيقه حديثًا، فالكتاب ليس من المطولات المملة، ولا من المختصرات المخلة، لقد حوى الكتاب نقولًا غزيرة عن عدد من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وعلم الكلام وغيرها.

بنى الإمام منهجه في الوقوف على ما به تمام بلاغة الخطاب وفصاحته ونظم الكلم، والوقوف على إعجاز القرآن وذلك عمود تلك البلاغة، فالكثير من وجوه البلاغة بما فيها من إفاضة وتوسع، والتي قام بتوضيحها وتحليلها والإشارة إليها في تفسير درج الدر جديرة بالنكت والتنقيب، ومن الفائدة أن يكون هناك ضبط لمصطلحات البلاغة المذكورة بمسمياتها في درج الدرر وتسمية ما لم يأت على تحديد مسمى له وفق ما اصطلح عليه البلاغيون.

الكتاب زاخر بأوجه البلاغة المختلفة وباستدلالات الإمام في تفسير الآيات القرآنية وتبيانه مراد الحق سبحانه وتعالى، كما كانت للجهود النحوية مساحة جلية حيث اختياراته من الكوفيين والبصريين وتوضيح مذهبه النحوي، وتم أيضًا عرض جهود الإمام الصرفية واللغوية، وفي الدراسة بيان للمعاني وأحوال اللفظ العربي بما فيها من أساليب خبرية وإنشائية وتعريف وتنكير وتقديم وتأخير وقصر وإيجاز وإطناب ومساواة وفصل ووصل، ودراسة البنية التعبيرية والوظيفية وبيان فصاحة اللفظ المفرد والمؤلف والخروج عن مقتضى الظاهر.

أما النكت البيانية من تشبيه وتمثيل وحقيقة ومجاز واستعارة وكناية وتعريض حيث تم بيان طرق إيراد المعنى بوجوه مختلفة، وتوضيح ما ذكره الإمام في تفسير درج الدرر من وجوه تحسين الكلام والبديع بأنواعه المختلفة، وفي الدراسة عمل الباحث على عرض وجوه البلاغة في تفسير درج الدرر من خلال إيراد آراء الإمام وطريقته في التفسير مستعينًا بطريقة تحليل المحتوى معتمدًا على أساسيات البلاغة في كتب التراث ورؤى علماء البلاغة والإعجاز القرآني، كما قدم الباحث الشروحات اللازمة لذلك، مستعينًا بآراء علماء اللغة والنحو والتفسير والتربية؛ ليستخلص الباحث النكت البلاغية في تفسير الإمام وما أبانته الدراسة من دلالات وعظات وجماليات مؤثرة وفاعلة في النفس البشرية خاطبت القلب والعقل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The book of "Darj Ad-Dorr in the Interpretation (tafsir) of the Holy Quran" by Imam Abd Al-Qaher Al-Jirjani is one of the most valuable books of tafsir that has been recently edited. The book is not an extended or extremely summarized tafsir book. It contains valuable quotations by the prominent scholars of tafsir, hadith, language, Arabic grammar, fiqh, and philosophy (among others). Imam Al-Jirjani based his method on observing the words that deliver required ideas in an eloquent and well-structured style. He pondered over the miracle of the Quranic text, which is the source of this eloquence. This made the aspects of these eloquence that he indicated and analyzed in his Book a worthy topic of further investigation. It is useful in this context to collect the rhetoric terms that were named in Darj Ad-Dorr and to designate proper names for those who were not given such names according to the rhetorical literature.

The book is rich in several rhetoric aspects and their impact on Imam Al-Jirjani's interpretation of the Quranic verses and their purposes. It is also rich in clarifying the grammatical opinions including the Kufis and the Basri schools, in addition to the opinions of Imam Al-Jirjani. The study clarified the grammatical and structural efforts of the Imam, in addition to the meanings and conditions of Arabic terms including the stative and structural styles, definition, bringing forward, delay, qassr, concision, redundancy, equality, separation, connection, studying of expressive and functional structures, clarifying articulateness of the single and assembled terms, and finally adoption of the indirect meaning. As for the expressive benefits, they included representation, exemplification, reality, metaphor, isti'arah, kinayah, and indication. The study indicated the methods of introducing the meaning in different ways, and clarified what the Imam said in his tafsir Darj Ad-Dorr regarding the methods of speech and badee' considering its different kinds.

In the study the researcher presented the rhetoric aspects in the tafsir of Darj Ad-Dorr through explaining the views of the Imam and his method of interpretation using the method of content analysis based on the rhetoric basics stated in the traditional Arabic language resources, and the opinions of the scholars of eloquence and the miraculous language of the Noble Qur'an. The study provided the required explanations in this regard, supported by the views of the scholars of Arabic language and grammar, interpretation, and education. This was carried out to conclude the rhetoric aspects in the tafsir of Darj Ad-Dorr in addition to the aesthetic and preachy aspects that inspire.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إهداء

إلى التي أسكن إليها بمودة ورحمة .

وإلى الذين يتدبرون القرآن الذي لا ريب فيه من لدن حكيم عليم، الرحمن علمهم القرآن قرآنًا عربيًا من غير ذي عوج، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار خاشعين متصدعين بقلوب مؤمنة مفتوحة ميسرًا لهم للذكر، فيهديهم للتي هي أقوم، فلهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة بما فيه شفاء ورحمة فلا يشقون - إن شاء الله- لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد الله الذي أكرمني و أعانني على إتمام هذا البحث، بذلت ما بوسعي في سبيل إتمامه على الوجه الأمثل، وأشكر ربي أن مَنَّ علي بشرف البحث في القرآن الكريم وتفسيره؛ وشرف دراسة وجوه البلاغة العربية ودلالاتها للرائد المبدع الإمام عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغة العربية والإعجاز القرآني من خلال كتابه الأصيل تفسير درج الدرر في القرآن العظيم. ويطيب لي أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي والمشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور: نعمان شعبان علوان، الذي لم يألُ جهدًا في توجيهي وإرشادي، ولم يبخل على بنصح أو مشورة، بل ذلل صعوبات البحث والتقصي، وأثلج الصدر بإجابات شافية وافية، أسأل المولى – عز وجل – بقلب محب أن يديم عليه الصحة والعافية، ويبقيه ملاذًا لطلاب العلم والمعرفة، كما أتوجه بخالص التقدير والشكر لأساتذة قسم اللغة العربية الذين نلت شرف التعلم على يديهم والتعرف عليهم في دراستنا لمساقات برنامج الدكتوراه، حيث وقفوا مساندين ومشجعين ومؤازرين، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي والأستاذ الدكتور كمال غنيم والأستاذ الدكتور محمد علوان والأستاذ الدكتور عبد الخالق العف والأستاذ الدكتور محمود العامودي، والأستاذ الدكتور محمد البع، والأستاذ الدكتور يوسف الكحلوت متمنيًا للجميع استمرار الرفعة ودوام التقدم والنجاح، والشكر موصول للدكتور إبراهيم حمادة صديقي وزميلي لتعاونه معي بما وسعه من وقت وجهد، ويسعدني أيضًا أن أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية ومكتبة جامعة الأقصى ومكتبة وكالة الغوث الدولية حيث لمست منهم كل تعاون واهتمام، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر العميم لأهلي وزوجتي وأبنائي وأصدقائي وزملائي في العمل والدراسة، وكل من سعدت بمعونته ونالني شرف دعمه ومؤازرته، راجيًا من الله أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وخدمة لكل غيور على تراث هذه الأمة وكنوزها، ومساهمة متواضعة مني لإنارة الطريق للوصول لإشراقات المبدعين الذين قدموا كنوزًا عزيزة، تؤكد على عقيدتنا النقية وانتمائنا لأمتنا الإسلامية والعربية وتاريخنا العريق حيث سبق هؤلاء الأفذاذ زمانهم بما أضافوا للمكتبة العربية، فكانوا روادًا سطروا حروفًا من نور أضاءت لنا الطريق، ومهدت لنا سبيلنا. أستغفرك ربي، وأتوب إليك، وأحمدك وأشكر فضلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس محتويات الجزء الأول

الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير دَرْجِ الدُرَرِ للإمام عبد القاهر الجرجاني الجزء الأول 1

ملخص البحث باللغة العربية ....ب

Abstract ....ت

شكر وتقدير ....ج

فهرس محتويات الجزء الأول ....ح

الفصل الأول 1

الإطار العام للدراسة 1

المقدمة: 2

كتاب درج الدرر في تفسير الآي والسور: 3

أهمية الدراسة: 4

منهج البحث: 6

الصعوبات: 6

الدراسات السابقة : 7

تحقيق الكتاب كاملًا: 9

عبد القاهر الجرجاني 10

(حياته – علماؤه – تلاميذه– تراثه العلمي– وفاته – أشعاره) 10

حياته: 10

علماؤه: 11

تلاميذه: 11

تراثه العلمي: 12

دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة: 13

وفاته: 15

أشعاره: 15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدلة نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني 18

1- نسخ الكتب: 18

2- نسبة الكتاب لمؤلفه: 19

3- الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر: 20

4- نظرية النظم في درج الدرر: 21

5- توافق الأسلوب في (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) ودرج الدرر: 23

6- منهج الاختيار من الكوفيين والبصريين: 25

7- ذكر المفتاح في الصرف وعلاقته بدرج الدرر: 26

8- فكر ومذهب وعقيدة الإمام عبد القاهر الجرجاني: 28

الاختيار من مذهب الإمام الشافعي: 29

الاختيار من مذهب أبي حنيفة: 32

موقفه من الأشاعرة والمعتزلة: 36

9- مصادر الإمام: 40

الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال والأخبار 42

1- تفسير القرآن بالقرآن: 42

2- الحديث النبوي الشريف: 47

3- الشعر: 54

4- الأمثال والأخبار: 62

الفصل الثاني 66

الجهود النحوية والصرفية واللغوية 66

المبحث الأول: جهود عبد القادر الجرجاني النحوية 67

تمهيد: 67

اختياراته من الكوفيين والبصريين ومذهبه النحوي: 69

المصطلح النحوي: 69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطلح البصريين: 69

مصطلح الكوفيين: 72

المذهب النحوي: 77

إقرار رأي البصريين: 77

إقرار رأي الكوفيين: 82

الرواية دون ترجيح: 87

نماذج نحوية:.. 89

المبحث الثاني: جهود عبد القاهر الجرجاني الصرفية 94

تمهيد:.. 94

الظواهر الصرفية في درج الدرر : 95

1- الإبدال: 95

الإبدال في اللغة: 95

الإبدال في الاصطلاح: 95

الاختلاف حول الإبدال:.. 96

الفروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي: 96

الإبدال في تفسير درج الدرر : 97

2- الإعلال: 99

الإعلال في اللغة والاصطلاح:.. 99

الفرق بين الإعلال والإبدال:.. 99

3- تعاقب الصيغ:... 101

4- أبنية الكلام والصيغ الصرفية: 103

المبحث الثالث : جهود عبد القاهر الجرجاني اللغوية 111

تمهيد:... 111

الظواهر اللغوية في درج الدرر:.. 112

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- الاشتقاق: 112
الاشتقاق في اللغة:.. 112
الاشتقاق في الاصطلاح: 112
أنواع الاشتقاق:.. 113
الأصل في الاشتقاق: 115
الاشتقاق في تفسير درج الدرر:.. 116
2- الترادف: 118
الترادف في اللغة:... 118
الترادف في الاصطلاح:... 119
أسباب الألفاظ المترادفة:.. 120
الترادف في تفسير درج الدرر:.. 121
3- المشترك اللفظي: 122
المشترك اللفظي في اللغة: 123
المشترك في الاصطلاح:... 123
موقف العلماء من المشترك اللفظي:... 123
أنواع المشترك اللفظي.. 126
الاشتراك المطلق:... 126
الأضداد:... 128
الاشتراك بين الحقيقة والمجاز:.. 129
أثر المشترك اللفظي في المعنى.. 130
علل المشترك اللفظي... 133
4- المعرب: 144
التعريب في اللغة والاصطلاح: 144
أسباب نشوء المعرب والدخيل:.. 144

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المُعرَّبُ في القرآن الكريم: 145

المعرَّب في تفسير درج الدرر: 148

5- لغات العرب: 150

لغات العرب في تفسير درج الدرر: 152

الفصل الثالث 154

المعاني وأحوال اللفظ العربي 154

التمهيد: 155

المبحث الأول: الأساليب الخبرية 157

الخبر في اللغة 157

الخبر في الاصطلاح: 157

أنواع الخبر باعتبار حال المخاطب: 158

1- الخبر الابتدائي: 158

2- الخبر الطلبي: 159

3- الخبر الإنكاري: 159

الأساليب الخبرية: 160

فائدة الخبر ولازم الفائدة: 161

أغراض الخبر البلاغية في تفسير درج الدرر: 162

1- الخبر للإنكار: 163

2- الخبر لإظهار التحسر والاستغفار: 163

3- الخبر لإظهار الضعف: 165

4- الخبر لإظهار الاسترحام والاستعطاف: 166

5- الخبر لتحريك الهمة والحث على الجد والاجتهاد: 167

6- الخبر للتوعد(الوعيد والتهديد): 169

7- الخبر للوعد: 170

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

8- الخبر للتحذير: 171
9- الخبر للتعظيم: 172
10- الخبر للتوبيخ والتقريع: 173
المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية...175
أقسام الأسلوب الإنشائي:... 175
أسلوب الإنشاء الطلبي وأغراضه:... 177
1- الأمر: 177
الأمر في اللغة:.. 177
الأمر في الاصطلاح: 177
أغراض الأمر البلاغية في تفسير درج الدرر: 177
2- النهي: 182
النهي في اللغة:.. 182
النهي في الاصطلاح: 182
أغراض النهي البلاغية في درج الدرر:... 183
3- التمني:.. 189
التمني في اللغة:... 189
التمني في الاصطلاح:.. 189
أغراض التمني البلاغية في تفسير درج الدرر: 190
4- الاستفهام:... 192
الاستفهام في اللغة: 192
الاستفهام في الاصطلاح:... 193
أغراض الاستفهام البلاغية في تفسير درج الدرر:.. 193
5- النداء: 203
النداء في اللغة:.. 203

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النداء في الاصطلاح:.. 203

أغراض النداء البلاغية في تفسير درج الدرر: 204

المبحث الثالث: التعريف والتنكير...**210**

التعريف والتنكير في اللغة:.. 210

التعريف والتنكير الاصطلاح:.. 210

أولًا: التعريف 210

طرق التعريف:... 212

ثانيًا: التنكير 220

أغراض التنكير: 222

المبحث الرابع: التقديم والتأخير **225**

التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح: 225

أهمية التقديم والتأخير: 226

أنواع التقديم والتأخير:.. 229

أسباب التقديم:.. 231

المبحث الخامس: أسلوب القصر **234**

القصر في اللغة: 234

القصر في الاصطلاح: 234

القصر الحقيقي: 235

القصر الإضافي:... 235

القصر باعتبار طرفيه:.. 235

أسلوب القصر في تفسير درج الدرر: 235

المبحث السادس: الإيجاز والإطناب والمساواة **238**

1- الإيجاز: 238

الإيجاز في اللغة:.. 238

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإيجاز في الاصطلاح:.. 239
قسما الإيجاز : 240
2- الإطناب:.. 247
الإطناب في الاصطلاح:.. 247
أقسام الزيادة: 248
أقسام الإطناب: 249
3- المساواة: 260
المساواة في اللغة: 260
المساواة في الاصطلاح: 260
المبحث السابع: الفصل والوصل..263
الفصل والوصل في اللغة والاصطلاح:.. 263
أنواع العطف: 264
منزلة الواو بين أدوات الوصل: 267
مواضع الوصل: 269
أحوال الواو : 272
الفصل: 275
أدوات الفصل:.. 276

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الغر الميامين – ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن من أسرار القرآن العظيم وروعة بيانه أنّك كلّما أبحرت فيه ازددت تعمّقًا وشوقًا وكلما تلوته كبحت هوى نفسك وارتقيت بعقيدتك واعتقادك، وما يبعد عنه إلّا من جفا قلبه. وكلما نهلت من فيضه ومعينه الصّافي تعلقت به والتزمت بأوامر ربك سبحانه وانتهيت بما ينهى عنه، وسرت في طريق المهتدين المتقين.

إن الذي تركه عبد القاهر الجرجاني من مصنفات بلاغية ونحوية وتصريفية وغيرها يدرك دونما شك أنه عَلَمٌ من أعلام التراث العربي حيث ترجع شهرته إلى كتاباته في البلاغة، فهو مؤسس لهذا العلم، ويعد كتاباه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفها الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر.

كان الإمام ورعًا قانعًا، عالمًا، ذا نسك ودين حيث ترك آثارًا مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، بالإضافة إلى "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" الذي أورد فيهما معظم آرائه في علوم البلاغة العربية، تبحّر في علوم النحو والصرف واللغة والفقه، أما كتابه في التفسير (درج الدرر) فكان إضافة قيمة بما زخر من درر يحسن الوقوف عليها، ووضع "الرسالة الشافية في الإعجاز" لتأكيد عمله المنهجي في هذا الموضوع. لقد امتلك الإمام عبد القاهر ما ميزه عن علماء عصره ومن سبقه، وذلك لقدرته على التحليل بمنهجية علمية سبقت عصره، لقد بنى الإمام عبد القاهر منهجه في الوقوف على ما به تمام بلاغة الخطاب وفصاحته ونظم الكلم، والوقوف على إعجاز القرآن وذلك عمود تلك البلاغة، فاقتضى الأمر التحليل والتفصيل والتوضيح وذكر الشواهد، والتذوق والتأويل الموضوعي، وتجنب الانطباع الذاتي غير القائم على معرفة موضوعية، فالكثير من وجوه البلاغة بما فيها من إفاضة وتوسع، والتي قام بتوضيحها وتحليلها والإشارة إليها في تفسير درج الدرر جديرة بالنكت والتنقيب، ومن الفائدة أن يكون هناك ضبط لمصطلحات البلاغة المذكورة بمسمياتها في درج الدرر وتسمية ما لم يأت على تحديد مسمى له.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ اللغة من أبرز مقومات حضارة أي أمة ونهضتها عامة، واللغة العربية آية من آيات الله أودعها اللهُ الإنسانَ منذ أن علّم آدم الأسماء كلّها؛ فليس من العجيب أن تزدهر الدراسات اللغوية والبلاغية بعد نزول القرآن الكريم الذي ارتبطت به ارتباطًا كليًا، حيث توقّف الكثير من العلماء عند هذا الأمر لسبر أغواره، وتبيان أسرار هذا الإعجاز والتعرف على خفاياه، فبلغ بعضهم في هذا الأمر مبلغًا عظيمًا بما أدرك وتبين، وكان الباعث والغاية خدمة لكتاب الله وحفاظًا عليه من أيّ تحريف؛ فخلّف لنا الأوائل بهذا تراثًا عظيمًا في علمي النحو والصرف والبلاغة يشار إليه بالبنان، وامتدت العناية إلى تأمل مواطن الإعجاز البلاغي ونكت البيان ووجوه تحسين الكلام وأسرار النظم، فكان لنا تراث نعتز به بما له من المزية والتفرد في علم البلاغة وغيره من العلوم في كتب التفسير عامة وكتاب درج الدرر خاصة.

كتاب درج الدرر في تفسير الآي والسور:

يعد كتاب (درج الدرر في تفسير الآي والسور) أو المسمى (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) للإمام عبد القاهر الجرجاني من كتب التفسير القيمة، حوى نقولًا غزيرة عن عدد من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وعلم الكلام وغيرها من العلوم، وكثير من هؤلاء الأعلام أئمة في تلك العلوم كابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس ومجاهد والفراء وأبي عبيدة والزجاج وابن عرفة والأزهري، فجمع كثيرًا من أقوال هؤلاء الأعلام وآرائهم، ولم شعثها، وأسكنها في ثنايا كتابه، فهي دليل على سعة اطلاعه وغزارة علمه، وتعطي صورة واضحة عن مرحلة مهمة من مراحل مسيرة التأليف في تفسير القرآن الكريم(1).

قام كل من: وليد بن أحمد بن صالح الحسين يشاركه إياد عبد اللطيف القيسي بتحقيق الكتاب الصادر عن سلسلة إصدارات الحكمة (1429هـ - 2008م)، وهو بعنوان (دَرْجُ الدرر في تفسير الآي والسور) للإمام عبد القاهر الجرجاني ونسبه المؤلفان للإمام عبد القاهر الجرجاني والكتاب من أربع مجلدات، وقام بتحقيقه أيضًا كل من: طلعت صلاح الفرحان يشاركه محمد أديب شكور، الصادر عن دار الفكر، ناشرون وموزعون(1430هـ- 2009م)، وهو بعنوان(دُرْجُ الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام عبد القاهر الجرجاني) والكتاب من مجلدين وفيه لا يجزم المؤلفان نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني حسب ما ترجح لديهما وأنه ليس للإمام، بل لغيره لكنهم لم يستطيعا نسبته لغيره. ويجدر الإشارة إلى أن

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني.(1430هـ- 2009م). درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، دراسة وتحقيق طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور، ط/1، عمان: دار الفكر، ناشرون وموزعون (ج1/40-41)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبعة (الفرحان وشكور) ضبطت(دُرْج) بضم فسكون، والدُرج بالضم سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها، والجمع أدراج ودرجة. أما طبعة (الحسين والقيسي) فقد ضبطت (دَرْج) بفتح وسكون والدرج لف الشيء، يقال درجته. ودرج الشيء في الشيء يدرجه درجًا وأدرجه طواه وأدخله [1].

أهمية الدراسة:

إن مكانة الإمام عبد القاهر الجرجاني وشهرته العلمية وتبحره في شتى العلوم، خاصة علم البلاغة والذي بدا واضحًا جليًا في تفسيره درج الدرر، يتطلب السعي والبحث في كتب الإمام والغوص في بحارها ودراستها دراسة جادة مستفيضة واستجلاب الدرر النفيسة منها، وكتاب درج الدرر في التفسير من هذه الكتب التي تستوجب على الباحثين دراسته من جوانب شتى، وخاصة الدراسات البلاغية والنحوية والصرفية، فالكتاب زاخر بأوجه البلاغة المختلفة وباستدلالات الإمام في تفسير الآيات القرآنية وتبيانه مراد الحق سبحانه، فيتسم طابع الكتاب بالإيجاز في تفسيره الآيات القرآنية، فلا تجد حشوًا زائدًا أو إطنابًا مخلًا بل توسعًا فيما يقتضي إظهار معاني الألفاظ وما يتعلق بمواقعها الإعرابية وبنيتها الصرفية ودلالاتها البيانية "إنّ تفسير درج الدرر وبالرغم من أنّه مختصر، إلا أنّه يعدّ من التفاسير القيّمة، فهو ليس من المختصرات المخلّة، ولا من المطولات المملّة، فهو ذو فائدة للقارئ العاديّ غير المختصّ، كما أنّه ذو فائدة عالية للقارئ المختصّ في آن واحد"[2].

تعتبر الدراسة جديدة حيث تم تحقيق الكتاب أول الأمر في شكل أجزاء على يد وبصيرة كثير من الباحثين والدارسين إلى أن انتهى الأمر وتم تحقيق الكتاب كاملًا من خلال رسالتيين علمييتين، فصدر حديثًا في العام 2008 م تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين يشاركه إياد عبد اللطيف القيسي، وفي العام2009 م تحقيق: طلعت صلاح الفرحان يشاركه محمد أديب شكور. إن من أهداف هذه الدراسة توضيح أثر البلاغة في تفسير القرآن الكريم كما جاء في تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني، ويمكن القول إن أهمية هذا الموضوع ودواعي اختياره تأتي لأن الإمام- رحمه الله- رائد في البلاغة العربية وعلم من أعلام التراث العربي وشيخ العربية، وكتاب درج الدرر زاخر بوجوه البلاغة العربية. ولمَا يحظ بدراسات بلاغية متخصصة- على قدر علم الباحث وتقصيه- عدا إشارات أو تلميحات لمن قاموا

(1) ينظر: ابن منظور المصري، لسان العرب، مادة درج (ج2/269)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 11)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بتحقيقه، وتكمن أهمية الدراسة في التباين بين المحققين في نسبة الكتاب، وبالمقابل قناعة الباحث بأن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني موافقًا لرأي المؤلفين: (الحسين والقيسي) خلافًا لرأي مؤلفي درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام عبد القاهر الجرجاني (الفرحان وشكور) حيث رجح لديهما بأنه ليس للإمام مع أنهما لا يستطيعان نسبته لغير الإمام، وذكر أحدهما:" إنّ كتاب درج الدرر في تفسير القرآن العظيم وحسب ما ترجح لديّ، والله أعلم، أنّ الكتاب ليس لعبد القاهر الجرجاني، بل هو لغيره، ولم أستطع نسبته لغيره، إذ لم توجد علامات دالّة على ذلك، فهو في رأيي المتواضع، منسوب له، ويبقى كذلك حتى يتبيّن لي أو لأحد غيري مؤلّف الكتاب" (1). وهذا يتطلب جهدًا وعملًا دؤوبًا في إيراد الأدلة المقنعة والرد على من لم يثبت نسبة الكتاب للإمام. وعلى سبيل المثال أن المحققيّن (الفرحان وشكور) يذكران بأن الكتاب خال من أي إشارة إلى نظرية النظم التي اشتهر بها الإمام فيقولان: " والكتاب يخلو من أي إشارة إلى نظرية النظم التي عرف بها عبد القاهر الجرجاني" (2) ، والباحث يرى أن الإمام عبد القاهر الجرجاني أتى على ذكر النظم وضم الكلم والإعجاز ومقتضى النحو في جوانب كثيرة من كتابه درج الدرر. فيقول في درج الدرر في تفسيره للآيات الكريمة: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: 23]**: " وإنما وقع التحدي ههنا بنظم عجيب بديع تضمن معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسميه الفصحاء لطيبه وبدو أحكامه شعرًا وسحرًا(3)"، ويقول في موضع آخر من الكتاب:" والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه بلسان عربيّ مبين"(4)، وحسب ما ترجح لدى الباحث – والله أعلم – أن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني قطعًا لقول كل خطيب لا ظنًا دون تمحيص وتدقيق، وفي الدراسة مبحث كامل عن الأدلة التي تؤكد هذا الترجيح وتوافق من أكد أن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني وذلك بحسن الظن بالله والأمل بأن يوفقنا الحق سبحانه إلى ما يحب ويرضى.

إن كتاب الله أعظم الكتب؛ لأنه كلام الحق سبحانه ننهل من معينه الذي لا ينضب، ونأنس به فتصفو النفوس. لقد عرف علماؤنا الأفاضل وسلفنا الأكارم أهميته وشرفه فشمروا عن سواعدهم وبذلوا النفس والنفيس في خدمته، فالقرآن الكريم أشرف ما يشتغل به الإنسان في هذه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 11)

(2) المصدر السابق (ج1/ 17)

(3) المصدر نفسه (ج121/1)

(4) عبد القاهر الجرجاني. درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 163)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحياة، فهو سبيل النجاة في الدارين، والكتاب العزيز من أَجَلِّ النعم التي أنعمها الله على الإنسان وأعظمها، حيث اصطفى الحق سبحانه سيد البشر لأداء الرسالة المنوطة به وتبليغ آيات القرآن العظيم.

منهج البحث:

سيعتمد الباحث إن شاء الله المنهج الوصفي في تحليل ودراسة نصوص التفسير القرآنية والشواهد البلاغية التي وردت في الكتاب؛ ولتحقيق أهداف البحث سيعتمد الباحث كتاب تفسير الإمام عبد القاهر الجرجاني، نسخة كتاب (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، دراسة وتحقيق طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور، دار الفكر، ط/1، ناشرون وموزعون، عمان، 1430هـ/ 2009م) مصدرًا رئيسًا بسبب تنظيمه وترقيمه للآيات، أما كتاب (درج الدرر في تفسير الآي والسور) تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي، ط/1، مجلة الحكمة، بريطانيا، 1429هـ/ 2008م، فيتم اعتماده في حالات ضيقة بسبب صعوبات التحقيق التي قد ترد في المصدر الأول، فالكتابان مصدران رئيسان لاستخراج الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير الإمام لآيات الحق سبحانه، ويتم ذلك من خلال ضبط المفاهيم وجمع الآيات والشواهد وتحليل النصوص التفسيرية وتأصيلها والتعليق عليها بالرجوع للمصادر والمراجع العديدة والدراسات المتعلقة، وفي الدراسة عمل الباحث على عرض وجوه البلاغة في تفسير درج الدرر من خلال إيراد آراء الإمام وطريقته في التفسير مستعينًا بطريقة تحليل المحتوى معتمدًا على أساسيات البلاغة في كتب التراث ورؤى علماء البلاغة والإعجاز القرآني، كما قدم الباحث الشروحات اللازمة لذلك، مستعينًا بآراء علماء اللغة والنحو والتفسير والتربية؛ ليستخلص الباحث النكت البلاغية في تفسير الإمام وما أبانته الدراسة من دلالات وعظات وجماليات مؤثرة وفاعلة في النفس البشرية خاطبت القلب والعقل، وبينت ما تفرد به الإمام عبد القاهر الجرجاني.

الصعوبات:

- تأصيل للوجوه البلاغية التي وردت في تفسير درج الدرر في عصر لم تتضح معايير ثابتة ومقننة.
- الكثير من الوجوه البلاغية تتطلب التأمل والنظر والتصنيف، فأحيانًا تكون تلميحات وإشارات دون تسمية وتوضيح للمصطلح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أهمية الرجوع لكتب الإمام في النحو والصرف وكتب النحويين والصرفيين لتقصي أوجه الخلاف وتوضيح رأي الإمام وترجيحه للمسائل وفقًا لمذهبه النحوي والصرفي.
- إثبات نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني بالأدلة العلمية والقرائن مما تطلب التمحيص والتدقيق؛ لوجود رسالتين علميتين: إحداهما لا تجزم بنسبة الكتاب وتعتبره منسوبًا للإمام والتي بعنوان:(درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) والأخرى التي تؤكد نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني والتي بعنوان:(درج الدرر في تفسير الآي والسور).

الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسة جديدة فلا توجد دراسات وأبحاث بنفس العنوان: (**الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ**) وإنما اقتصرت الدراسات لهذا الكتاب على الجانب الخاص بتحقيق المخطوطات، فقامت مجموعة من الباحثين والدارسين بتحقيق أجزاء من الكتاب إلى أن تم تحقيقه كاملًا، وذلك على النحو المفصل التالي:

1. تحقيق المخطوط من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة دراسة في مناهج التفسير للباحثة حنان لطفي ذياب – رسالة ماجستير (الجامعة الأردنية) 1423هـ/ 2003م.
2. تحقيق الكتاب من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة للباحث وليد بن أحمد بن صالح الزبيري رسالة ماجستير (جامعة الجنان – بيروت) 2005م.
3. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة يونس للباحث طلعت صلاح الفرحان– رسالة دكتوراه فلسفة لغة عربية (جامعة بغداد) 1425هـ/ 2005م.
4. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة للباحث عقيل محمد عقيل أحمد – رسالة دكتوراه (جامعة الأزهر بالقاهرة) 2007م.
5. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الدخان إلى آخر سورة الناس دراسة وتحقيق في تخصص التفسير وعلوم القرآن للباحثة أمل مبروك مبارك الصاعدي – رسالة ماجستير (جامعة مؤتة) 1431- 1432 هـ.
6. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة النساء دراسة للحصول على درجة الدكتوراه للباحثة نوال بنت محمد سردار – رسالة دكتوراه (كلية الآداب والعلوم الإدارية بمكة المكرمة)
7. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأعراف دراسة للحصول على درجة الدكتوراه للباحثة هند بنت محمد سردار – رسالة دكتوراه (جامعة أم القرى – مكة المكرمة)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم دراسة للحصول على درجة الدكتوراه للباحثة لولوة بنت عبد الله المشعلي، دكتوراه (كلية التربية بالقويعية)
9. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الحجر إلى آخر سورة طه دراسة للحصول على درجة الماجستير للباحثة بنان ينت عبد الرحيم بالطو – رسالة ماجستير (كلية الآداب والعلوم الإدارية بمكة المكرمة)
10. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة الزخرف دراسة للحصول على درجة الدكتوراه للباحثة ذخنة بنت علي الشهري – رسالة دكتوراه (كلية التربية بأبها)
11. تحقيق ودراسة مخطوط درج الدرر لعبد القاهر الجرجاني للباحثة سماح السيد عزب خميس من أول سورة يس إلى آخر سورة الحديد، ماجستير التفسير وعلوم القرآن– جامعة الأزهر .
12. تحقيق مخطوط درج الدرر من أول سورة مريم إلى آخر سورة النور للباحث محمد حسني عبد الرحيم حماد – رسالة دكتوراه (جامعة الأزهر بالقاهرة) 2010م.
13. تحقيق مخطوط درج الدرر الأجزاء من السادس إلى الثامن للباحث أسعد عبد المنعم هاشم عبد العال– رسالة ماجستير (جامعة الأزهر بالقاهرة) 2010م.
14. تحقيق مخطوط درج الدرر الأجزاء من الثالث إلى الخامس للباحث محمد علي بيومي أحمد– رسالة ماجستير (جامعة الأزهر بالقاهرة) 2010م.
15. تحقيق ودراسة الأجزاء الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني للباحث شوقي عبد الصادق عبد الحميد (قسم التفسير وعلوم القرآن– كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية) 2014م.
16. المسائل النحوية والتصريفية في كتاب درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر الجرجاني : جمعًا ودراسة للباحثة منيرة بنت علي بن عبداللطيف العفالق، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة.
17. المسائل النحوية والصرفية في درج الدرر في تفسير القرآن العظيم لعبد القاهر الجرجاني ت471هـ جمعًا ودراسة وتقويمًا، للباحثة الشيماء صبري مصطفى البنا، رسالة دكتوراه من قسم اللغويات، الأزهر.
18. خطة بحث بعنوان (عبد القاهر الجرجاني نحويًا في ضوء تفسير درج الدرر في تفسير الآي والسور) للباحث محمد ولد الداه ولد أيد، معهد البحوث والدراسات العربية، 2016م.
19. دراسة بعنوان(مبحث عبد القاهر النحوي في تفسيره درج الدرر) من إعداد الباحثة خديجة عبد القادر بوغندورة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20. أثر التقديم القرآني في المعنى في تفسير "درج الد المنسوب لعبد القاهر الجرجاني"، بحث للدكتور: محمد عبد ذياب مايل الهيتي، منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة- العدد/ 11 -1437هـ، المملكة العربية السعودية.

تحقيق الكتاب كاملًا:

1. تفسير القرآن لعبد القاهر الجرجاني، عبدالله عبدالرحمن الخطيب، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن (جامعة مانشستر ببريطانيا) عام 1993م ، غير منشور .
2. درج الدرر في تفسير الآي والسور للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي، (أصل هذا التحقيق رسالتان علميتان) ط/1، مجلة الحكمة ، بريطانيا، 1429هـ/ 2008م .
3. درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام عبد القاهر الجرجاني، دراسة وتحقيق طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور، دار الفكر، ط/1، ناشرون وموزعون، عمان، 1430هـ/ 2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد القاهر الجرجاني

(حياته – علماؤه – تلاميذه– تراثه العلمي– وفاته – أشعاره)

حياته:

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان[1] (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق، هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[2]، كان نحويًا متكلمًا على مذهب الأشعري فقيهًا على مذهب الشافعي، اتسم بالورع والتقوى مع الدين المتين. كما كان آية في النحو، حتى لقب بشيخ العربية في زمانه وإمامها فقد كان من كبار أئمة العربية واللغة والبيان، وغلبت عليه شهرة النحوي كما كان له شعر قليل لا يدل على شاعرية وغزارة إنتاج[3].

كان عبد القاهر فقيهًا شافعيًا أشعريًا، كان نفسًا ملهوفة بالبيان وبتذوق البيان، جبلة فطر عليها، واكتسابًا صقلته صحبة فحول الشعر والأدب والنقد في زمانه[4]. كان عبد القاهر متكلمًا محكم الأداة جيد النظر في علم الكلام، وأديبًا ذواقة فائق التذوق، مشرق البيان عن أسرار تذوق الكلام النبيل الشريف الباهر، مقتدرًا كل الاقتدار على تحليل الكلام المركب من الألفاظ تحليلًا يكشف الستر عن خباياه الملثمة، وعلى توسم آثار العلائق الظاهرة والمخفية[5]،

---

(1) يقول السهمي في تاريخ جرجان: " فإني لما رأيت كثيرًا من البلدان تعصب أهلها وأظهروا مفاخرها بدخول الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بلادهم وكون الخلفاء والأمراء وجماعة من العلماء عندهم حتى أرخوا لذلك تواريخ، وصنفوا فيها تصانيف على ما بلغهم ولم أر أحدًا من مشايخنا رحمهم الله صنف في ذكر علماء أهل جرجان تصنيفًا أو أرخ لهم تأريخًا على توافر علمائها وتظاهر شيوخها وفضلائها. فتحت جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح نهاوند لما قتل النعمان بن مقرن ولي خلافته أخوه سويد بن مقرن فجاء إلى الري وفتحها ثم عسكر إلى قومس وفتحها ثم فتح جرجان.

ينظر: أبو القاسم السهمي الجرجاني، تاريخ جرجان (ص43- 44)

(2) ينظر: الزركلي، الأعلام (ج4/ 48 –49) ابن العماد العَكري، شذرات الذهب (ج3/340) القفطي، انباه الرواة (ج2/188) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده (ص :11)

(3) ينظر: صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات (ج2/370) القفطي، إنباه الرواة (ج2/190) أحمد بن محمد الأدنه، طبقات المفسرين(ج1/131)

(4) محمود محمد شاكر، أبو فهر، مداخل إعجاز القرآن(ص107)

(5) المصدر السابق (ص 119 – 120)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا ما كان الإمام قد نسق سمات بلاغة الخطاب وفصاحته، كما رآها في مقالة العلماء في معنى البلاغة والفصاحة نسقًا جامعًا بين ما هو محقق لبلاغة الخطاب تمامَها وعمودَها، ولم يرتض الوقوف عند البيان الخفي المجمل، دعا إلى التفصيل والتبيين في الأمرين معًا؛ فإنه قد بدأ بتفصيل مقومات بلاغة الخطاب، وتبيين الطريق إلى تحقيقها(1).

علماؤه:

أجمعت المصادر على أنه قد تتلمذ على يد شيخ واحد بجرجان هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي النحوي ، فلم يأخذ عن غيره(2)، ويقول ياقوت الحموي في معجم الأدباء أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني:" وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره وشمخ بأنفه بالانتماء إليه، وطوّف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره، وله رسائل مدوّنة وأشعار مفننة، وكان جيد الخط مليحه(3)، كان شافعي المذهب متكلمًا على طريقة أبي الحسن الأشعري، وفيه دين، وله فضيلة تامة بالنحو، وصنف كتبًا كثيرة، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأخذ عنه علي بن أبي يزيد الفصيحي، وذكره السلفي في معجمه، فقال: دخل عليه لص، وهو في الصلاة، فأخذ جميع ما وجد، والجرجاني ينظر إليه، ولم يقطع صلاته وله نظم فمنه:

كَبِرْ علَى العقلِ لا ترمِه ومِلْ إلى الجهلِ ميلَ هائِمِ (4)

تلاميذه:

كان لمنزلة الجرجاني العظيمة الأثر الكبير الذي مكنه من تصدر مجالس العلم في جرجان. فقصده طلاب العلم من كل مكان للاستفادة من علمه ومن ابرزهم: أبو عامر الفضل بن اسماعيل التميمي الجرجاني(ت474هـ)(5). أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي (ت502هـ) (6)-

(1) ينظر: محمود توفيق محمد سعد، نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني(ص7)
(2) ينظر: ابن العماد العَكري، شذرات الذهب(ج340/3) صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات(ج188/2)
(3) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء(ج1797/4)
(4) ينظر: ابن كثير الدمشقي، طبقات الشافعيين (ص 465)
(5) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج255/3) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج192/16)
(6) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج191/6-192) وياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج131/7)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي بن زيد الفصيحي الاستراباذي (ت516 هـ) [1]- أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير النحوي، له شرح كتاب اللمع [2]- أبو نصر، أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي[3].

تراثه العلمي:

خلف لنا الجرجاني تراثًا علميًا عظيمًا يشهد له بالسبق والريادة ويمكن تصنيف هذه التآليف على النحو الاتي:

أولاً: علوم البلاغة: دلائل الاعجاز - أسرار البلاغة - مختار الاختيار في فوائد معيار النظائر في المعاني والبيان والبديع والقوافي، مفقود. وله أيضًا كتاب الطرائف الأدبية.

ثانيًا: علوم القرآن[4] : تفسير سورة الفاتحة- إعجاز القرآن الكبير - وإعجاز القرآن الصغير- المعتضد في شرح إعجاز القرآن للواسطي- درج الدرر في تفسير الآي والسور، أو درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، الرسالة الشافية.

ثالثًا : علوم النحو[5] : كتاب المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، ثم لخصه في مجلد سماه (المقتصد في شرح الإيضاح) شرح متوسط لكتاب الإيضاح، وله أيضًا مختصر الإيضاح المسمى بالإيجاز وهو شرح لكتاب الإيضاح - وله العوامل المائة- والجمل وهو شرح لكتاب العوامل المائة- والتلخيص شرح لكتاب الجمل- التتمة في النحو- ستة أبيات في فعل الأمر الباقي على حرف واحد.

رابعًا: علم الصرف: المفتاح في التصريف[6]- العمدة في التصريف[7]- المقتصد في شرح التكملة لأبي علي الفارسي[8].

---

(1) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج3/337) وابن عماد العكري، شذرات الذهب (ج3/340)

(2) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج1/217) السيوطي، بغية الوعاة (ج1/320)

(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح (ج1/20) ياقوت الحموي، معجم الأدباء(ج1/187)

(4) ينظر: ابن العماد العَكري، شذرات الذهب (ج3/340) صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات (ج2/370)

(5) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة (ص 3) : عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح (ص24)

(6) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص26)

(7) ينظر: شذرات الذهب (ج3/340) حاجي خليفة، كشف الظنون(ج2/1169)

(8) ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (ص 419)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة:

خلّف الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه لله– كتابين هما من أشهر مصنفاته، إن لم يكونا أشهرهما على الإطلاق، فكتاب دلائل الإعجاز الذي أودع فيه نظريته في النظم، التي أطلق عليها اسم (النحو الثانية): "وهكذا كانت كلمة النحو أو كلمة النظم تعبيرًا عن التزام جاد"[1]، لقد رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقًا فيها تطوير للبحث النحوي والبلاغي، تسبق كل النظريات اللغوية الحديثة، أمّا الكتاب الثاني فهو (أسرار البلاغة)، الذي هو صنو الدلائل، وقد ألفه لغاية بلاغية، ووضع الأصول والقوانين وبيان الأقسام وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية. ويمكن إجمال الموضوعات التي تطرق إليها الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) في ثلاث موضوعات: أولاً: حديث عن اللفظ والمعنى وتأكيد على أهمية المعنى في الكلام (التأليف) وأن الجودة فيه مردها إلي المعنى دون اللفظ، وعلى هذا فإن ألوان البديع والبيان كالتجنيس والسجع والطباق والاستعارة إنما يعود الحسن فيها إلي المعنى دون اللفظ، لقد " اعتنى باللباب من هذا العلم، وأكد فيه على الجانب الحي النابض، وابتعد عن الفهم العشوائي، والخلط الغوغائي بين النظرية البلاغية وتطبيقاتها، لم يعتن بالحدود المقيدة في علم المنطق، ولم يعر للقوقعة اللفظية أهمية مطلقًا، كان وكده منصبًا حول ما يقدمه من نتاج فياض إبداعي ينهض بهذا الفن الأصيل إلى أوج عظمته ويدفع به الى ذروة مشاركته في بناء الهرم الحضاري، فماذا يجني الباحث والمتعلم، وهذا العلم نفسه، من الجفاف في الحد، أو الغلظة في الرسم، أو الصرامة المضنية في القاعدة" [2]، يذكر شوقي ضيف أن الدلائل أسبق من الأسرار، فيقول: "ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعًا دقيقًا، أمّا النظريّة الأولى فخصّ بعرضها وتفصيلها كتابه دلائل الإعجاز، وأمّا النظريّة الثانية فخصّ بها وبمباحثها كتابه أسرار البلاغة، وأن قِسمة البلاغة إلى علوم ثلاثة لم تكن قد استقرت حتى عصر عبد القاهر"[3]؛ وذكر أن آراءه في الأخير أدق وأوضح، ولأنه تراجع في الأسرار عن رأيه في المجاز فقد جعله عقليًا كله في الدلائل، وجعل بعضه لغويًا في الأسرار، "وكأنما تكاملت له أداته في تصوير دقائق التراكيب البلاغية وأثرها في النفوس، وتدل مباحثه فيهما وفي الصور البيانية جميعًا أنه صنف هذا الكتاب بعد الدلائل لما يجري في كلامه من

---

(1) مصطفى ناصف، النقد العربي نحو نظرية ثانية (ص35)

(2) محمد حسين الصغير، مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية (ص34)

(3) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ (ص160)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دقة واستيعاب وضبط وإحكام، ولما ينشر فيه آراء نفسية لا عهد لنا بها في الدلائل"[1]، ويقول إحسان عباس: "إن عبد القاهر بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه عن المعنى حاول أن يخصص كتابًا لدراسة معنى المعنى فكان من ذلك كتابه أسرار البلاغة"[2] وذهب فريق آخر إلى أن أسرار البلاغة أسبق ومنهم الشيخ على عبد الرازق وأحمد موسى ومحمد عبد المنعم خفاجي وحفني محمد شرف[3]، " وقد يكون الدليل على أن الأسرار قبل الدلائل ما جاء في الدلائل" وضربوا له المثل بالملح كما عرفت" ، وفي الأسرار نجد هذا المثل أيضًا، ويعقب أحمد مطلوب على ما سبق:" ولكن قوله كما عرفت عبارة يكررها دائمًا في كتبه لكي لا يظهر السامع والقارئ جاهلًا، ويتابع: "إن الحديث عن هذا الموضوع قد لا يوصل إلى رأي قاطع ولكن الأدلة ترجح أن الدلائل ألف قبل الأسرار؛ لأن عبد القاهر كان في أول الأمر معنيًا في الدراسات القرآنية وكانت مسالة القرآن تشغله"[4]، أمّا ما قاله طاش كبرى زاده فيهما: "ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفًا وفخرًا"[5]، فهذا القول أبلغ تعبير عن مكانتهما، أُلِّف كتاب دلائل الإعجاز من أجلِ بيان وجه الإعجاز في القرآن، إذًا فمادَّته الأولى هي القرآن، ثم إنَّ عبد القاهر اعتَمَد على عَلَمَيْن جليلَيْن؛ وهما: سيبويه والجاحظ، فهو لم ينتَفِع بهما في الجزئيَّات فحسب، وإنما دخَلاَ عنده في صلب مادَّته التي ابتَدَأها واستَخرَجها، فقد ذكَر الجرجاني أنَّ الخليل وسيبويه بلَغَا في فقه النحو مبلغًا لم يسبقهم إليه أحد، وأنهما ذروة هذا العلم، ثم ذكَر أنَّ الجاحظ بلَغ في بابه– أي: علم الشعر ومعرفة جوهره وطابعه ومعدنه– مبلغ الشيخين في علم النحو، وتفرَّد الجاحظ في علم الشعر كتفرُّد الشيخين في علم معاني النحو[6].

---

(1) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ (ص 190–191)

(2) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (ص429)

(3) أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده (ص 32

(4) المصدر السابق (ص 32– 33)

(5) طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة (ج160/1)

(6) ينظر: محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابَيْ عبد القاهر الجرجاني (ص 24)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفاته:

توفي الجرجاني سنة 471 هـ (إحدى وسبعين وأربعمائة)[1] ، وهكذا طوى الزمان صفحة من صفحات الإمام المضيئة ليقرأها الأجيال على مر العصور بما خلفه من آثار قيمة من تراثه العلمي الذي نهل وينهل منه الدارسون الى يومنا هذا.

أشعاره:

أجمع العلماء على تفوق عبد القاهر الجرجاني، والاعتراف بتميزه، وتنوع ثقافته، لكن بدت نظرة عبد القاهر الجرجاني التشاؤمية فيما ورد في بعض أشعاره التي تمثل جانبًا من جوانب حياته، متمثلة في تبرّمه من الزمان وأهله، وذمّه العصر والناس، فقد جمعت كتب التراجم والطبقات بعض أشعاره ، منها قوله:

أيّ وقتٍ هذا الذي نحنُ فيه ... قدْ دجَا بالقياسِ والتشبيهِ
كلّما سارتْ العقول لكي تقـ ... ـطعَ تِيهًا توغّلتْ في تِيهِ[2]
هَذْا زمانٌ ليس فيـ ... ـه سوى النذالةِ والجهالةِ
لم يَرْقَ فيه صاعدٌ ... إلّا وسُلَّمُه النذالة[3]

وتصل نقمته على عصره وأهل عصره وعدم وعيهم وتقديرهم العلم أَوْجَها، فيقول:

كَبِّرْ على العلمِ يا خليلي ... ومِلْ إلى الجهلِ مَيْلَ هائمِ
وعِشْ حمارًا تعش سعيدًا ... فالسّعدُ في طالعِ البهائمِ[4]

---

(1) ينظر: ابن العماد العَكري، شذرات الذهب (ج3/340) صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات (ج2/370)

(2) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة (ج2/190)

(3) المصدر السابق (ج2/190)

(4) الفيروز آبادى، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص 186) أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده (ص 20-24)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من يتأمل هذه الأشعار لا يشكّ في أنّ الرجل يعيش غريبًا في عصره بين أهل زمانه، فهم جهلة مدّعون العلم، وهم منافقون متملّقون، ويرى أنّ العلم الحقيقي لا أنصار له يقدّرونه ويفهمونه، ولذا فإن عبد القاهر بعلمه المتميّز وبصيرته الثاقبة كان له مذهب غير مذاهب معاصريه، فلم يقدّروا ما توصّل إليه وما كان يدعو إليه، كانت آراؤه في واد، وكان معاصروه في واد آخر، فلم يفقهوا صرخاته ونزعاته التجديدية الثاقبة، التي لم تتكشّف إلّا حديثًا، بعد أن جاء الشرق والغرب بنظريات لغوية ونقدية حديثة، فنجد منها ملامح وإشارات أو ظلالًا في مصنفات عبد القاهر الجرجاني قد توصّل إليها ونادى بها قبل ما يقرب من ألف عام.

ومن أشعاره أيضًا:

خلعَ الناسُ إهابًا ... وتبدَّوْا في إهابِ

إن إثراءً من المالِ ... بلثمٍ للترابِ

ليس من خيمِ الكريمِ ... الخيم والمحض اللّبابِ

ليس بالإقبالِ ما نيلَ ... بتقبيلِ الكلابِ

إنّ باغيَ الربحِ والخسران ... من بابٍ وبابِ

تاجرٌ غيرُ بصيرٍ ... بمقاديرِ الحسابِ[1]

ومن أشعاره أيضًا مدح نظام الملك الحسن بن إسحق وزير السلاجقة:

لو جاودَ الغيثَ غدا ... بالجودِ منه أجْدرا

أو قيس عرف عرفه ... بالمسكِ كان أعطرا

ذو شيمٍ لو أنها ... في المساءِ ما تغيَّرا

(1) القفطي ، إنباه الرواة (ج222/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهمُّــــــــــه لــــــــوْ أنهـــــــا للـــــــــنجمِ مــــــا تغـــــــورا
لـــــو مـــــسَّ عـــــودًا يابسًـــــا أورقَ ثـــــــــمَّ أتمـــــــــــرا[1]

ويظهر أنه كان يتخير أصدقاءه من بين أولئك الذين يميزون بين الجميل والقبيح، ويقدرون الصديق، ويعرفون قدره أما هؤلاء الذين لا يميزون ولا يقدرون فلا خير فيهم[2]:

مـــا لـــكَ مطمـــعٌ فـــي الأمـــرِ إلّا إذا مــــا أنكـــرَ الأمــــرَ القَبِيحَــــا
فأمّـــا وهـــو يجهـــلُ بـــين قـــبحٍ وبـــين الحســـنِ فرقانًـــا صَـــحِيحَا
فإنّـــكَ فـــي رجـــاءِ الخيـــرِ مِنْـــهُ بـــأجوازِ الفـــلاةِ تكيـــلُ رِيَحَـــا[3]

وينتقد إحجام الناس عن طلب العلم وزهدهم في طلبه، يقول الإمام:

قـــدْ أصـــبحَ النـــاسُ، وكـــلٌّ بـــه فـــي طلـــبِ الآدابِ زهـــد القنـــوعِ
لســـتَ تـــرى فـــي الكـــلِّ ذا همّـــةٍ يهـــزُّه الشـــوقُ وفـــرطُ الولـــوعِ
لكـــنْ تـــرىْ حـــينَ تـــرىْ قارئًـــا كالآكـــلِ الشـــيءِ علـــى غيـــرِ جـــوعِ
يجـــيءُ فـــي فضـــلة وقـــتٌ لـــه مجـــيءَ مـــنْ شـــابَ الهـــوى بـــالنّزوعِ
تـــراهُ فـــي أحيانِـــه مُفكـــرًا فـــي ســـببٍ يعجـــلُ أمـــرَ الرّجـــوعِ[4]

(1) ينظر: القفطي، إنباه الرواة (ج2/189) وأحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده (ص 21)
(2) ينظر: أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، سلسلة أعلام العرب (8) (ص14-15)
(3) الباخرزي، أبو الحسن ، دمية القصر وعصرة أهل العصر(ص565-566)
(4) المصدر السابق (ص566)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدلة نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني

1- نسخ الكتب:

النسخة الأولى: وهي ترجع إلى مكتبة كوبريلي في تركيا – اسطنبول – برقم (95)، ومنها صورة ميكروفلم تحمل الرقم (1168)، وهي في (328) لوحة من القطع الكبير – أعني القرآن كله. وعلى وجه النسخة كتب عنوان الكتاب "كتاب درج الدرر للإمام العلامة علامة العالم وقدوة السلف والخلف عبد القاهر الجرجاني.

النسخة الثانية: وهي من مكتبة كوبريلي أيضًا برقم (94) ولها ميكروفلم برقم (1169) وتقع في (550) صفحة. والناسخ يترك التنقيط في كثير من الحروف. كما كتب على وجه النسخة "كتاب تفسير القرآن العظيمِ المسمى بدرج الدرر تأليفِ الشيخِ الإمام والحجة الهمام، عمدة المفسرين وزبدة المأولِين مولانا عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تغمده الله بالرحمة والرضوان".

النسخة الثالثة: وهي النسخة الأصل، وهي أوضح النسخ وليست بأكملها؛ لأن النسخة " وهي نسخة محفوظة في مكتبة "نور عثمانية" في تركيا – اسطنبول تحت رقم (96) ولها ميكروفلم برقم (1173) وهي في (210) لوحة، قطع كبير. وخطها واضح جدًا ومقروء، وفي أعلى الصفحة ثبت ختم عليه: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله). وأسفل منه كُتب: كتاب درج الدرر. تفسير القرآن العظيمِ. تأليِف الشيخ الإمام العالم العلامة وحيد دهره وفريد عصره عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته.

النسخة الرابعة: وهي نسخة محفوظة بدير الأسكوريال بإسبانيا تحت رقم (1400) منها نسخة مصورة في الجامعة الأردنية على ميكروفلم دون رقم مرفقة مع النسخة التي قبلها. وهذه النسخة أكثر النسخ سقطًا وسقط منها أكثر من ورقة في بعض الأحيان نبَّهت عليه في موضعه، وربما حصل السقط في كلمة أو جزء منها أو جملة بكاملها، وعلى غلاف النسخة كُتب: تفسير القرآن العظيم المسمى بدرج الدرر. تأليف سلطان (.) سيدنا الشيخ المحقق عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته. آمين)[1]، خلت نسخ الكتاب المخطوطة من مقدمة للمؤلف يذكر فيها اسم كتابه ومنهجه فيه. وقد ثبت على صفحة العنوان في نسخة الأصل أن اسم الكتاب: (درج الدّرر في تفسير القرآن العظيم)، والاسم المثبت على صفحتي العنوان في نسختي ك وب: (تفسير

---

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 68)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن العظيم المسمى بدرج الدرر)، وفي نسخة ع: (درج الدرر تفسير القرآن العظيم)، وهي متقاربة جدًا، وأجمعت النّسخ الأربع على نسبة الكتاب إلى عبد القاهر الجرجانيّ[1].

2- نسبة الكتاب لمؤلفه:

من أهمَّ القضايا التي يبدأ محقّقُ (درج الدرر في تفسير القرآن الكريم) ببيانِها وتوضِيحِها هي: "هل هذا الكتاب لصاحبه أو أنّه منسوب إليه؟ وبخاصة إذا كان المؤلف من الأئمة الأعلام كالإمام عبد القاهر الجرجانيّ العلاّمة الأديب النحويّ البلاغيّ، فهذا يحتاج إلى جهد ومشقّة وعناء، وممّا يزيد الأمور تعقيدًا ومشقّة أنّ السيرة الذاتيّة لهذا العالم الكبير، وعلى الرغم من شهرته، لا تسعفنا كثيرًا في مثل هذه المسألة" [2]. فالحقيقة أن الكتاب مذكور في أهم مصادر التراجم وكتب الفهارس التي يعتد بها وتعتمد في البحث العلمي. فأوّلُ من ذكرَ هذا الكتابَ في كتبِ الفهارسِ والتي تذكرُ أسماءَ الكتبِ ومؤلّفيها هو حاجي خليفة في كتابِه (كشف الظنون) فيقول:" درج الدرر، في التفسير مختصر للشيخ: عبد القاهر الجرجاني، ظناً[3]، وكلمة (ظنًا) من حاجي خليفة لا تنفي أن الكتاب لغير الإمام، كما ذكره إسماعيلُ باشا البغداديُّ في (هدية العارفين) إذ يُدرج في ضمنِ الكتبِ التي ألّفها الجرجاني كتابًا باسم (درج الدرر في تفسيرِ الآيِ والسورِ) ، يقول البغدادي في هدية العارفين:" الجرجاني أَبُو بكر الشَّافِعِي الأديب النَّحْوِيّ من تصانيفه أسرار البلاغة: الإيجاز فِي مُخْتَصر الإيضاح فِي النَّحْو، الجرجانية جمل فِي النَّحْو، درج الدُّرَر فِي تَفْسِير الآى والسور"[4]. ويذكر بروكلمان كتاب التفسير في ترجمته للإمام عبد القاهر الجرجاني، ففي كتابه تاريخ الأدب العربي بعد قوله: (درج الدرر): يقول (وهو تفسير القرآن): "وينسب خطأ للشّريف"[5]. ومما يؤكد النّفي الذي ذهب إليه بروكلمان أنّ الشريف الجرجانيّ توفّي في سنة 816 هـ، وأنّ (درج الدرر) خلا من أيّة نقول عن علماء بعد القرن الرابع، ولو كان الشريف مؤلف الكتاب فلا يعقل ألا ينقل عن أعلام بعد ذلك القرن، ولا سيّما الزّمخشريّ وغيره. يذكر الحافظ الذهبي صاحب سير أعلام النبلاء أن للجرجاني كتاب "تفسير سورة الفاتحة" وأنه فسّرها في مجلد، وهذا يدل على أن الجرجاني فعلًا طرق جانب التفسير، فإذا كان بدأ بتفسير الفاتحة فحتمًا يواصل تفسير الباقي من كتاب الله كما جرت عليه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 15)

(2) المصدر السابق (ج2/ 5)

(3) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج1/ 745)

(4) البغدادي، هدية العارفين (ج1/ 606)

(5) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي(مج/5، ص206)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عادة المفسِّرين الذين يتصدُّون لتفسير القرآن الكريم، فالأصل أن يتمَّ القرآن برمَّته لا أن يأخذ جزءًا منه إلا أن تدركه المنية قبل إتمامه، وهذا شيء نادر والنادر لا حكم له[1]. يقول الذهبي: "أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. وصنف شرحًا حافلًا (للإيضاح) يكون ثلاثين مجلدًا، وله (إعجاز القرآن) ضخم، و(مختصر شرح الإيضاح) ، ثلاثة أسفار، وكتاب (العوامل المائة) ، وكتاب (المفتاح)، وفسر الفاتحة في مجلد، وله (العمد في التصريف)، و(الجمل) وغير ذلك، وكان شافعيًا، عالمًا، أشعريًا، ذا نسك ودين"[2]. ويقول أحمد بن محمد الأدنه في طبقات المفسرين:" ومن أجلَ مصنفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علم المعاني وصنف التفسير"[3] .

3- الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر:

إن بروز الإمام عبد القاهر الجرجاني في جانب البلاغة شكل منطلقًا عظيمًا في هذا العلم حتى أن البلاغة لم تعرف إلا به ولم يعرف إلا بها فهو الواضع المؤسِّس لقواعدها وأصولها، فإذا ذكرت البلاغة ذكر الجرجاني معها، وما كتبه التي ألَّفها في هذا الفن وأشهرها (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) والإقبال الشديد عليها إلا أكبر دليل وشاهد على تميُّزه بها وضلوعه في مباحثها. لقد أودع الإمام في تفسير درج الدرر الكثير من المباحث البيانية والإشارات البلاغية حتى أكسب موضوع التفسير في هذا الكتاب مكانة رفيعة وجليلة في مادتها البلاغية. إن من يتتبَّع أسلوب الجرجاني في كتبه المطبوعة وجوانب الطرح التي ذكرها وبسط الكلام فيها سواء الجوانب البلاغية أو النحوية يجد كثيرًا من التوافق والتشابه بينها، مع أن كتاب التفسير جنح فيه مؤلِّفه عما اعتاده من أسلوب البسط والإطناب والإطالة في عرضه للمسائل البلاغية والنحوية؛ لأنه يدرك أن الأسلوب الأمثل لتفسير القرآن هو الاختصار والإيجاز ليسهل تناوله والاستفادة منه لجميع شرائح قُرَّاء الكتاب الكريم، بل هناك بعض مؤلَّفات الجرجاني مثل كتاب "الجُمَل في النحو" وكتاب "المفتاح في الصرف" وكتاب "التتمة في النحو" وغيرها يستعمل أسلوب الاختصار على غرار أسلوب التفسير في درج الدرر [4]، إن المصطلح البلاغي قديمًا كان مزيجًا من علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع حيث أطلق اسم البلاغة والفصاحة والمجاز والبراعة والبيان أو البديع أو نظرية النظم، فمن الصعوبة إيجاد المصطلح الذي يناسب

---

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 52)

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (ج18/ 432- 433)

(3) أحمد بن محمد الأدنه، طبقات المفسرين(ج133/1)

(4) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 52)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجوه البيان والإعجاز والدلالات، فكان الإمام يذكر العدول ويريد الالتفات ويشير إلى أسلوب الحكيم حين يتحدث عن الإفحام والغلط ويبين المشاكلة دون الإشارة إلى المصطلح، ويتحدث عن المجاز دون أن يفصل في علاقاته وأنواعه، ويشير إلى الاستعارة بشكل عام وإلى التشبيه والتمثيل وغيرها كالكناية والتعريض، ويبين صنوف المعاني والبديع بعبارات موجزة مكثفة، وربما أراد أن يأخذ كتابه طابع الاختصار. لقد تميز وانفرد الإمام في تفسير درج الدرر بتبيانه أوجه البلاغة والفصاحة والإعجاز في الآيات الكريمة بعبارة موجزة مكثفة، لكنه كان يتبع ذلك بتوضيح الآراء المختلفة، واحتمالات الدلالة المتنوعة مدعمًا كلامه بالقرآن الكريم فكان تفسيره يقوم على تفسير القرآن بالقرآن، والاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وإدراج آراء العلماء، الشواهد الشعرية، القصص، الأخبار، الأمثال، وغيرها. وفي فصول الدراسة توضيح لوجوه البلاغة والفصاحة ودلالات الإعجاز والبيان ما يؤكد أن تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني بأسلوبه ومنهجه وطريقة عرضه.

4- نظرية النظم في درج الدرر:

إن القضية التي تثبت نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني أو لغيرة (نظرية النظم) التي اشتهر بها الإمام وعرفت به، وفي بادئ الأمر يشار إلى ما ذكره المحققان (الفرحان وشكور) الذين قالا بأنه منسوب للإمام، يقول محقق الجزء الأول: " أورد في كثير من المواضع ما يخالف نظريّة النظم التي ابتكرها الجرجانيّ، فنلاحظ أنّه في عدد من المواضع يقول: "كذا لوفق رؤوس الآي"، وهذا يتعارض مع نظرية النظم، إذ يقول في دلائل الإعجاز: "واعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله"[(1)]، فالتّقديم والتّأخير، أو تغيير التّركيب لوفق رؤوس الآي لا يتّفق مع قوله: "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو". وقد يردّ على ما سبق: أنّ عبد القاهر الجرجانيّ ربّما ألّف درج الدرر في أوّل حياته العلمية قبل أن تنضج لديه فكرة نظريّة النظم، وكان هذا التفسير بداية طريقه مع هذه النظريّة، لما تضمّن من أمور بلاغيّة كثيرة، تدلّ على بذرة جيّدة لنظرية النظم، كما أنّه لم يتتلمذ على أحد"[(2)] . والرد على هذا بتساؤل: أليس التقديم والتأخير يكون وفقًا للمعاني ولدلالات جديدة في نظم محكم من لفظ ومعنى، أليس التقديم والتأخير يعتمد قوانين وأصول النحو العربي وهو موضوع من موضوعاته وباب من أبوابه، وأن وفق رؤوس الآي والفواصل والسجع الخارج عن ذلك له وجوه بلاغية تتشكل من وجوه تحسين الكلام لأغراض

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص81)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 9)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بلاغية لا تقل أهمية عن المعاني والبيان ولها دلالات ومعاني. وأيضًا فليس الأمر كما يرى المحققان بأن درج الدرر كتبه في مقتبل العمر وفي أول حياته العلمية، وإن كان كذلك أليس الكثير من العلماء نبغوا وأبدعوا وتركوا لنا تراثًا عظيمًا كانوا قد كتبوه في أول حياتهم العلمية، أما الناظر في عبارات الإمام المكثفة الموجزة فإنه يقف كثيرًا عندها لإدراك المرامي والغايات التي تؤكد مساحة النضج والمعرفة والتميز التي اتضحت في درج الدرر، ويقول المحققان أيضًا:" والكتاب يخلو من أيّ إشارة إلى نظريّة النّظم التي عرف بها عبد القاهر الجرجانيّ"(1)، ولقد تبين أن ما ورد في الكتاب من إشارات حول نظرية النظم كثير حيث يشير الإمام في أكثر من موضع إلى نظريته، يذكر منها: "ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون. والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين"(2) ، وفي تفسيره الآية الكريمة: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} **[الشعراء: 196]** يقول: "دليل على أنّ القرآن هو هذا المعنى المنظوم المكتسى بلفظ موسوم، سواء كان عربيّا أو غير عربيّ، معجزًا أو غير معجز، وإنّما أنزله **الله** في ألفاظ عربيّة، ليكون أبين للمخاطبين في عصر النزول، وإنّما جعله معجزًا ليكون برهانًا كاليد والعصا، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى"(3)، وفي حديثه عن الإعجاز في قوله: {إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} **[الرحمن:33]** يقول: "وحدّ الإعجاز هو الإتيان بناقض العادة، الخارج عن طوق من هو مثل صاحب المعجزة في الخلقة، وذلك الشيء يزينه ولا يشينه، ويكون برهانًا على صحّة دعوى النبوّة، وإنّما وقع التحدّي، ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن، معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه، الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرا وسحرًا"(4)، ويقول في تفسيره الآية الكريمة من سورة يوسف:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} **[يوسف: 3]**" ما كان غاية في إفادة الصدق والعجب، الباعث على مكارم الأخلاق، الزاجر عن اللوم، بنظم سهل ممتنع، وهو القرآن، لتضمّنه أقاصيص الأنبياء والأولياء، وذكر

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج17/1)
(2) المصدر السابق (ج148/1)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 397-398)
(4) المصدر نفسه (ج121/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاقبة المتقين، وقصارى عمل المفسدين"[1]، ويقول في موضع آخر في تفسير الآية الكريمة:{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} [آل عمران: 111] " " كلام مستأنف؛ لأنّه من قضيّة الكفر قاتلوا أو لم يقاتلوا؛ لأنّ قضيّة القتال وحكم الآية معجزة فضلًا عن النظم والمعنى؛ لأنّ الله أنجز وعده"[2] ، أليس كل ما سبق يشير إلى نظرية النظم التي أبدعها الإمام، فكيف بالكتاب يخلو من أي إشارة إلى نظرية النظم ؟!.

5- توافق الأسلوب في (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) ودرج الدرر:

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "إنكم تتلون قول الله تعالى: {قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله} [هود: 13]، وقوله: {بسورة من مثله} [البقرة: 23]، فقولوا الآن: أيجوز أن يكون تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يتحدى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثله، من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذي إذا أتوا بكلام على ذلك الوصف، كانوا قد أتوا بمثله؟ ولا بد من "لا"، لأنهم إن قالوا: "يجوز"، أبطلوا التحدي، من حيث إن التحدي -كما لا يخفى- مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف، ولا تصح المطالبة بالإتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلومًا للمطالب ويبطل بذلك دعوى الإعجاز أيضًا"[3]؛ ويقول الإمام في درج الدرر: "وإنّما وقع التحدّي ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرًا وسحرًا، ولا يكون كذلك ، ونظائره:{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} [النجم:34]، وقوله: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود:13]، وقوله: {لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ} الآية [الإسراء:88]"[4].

يسمي الإمام أسلوب الحكيم في دلائل الإعجاز بالمغالطة ويسميه في درج الدرر بالغلط والإفحام، ففي قول الحق سبحانه: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ۝ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [إبراهيم: 11- 12]، يقول الإمام: "{إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} سلّموا للإنصاف في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج119/2)
(2) المصدر السابق (ج421/1)
(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص385)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 121)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجدال بما استدركوا الغلط في سائر دعاويهم بإثبات المشيئة لله في تفضيل بعض البشر على بعض بالخصال الحميدة؛ لإفحامهم في الجدال لعجزهم عن إنكار المشاهدة"[1]، وسمي الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا الأسلوب في دلائل الإعجاز المغالطة بقوله: "وقول الناس: مثلك رعى الحق والحرمة"، وكقول الذي قال له الحجاج: (لأحملنك على الأدهم)، يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة: (ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب)، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه"[2]، يسمي الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (المغالطة) حيث أشار إلى نفس المثال الذي يورده البلاغيون في أسلوب الحكيم، أما في درج الدرر فقد أطلق عليه الإمام(الغلط) باستدراكهم دعاويهم حين يتحدث عن الإفحام في جدالهم في توضيح قول الرسل {إن نحن إلا بشر مثلكم} جواب بطريق القول بالموجب . ومن هذا يتضح التقارب في فكر الإمام في الكتابين(دلائل الإعجاز ودرج الدرر).

يتضح أيضًا توافق أسلوب الإمام في درج الدرر وكتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة باستخدامه نفس الكلمات والألفاظ والمعاني التي أرادها وطريقة نظم وعرض الكلام، يقول في درج الدرر: "ومزية الرّوح على الريح كمزية النّفس على التّراب، والحياة تركّب هذين الجوهرين"[3]. ويقول في دلائل الإعجاز:" إنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسنًا وقبولًا"[4]، ويقول أيضًا في دلائل الإعجاز متحدثًا عن المزية وهوى النفس:" ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس"[5]، ويقول الإمام في درج الدرر: "ووجه القربة فيه أنه مخالفة لهوى النفس الأمارة بالسوء وقهر لها"[6] ، ويقول الإمام أيضًا: "وقيل: عامة فيمن لزم هوى النفس والطبيعة واستهان بالعقل والشريعة، وفيها تنبيه على قبح هذه الخصلة"[7]، وفي أسرار البلاغة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 159)

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص138)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 486)

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 286)

(5) المصدر السابق (ص43)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 413)

(7) المصدر السابق (ج1/ 815)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتحدث عن النفس والعقل والقبح بقوله: "وقبل إتمام العبرة، أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس، إلى ما يناجي فيه العقل النفس"[1]، وفي تفسيره الآية الكريمة: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } [الأعراف: 11] يقول:"{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} يعني خلق الطينة {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} يعني تصوير النفس الجامعة لصور الناس وهو نفس آدم –عليه السلام– وقيل: ثم لترادف الأخبار دون الأشياء المخبر عنها، والتصوير إمالة الأشكال"[2]. ويقول في أسرار البلاغة: " لتقريره وتصويره في النفس، فضلًا عن أن تكمل العبارة لتأديته، ويبلغ البيان كنه صورته"[3].

ومن الأمثلة السابقة يتضح تقارب أسلوب الإمام باستخدامه نفس الكلمات والتراكيب وطريقة العرض.

6- منهج الاختيار من الكوفيين والبصريين:

جمع الجرجاني بين مذهبي البصريين والكوفيين وخلط بينهما، فقد كان من أنصار المدرسة الانتقائية، فيورد أحيانًا مصطلحات البصريين وأحيانًا أخرى مصلحات الكوفيين، فلم يتعصب لمذهب معين، ولا يقف على مسائل الخلاف بل كان ينتقي ما وافق قناعاته ومنهجه، يقول المحقق :"أمّا المصطلحات فأكثرها بصريّة، وهذا غير مستغرب لدى علماء القرن الخامس وما بعده، ولكنّه استعمل أيضًا كثيرًا من مصطلحات الكوفيّين. وربّما استعمل المصطلحين للتّعبير عن الشّيء الواحد في مواضع مختلفة"[4]، وهذا صحيح لكن المحقق يناقض نفسه بعد أن يقول بأن "الجرجاني أكثر ميلاً إلى الكوفيّين، فهو يعتدّ بآرائهم، ويقدّمها في كثير من الأحيان على آراء البصريّين، وقد يكتفي بها. "[5]، ويقول أيضًا: "فنراه يقدّم آراء الكوفيّين، وربّما اكتفى بها، أو بتفسيرها، ولا سيّما آراء الفرّاء، أحد أشهر أئمّة الكوفيّين. ولكنّ هذا لا يعني إغفاله آراء البصريّين التي قد يعرضها مع آراء الكوفيين، وقد يفصّل في توضيحها، وربّما رجّحها على غيرها"[6]، لم يصرح بمذهبه النحوي إنه كان يميل إلى المدرسة البصرية لذكره النحاة البصريين في مؤلفاته: كسيبويه والاخفش والخليل وغيرهم، إن معظم الكتب التي ترجمت لعبد القاهر الجرجاني، لم تصرح بمذهبه النحوي، ولكن هناك من الدلائل ما يدل على ميله

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 6)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 643)
(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 181)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن الكريم (ج1/ 59)
(5) المصدر السابق (ج1/ 16)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 57)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمنهج البصري لإشارته إلى البصريين بقوله: (أصحابنا) في عدة مواضع لذلك يمكن القول: أن الإمام عبد القاهر على الرغم من كونه تتلمذ على يد نحاة بغداد ومؤلفاتهم إلا أنه قرأ كتب النحو البصري، وتفحصها، وأخذ زبدتها وكانت جذور الفلسفة النحوية في تراثه النحوي[1] ، أما في درج الدرر فقد اتضح منهجه في الاختيار بما وافق رؤيته ومنهجه متجاوزًا خلافات النحويين وتعصبهم لآرائهم، لقد تمتع الإمام بمقدرة فائقة ومميزة في تحليل مسائل النحو وناقشها مدعمًا أقواله بالحجج والبراهين والدلائل وترتيب الأفكار. وثمّة تفصيل أوفى عن مذهبه النّحويّ في الكلام واختياراته من الكوفيين البصريين في الفصل الأول المعنون: بـ(الجهود النحوية والصرفية واللغوية).

7- ذكر المفتاح في الصرف وعلاقته بدرج الدرر:

يقول محققا كتاب درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام -على حد ما زعموا- (الفرحان و شكور): "ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المؤلف أورد خلال حديثه عن اسم الله تعالى (البارئ) خلال تفسير الآية الكريمة: **{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 24]** يقول: "وقد استوفينا الكلام في الأسماء في مفتاح الهدى" [2]، ويتابع المحقق: "وقد استبشرت خيرًا بهذا فقد ذكر أنّ للجرجانيّ كتابا هو المفتاح، فقلت: إنّ ضالّتي قد وجدت، فبحثت عن الكتاب، وبعد جهد توصّلت إلى كتاب للجرجانيّ اسمه (المفتاح في الصرف) وبحثت فيه عن ذلك فلم أجد شيئًا يدلّ على ما ذكره، ولو بالإشارة، فكان المفتاح في الصرف ليس له علاقة في اشتقاق بأسماء الله من قريب ولا بعيد، كما أنّي لم أجد كتابًا بهذا الاسم فيما لديّ من مصادر يذكر كتابًا اسمه مفتاح الهدى، سواء للجرجانيّ أو غيره"[3]، لكن الحقيقة أن الإمام- رحمه الله- يشير لكتابه المفتاح في الصرف بالفعل، فهي إشارة واضحة من الإمام لكتابه (المفتاح في الصرف) بوصفه الكتاب بمفتاح الهدى، وبقوله "وقد استوفينا الكلام في الأسماء"، وفي الكتاب باب بعنوان (أبنية الأسماء)"[4]، والإمام في حديثه عن أسماء الله في درج الدرر أشار أكثر من مرة إلى الاشتقاق مما يؤكد إشارته إلى كتاب في الصرف، وهذا يجافي ما ورد عن محققي درج الدرر في تفسير القرآن العظيم: (الفرحان وشكور) بالقول:" فكان المفتاح في الصرف ليس له علاقة في اشتقاق

---

(1) ينظر: فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز(ص14)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 631)

(3) المصدر السابق (ج2/ 10)

(4) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص 29)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأسماء الله من قريب ولا بعيد". لكن الإمام أشار إلى الكتاب وموضوعاته التي منها الأسماء ولم يشر إلى أسماء الله الحسنى خاصة حيث بين في درج الدرر ما أراد!.

استخدم عبد القاهر الجرجاني مصطلحات قلّما نعثر عليها في كتب أخرى، فكأنه تميز باستخدامها، ومنها: استخدامه مصطلح الفعل الواقع والمجاوز للفعل المتعدي وغير الواقع والمطاوع للفعل اللازم في كتاب (مفتاح الصرف)"[1] كما ورد نفس المصطلح في درج الدرر، يقول الإمام: "وفي لفظة (قد) نوع تأكيد لإثباته الفعل الواقع حيثما كان، ولا يدخل على الأفعال المجزومة؛ لأنّها ليست بواقعة، ولا على الأفعال التي أكّدت بالنون لاستثقال التأكيدين"[2].

يكتفى الإمام عبد القاهر الجرجاني بتفسير قول الفراء: إنّ أصل (شيء) (شيّئ)، فقال: "و{أَشْيَاءَ} جمع شيء، وشيء في الأصل شئيء على وزن شفيع، فليّنت الهمزة الأولى وأدغمت كما في ميّت وهيّن فصار شيّئا ثم استخفّ بحذف المدغم"[3]، وأعرض عن ذكر الأقوال الكثيرة في وزن (أشياء) نفسها، واكتفائه بتفسير قول الفراء يوحي بموافقته له في ما ذهب إليه، لكن هذا لا يعنى موافقته آراء الكوفيين جمعيها، ويؤكد هذا أيضًا مبدأ الانتقاء فما أورده في المفتاح موافقًا رأيه في درج الدرر واختياره رأي الفراء أيضًا، لكنه يشير إلى رأي الكسائي- وهذا يدحض ما جاء به محققا درج الدرر(الفرحان وشكور) بأنه كوفي- فيقول في المفتاح: "الأشياء جمع شَيْء، أصلها: أشْيِئَاء كأصْدِقَاء، على وزن أفْعِلاء قدّمت الهمزة التي هي لام الكلمة، فصار وزنها: لَفْعَاء، وقال الكسائي: أفْعال، وقال الفرّاء: أفْعَاء"[4]. فتكاد تجمع المصادر أنّ "الأشياء" جمع شيء، أصلها: أشْيِئاء على وزن أفْعِلاء هو رأي الأخفش والفراء، وعبد القاهر يتصل بمذهب الأخفش عن طريق أبي علي الفارسي عن طريق أبي الحسين محمد بن الحسين ابن عبد الوارث الفارسي – ابن أخت أبي علي وقال الكسائي: أفْعال ، وقال الفرّاء: أفْعَاء[5].

إن لغة الجرجاني في مصنف التفسير وسائر كتبه موجزة العبارة، سهلة المأخذ، وهذا شأن تفسير درج الدرر وشأن كتبه الأخرى في النحو والصرف واللغة.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص 13)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 194)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 588)
(4) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص109- 110)
(5) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، حاشية المفتاح في الصرف (ص 109- 110)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8- فكر ومذهب وعقيدة الإمام عبد القاهر الجرجاني:

حكم أعلام العلماء على عقيدته حيث ذكروا وحدَّدوا عقيدته فقال الذهبي: "كان أشعريًا"[1]، وذكر ابن كثير: "شافعي المذهب متكلمًا على طريقة أبي الحسن الأشعري، وفيه دين، وله فضيلة تامة بالنحو، وصنف كتبًا كثيرة"[2]، كان نحويًا متكلمًا على مذهب الأشعري فقيهًا على مذهب الشافعي، اتسم بالورع والتقوى مع الدين المتين، كما كان آية في النحو، حتى لقب بشيخ العربية في زمانه وإمامها فقد كان من كبار أئمة العربية واللغة والبيان، وغلبت عليه شهرة النحوي كما كان له شعر قليل لا يدل على شاعرية وغزارة إنتاج[3].

يجد من يقلِّب تفسير درج الدرر أن الإمام يصرح بانتمائه الفقهي لمذهب الشافعي، وانتمائه العقدي لمذهب الأشاعرة، كما في آيات الصفات التي تطرق لها، وهذا ينطبق تمامًا حين الرجوع إلى من ترجم للجرجاني، فإنهم ذكروا ذلك عنه وهذا ما ذكرته كتب التراجم التي ترجمت له، ولكن عند البحث في تفسير درج الدرر يتبيّن أنّ الإمام ينهج مذهب الشافعي في بعض المسائل وينهج منهج الإمام أبي حنيفة النعمان في بعضها. فالإمام يتتبع الرأي الأرجح بدليله، إما بالأدلة المفصلة التي يعرفها ويفهمها، وإما بأن يرى أحد رجلين أعلم بتلك المسألة من الآخر وهو أتقى لله فيما يقوله فيرجح قولًا على قول، فالإمام عبد القاهر الجرجاني لا يأخذ برخص الفقهاء لمجرد الهوى، بل تكون أقوال الفقهاء التي يُترخّص بها معتبرة شرعًا بدليل شرعي يذكره فيرجح المسألة، يقول ابن تيمية: "ثبت بالكتاب، والسنة، والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول: "أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم" واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصومًا في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول. وهؤلاء الأئمة الأربعة – رضي الله عنهم – قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم، فقال أبو حنيفة: هذا رأيي فمن جاء برأي خير منه قبلناه"[4].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج18/ 432).

(2) ابن كثير الدمشقي، طبقات الشافعيين (ص 465)

(3) ينظر: صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات(ج370/2) أحمد بن محمد الأدنه، طبقات المفسرين(ج331/1) الباخرزي، أبو الحسن، دمية القصر (ج13/2-17) القفطي، إنباه الرواة (ج190/2)

(4) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ج5/ 123- 124)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاختيار من مذهب الإمام الشافعي:

لقد أجمعت كتب التراجم على أن عبد القاهر شافعي المذهب متكلم على مذهب الأشعري، الأمر الذي يعطي دلالة واضحة أنه كان فقيهًا عالمًا بالفقه الشافعي، وأنه من المتكلمين على أصول المذهب الأشعري حيث اعتدال الفقه[1]، فكان فقيهًا شافعيًا أشعريًا، كان نفسًا ملهوفة بالبيان وبتذوق البيان، جبلة فطر عليها، واكتسابًا صقلته صحبة فحول الشعر والأدب والنقد في زمانه[2]. أورد حكم الساحر وهو مذهب الشافعي: "بأن يقتل إن كان يقتل بسحره، وهذا الشرط مرويّ عن أبي يوسف، وكذلك إن كان سحره كلمة كفر أو اتّخاذ معبود، وكذلك إن استحلّ شيئًا من السحر قليلًا أو كثيرًا إمّا هو كفر في نفسه أو غير كفر؛ لأنّه مقطوع الحكم بتحريمه لا يسوغ الاجتهاد فيه، فإذا استحلّه كفر فوجب قتله والحكم فيما عدا هذه الأوجه الثلاثة الإنذار والنكال"[3].

ذكر الإمام حد الشرب عند الشافعي أربعون جلدة وإن ذكر بأن: "حدّ الشرب ثمانون جلدة وعند الشافعي أربعون جلدة"[4] ، وفي قوله: {قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ **[البقرة:215]**، وقوله: {وَاُعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِى الْقُرْبى} **[النّساء:36]** لكنّ الدّلالة قد قامت على أنّهم فقراء بني هاشم، كان صلّى الله عليه وسلّم يعطيهم من الخمس مقدار الحاجة يقول لهم: أليس في خمس الفيء ما يغنيكم عن غسالة أيدي النّاس، ثمّ عندنا استحقاقه بالفقر بعد موت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعند الشّافعيّ بمجرّد القرابة، واستحقاق اليتامى بالفقر بالإجماع، والمساكين عامّ في الهاشميّين وغيرهم، وكذلك ابن السّبيل. وفائدة تخصيص ذوي القربى التّنبيه على أنّهم في هذا المال بخلاف ما هم في الزكوات والصّدقات، أو تشريفهم على غيرهم كما في قوله: {وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ} [الأحزاب:7] وقوله: {وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ} **[البقرة:98]** يقول الإمام: "وتخصيص اليتامى أن لا يوكلوا إلى أقاربهم الأغنياء لحقّ الحضانة، أو التّنبيه على تفقد المحتاجين"[5]، ففي قول: {إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ} **[البقرة:158]** يذكر حكم ترك السّعي بينهما

---

(1) ينظر: فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز(ص15)

(2) ينظر: محمود محمد شاكر، أبو فهر، مداخل إعجاز القرآن (ص107)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 212)

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (ج1/ 62)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 583)

(5) المصدر السابق (ج1/ 735)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقوله: "والسّعي سنّة يجب بتركه الدّم عندنا، وعند الشافعيّ واجب يلزمه العود لها"[1]، يقول الإمام النووي في شرح مسلم: "مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج لا يصح إلا به، ولا يجبر بدم ولا غيره، وممن قال بهذا مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وقال بعض السلف: هو تطوع، وقال أبو حنيفة: هو واجب فإن تركه عصى وجبره"[2]. وبذكر لفظ (عندنا) يتبين أن رأيه في هذه المسألة مخالف للشافعي، لكنه يورد رأي الشافعي بقوله:" وعند الشافعيّ واجب يلزمه العود لها".

أورد الإمام أكثر من رأي في المسالة الواحدة فيقول: "ولابن السبيل ثلاثة معان: مارّ الطريق وهو الضيف، والمنقطع عن ماله وأهله وهو مستحقّ الزكاة، والغازي وإعانته قربة، وربّما يستحقّ الزكاة، {وَفِي الرِّقَابِ} إعانة المكاتبين، وقيل: اشتراء المماليك وإعتاقهم"[3]. معنى (إعانة المكاتبين) قول أبي حنيفة والشافعي[4]، ومعنى(اشتراء المماليك وإعتاقهم) قول الشافعي[5]. وبهذا يذهب الإمام مذهب الانتقاء والاختيار بما وافق منهجه وفكره ورأيه فهو يختار من الشافعي ومن أبي حنيفة النعمان. يقول الإمام: "وتلبية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك وتجوز الزيادة عليه"[6]. وهذا وارد في مسند الشافعي. ويوافق رأيه رأي الشافعي في تفسيره قوله سبحانه: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159] على النّدب والإباحة، والمعنى فيه استمالة قلوب القوم بالإصغاء إليهم وبإشراكهم في إمضاء الأمر"[7]، وهو قول الشافعي، يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي، فإن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 268)

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج9/20)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 280)

(4) ينظر: تفسير الطبري (ج2/ 133) والماوردي، النكت والعيون(ج1/ 188) والزمخشري، الكشاف (ج1/ 219)

(5) ينظر: الماوردي، النكت والعيون(ج1/ 188) والبغوي، تفسير البغوي (ج1/ 143)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 300)

ينظر: الجوهري، مسند الموطأ (ج1/ 331) والشافعي، مسند الشافعي (ص 122) و عبد الله بن عمر، المسند (ص 48 – 49)

(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 445)

ينظر: الرازي، التفسير الكبير (ج9/ 67) والقرطبي، تفسير القرطبي(ج4/ 250)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقالت طائفة: ذلك في مكايد الحروب، وعند لقاء العدو، وتطييبًا لنفوسهم، ورفعًا لأقدارهم، وتألفا على دينهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه. روي هذا عن قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعي[1]. ويعرض آراء الشافعي وإن جوز ما يخالف، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره قول الحق سبحانه: **{ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ} [المائدة:89]**، إذ يقول: "ولا يجوز التكفير قبل الحنث، خلافًا للشافعي رحمه الله"[2]، وكذلك يقول في الآية نفسها عندما يتحدث عن الإطعام يكون لكل مسكين نصف صاع من برّ، أو صاع من تمر، أو صاع من شعير: "وإن غدّاهم وعشّاهم جاز خلافًا للشافعي، وإن أطعم واحدًا عشرة أيام جاز خلافًا للشافعي، ويجوز دفع القيمة خلافًا له"[3]. وعند تفسيره قول الحق سبحانه يبين رأي أبي حنيفة والشافعي: **{أَنْ تَقْصُرُوا} [النساء:101]** قال: "والقصر: النّقص، والإقامة التي توجب الإكمال خمسة عشر يومًا[4]" وهذا ما قال به الحنفية ففي المبسوط قال: "وأقل مدة الإقامة خمسة عشر يومًا، وهو قول ابن عمر، وقال الشافعي رضي الله عنه: أربعة أيام، وهو قول عثمان رضي الله عنه"[5]. ويتحدث عن كفارة اليمين في تفسيره قول الله تعالى: **{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} [المائدة:89]**، فيقول: "ولا يجوز صوم الكفّارة إلا متتابعًا خلافًا للشافعي، لما روي في قراءة ابن مسعود وأبي: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)"[6].

استشهد على جواز الزيادة في المهر بقول الحق سبحانه: **{فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} [القصص:27]** يقول الإمام: "دليل على جواز الزيادة في المهر"[7]، " وقد اختلف الفقهاء في الزيادة في المهر، فقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: الزيادة في الصداق بعد النكاح جائزة، وهي ثابتة إن دخل بها أو مات عنها، وإن طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة، وكان لها نصف المسمى في العقد، وقال زفر بن الهذيل والشافعي: الزيادة بمنزلة هبة مستقبلية إذا قبضتها جازت في قولهما جميعًا، وإن لم تقبضها بطلت"[8]. ويأتي الإمام على ذكر أشعار

---

(1) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (ج9/ 67) والقرطبي، تفسير القرطبي (ج4/ 250)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج584/1)
(3) المصدر السابق (ج1/ 581)
(4) المصدر نفسه (ج521/1)
(5) السرخسي، المبسوط (ج1/ 236)
(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 581)
(7) المصدر السابق (ج2/ 420)
(8) ينظر: الجصاص، في أحكام القرآن (ج106/3)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشافعي ففي قوله سبحانه: {أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ} [الأعراف:50] يقول الإمام: "وإنّما استعمل الإفاضة على الجميع وإن كان فيه ما لا يتصوّر إفاضته على سبيل الإتباع، كقوله: {أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا} [البقرة:246] ، وقال الشّافعيّ[1]: [من الوافر] وهو:

إذا مـا الغانيـاتُ بَـرزنَ يومًـا وزجّجـن الحواجـبَ والعيونَـا

وإنّما لم يقولوا: لا نفيض؛ لأنّ فيه شمّة بخل ولكنّهم ذكروا وجه المنع وعلّته" [2]

وذكر بيتًا آخر في معرض تفسيره الآية الكريمة: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم: 27] {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} أي: هيّن عليه، قال الشاعر [من الطويل]:

تمنّـى رجـالٌ أن أمـوتَ وإنْ أمـتْ فتلـكَ سـبيلٌ لسـتُ فيهـا بأوحـدِ[3]

الاختيار من مذهب أبي حنيفة:

ينهج الإمام عبد القاهر الجرجاني مذهب الشافعي في بعض المسائل وينهج منهج الإمام أبي حنيفة النعمان في بعضها، يقول محقق درج الدر: "ولما كان تفسير درج الدرر، كما أشرت، ليس الغرض منه استنباط الأحكام الفقيهة، كما هو شأن بعض كتب التفسير وأحكام القرآن، فإن مؤلفه لم يسرف في ذكر الأحكام، ولم يشغل نفسه كثيرًا بتقرير المسائل الخلافية، فنجد أنه لم يذكر المذهب المالكي أو الحنبلي في كل تفسيره، فهو يتطرق إلى مذهب الإمام أبي

---

(1) وعزي البيت الشعري إلى جميل بن معمر: الطبراني، الأحاديث الطوال(ص 78)، والهيثمي، مجمع الزوائد(ج8/ 276) وهو في شعر الراعي النميري، الديوان (ص 150)، وعزي إليه السيوطي في شرح شواهد المغني(ج2/ 775 – 776) وروايته فيهما: وهزّة نسوة من حيّ صدق يزجّجن الحواجب والعيونا.

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 759)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 437)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حنيفة، ومذهب الإمام الشافعي، رحمهما الله تعالى، ولم يفصّل القول في هذين المذهبين، بل يشير إليهما إشارة بذكر قول المذهب الذي هو عليه، والمخالف له"[1] .

- ذكر الرواية: "عن أبي حنيفة عن يزيد بن صهيب عن جابر بن عبد الله قال: سألته عن الشّفاعة قال: يعذّب الله أقوامًا من أهل الإيمان ثمّ يخرجهم بشفاعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، قلت: فأين قوله: {وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها} قال: هي في الذين كفروا، اقرأ ما قبلها"[2]. وعن "العقوبات مرتّب على الجرائم: إن أخافوا الطّريق نفوا من الأرض، وإن أخذوا المال ولم يقتلوا قطّعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا، وإن أخذوا المال وقتلوا قتلهم الإمام وصلبهم، وله أن يقطّعهم ثمّ يقتلهم ثمّ يصلبهم ليكون القطع ثأر الأخذ، والقتل ثأر القتل، والصّلب للجمع بين المحظورين. والنّفي عندنا بالحبس حيث يستصوبه الإمام. والصّلب بعد القتل، وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنّه يصلب حيًّا ثمّ يطعن في نحره"[3]، وفي قول الحق سبحانه:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97] يقول:"(السبيل): وجود الزّاد والرّاحلة، والسّلامة من العوائق، والعمى عائق عند أبي حنيفة. ومستطيع الإحجاج كمستطيع الحجّ حين المرض والحبس فيما تواترت فيه الأخبار"[4]. ويقول:{عِنْدَ بارِئِكُمْ} أي: في حكمه، كما يقال: عند أبي حنيفة"[5]، ويورد رأيًا للإمام أبي حنيفة أيضًا: "والصّابئون: أهل كتاب عند أبي حنيفة تحلّ مناكحتهم وذبائحهم، ووافقه السدّي"[6]، وفي قوله سبحانه:{**فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا** } [**النساء: 6**] يقول الإمام:"{فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ} حكم معلّق بشرط، ومجرده لا يدلّ على نفي ما عداه، ولأنّ الآية تضمّنت حكم الدّفع عند وجود الشّرط، ولم تتضمّن الدّفع عند عدمه. وعن ابن سيرين وإبراهيم النّخعيّ لم يريا الحجر على الحرّ، وبه أخذ أبو حنيفة رحمه الله"[7].

- أورد قصة عن سليمان عليه السلام مبينًا رأي أبي حنيفة: "رجع أصحاب الغنم إلى داود عليه السّلام ، فأخبروه بما قال سليمان، فأرسل داود إلى سليمان، فقال: كيف رأيت قضائي بين

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 77)
(2) المصدر السابق (ج1/ 564)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 563)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 416)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 157)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 169)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 466)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء؟ قال: نعم ما قضيت، قال: عزمت عليك بحقّ النبوّة، وبحقّ الملك، وبحقّ الوالد على ولده إلاّ ما أخبرتني، فقال سليمان: غير هذا كان أوفق بالفريقين جميعًا، قال: ما هو؟ قال: يأخذ أهل الكرم الغنم بما أفسدت كرمهم، فينتفعون بألبانها وسمنها وأصوافها ونسلها، ويعمل أهل الغنم لأهل الكرم في كرمهم حتى يعود كهيئته يوم أفسدت، فقال داود عليه السّلام: نعم ما قضيت، فقضى داود بينهم بذلك، فقوّموا بعد ذلك الكرم، وقوّموا ما أصاب أهل الكرم من الغنم ، فوجدوه مثل ثمن الكرم، فقضى به داود عليه السّلام، وحكم سليمان عليه السّلام وهو ابن أحدى عشرة سنة. قول سليمان: غير هذا كان أوفق، دليل على جواز مشاركة النبيّ والإمام في الاجتهاد؛ لقوله تعالى: **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159]**. وقول داود: عزمت عليك، دليل على وجوب طلب الأحسن ما أمكن، ولهذا رجع أبو حنيفة من قول إلى قول. وفي قضائه بقضاء سليمان دليل على أنّه كان على سبيل الفتوى، ولم يبرم قضاءه، أو كان من شريعته فسخ الاجتهاد ، أو أوحى الله أنّ الحقّ ما قاله سليمان، فصار فسخ الاجتهاد بالنصّ"(1). وعن صفات الحق في قوله سبحانه: {وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ واسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:115]، يقول: "و (وجه الله) ليس كأوجه خلقه، وهو خالق الوجوه، متعال عن الحلول في الجهات والأقطار، وهو أقرب من حبل الوريد، سبحانه وتعالى. وقد أوّل من أصحابنا بأنّه الإقبال بالرحمة والرضوان والقبول، وهو ممكن أن يكون مرادا"(2)، كذلك عند تفسيره قول الله تعالى: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ} [الأنعام:158]** يقول: "دليل أنّ إتيان الربّ صفة له لا يجوز حملها على إتيان الأمر، إذ الشيء لا يعطف على نفسه"(3)، أمّا عن صفة الكلام فيقول: "والتكليم صفة لله تعالى حقيقية من غير كيفيّة"(4) وذلك عند تفسيره قول الله تعالى: **{وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً} [النساء:164]**، ويقول في موضع آخر: "وقول الله تعالى حقيقة، وقد أكّد بقوله: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً} والتأكيد لنفي إيهام الاستعارة، وفي فحوى قوله: **{وَما كانَ} {لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً} [الشورى:51]** ما يدل على أنّ القول صفته حقيقة"(5)، والمعرفة علم بتمييز الذّهن ، وقيل: تلخيص نقيضه العلم لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة" ،

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 318)
(2) المصدر السابق (ج1/ 230- 231)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 638)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 540)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 173)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: سكون النفس إلى ما وقع به العلم، لقولهم: النّفس عروف. وضدّ المعرفة الإنكار؛ ولذلك أوجب أبو حنيفة معرفة الله في الإيمان"[1].

يورد أقوالًا للإمام أبي حنيفة: "وقيل: (التّواصي بالحقّ): هو طلب العلم. قال أبو حنيفة النّعمان بن ثابت رضي الله عنه: قدمت مكة مع أبي فرأيت النّاس مصطفين على رجل، فقلت: من هذا؟ فقالوا: عبد الله بن الحارث صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسمعته يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من تفقّه لله كفاه الله ما أهمّه من أمر دينه ودنياه"[2]، قوله بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقد جاء في تفسيره قول الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ} [النساء:150]** إذ يقول: "وفي الآية دليل على أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص" [3]، وهذا القول يقول به الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومن وافقه من بعده فقد جاء في شرح المقاصد ما نصّه: "وعند أبي حنيفة (رحمه الله) وأصحابه وكثير من العلماء، وهو اختيار إمام الحرمين، أنه لا يزيد ولا ينقص، لأنّه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان، ولا يتصوّر فيه الزيادة والنقصان"[4]. ويقول عن فتح مكة بأنها فتحت عنوة مخالفًا رأي الشافعي:" قد دلَّ كتاب الله وتواترت الروايات وأجمع أصحاب السير أن مكة فتحت عنوة، ثم منَّ عليهم النبي –عليه السلام– وأطلقهم ولم يقسم أموالهم فسمُّوا طلقاء، فمن قال: فتحت صلحًا فقد خالف الكتاب والسنة وخرق الإجماع"[5]. وممن ذهب إلى أن مكة لم تفتح عنوة الشافعي فإن بعض العلماء زعموا أن مكة لم تفتح عنوة، ولكن أهلها أخذوا الأمان منه صلى الله عليه وسلم. وممن قال بهذا الشافعي رحمه الله. واستدل قائلو هذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" وهو ثابت في الصحيح، وهذا الخلاف في مكة هل أخذها النَّبي صلى الله عليه وسلم عنوة؟ وهو قول الجمهور، أو أخذ لها الأمان. والأمان شبه الصلح في غزوة الفتح يعني مكة، واختلفوا فيها فقيل أمنت وقيل عنوة وكرهًا أخذت [6].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 262)

(2) المصدر السابق (ج2/ 734)

ينظر: الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد(ج3/ 32) بألفاظ متقاربة. ذكر هذه القصة والحديث الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (ج1/ 269)، وقد وقع هذا الحديث من وجهٍ آخر، وهو باطل.

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 247)

(4) التفتازني، شرح المقاصد في علم الكلام (ج261/2)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 865)

(6) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج2/57- 58)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– يخرج الإمام عن مذهبه الشافعي إلى مذهب الأحناف، ففي قوله سبحانه: {أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} [النساء:43] يقول: "والمراد بالماء الماء الشرعي دون اللغوي لجواز التيمم مع وجود الماء النجس، ولهذا جوّزنا الوضوء بنبيذ التمر؛ لأنه ماء شرعي"[1] وهو ذاته رأي أبي حنيفة رحمه الله ."أما نبيذ التمر ففي الأصل قال يتوضأ به عند عدم الماء، ولو تيمم مع ذلك أحب إلي، وفي الجامع الصغير قال يتوضأ به، ولا يتيمم، وقال محمد – رحمه الله – لا بد من الجمع بينه، وبين التيمم، وهو رواية الحسن عن أبي حنيفة – رحمه الله تعالى، وقال أبو يوسف يتيمم، ولا يتوضأ به، وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى، وروى نوح في الجامع عن أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – أنه رجع إليه"[2].

موقفه من الأشاعرة والمعتزلة:

لقد حكم أعلام العلماء على عقيدته حيث ذكروا وحدَّدوا عقيدته فقال الذهبي: "كان أشعريًا"[3]، حيث تشير مؤلفات الجرجاني عامتها إلى ذلك، سيما عند تعرُّضه لآيات الصفات فتتجلى فيه أشعرية الإمام عبد القاهر الجرجاني بشكل واضح من خلال بعض كتبه كـ "أسرار البلاغة" و"الإعجاز" وكتاب تفسير درج الدرر، لقد نفي الأشاعرة أن تقوم بالله أمور تتعلق بقدرته ومشيئته: أي نفي ما يتعلق بالله من الصفات الاختيارية التي تقوم بذاته، كالاستواء والنزول والمجيء والكلام والرضا والغضب، فنفوا كلام الله ورضاه وغضبه باعتبارها صفة من صفاته، وأن نسبة هذه الصفات لله تستلزم القول بأن الله يطرأ عليه التغير والتحول، وذلك من صفات المخلوقات. وعن صفة الاستواء في قوله سبحانه: {هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 29] {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} يذهب مذهب الأشاعرة في تفسيره لها فقال: "إنها بمعنى عمد وقصد" [4].

يقول الإمام في تفسيره قول الحق سبحانه: { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ } [التوبة: 62] "و(إرضاء الله) لفظ مجاز وحقيقته إتيان ما يرضاه الله من الفعل والتغيير حاصل في مبتغى الرضا دون الله، {يُرْضُوهُ}: عائد إلى الله. وقيل:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 597)
(2) السرخسي، المبسوط (ج1/ 88)
(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج18/ 432).
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 128)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى رسوله، وهذا لكراهة الجمع بين اسم الله واسم من دونه في كتابة واحدة "[1]؛ لأن المؤلف أشعري فهو يؤول كل صفة لله باستثناء الصفات التي يثبتها الأشاعرة. مثل الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام النفسي، أما غير هذه الصفات فهم يتأولونها كتأولهم صفة الرضا بإرادة العقاب، وصفة الرحمة بإرادة الثواب، واستواء الله على العرش بقهره له واستيلائه عليه، إلى آخر تأويلاتهم لصفات الله. وفي قول الحق سبحانه: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة: 3] فسَّر الرحمة بأنها إرادة الخير، وهو مذهب الأشاعرة في نفي صفة الرحمة لأنها تقتضي الرقة، والله منزَّه عنها – على حدِّ قولهم – ومن المعلوم أن الأشاعرة يركزون على إثبات سبع صفات مجموعة في قول الناظم:

لــــهُ الحيــــاةُ والكــــلامُ والبصــــرْ   ســــمعٌ إرادةٌ وعلــــمٌ واقتــــدرْ[2]

يقول الإمام: "{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}: اسمان مشتقَّان من الرحمة. والرحمةُ منك: إرادتك الخير بمَن هو دونك في الرتبة مُتصلة بإنعامك عليه. وضدّهُ: الفظاظة والجفاوة. وأحدُ الاسمين أرقُّ من الآخر، ولهذا كرر الاسمين. وقيل: للتأكيد"[3]، وهذا التفسير للرحمة – بأنها إرادتك للخير– هو تفسير الأشاعرة وتأويلهم لصفة الرحمة.

يوضح الإمام في تفسيره قول الحق: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: 14- 15] {مُسْتَهْزِئُونَ} بأصحاب محمَّد، بإظهار قول لا إله إلا الله. {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} يجازيهم على استهزائهم"[4]، ففي قول الإمام (يجازيهم على استهزائهم) يوافق تفسير الأشاعرة الذين ينفون صفة الاستهزاء بالكافرين عن الله، فيصرفون ظاهر اللفظ عن معناه الأصلي الذي خاطبنا الله به، "الله يستهزئ بهم، أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، سمي الجزاء باسمه لأنه في مقابلته"[5]؛ ويحمل بعض العلماء استهزاء الله بهم على الحقيقة. يقول الطبري في تفسيره: "إن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 779)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 62)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (1 / 100)
(4) المصدر السابق (ج1/ 112)
(5) البغوي، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن، إحياء التراث (ج1/ 89)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوافقه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله وفعله به مُوَرِّطُهُ مساءَتَهُ باطنًا " [1]. ويقول ابن كثير في تفسيره: "فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به"[2].

أما في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31] يقول الإمام: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ قال: "أَلْهَمَ ووفَّق"[3]. وهذا أحد أقسام العلوم عند الأشاعرة. أن الله تعالى ألهم آدم معرفه ذوات الأشياء التي خلقها في الجنة ومعرفه أسمائها ومنافعها ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فقال لهم على سبيل التعجيز انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين.

يذكر الإمام بأن الله متعالٍ عن الحلول في الجهات والأقطار، "و(وجه الله) ليس كأوجه خلقه، وهو خالق الوجوه، متعال عن الحلول في الجهات"[4] ففي قوله سبحانه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، وهذا يشبه كلام الأشاعرة في نفي الجهة. ومذهب أهل السنَّة عدم الخوض في الجهة لا نفيًا ولا إثباتًا؛ لأن الكتاب والسنَّة لم يفصّلا في ذلك ولم يتطرَّقا لها، فمن باب أولى أن نترك ما تركه الله ورسوله. وفي قول الحق سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: 26] يقول الإمام: "أي على الأرض، والسماء مبنية عليها. داخلون في حكم الفناء والفناء بطلان وهلاك، ﴿وَيَبْقَى﴾ يمتنع عن الفناء ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي يبقى الله ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ والجلالة والجليل: الكثير بشأنه أو بمعنى من معانيه"[5]، بقاء وجه الله هو بقاء الله لكن الإمام يبقى على مذهب الأشاعرة في نفي صفة الوجه، والأصل حمل اللفظ على ظاهره فنثبت لله –عَزَّ وَجَلَّ– وجهًا يليق بجلاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] يوضح الإمام: "دلالة على أن إطلاق المحبَّة في موضع الإرادة مجازًا لانتفائه مرّة وثبوته أخرى لإجماعنا أنّ المعتدين مرادون لله تعالى وإن خالفونا في الاعتداء هل هو مراد أم لا"[6] ، فالأصل أن تحمل المحبة على بابها في قوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وكما أنه –عَزَّ وَجَلَّ– نفى محبته عن المعتدين دلَّ

(1) الطبري ، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج1/ 303)
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 94)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 140)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 230)
(5) المصدر السابق (ج2/ 608)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 294)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على إثبات المحبة لغير المعتدين، فالمحبة لله ثابتة وليست مجازًا، وما ذهب إليه الإمام هو مذهب الأشاعرة الذي يتبنَّاه في تأويلاته لآيات الصفات في كثير من المواطن في هذا التفسير الذي بين أيدينا. وفي قول الحق سبحانه أيضًا:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} **[البقرة: 195]** يقول الإمام: "محبة الله عبده ارتضاؤه لدينه وسائر كراماته، ومحبّة العبد ربّه ارتضاؤه للعبادة والذّكر. والفرق بين المحبّة والإرادة أنّك تريد عدوّك بالمكروه والسّوء، ولا تحبّه بالمكروه والسّوء"(1)، وهذا مذهب الأشاعرة في تأويل المحبة حيث ينفون المحبة عن الله كما ذهب إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني في تقريره لهذا المذهب. أما في قوله سبحانه: {يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} **[الأنعام: 158]** يقول الإمام: "دليل أن إتيان الرب صفة له لا يجوز حملها على إتيان الأمر إذ الشيء لا يعطف على نفسه"(2) ، وهنا يخرج عن مذهب الأشاعرة ويقرر مذهب أهل السنة في إثبات الإتيان وأنه على حقيقته وأنها صفة للرب سبحانه وتعالى. وقد بين الإمام أنه لا يمكن أن يكون الإتيان إتيان الأمر لأن الشيء لا يعطف على نفسه.

يقول الإمام: في تفسير قول الحق سبحانه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ۝ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} **[الغاشية: 2 - 4]**"{وُجُوهٌ} ذو الوجوه، وعملهم يومئذ طوافهم بين الجحيم {وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} **[الرحمن:44]**، ويكلّفهم في الجواز على الصّراط، واقتحام العقبة، والعقد بين شعيرتين، ونحو هذا، وكلّ ذلك عذاب. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وجوه عاملة ناصبة يومئذ خاشعة، وهي وجوه الرّهبان والبراهمة، ونسّاك الرّوافض والمعتزلة، وسائر الملحدين"(3). والمقصود وجوه أهل الكفر كما عددها الإمام، عاملة ناصبة في النار، لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها الله في النار، وخاشعة في هذا السياق ذليلة في النار، ويقال: عامِلَةٌ في الدنيا بالمعاصي، ناصِبَةٌ في الآخرة بالعذاب، ويجدر الإشارة إلى ذكر (المعتزلة) من بين هؤلاء الذين يصلون نارًا حامية يدلل ويؤكد أن الإمام من الأشاعرة، فكيف يصف (المعتزلة) بهذا الوصف إن كان منهم؟.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في البسملة :"كما يقال في اليمين بالله، أي: أحلف بالله، ويُراد بالاسم التسمية، وهي الذّكر دون المُسَمَّى وهو المذكور، {اللهِ} اسمه الذي لا يَشركُهُ في التسمِّي به غيره. وهو غير مشتقٍّ عند محمَّد بن الحسن. وقيل: مشتق من: وَلِهَ يَولَه. وقيل من:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 297)

(2) المصدر السابق (ج1/ 638)

(3) المصدر نفسه (ج2/ 707)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاهَ يلُوهُ. معناه: الربُّ المحمود المستحقُّ لأعلى مراتب العبادة"[1] ومع أن الجرجاني يصنف أنه أشعري المعتقد إلا أنه يتبنى مذهب المعتزلة أن الاسم غير المسمى وهو نفس التسمية. وكما قال ابن كثير أن ما ذهب إليه المعتزلة من هذا القول هو عبث على جميع التقديرات، والذي عليه أهل السُّنة أن الاسم هو المسمى وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة وسيبويه"[2]؛ وبه يتبيَّن أن الجرجاني ينهل من المذهبين: مذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة. وإن كان ميله الاعتزالي في مسائل محدودة وقليلة جدًا، بينما ميله إلى مذهب الأشاعرة يتجلى من خلال تبنيه لكثير من مسائلهم، فهو أشعري وإن أخذ ببعض آراء المعتزلة.

9- مصادر الإمام:

انفرد الإمام عبد القاهر الجرجاني بذكر كثير من الفوائد والشرائد في مختلف المعارف والفنون مما أضفي على الكتاب معارف مختلفة جعلت القارئ يتنقل من فنَّ إلى فن، فتارة يجد النكت البلاغية وتارة يعمل عقله بالمسائل النحوية الصرفية، وتارة أخرى يقلب ناظريه بالفوائد المعجمية اللغوية، ويدرك العبر من أخبار الأمم السابقة، إلى غير ذلك من ألوان المعارف المختلفة، فالقارئ يجول في جنان هذه المعارف فينهل من مناهلها، لقد حرص الإمام على دقة مباحثه التي استعرضها نحويًا وبلاغيًا ولغويًا، وغير ذلك، فكان دقيقًا في عباراته، موجزًا في استدلالاته، متثبِّتًا في النقولات، حياديًا في الخلافات دون تعصب لأحد. زخر تفسير (درج الدّرر) بنقل من مصادر مختلفة، وأخذ آراء كثيرة لأئمة التّفسير والحديث واللّغة والنّحو والفقه والقراءة حيث تألّفت مادّته العلميّة؛ فتفصح هذه المصادر التي اعتمد عليها الإمام عبد القاهر الجرجاني عن سعة اطلاعه ومعرفته، وتعبر عن شخصية موسوعية متميزة. إن قيمة تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني تتضح بقيمة مصادره التي ينقل منها ليحظى الكتاب بمادة علمية رصينة، فالكتاب تحلَّى بأحلى الدرر العلمية التي رُصِّعَتْ بها مادة الكتاب ويمكن الإشارة إلى أهمِّ المصادر التي اعتمدها المؤلف في تفسيره، ومنها: اعتمد الإمام من كتب التفسير على كتاب "جامع البيان في تفسير القرآن" لمحمد بن جرير الطبري. والكتاب من أبرز التفاسير التي يمكن الاعتماد عليها، يضاف إليه كتاب "تفسير ابن أبي حاتم" وهما مصدران أساسيان لكلِّ تفسير. أما كتب معاني القرآن للبارزين من أئمة اللغة أمثال الكسائي (ت 189 هـ)، والفراء (ت 207 هـ) في كتابه معاني القرآن، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) في كتابه مجاز القرآن، والأخفش (ت 215 هـ)، وابن قتيبة (ت 276 هـ)، والزجاج (ت 310 هـ) في كتابه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 99- 100)

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج1/ 29)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معاني القرآن، واعتمد في الروايات التاريخية بشكل أساسي على محمَّد بن جرير الطبري في كتابه "تاريخ الأمم والملوك". إن ما يثبت أن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني أنه نقل عن العلماء الذين سبقوه، لقد نقل عن أعلام أئمة التفسير: عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ)- أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت 57 هـ)- عبد الله بن عبّاس (ت 68 هـ)- مجاهد بن جبر المكي (ت 103 هـ)- الحسن البصري (ت 110)- قتادة بن دعامة السدوسي (ت 117 هـ)- السّديّ، إسماعيل بن عبد الرحمن (ت 127 هـ)- أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت 146 هـ)- عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ (ت 182 هـ).

أما أئمة اللغة والنحو فأخذ عن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ)- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت 213 هـ)- الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ)- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ)- الزّجّاج، إبراهيم بن السّريّ (ت 311 هـ)- ابن عرفة، إبراهيم بن محمد (ت 323 هـ). وثمّة أعلام أفاد الإمام منهم في كتابه، ولكنّه لم يكثر من حكاية أقوالهم، وربّما لم ينقل عن بعضهم أكثر من رّأي أو رّأيين أو بالأكثر ثلاثة آراء، ومن هؤلاء الأعلام بحسب سني وفياتهم: زيد بن أرقم (ت 68 هـ)-المقبريّ، أبو سعيد، كيسان (ت 100 هـ)- أبو رجاء العطاردي، عمران بن ملحان (ت 105 هـ) - زيد بن علي (ت 120 هـ)- رؤبة بن العجّاج (ت 145 هـ) - مقاتل بن حيّان (ت قبل 150 هـ) - أبو عمرو بن العلاء الحضرمي (ت 154 هـ)- الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق (ت 161 هـ)- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) - سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180) - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت 182 هـ) - يونس بن حبيب (ت 182 هـ) - مؤرج بن عمرو السّدوسيّ (ت 195 هـ) - النّضر بن شميل (ت 203 هـ) - يحيى بن كثير العنبري (ت 205 هـ) - قطرب، محمد بن المستنير، (ت 206 هـ)- الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) - أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224) - ابن الأعرابي، محمد بن زياد (ت 231 هـ) - أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان السّجستاني (ت 255 هـ) - أبو العباس المبرّد، محمد بن يزيد (ت 285 هـ)- ثعلب، أحمد بن يحيى الكوفي (ت 291 هـ) - الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)- ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار (ت 328 هـ) - الخارزنجي، أبو حامد، أحمد بن محمد (ت 348 هـ)- أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت 377 هـ)[1].

---

(1) ينظر المصدران: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم ودرج الدرر في تفسير الآي والسور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال والأخبار

1- تفسير القرآن بالقرآن:

اجتهد العلماء في التماس بيان معاني القرآن من القرآن، فما أجمل منه في موضع بُيِّن في موضع آخر أو أُحيل على بيانه، فإن أَجَلَّ طرق التفسير وأحسنها وأرفعها قدرًا تفسير القرآن بالقرآن، فإنّ القرآن الكريم قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والإطلاق والتقييد، والعامّ والخاصّ، وما أوجز في مكان فقد بسط في مكان آخر، وكذلك نجد في قصص القرآن تأتي القصة في مكان مختصرة، ثمّ تفصّل في موضع آخر، وقد يذكر جزء منها في مكان ولا يذكر في آخر، يقول ابن تيمية: "إنّ أصحّ الطرق في ذلك: أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنّه قد فسّر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر "(1) ، فهو كتاب الله تعالى المعجز، {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} **[النساء:82]**. فإذن ينبغي على المفسّر عند ما يفسّر آية من القرآن أن يستذكر الآيات الأخرى في موضوعها ويستحضرها، فقد يحتاج إلى بعضها، لتوضيح معنى الآية التي هو بصددها. وهذا النوع منه ما هو صريح ومنه ما يدخله الاجتهاد ؛ والذي يعدّ من التفسير الإلهي هو ما يدلّ على المعنى صراحة من غير التباس، كما في قول الله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ} **[الطارق: 1 - 3]** ففسّر الحق سبحانه المراد بالطارق بأنه النجم الثاقب. وأما التفسير الاجتهادي للقرآن بالقرآن فما أصاب فيه المجتهد مراد الله تعالى، فقد وفق فيه لبيان الله للقرآن بالقرآن، وما أخطأ فيه أو أصاب فيه بعض المعنى دون بعض فلا يصح أن ينسب اجتهاده إلى التفسير الإلهي للقرآن. وتفسير القرآن للقرآن على أنواع كثيرة؛ فمنه تفسير إحدى القراءات لغيرها، وقد قال مجاهد بن جبر رحمه الله: " لو كنت قرأت قراءة ابن مسعودٍ لم أحتج أن أسأل ابن عباسٍ عن كثيرٍ من القرآن مما سألت "(2). ومنه تفسير اللفظ بلفظ أشهر منه وأوضح، ومنه بيان المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام؛ إلى غير ذلك من أنواعه التي تبحث في طرق التفسير، هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معانى القرآن، وهو عمل يقوم على كثير من النظر والتدبر والتعقل (3).

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج13/ 363)

(2) الثعالبي، تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ج1/ 141)

(3) ينظر: محمد الذهبي، التفسير والمفسرون (ج1/ 33)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناية العلماء بتفسير القرآن بالقرآن:

لقد اعتنى بهذا النوع من التفسير جماعة من أهل العلم وظهر أثر ذلك فيما نقل عنهم من التفسير. فروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم أمثلة كثيرة لتفسير القرآن بالقرآن؛ لكنه غالبًا ما يكون مأخذه اجتهاد المفسر لإصابة المعنى المراد؛ فيستدل لذلك بالقرآن، واعتنى به بعدهم جماعة من كبار المفسرين ومن أشهر من ظهرت عنايته به في تفاسيرهم: إمام المفسّرين الطبري وابن كثير الدمشقي. والشنقيطي في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(1). ومما ينبغي التفطّن له ألا يتوسّع المفسّرون في تفسير القرآن بالقرآن حتى لا يصير في بعض ما ذكروه تكلّفًا، وإن كانوا يقدّمون تفسير القرآن بالقرآن على غيره من أنواع التفسير.

التفسير المتّصل والتفسير المنفصل:

- تفسير القرآن بالقرآن منه ما يكون التفسيرُ فيه في موضع الآية المفسَّرة؛ كما في قوله سبحانه: {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} [**البقرة: 2 - 4**] فبيّن المراد بالمتقين بذكر أوصافهم وأعمالهم.

- ومنه ما تكون فيه الآية المفسَّرة في موضع، والآية المفسِّرة في موضع آخر، كما في قول الحق سبحانه: {**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} [**النحل: 118**] ، وهذا في سورة النحل؛ والإشارة إلى قول الحق سبحانه في سورة الأنعام: {**عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**} [**الأنعام: 146**] وهذا يدل على أن سورة الأنعام نزلت قبل سورة النحل.

اهتمّ الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذا النوع من التفسير، واعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، فقد أكثر من ظاهرة الاستشهاد بالآيات الكريمة لبيان معاني القرآن الكريم، وقد نوّع أساليبه على أشكال متعددة يُذكر منها على سبيل الأمثلة لا على سبيل الحصر فهي كثيرة:

1 - يفسّر آية بآية أخرى: ففي قوله سبحانه :{**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**} [**الإسراء: 4**] يقول الإمام موضحًا دلالات قضى ومبينًا معنى

(1) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مقدمة المؤلف (ص 7)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلو: "{وَقَضَيْنا} أوحينا وأعلمنا، كقوله: {وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ} [الحجر:66]. {لَتَعْلُنَّ} عُلُوًّا كَبِيرًا: أي: لتعتنّ عتوًّا كبيرًا، ومنه قوله: {أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ} [النمل:31] وقوله: {لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} [القصص:83]"[1].

2 – استشهاده على معنى كلمة بآية: وذلك من خلال تفسير الإمام الألفاظ بما يرادفها، ومن ذلك: في قول الحق سبحانه: {وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة:60] ذكر عدة أمثلة على التّرادف فقال: "وعثى يعثى وعاث يعيث: أفسد، وجمع اللفظين في معنى واحد نهاية في البلاغة، كقوله: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ} [الحج:30]، وقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} [عبس:38] وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ} [الزخرف:80] [2].

3 – يستشهد بأكثر من آية في معرض حديثه عن القضايا النحويّة: يذكر منها حديثه عن معاني (حتى) فيقول: "{حَتّى تَتَّبِعَ} (حتى) تدخل في الكلام لثلاثة معان: الغاية نحو (إلى)، والتعليل نحو (كي)، والعطف بمعنى المبالغة، فالغاية تدخل على الأسماء والأفعال جميعًا، والتعليل مختصّة بالأفعال، والعطف بالأسماء. وإذا وليها فعل مضارع فهو مرفوع أو منصوب، وفي ذلك وجهان: متى رأيت قبلها فعلًا يطول أو يكثر منفيًّا أو مثبتًا، وبعدها فعل مضارع حكمه حكم الفعل الأوّل في الماضي والاستقبال فانصبه بتقدير (أن)، قال الله تعالى: {حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ،} وقال: {وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ} [البقرة:214]، وقال: {وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة:193]. لأنّ المراد ترداد الفعل وإطالته، فيكون الفعل الثاني في حكم الفعل الأوّل. وإن كان الفعل المضارع منفيًّا بـ (لا)، وحسنت (ليس) مكان (لا) فرفعه حسن، قياسًا على المنفيّ بـ (لا) بعد (أن لا)، نحو قوله: {أَلاّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ} [طه:89]، {أَلاّ تَكُونَ فِتْنَةٌ} [المائدة:71] " [3]. وفي قوله سبحانه: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ} [محمد: 31] يوضح الإمام: "{وَنَبْلُوَا} عطف على قوله: {حَتّى} نَعْلَمَ، وإنّما حسن العطف عليه لكون البلاء الأوّل مسندًا إلى الله في اللّفظ والمعنى، والبلاء الثّاني مسند إلى الله في اللّفظ وإلى أوليائه في المعنى، أو المراد بالأوّل: الإصابة بالبلايا والمكاره، والثاني: الاختيار "[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 200)

(2) المصدر السابق (ج1/ 165)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 234)

(4) المصدر نفسه (ج2/ 572)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5 – المشابهة بين حالين في آيتين من حيث المعنى: فعند قوله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ} [النساء:78] يقول: "إخبار عن بعض المنافقين، تشاءموا بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقالوا: نقص بقدومه غلاّتنا، وغلت أسعارنا، وهو قريب من قصّة آل فرعون: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ} الآية [الأعراف:131]"(1) فشابه بين حال المنافقين في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحال بني إسرائيل في معاملة نبيّهما عليهما السّلام.

6 – يستشهد بالآية على معنى بلاغيّ والأمثلة كثيرة واردة في أبواب الدراسة. يذكر منها: عما اصطلح على تسميته الاستعارة التهكمية في مثل قوله سبحانه: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: 49] ويقول سبحانه: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: 87] يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "و(الذّوق): إحساس طبيعته بالمس، يستعمل في المطعوم والمشروب حقيقة، وفي الثّواب والعقاب استعارة، قال الله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} [النّحل:112]"(2)، استشهد الإمام بالآية على معنى بلاغيّ: ففي قوله تعالى: {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} يبين أن معنى هذا هو السفيه الجاهل، فيستشهد بقوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:49]، فخرج بهذا من المعنى الظاهر إلى المعنى المجازيّ في الآيتين(3). ويقول في موضع آخر: {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} السّفيه الجاهل، كقوله: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:49]. وقيل: هو على ظاهره، أي: كنت الحليم الرشيد حتى الآن، كقول ثمود لصالح: {كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} [هود:62](4).

7– الاستشهاد بأكثر من آية مؤيّدًا قولًا ذهب إليه: يذكر عند تفسيره {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] الواو مقحمة في أكثر من موضع: "الواو في قوله: {وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} [هود: 66] مقحمة، كما في قوله: {جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:71](5)، {وَأَوْحَيْنَا} [يوسف: 15] واو مقحمة، {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات:103]"(6). وفي قوله سبحانه:{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 508)
(2) المصدر السابق (ج1/ 419)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 18)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 112)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 107)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 123)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} [النساء: 108] يقول الإمام: "(يبيّتون): والتّبييت إذا وقع على المعاني هو التّفكير باللّيل، وإذا وقع على الذّوات فهو مكرها باللّيل، قال الله تعالى: {إِذْ يُبَيِّتُونَ} [النّساء:108] وقال: {لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} [النّمل:49]، وهو واقع ههنا على غير قولهم، وهي قريبة من قوله: {وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ} [البقرة:14]. {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} [النساء: 81] في اللّوح المحفوظ ، وقيل: كتابة الحفظة"[1]، أما في قوله سبحانه: { أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأعراف: 100] وللألفاظ عند الإمام معان يحكمها النظم ومناسبتها للاستخدام في السياق فتكون في موقعها؛ فيبين الإمام رأيه في تفسيره قوله سبحانه: {لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ} "هم الموجودون وقت الإنكار والإنذار، {وَنَطْبَعُ} كلام مستأنف، وقيل: معطوف على قوله: {أَصَبْناهُمْ}، كقوله:{لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ} [يونس:11].{لا يَسْمَعُونَ} الشّيء النّافع إن شاء الله، وإنّما قال: لا يسمعون، ولم يقل: لا يفقهون، للمبالغة في النّفي"[2].

8- يستشهد بالآية ليرجّح رأيًا على آخر: ففي قوله سبحانه: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف: 44] المراد بالوعد في حقّ أهل النّار الوعيد، وإنّما وقعت العبارة عنه بالوعد لازدواج الكلام، كقوله: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ} [الكهف:29]. ويحتمل أنّ المراد بالوعد في حقّ الفريقين جميعًا هو البعث بعد الموت، قال الله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا} [النّحل:38]"[3]. ويقول الإمام: عن (ما) في {إِنَّما} في قول الحق سبحانه: {وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ} [آل عمران185]: إنّ (ما) هنا كافّة، إذ لو كانت بمعنى (الذي) لكان {أُجُورَكُمْ} بالرفع، ولكان قوله: {يَوْمَ الْقِيامَةِ} من الصلة، والصلة لا تنفك عن الموصول، كقوله تعالى: {إِنَّما تُنْذِرُ} [يس:11]، {إِنَّما يَخْشَى اللهَ} [فاطر:28]، {إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ} [النّحل:92]"[4]

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/509- 510)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 787)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 654)
(4) المصدر السابق (ج1/ 455)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الحديث النبوي الشريف:

إن السنّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي موضّحة للقرآن الكريم، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة، فإنّها شارحة وموضّحة له"[1] ، وفي قول الحق سبحانه: **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء:105]**، ويقول سبحانه: **{وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل:44]**، وفي قوله أيضًا: **{وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (64) [النحل:64]**، ولهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه"[2]، "والغرض: أنّك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنّة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "بم تحكم؟ ". قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد؟ ". قال: بسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد؟ ". قال: أجتهد برأيي. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله" [3]، وعلى المفسّر أن يكون حذرًا في اعتماده على أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك أن يأخذ بالصحيح الثابت منها، ويترك الضعيفة والموضوعة، فينزّه تفسيره عنها.

لقد اعتمد الإمام عبد القاهر الجرجاني اعتمادًا كبيرًا على السنّة النبويّة المشرفة ليفسّر بها القرآن الكريم، وبوجوه مختلفة ومتنوّعة، حيث أولى اهتمامه لهذا النوع من التفسير، لكنّه لم يقف عند الحديث الصحيح والمتواتر فقط بل أورد بعض الأحاديث الضعيفة، وفي بعضها موضوعة، فلا يذكر إسناد الحديث، فيكتفي بذكر المتن، وقد يعتمد في تفسيره على بعضها، مستندًا في ذلك على ما أورده من قول الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، مبرّرًا استشهاده بهذه الأحاديث الضعيفة، فعن أحمد بن حنبل قال: إذا روينا عن رسول الله في الحلال والحرام

---

(1) ابن تيمية، فتاوي ابن تيمية (ج363/13)

(2) من حديث أخرجه أحمد (ج/17174/410/22) وأبو داود، السنن (ج/4604/200/4)

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير ت سلامة (ج1/ 7)

ينظر الحديث: أبو داود، السنن (ج3592/303/3)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسنن والأحكام تشدّدنا في الأسانيد، وإذا روينا في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكمًا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد"[1] .

جاء أسلوب الإمام عبد القاهر الجرجاني في ذكر الأحاديث النبويّة المطهّرة في التفسير على النحو الآتي:

1 – يذكر الحديث بشكل مباشر لمعنى الآية، إذ يذكر الآية في ضمن الحديث، والمثال عليه: في سورة هود عليه السّلام يقول: "عن أبي موسى، عنه عليه السّلام: أنّ الله تعالى يملي للظّالم، أو قال: يمهل، حتى إذا أخذه لم يفلت، ثم قرأ: { **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** } **[هود: 102]**" [2].

2 – يستشهد بحديث على معنى استنبطه من معنى آية كريمة: مثال ذلك عند تفسير قوله سبحانه:{**وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ**} **[آل عمران:132]**، يقول: "إنما ذكر الرسول ليعلم أن أوامره شريعة واجبة، وإن لم ينطق بها الكتاب لتقرير الله ذلك بتبقيته إعجازه، وقد تواترت الأخبار أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: "أوتيت القرآن ومثله مرتين"[3].أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ

3 – أما قوله سبحانه:{**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**} **[آل عمران: 133]** فيستشهد بحديث على معنى بلاغي، وهو الحذف، في الآية: ففي تفسير قوله تعالى:{**عَرْضُهَا السَّماواتُ**} **[آل عمران:133]**، يقول: "أي: كعرض السماوات، وإنما حذف لعدم الإيهام، كقوله صلّى الله عليه وسلّم: "الضبع نعجة سمينة"[4]. يبين الإمام: {وَسارِعُوا} المسارعة إلى الجنّة، وهي مسابقة بعض الناس بعضًا. أو مسابقتهم انقضاء الأجل إلى عمل يوجب الجنّة، فقيل: إنّه التّوبة، وقيل: الغزو، وقيل: الهجرة، وقيل: الوقوف على

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/377)

ينظر: الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية (ص 134)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/114)

الحديث أخرجه البخاري ، صحيح البخاري(ج6/74/4686)، ومسلم، صحيح مسلم (ج4/1997/2583)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 96)

الحديث رواه أبو داود، السنن (ج4/200/4604) الحديث عن المقدام بن معدي كرب وسنده صحيح وبرواية: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 432)

عن أبي هريرة أنه سئل عن الضبع فقال: نعجة من الغنم،

ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف (ج5/ 24291/118)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قضيّة الأمر والنهي، وقيل: الجمعة والجماعات، وعن سعيد بن جبير: الطاعة، وعن أنس بن مالك: التّكبيرة الأولى، وعن عثمان: الإخلاص في العمل، وعن عليّ: الفرائض.{عَرْضُهَا السَّماواتُ} أي: كعرض السموات. وإنّما حذف لعدم الإيهام كقوله صلّى الله عليه وسلّم: "الضّبع نعجة سمينة". وذكر العرض دليل على الطّول أنّه زائد، والطّول لا يدلّ على العرض، قيل: جاء يهوديّ إلى عمر بن الخطّاب فقال: أرأيت قوله: {وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ} الآية، فقال عمر لأصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم: أجيبوه، ولم يكن عندهم فيها شيء، فقال: أرأيت النهار إذا جاء يملأ السموات والأرض، قال: بلى، قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنّار حيث شاء الله ، فقال اليهوديّ: والذي نفسك بيده يا أمير المؤمنين إنّها لفي كتاب الله"(1).

4 – يستشهد بالحديث على معنى عام يمكن أن يؤخذ من الآية، ففي قوله تعالى: {**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [**آل عمران:200**] فيعطي معنى (المرابطة) وهي: مقاومة العدوّ بالثّبات على مرّ الأمر والظاهر من الرباط ارتباط الخيل، ولكنه يستعمل في كل ما يلزم ويثبت، ويستشهد بالحديث بقوله: "وفي الحديث: ألا أدلكم ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء في السّبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرّباط فذلكم الرّباط فذلكم الرّباط"(2).

5 – يشير في استشهاده بالحديث إلى حكم فقهي: فعندما يتحدث عن ميراث البنات "والمراد به البنات حالة الانفراد يرثن بالفرض للابنتين الثّلثان، وقال ابن عبّاس: لهما النّصف، وغيره اعتبر الابنتين بالأختين من الأب والأمّ أو من الأب، فروي أنّ سعد بن الرّبيع استشهد وترك ابنتين وامرأة وعمًّا، فورّث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الابنتين الثّلثين والمرأة الثّمن وأعطى الباقي العمّ، ولا تيقنًا باستحقاق إحدى الابنتين ثلث المال وأكثر منه لو كانت واحدة وشككنا في بخسها عنه"(3).

6 – يذكر الحديث أو معناه ولا يشير إليه: من ذلك حين فسر قول الحق سبحانه: {**وَالَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**} [**الشورى:39**]، يذكر الإمام: "المستبّان ما قالا من شيء فعلى

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 530)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 460)

ينظر الحديث: الترمذي، السنن، ت بشار (ج1/ 51/105)

(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/470) ودرج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 575)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البادئ، حتى يعتدي المظلوم"(1)، وهذا نص حديث للنبي صلّى الله عليه وسلّم، ولكنه لم يذكر أنه حديث ولم يشر إليه بشيء. ويقول في تفسير قول الحق سبحانه: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 129] " نفى كل استطاعة كل العدل بينهن؛ لأنّ الإنسان وإن سوّى بينهنّ في القسم لم يقدر أن يسوّي بينهنّ في الحبّ والمفاكهة والمطايبة، {فَلَا تَمِيلُوا} تجوروا كلّ الجور بأن تقبلوا على بعضهنّ وتعرضوا عن بعضهنّ، {فَتَذَرُوها} تتركوها كالمعتدّة أو كالمولى عليها "(2)، وهو بهذا يشير إلى حديث السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: "كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقسم فيعدل، ويقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، يعني القلب"(3)، في معرض بيان معنى قوله سبحانه: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [المائدة: 4] يبين الإمام: "ذكر سرعة الحساب لتأكيد الزّجر، والتّحذير في معنى الجزاء، ومن نوقش في الحساب عذّب"(4) وهو بهذا يشير إلى حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم المروي عن السيدة عائشة، قالت: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: " اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا " فلما انصرف، قلت: يا نبي الله، ما الحساب اليسير؟ قال: " أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن، يكفر الله عز وجل به عنه، حتى الشوكة تشوكه "(5)، وفي رواية البخاري ومسلم: "ومن نوقش في الحساب عُذّب"(6)، ولم يبين أنه حديث؛ لكن هذا يدلل سعة معرفته وحفظه للسنة النبوية فهي على لسانه.

7 – يعلل أمرًا في الآية بحديث ليزيد من توضيح الآية: فعندما يتحدث عن قول الحق سبحانه: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة: 31] يقول الإمام: صار {مِنَ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 553)
ينظر الحديث: مسلم، الصحيح (ج4/2000/2587)، وأبو داود، السنن (ج/4/274/4894)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 531)
(3) ينظر: أحمد بن حنبل، المسند (ج13/ 321/7937) الدارمي، سنن الدارمي (ج3/ 1416/ 2253) أبو داود، السنن (ج2/ 242/2134)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 652)
(5) ينظر: أحمد بن حنبل، المسند(ج40/ 260/24215)
(6) ينظر: صحيح البخاري (ج8/ 112/6536) وصحيح مسلم (ج4/ 2204/2876)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّادِمِينَ} على قتله، وإنّما لم تنفعه النّدامة لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "ثلاث لا تقبل توبتهم: إبليس رأس الكفرة وقابيل رأس القتلة ومن قتل نبيًّا أو قتله نبيّ، أو النّدامة وحدها"(1) يعلل الإمام هذا الندم من القاتل بحديث النبي صلّى الله عليه وسلّم: "ثلاث لا تقبل توبتهم: إبليس رأس الكفرة، وقابيل رأس القتلة، ومن قتل نبيًّا أو قتله نبي"(2)، لكن الحديث لم يرد بهذه الرواية وإنما ورد في مسند أحمد: "حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبان، حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " أشد الناس عذابًا يوم القيامة، رجل قتله نبي، أو قتل نبيًا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين "(3)، وورد في صحيح البخاري: "اشتد غضب الله على من قتله نبي، واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم"(4).

8- يذكر الإمام أحاديث تدل على معنى واحد ولكن في أماكن مختلفة: قسم أحاديث فضل السجود وسجود التلاوة على مواطن كثيرة، فعندما يصل إلى قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ} [الرعد:15]**، يذكر حديثًا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا سجد: "سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره"(5)، وعند قول الحق سبحانه:**{وَمِمَّنْ هَدَيْنا وَاجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا} [مريم:58]**. يورد الإمام حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عنه عليه السلام قال: "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار"(6).

9 – استشهد الإمام بأحاديث ضعيفة، لكنها قليلة، مثال ذلك: ما روي عن النبيّ عليه السّلام: "إن لربكم نفحات في أيام دهركم، فتعرضوا لها، فعسى أن تدرككم، فلا تشقوا أبدا"(7)، وذلك في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 562)

(2) لم يقف الباحث على هذه الرواية في متون الأحاديث.

(3) ينظر: أحمد بن حنبل، المسند (ج6/ 3868/413)

(4) ينظر: البخاري، صحيح البخاري (ج5/ 4076/102)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 151) ينظر الحديث: أحمدبن حنبل، المسند (43/ 25821/21) أبو داود، سنن أبي داود (ج2/ 1414/60) وهو حديث صحيح.

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1182)
ينظر: أحمد بن حنبل، المسند (ج15/ 9713/445)

(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 144)
ينظر الحديث: الطبراني، المعجم الكبير (ج519/233/19) وهو حديث ضعيف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفسير قول الله تعالى: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ} **[يوسف:94]** يستشهد بأحاديث موضوعة: كما في سورة النور وعند تفسير معنى النور في قول الله تعالى: **{اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}** **[النور:35]**، يورد الحديث القدسي الموضوع: " الشَّيْبُ نُوري وأنا أستحي أنْ أحرقَ نوري بناري"(1)، وكذلك يورد قصة الغرانيق عند تفسيره قول الله تعالى: **{وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}** **[الإسراء:88]**، وفي قول الحق سبحانه:**{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** **[يوسف: 2]** يقول الإمام {إِنّا أَنْزَلْناهُ} الضمير عائد إلى الكتاب {قُرْآناً} اسم من القراءة، أو مصدر {عَرَبِيًّا} بلغة العرب قال عليه السّلام: "إنّ العربية ليست باب والد، ولكن كل من تكلم بالعربية فهو عربيّ"(2)، أما في حديث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الإعجاز في القرآن الكريم، يبين الإمام:" **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ}** **[الإسراء: 88]** قال الفراء: لئن بلا مرفوع؛ لأنّه كاليمين وقد جزم بعض القرّاء، {ظَهِيرًا} معينًا. وفيها دلالة على أنّ ما ألقى الشيطان في سورة النجم. وهو قوله: تلك الغرانيق العلى(3)، منهنّ شفاعة ترتجى، لم يكن بمثل القرآن على ما فيه من الفصاحة والجزالة والجريان على لسان ذي الرسالة، والتباسه بالقرآن عند أهل المقالة إلى أن نسخه الله تعالى بقوله: **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى۞ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى}** **[النجم:21 - 22]** فاتّصل هذا الناسخ بالإنكار السابق، وهو قوله: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَالْعُزّى۞ وَمَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى}** **[النجم:19 - 20]**، اتصالًا يتبيّن فيه صدر الكلام إليه، وانفتح عوار إجارة الشيطان لديه، واستقامت دعوى الإعجاز من بعد ما كادت تميل"(4)، هذا في الحديث الموضوع عن النبي عليه السّلام، في قصة إلقاء الشيطان الكلام على لسان النبي عليه السّلام، في سورة النجم، بعد قوله تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَالْعُزّى وَمَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى}** **[النجم:19 - 20]** حاصلُها أن الشيطان ألقى في أثناء قراءته كلماتٍ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيها الثناء على آلهتهم ، وإثبات الشفاعة لها عند الله، وقد ألف الشيخ ناصر الدين الألباني كتابًا رد فيه هذه القصة من

---

(1) ينظر الحديث: عصام الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية(ج1108/64/1) والحديث موضوع.

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 119)

ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج21/ 407) وقال عنه ابن تيمية في "الاقتضاء": هذا حديث ضعيف، وكأنه مركب. وقال الألباني: ضعيف جدًا، سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج2/ 926/325)

(3) الغرانيق جمع غرنوق طائر أسود من طير الماء طويل العنق.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج10/ 287) وابن كثير، التفسير (ج3/ 308 – 310)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 227)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصلها، سماه (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق). ويستشهد الإمام بأحاديث مرسلة[1]: فمثلًا عن ابن المسيب قال: لما نزلت :{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ} **الآية [الرعد:6]**، قال عليه السّلام: "لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا عيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكّل كل أحد"[2]، وكذلك في قوله تعالى: {يَضِيقُ صَدْرُكَ} **[الحجر:97]**.

10 – يذكر أكثر من حديث على معنى آية واحدة ليدلل ويوضح أحدهما، فالإمام كما اعتمد على تفسير القرآن بالقرآن استشهد بالحديث بأنواعه سواء ضعيف أو حسن: ففي تفسيره قول الحق سبحانه: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} **[الكهف: 110]** وبعد أن يبين الإمام سبب نزول الآية، فإنه يذكر حديثين ليؤكد أن معنى الآية هو ما جاء في سبب النزول، والحديثان هما، **الأول**: ما روي عن: عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "المؤمن نيّته خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيّته، وكل يعمل على نيته، وليس من مؤمن يعمل عملًا إلا سار في قلبه سورتان، فإن كانت الأولى لله، فلا تهدم الآخرة"[3]، **والحديث الآخر**: عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "إذا جمع الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا، فليطلب ثوابه عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشريك"[4]، والثاني عند الألباني حديث حسن[5].

---

(1) المرسل: هو الحديث الذي سقط من سنده الصحابي مثاله قول: سعيد بن المسيب وأمثاله من التابعين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحذف الصحابي الذي روى عنه، والحديث المرسل من أنواع الحديث الضعيف.

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 149)
ينظر الحديث: القرطبي، التفسير (ج9/ 285) وأبو الفضل العراقي، المغني عن حمل الأسفار (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) (ج4/ 181)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1164)
ينظر: الطبراني، المعجم الكبير (6–185) و أبو نعيم، الحلية (3–255) وهو حديث ضعيف لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (ج1/861/5977)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 262)
ينظر : أحمد بن حنبل، المسند (ج25/ 161/ 15838) و ابن ماجة، السنن (ج2/ 1406/4203)

(5) ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير (ج1/ 145/482)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الشعر:

كانت للإمام عبد القاهر الجرجاني عناية غير قليلة بالشّواهد الشّعرية، وقد استشهد بها على المسائل النّحويّة والصّرفيّة واللّغويّة والبلاغية.

الاستشهاد بالشعر لأغراض نحوية:

يختار الإمام في قوله سبحانه: {مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} **[البقرة: 102]** مذهب البصريين في زيادة من فيقول:" {وَما هُمْ بِضارِّينَ} والضّرّ: إلحاق الضّرّ والضّرر بالشّيء، وهما البؤس والمكروه، وفيهما معنى النقصان، ونقيضهما: النّفع، والهاء في {بِهِ} كناية عن السّحر، أو عمّا يفرّقون به، وتقديره: وما هم بضارّين به أحدًا، إلا أنّه أدخل [من] للتأكيد كما قال: {هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ} **[التوبة:127]**، وقال الشاعر: [من البسيط]

وقفــتُ فيهــا أُصــيْلانًا ... أســائلُها أعيـتْ جوابًا ومـا بـالرّبعِ مـن أحَـدِ[1]

"وأمّا (كلا وكلتا) فاسمان مفردان مقصوران وَقَالَ الكوفيّون هما مثنيّان لفظًا وَمعنى"[2]، "كلا" و"كلتا" اسمان ملازمان للإضافة، ولفظهما مفرد، ومعناهما مثنى، ولذلك أجيز في ضميرهما اعتبار المعنى فيثنى، واعتبار اللفظ فيفرد، وقد اجتمعا في قوله "من البسيط":

كلاهُمَـا حِـين جـدَّ الجَـريُ بَيْنَهُمَـا قَـدْ أَقْلَعَـا وكـلاَ أَنفَيْهِمَـا رَابِـي[3]

وفي تفسيره قول الحق سبحانه: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُـونَ أَنْبِيـاءَ اللهِ} **[البقـرة:91]** يقول: "و(لم) أداة لطلب الحجّة، وهو في الأصل (لماذا)، وتقديره: لأجل أيّ شيء ذلك الفعل وذلك القول، ونظيره في الاختصار: (عمّ) و (ممّ)"[4].{لا تَعْبُدُونَ}: رفع عند الكسائي لحذف الناصب، تقديره: أن لا يعبدوا ، وأنشد: [من الطّويل]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 254)
البيت للنابغة الذبياني، الديوان (ص 14) وفيه: عيّت، بدل (أعيت).
(2) أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب (ج1/ 398)
(3) ينظر: الأشموني، شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (ج1/ 56)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 198)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألاَ أيُّهــذا الزَّاجِــرِي أحضِـــر الـــوَغَى   وأنْ أشْــهَدَ اللَــذَّاتِ هَــلْ أَنْــتَ مُخْلِــدِي

نظيره: {أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ} [الزمر:64]، وقوله: {وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المـدّثر:6]. وفي أحد أقوال الفرّاء أنّه خبر بمعنى النهي، وكون الخبر بمعنى النهي ككونه بمعنى الأمر [في قوله تعالى]: {وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ} [البقرة:233]، ولهذا قرأ أبيّ: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } [البقرة: 83] وفي قوله الآخر: جواب القسم، إذ الميثاق هو العهد الموثّق باليمين"(1).

يقف الإمام طويلًا عند بعض الألفاظ مثل: (حتى) فيقول: "{حَتّى تَتَّبِعَ} (حتى) تدخل في الكلام لثلاثة معان: الغاية نحو (إلى)، والتعليل نحو (كي)، والعطف بمعنى المبالغة، فالغاية تدخل على الأسماء والأفعال جميعًا، والتعليل مختصّة بالأفعال، والعطف بالأسماء. وإذا وليها فعل مضارع فهو مرفوع أو منصوب، وفي ذلك وجهان: متى رأيت قبلها فعلًا يطول أو يكثر منفيًّا أو مثبتًا، وبعدها فعل مضارع حكمه حكم الفعل الأوّل في الماضي والاستقبال فانصبه بتقدير (أن)، قال الله تعالى: {حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} وقال: {وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ} [البقرة:214] وقال: {وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة:193].وقال الشاعر: [من الطويل]

وتنكــرُ يــومَ الـــرّوعِ ألـــوانَ خيلِنـــا   مـن الـدّمِ حتّـى تحسبَ الجـون أشـقرا

لأنّ المراد ترداد الفعل وإطالته، فيكون الفعل الثاني في حكم الفعل الأوّل. وإن كان الفعل المضارع منفيّا بـ (لا)، وحسنت (ليس) مكان (لا) فرفعه حسن، قياسا على المنفيّ بـ (لا) بعد (أن لا)، نحو قوله: {أَلاّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ} [طه:89] {أَلاّ تَكُونَ فِتْنَةٌ} [المائدة:71]، ومتى رأيت قبلها فعلًا ليس فيه معنى الطول والكثرة، وبعدها فعلاً لم يكن حكمه حكم ما قبلها في الماضي والاستقبال، أو كان الفعل لفاعل الأوّل فارفعه نحو قولك: جئت حتى أكون قريبًا منك؛ لأنّ الفعل بعد (حتى) إمّا فعل حال مضت أو حال أنت فيها، وفعل الحال لا يقع إلا مرفوعًا، فإن

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 189)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الفعل لغير فاعل الأوّل فانصبه أو ارفعه، وأكثر النّحويّين على النّصب. وإذا وليها اسم فهو معرب بإحدى الحركات الثّلاث" [1].

الاستشهاد بالشعر لأغراض صرفية:

ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني عددًا من الصّيغ الصّرفيّة التي تتعاقب فيما بينها، وتتّفق في المعنى، ففي كلامه على الاستعاذة في بداية الكتاب تحدّث عن مجيء **(فعيل)** بمعنى **(مفعول)**، فقال: "الرّجيم: بمعنى المرجوم، كالقتيل بمعنى المقتول، سمّي بذلك لأنّه يرجم بالشّهب، أو لأنّه يلعن ويشتم"[2]. وذكر تعاقب **(فعيل)** و **(مفعل)** عند حديثه عن **(بديع)** في قوله تعالى: **{بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة:117]**، واستدلّ له ببيت من الشّعر أيضًا، فقال: "فعيل بمعنى المفعل كالسّميع والأليم، قال:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُني وأَصْحَابِي هُجُوعُ [3].

وعن الجموع التي لا واحد لها من لفظها، يقول : **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} [البقرة: 54]** بني إسرائيل، والقوم: اسم للجماعة لا واحد له من لفظه، يطلق على العقلاء خاصّة {يا قَوْمِ} تقديره: يا قومي، إلا أنّه اكتفى بكسرة الميم عن الياء، كما تقول: يا ربّ"[4]، "و(المنّ) كان شيئًا من جنس التّرنجبين، و(السّلوى) كان طيرًا يشبه السّماني، ولا واحد له من لفظه عند الأخفش، وقال الخليل: الواحد: سلواة، ويقال: السّلوى: العسل، وقال: [من الطويل]

وَقاسَمَهَا بِاللهِ جَهْدًا لَأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا [5]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 234)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 80)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 232)
البيت لعمرو بن معدي كرب ينظر: الديوان(ص 140)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 156)
(5) المصدر السابق (ج1/ 158)
البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ينظر: ديوان الهذليين(ج1/ 158)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستشهاد بالشعر لأغراض لغوية:

يذكر عدة أمثلة على التّرادف في قول الحق سبحانه: **{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** **[البقرة:60]** فيقول: "وعثي يعثى وعاث يعيث: أفسد، وجمع اللفظين في معنى واحد نهاية في البلاغة، كقوله: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}** الآية **[الحج:30]**، وقوله: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ}** **[عبس:38]**، وقوله: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}** **[الزخرف:80]**، وقال ذو الرّمّة:

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسُ ... وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ "[1]

يقول الحق سبحانه: **{مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ}** **[النساء: 69]** **وفي قوله: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} (البقرة: 133)**، جاء المشترك في لفظ (شهداء)، حيث استخدم في الآية الأولى بمعنى القتلى في سبيل الله وهو جمع مأخوذ من أصل المفرد شهيد. أمَّا في الآية الثَّانيَّة، فقد استخدم بمعنى حضور أو شهود، وهو جمع مأخوذ من أصل المفرد شاهد. ويدلُّ على المعنى الأول في الآية الأولى الكلمات المجاورة : النَّبيين، الصِّديقين، كذا الصَّالحين. بينما يدلُّ على المعنى الآخر في الآية الثَّانيَّة، كلمات مثل: أداة الاستفهام وحضور الموت، يقول الإمام:{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} استعينوا بآلهتكم، وإنّما سمّوا شهداء لزعمهم أنّهم يشهدون ما قدر لهم من الخير والشر فيقدرون على تغييره، أو يشهدونهم عند احتياجهم إليهم فينصرونهم، كقوله: **{أَيْنَ شُرَكَائِي}** **[القصص:62]** على زعمهم"[2]، ويقول أيضًا:{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} (أم) بمعنى ألف الاستفهام على وجه الإنكار، كما قال الشاعر: [من الكامل]

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما ... داود أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رأيتَ بواسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خيالا

وليس بمعنى (بل)؛ لأنّ ما يجيء من بعد (بل) يجيء محقّقا، ولم يرد به التحقيق ههنا؛ لأنّهم لم يكونوا شهداء، ولا يقال: أثبت شهودهم وأراد به آباءهم؛ لأنّه لو كان كذلك لقال: إذ قال لكم ما تعبدون من بعدي، ولم يقل: لبنيه. ويحتمل أنّه مرتّب على استفهام مضمر، فيكون تقديره:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 185)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 122)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشهدتم وصيّة إبراهيم أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، وممّا يقرّب هذا التأويل إنكارهم الأمرين جميعًا، وتحريفهم الكلم في الموضعين جميعًا، ف (شهدوا): فيه معنى النزول والخلق؛ لأنّ الحاضر يستعمل بإزاء البادي، وقولك: حضرني بمنزلة: حضر عندي، فيكون عبارة عن القرب فقط"(1). ويقول: "{شُهَدَاءَ} "جمع شهيد". وشهادتهم يوم القيامة على الكفّار بتكذيب الأنبياء عليهم السّلام، لما عاينوه، أو ثبت عندهم بالوحي، أو علموه بالإخبار المتواتر، وقيل: حجّة على الناس عند إجماعهم. وإنّما صاروا كذلك ؛ لأنّ كلّ نبيّ كان يتلوه"(2).

يوضح الإمام أن (الإلّ) يأتي بمعان مختلفة أيضًا هي: القرابة والعهد والذّمّة واسم الله وربوبيّته، وقد ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني في أثناء تفسيره قوله سبحانه: **{لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً} [التوبة:8]** واستشهد لكلّ معنى بشاهد من كلام العرب، شعره أو نثره، فقال: "الإلّ": القرابة، قال حسّان:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعامِ

والإلّ: العهد والذّمّة، قال:

كأنّهُ لَمْ يَكَنْ بَيْنِي وبينكمُ ... إلٌّ ولا خُلّةٌ تُرعى ولا ذِمَمُ

والإلّ: اسم الله وربوبيّته، قال أبو بكر الصّدّيق: ويحكم إنّ هذا لم يخرج من إل"(3).

الاستشهاد بالشعر لأغراض بلاغية:

يخرج أسلوب الاستفهام بأنواعه المختلفة عن معناه الوضعي الحقيقي إلى معان أخرى، عند تفسير الإمام قول الله سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ} [البقرة:107] يقول: بمعنى الإثبات، كقوله: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} [الأعراف:172]**، قال جرير [من الوافر]:

أَلَسْتُمْ خيرَ مَن رَكِبَ المطايا ... وأنْدى العالَمِينَ بطونَ راحِ (4)

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 249)
(2) المصدر السابق (ج1/ 256)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 749)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 222)، ينظر: ديوان جرير (ص77)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبين الإمام أن:"{هذَا الَّذِي} إشارة إلى موهوم لا شيء، كقولك للّذي نطق أنّه محترم: من هذا الذي يحترمك، وهو من مجاز الكلام، ولا يخفى عليك ما وراء الإشارة من تحقير وإهانة لمن خاض في هذه الحادثة. ومن دواعي تعريف المسند إليه بالإشارة أيضًا قصد التعريض بغباوة السامع، وأن الأشياء لا تتميز عنده إلا بالإشارة الحسية كقول الفرزدق يهجو جريرًا ويفتخر عليه:

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ "(1)

يوضح الإمام التعبير أو العدول بالضمير عن الاسم الظاهر للتعظيم بقوله:"{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} أي: هيّن عليه، قال الشاعر [من الطويل]:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمتْ ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ(2)

والضمير عائد إلى الأبد أو الإعادة جميعًا، وقيل: إلى الإعادة أهون عليه، أي: أيسر من البداءة في خواطركم وأوهامكم، وإن كلا الأمرين عنده واحد، وقيل: الضمير عائد إلى الخلق الذي هو المخلوق، وأهون من الهوان. أي: المخلوق أهون على الله من أن يعتديه في صفاته العلى، ويتعرّف به إلى من قدّر له الهدى(3)، ويذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني الالتفات من المفرد إلى الجمع: {قَعِيدٌ قال ابن عبّاس: قعود. وقال الفرّاء: ويجوز إرادة الجمع بلفظ واحد، كقول موسى: {إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ} **[الشعراء:16]**، ويجوز أن يكون واحدًا اكتفي به عن صاحبه، أي: قعيدان، كقوله:

نحنُ بِمَا عنْدَنا وأنتَ بما ... عِندكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ "(4)

يشير الإمام إلى التشبيه باعتبار وجه الشبه(التشبيه المجمل): "{كَمَا كُتِبَ} تشبيه بمجرّد الصّيام دون الصفات كلّها، إذ التشبيه لا يوجب كون المشبّه كالمشبّه به من جميع الوجوه، قال الله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ} [آل عمران:59]**، وقال: **{إِنْ هُمْ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1378)
(2) الشافعي، الديوان (ص 51)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 437)
(4) المصدر السابق (ج2/ 588)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلاّ كَالْأَنْعامِ} [الفرقان:44]، وقال: {حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس:39]. ويحتمل تشبيه الوجوب بالوجوب، و{الصِّيامُ} في اللغة عبارة عن الإمساك عن الطعام، قال الشاعر: [من البسيط]

خَيْلٌ صِيَامٌ، وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ، وأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا

وعن السكون في البيت، يقال: صامت الرّيح، إذا سكنت، وعن السكوت، قال الله تعالى حكاية عن مريم: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً} [مريم:26]، وفي الشرع: عبارة عن الإمساك عن المفطرات مع النيّة" [1].

يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى الاستعارة : "{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ} يعطي القرض، والقرض في الأصل هو القطع بالنّاب، ثمّ استعير لما تقتطعه من مالك فتدفعه إلى أخيك لينفقه ويغرم مثله من غير عقد ولا تأجيل، ثمّ استعمل في تقديم الحسن والسيّئ إذا اقتضت الجزاء، قال أميّة بن أبي الصّلت: [من البسيط]

لا تخلطنّ خبيثات بطيّبة واخلع ثيابك منها وانْجُ عريانا

كلُّ أمرئ سوف يُجزى قرضًا حسنًا. أو سيئًا[2].

ويقول الإمام: "وأظلّك الطائر: إذا حاذاك وقرب منك وألقى ظلّه عليك، أعني ما يتخيّل، ويستعار للشهر والزمان فيقال: أظلّ الشهر والزمان، والغمام: غيم أبيض، وإنّما سمّي غمامًا لأنّه يغمّ السماء ويسترها، وللقاحه بالماء لأنّه يغمّ الماء في جوفه. وغمغمة السّحاب: صوته. والغمام واحد وجماعة، قال الحطيئة يمدح رجلًا: [من الطويل]

إذا غبت عنّا غاب عنّا ربيعنا ونسقى الغمام الغرّ حين تؤوب"[3]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 344)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج239/1)

(3) المصدر السابق (ج1/ 158)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام:" وهو أقرب من حبل الوريد، سبحانه وتعالى. وقد أوّل من أوّل من أصحابنا بأنّه الإقبال بالرحمة والرّضوان والقبول، وهو ممكن أن يكون مرادًا، (الواسع): الذي لا يضيق علمًا ورحمة وقدرة ، قال زيد بن عمرو : [من البسيط]

إنّ الإلـــه عزيـــز واســـع حكـــم بكفّـــه الخيـــر والبأســـاء والـــنّعم"(1)

ويقول في موضع آخر على لسان الفرّاء: {حَبْلِ الْوَرِيدِ} مضاف إلى نفسه، والوريد: عرق من الحلقوم والعلباوين. والله تعالى أقرب إلى كلّ نفس منها إليها، قائمة بأمره لا بنفسها"(2).

أما في قول الحق سبحانه: **{قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَـا أُولِى الْأَلْبَـابِ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُـونَ} [المائـدة: 100]**، يقول الإمام:"(الخبيث): الكافرون، و(الطّيّب): المؤمنون، ذكرهم لعموم الخطاب،{وَلَوْ أَعْجَبَكَ} على سبيل المبالغة، ولذلك لم يقتض جوابًا، كقوله: **{أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [النّساء:129]**، وقال: [من الطويل]

فقلـــت يمـــين الله أبـــرح قاعـــدًا ولـــو قطعـــوا رأســـي لـــديك وأوصـــالي"(3)

يأتي الإمام عبد القاهر الجرجاني على ذكر المشاكلة موضحًا شارحًا دون أن يكون تفسيره وشرحه وتوضيحه معنونًا بالمشاكلة فيقول: "**{اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}** يجازيهم على استهزائهم كقوله: **{وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها} [الشورى:40]**، وقوله: **{فَمَنِ اِعْتَـدى عَلَـيْكُمْ فَاعْتَـدُوا} [البقرة:194]** وقال الشاعر: [من الوافر]:

ألا لَا يَجْهَلَـــنْ أَحَـــدٌ علينَـــا فنَجهَـــل فَـــوقَ جهـــلِ الجَاهلِينَـــا"(4)

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 231)
(2) المصدر السابق (ج2/ 588)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 587)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 112)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- الأمثال والأخبار:

وردت الكثير من الأمثال في معرض تفسيره، ففي قوله سبحانه: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286]** يقول الإمام موضحًا:"{وَلَا تُحَمِّلْنَا ما لا طَاقَةَ لَنا بِهِ} لا تكلّفنا ما يستحيل فعله منّا على وجه العذاب والعقاب، ولا ما يتلف أنفسنا علينا في فعله على وجه الشّرع. والتّحميل: التّكليف ، وفي المثل: النّفس عزوف وما حمّلتها احتملت. {وَاُعْفُ} امح ومحّص {عَنّا} ذنوبنا.{وَاِغْفِرْ لَنا} ألبسنا العفو واستر قبائحنا.{وَاِرْحَمْنا} أرد بنا الخير" [(1)].

أما في تفسير قوله سبحانه: **{ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} [البقرة: 266]** ويستقصي الإمام موجزًا بقوله: (الإعصار) من النكباء، وفي المثل: إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا، يضرب لمن يعتقد قدرة في نفسه فيبتلى بمن فوقه"[(2)].

يقول الإمام في تفسيره قوله سبحانه:**{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آل عمران: 97]:** "من جملة الآيات البينات لأنه حكم ثبت كضرورة في الجاهلية والإسلام، في المثل: (آمن من حمام مكة وآمن من ظبي بالحرم)، وقال ابن عباس: لو وجدت قاتل أبي في الحرم لما هجته، وعن ابن عمر مثله ، وعن ابن الزبير: إنما يستنزل سعيد مولى معاوية وجماعة من أصحابه كانوا تحصنوا بالطائفة فأدخلهم الحرم ثم استفتى ابن عباس فيهم فلم يرخص له في شيء، وقال: هلا قبل أن أدخلتهم الحرم؛ فأخرجهم ابن الزبير من الحرم ثم صلبهم. ولسنا نرى الإخراج، ولكن لا يطعم الجاني ولا يسقى ولا يجالس حتى يضطر إلى الخروج فيخرج فيتبع فيقام عليه الحد" [(3)].

يقول الحق سبحانه: **{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة: 53]** يبين الإمام: "قال ابن عباس: نزلت في جدّ بن قيس حيث قال: {ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} **[التوبة: 49]** هذا مالي خذ منه ما شئت فإني أعينك به، وقوله: {قُلْ أَنْفِقُوا} في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 454)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 362)

هذا المثل أورده العسكري ،جمهرة الأمثال (ج1/ 31)، والميداني، مجمع الأمثال (ج1/ 30)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 415)

ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال (ج1/ 12 و 199) والميداني، مجمع الأمثال (ج1/ 87)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى الشرط كقوله: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [التوبة: 80] وقال أبو الدرداء وجدت (أخبرُ تَقْلِه، وفي المثل: (عش رجبًا تر عجبًا)"[1].

وفي قوله سبحانه: {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: 13] يقول الإمام:"{قِطْمِيرٍ} حبة في بطن نواة التمر، وقيل: لفافة نواة التمر ، يضرب به المثل في القلة والحبة كالنقير والفتيل"[2]. وفي الآية الكريمة: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: 14] يوضح الإمام: "معطوف على مضمر تقديره: أحطنا بالغيب والشهادة خبيرًا، ولا ينبئك بالأمر أحد مثل خبير به كالمثل السائر: ما حكّ جلدك مثل ظفرك"[3].

أما في قول الحق سبحانه:{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: 107] يقول: "إن {مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} يحتمل كون أنفسهم اللطيفة في النار قبل مجيء القيامة وانفطار السماء وتبدل الأرض وبعثرة ما في القبور والاستثناء حالة الرقدة والصعقة، ويحتمل أن المراد بالسماوات سقوف النار، ويحتمل أن المراد ببقاء السماوات والأرض بقاء أجزائهما لا بقاء تأليفهما ولا دلالة على فناء الأجزاء المتلاشية بعد الوجود والاستثناء حالة الدنيا، وقيل: جرى مجرى الأمثال، كقولهم: لا آتيك سنّ الحسل"[4]. وقد

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 890)

ينظر: الميداني: مجمع الأمثال (ج1/ 57)

(2) القطمير: شق النواة، وقيل: القشرة التي فيها، وقيل: هي القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر. وكذا قال ابن منظور في اللسان (ج11/ 231) وزاد: ويقال: هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة التي تنبت منها النخلة. تقول: ما أصبت منه قطميرًا، أي شيئًا، فهو يضرب به المثل في القلة. ذُكرت كلمة " قطمير" في القرآن الكريم مرة واحدة {مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر : 13].

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/490)

ينظر: هذا المثل هو بيت للشافعي كما في ديوانه (ص 111) وبلا نسبة في تاج العروس (حكك) ولفظه:

ماحَكَّ جلدَكَ غيرُ ظُفْرِكَ فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِكَ

مثل يضرب به للاعتماد على النفس وترك الاتكال على الآخرين. وذكره الميداني في مجمع الأمثال (ج3/ 250) بلفظ: ما حَكّ ظهري مثل يدي، ومثله الزمخشري في المستقصي في أمثال العرب (ج2/ 321).

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 115)

مثل يضرب على عدم القدوم مطلقًا، لأن الحسل ابن الضب وهو يعمر طويلًا.

ينظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب(ج1/ 128) والعسكري، جمهرة الأمثال (ص415) والزمخشري، المستقصي في أمثال العرب (ج2/ 244)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورد المثل في تحقيق درج الدرر في تفسير الآي والسور برواية أخرى: وقيل: "جرى مجرى الأمثال كقولهم: لا آتيك سنا الخيل ومِعْزَى الفِزْرِ، وقيل: مقدار دوام السماوات والأرض"[1].

يتفرد الإمام بأسلوبه الموجز في تفسيره الآيات الكريمة وخاصة في ذكره وجوه البلاغة ودلالات الألفاظ والمعاني ونظم الكلم، لكن الإمام بسط القول في ذكره القصص والأخبار، فورد عن الإمام من الإسرائيليات كما بيّن محققا كتاب درج الدرر الذين قالا بأنه منسوب للإمام[2]، ووافق هذا الرأي محققًا درج الدرر الذين قالا بأن الكتاب تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني بقولهم في الحاشية في أكثر من موضع:" هذه القصة من الإسرائيليات التي ذكر قسمًا منها جلُّ المفسرين كالقرطبي والطبري وغيرهم. وقد تقدَّم أن الإسرائيليات لا تصدَّق ولا تكذَّب"[3]، ويذكر أيضًا:" "هذه القصة من قبيل الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب كما مر بنا، كما أنني لم أعثر عليها في كتب التفاسير التي بين يدي، وقد تكرر من المؤلف الجرجاني نقله العديد من القصص والأخبار التي لم نعثر لها على أصل في كتب المصادر والمراجع"[4].

يرى الباحث أن في بعض ما أورده الإمام أخبارًا منقولة وقد نصفها بالإسرائيليات، لكن الكثير من القصص والأخبار التي ذكرها الإمام هي من سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأخبار صحابته الكرام والسلف الصالح – رضي الله عنهم وأرضاهم– وفي تفسيره قوله سبحانه: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} **[الإسراء: 29]** يقول :"عن المنهال بن عمرو: أنّ امرأة بعثت ابنها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستكسيه درعًا، وقالت له: إن قال: حتى يأتيني شيء، فقل له: إنّ أمّي تستكسيك قميصك، فأتى ابنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذكر له ذلك، فنزع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قميصه، فدفعه إليه، فأنزل، وفي الآية نهي عن الإمساك والبخل، ونهي عن الإسراف في النفقة[5]، والقصة وردت في كثير من روايات وأخبار كتب التفسير والحديث، يقول البغوي في إحياء التراث: قال جابر: أتى صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعًا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا قميصه، فقال

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 985)

الجملة الثانية من المثل وهي "لا آتيك مِعْزَى الفِزْرِ" ذكرها الميداني في مجمع الأمثال (ج3/ 153)، والفِزْرُ: لقب سعد بن زيد مناة بن تميم، وإنما لقب بذلك لأنه وافى الموسم بمعزى فانهبها هناك.

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 73)

(3) عبد القاهر الجرجاني، حاشية درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 420)

(4) المصدر السابق (ج2/ 487)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 211– 212)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للصبي: من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فعد إلينا وقتا آخر، فعاد إلى أمه فقالت: قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– داره فنزع قميصه وأعطاه إياه وقعد عريانًا. فأنزل الله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك} يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الخير[1]. وفي قول الحق سبحانه:{**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ** } **[آل عمران: 172]** يقول الإمام:" نعت للمؤمنين، واستجابتهم حين ندبهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى قتال قريش ببدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة عليها بطن منهم، وقيل: إن قريشًا لما رجعوا من أحد وكانوا بالروحاء قال بعضهم لبعض: بئسما صنعتم لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، فبلغ ذلك النبي –عليه السلام– فندب المؤمنين إلى الخروج إليهم فأجابوه بالسمع والطاعة، ولما بلغ ذلك قريشًا مضوا ولم يرجعوا"[2]. وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت لعروة: يا ابن أختي! كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لمَّا أصاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: "من يذهب في إِثْرِهِم؟ " فانْتُدِبَ منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير"[3].

يروي الإمام أخبارًا عن غزوة الخندق: "كان المشركون قد شغلوا رسول الله عليه الصلاة والسلام يومئذ عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى كشفهم الله تعالى، فأمر بلالًا فأذن وأقام الظهر وأقام لكل صلاة بعدها فقضاهن على الترتيب، ورجع إلى المدينة وقد استخلف عليها عبد الله بن أم مكتوم، وكان زيد بن حارثة يومئذ يحمل لواءه الأعظم لواء المهاجرين، وكان سعد بن عبادة صاحب لواء الأنصار، وكان حسان بن ثابت قد التجأ إلى حصن مع جماعة من النساء فيهن صفية بنت عبد المطلب، فقصده عشرة من اليهود يرمون وصفية تقول: دونك يا أبا الوليد وهو يأبى ولا يتجاسر عليهم، فدنا أحدهم من الباب ليدخل، وأيست صفية وسائر النساء من حسان، فاحتجزت صفية بثوبها ونزلت إليه، فهذه غزوة الخندق على سبيل الاختصار " [4].

---

(1) ينظر: البغوي، تفسير إحياء التراث (ج3/ 130) السمرقندي، تفسير بحر العلوم (ج2/ 309)

(2) عبد القاهر الجرجاني، حاشية درج الدرر في تفسير الآي والسور(ج2/ 549)

(3) ورد في صحيح البخاري: (ج7/ 373) ومسلم (ج4/ 1880)

(4) عبد القاهر الجرجاني، حاشية درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1400– 1401)

ينظر: تفاصيل هذه الغزوة (غزوة الخندق) في كل من تفسير ابن كثير (ج2/ 317)، تفسير البغوي (ج2/ 254)، وتفسير القرطبي (ج2/ 435)، صحيح البخاري (ج4/ 1509)، صحيح مسلم (ج3/ 1362)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الجهود النحوية والصرفية واللغوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: جهود عبد القادر الجرجاني النحوية

تمهيد:

تنوعت مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتبه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز- وكتاب التفسير درج الدرر) فهي لغوية ونحوية وبلاغية ونقدية، ومن أقدم الذين أشار إليهم سيبويه (. - 180هـ) صاحب الكتاب الشهير، فقد نقل رأيه في التقديم، وقال: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم" [1] .

ظل الإمام عبد القاهر الجرجاني يكرر أن ليس النظم إلا توخى معانى النحو حيث أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتأويلات حول البناء والإعراب، إذ أخضع النحو لفكرة (النظم)، فقال:"معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض". وقال أيضًا:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو."[2].

ويمضي الإمام عبد القاهر فيوضح أن الوصول إلى النظم البليغ لا يتم إلا بالتعالق النحوي الذي ينسج العلاقات بين أجزاء التراكيب، منظورًا إليها من زاوية المعنى المتبوع لا اللفظ التابع فيقول: " لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتًا وأصداء حروف، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ولا نظم وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك"[3]، ويشير الإمام عد القاهر إلى مستوى الصحَّة النحويَّة بقوله: "لا يَعنِي به مستوى حركات الإعراب في حَدِّ ذاتها، بل العلاقات النحوية بين أجزاء الكلام؛ إذ لا يرجع إليها وحدَها الوصف بالصحَّة أو الفَساد، ويقول الإمام: "فلا ترى كلامًا وُصِف بصحَّة نظمٍ أو فساده،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز(ص 107)

(2) المصدر السابق (ص81)

(3) المصدر نفسه (ص55-56)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو وُصِف بمزيَّة وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك وذلك للفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يَدخُل في أصلٍ من أصوله، وتصل ببابٍ من أبوابه"[1].

يعني النظم عند عبد القاهر ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض، ضمًا معينًا يسميه عبد القاهر بمسميات توحي كلها بالارتباط القائم على التناسب والانسجام كالتأليف والتركيب، والترتيب، والنظم، والنظام، والنضد، والنسق، والتصوير، والنسج والتحبير[2]، وما نص عبد القاهر المشهور : "فليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[3]، إلا دليل على ما ذكر، فالنحو عند الإمام كان أكثر ارتباطًا بعلم المعاني والبلاغة منه بالقواعد المنطقية الجامدة التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي، وفي هذا الرأي اقتراب من بلاغة عبد القاهر ونقده، لأنه اعتمد على القواعد والأصول ولكنه لم ينس النزعة الأدبية والذوق في تحليله ونظرته إلى الشعر، وإن كان في دلائل الإعجاز أكثر ارتباطًا بالنزعة العلمية؛ لأنه كان يجادل في مسألة الإعجاز، وهي قضية تعتمد على الحجة والمنطق إلى جانب الذوق والإدراك العميق"[4]، للإمام كتب قيمة في النحو ومن تلك الكتب (العوامل المئة) التي خف حملها وعم نفعها وكتابه من آثاره الجليلة – على لطف حجمها- التي تدلل على أصول منهجه في التأليف فأصل لمن جاء بعده، ترى فيه بجلاء العقلية الكلامية في التحليل والتحاكم، واللمسة المنطقية، والنظرة الشمولية فهو بصير بعلوم العربية، ثم ينطلق لرفع صروحها بلغة القضايا والاستنتاجات العقلية، فكأنه رياضي لغوي، أو منطقي نحوي، لقد عني بهذا المختصر اللطيف بشروح تعد بالعشرات، ومنظومات وتعليقات[5]، وكتاب الجمل للإمام عبد القاهر شرح مختصر لكتابه العوامل المائة غير أنه يخالفه في منهجه فقد قسم العوامل المئة إلى لفظية ومعنوية، وقسم اللفظية إلى سماعية وقياسية، أما هنا فهو يجعل العوامل ثلاثة أقسام: عوامل من الأفعال وثانية من الحروف وثالثة من الأسماء، ويضع للكتاب مقدمات، ويختمه بأشياء منفردة، والمقدمة والخاتمة ليستا من العوامل[6].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص83)

(2) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص3) وعبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص80)

(3) المصدر السابق (ص81)

(4) أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده (ص 242)

(5) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، العوامل المئة (ص 8-9)

(6) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، الجمل (ص8)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختياراته من الكوفيين والبصريين ومذهبه النحوي:

المصطلح النحوي:

جمع الإمام عبد القاهر الجرجاني بين مذهبي البصريين والكوفيين وخلط بينهما، فقد كان من أنصار المدرسة الانتقائية، فيورد أحيانًا مصطلحات البصريين وأحيانًا أخرى مصلحات الكوفيين، فلم يتعصب لمذهب معين، ولا يقف على مسائل الخلاف بل كان ينتقي ما وافق قناعاته ومنهجه.

مصطلح البصريين:

البدل:

يذكر سيبويه البدل في كتابه:" هذا بابٌ من الفعل يستعمَلُ في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم." [1]، ويستخدم الإمام عبد القاهر مصطلح البدل ويقل استخدام مصطلح الترجمة، فالكوفيون يسمُّونه الترجمة والتبيين والتكرير[2]، ففي تفسيره الآية الكريمة: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ } [البقرة: 217]** حيث يقول: "{قِتَالٍ فِيهِ} مكسور على طريق بدل الاشتمال، وبدل الاشتمال هو إبدال حال الشيء أو ما يجري مجراه منه"[3]، وفي قول الحق سبحانه:**{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ◉ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران: 33- 34]** يقول: "{ذُرِّيَّةً} نكرة، نصب على البدل"[4].

الظرف:

استعمل الإمام عبد القاهر المصطلح الذي يسميه البصريون(الظرف) مرات كثيرة، وسماه الكوفيون الظروف محال لحلول الأشياء فيها[5]، فيقول في تفسير الآية الكريمة:" **{كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ} [البقرة: 20]** (كلما) ظرف زمان ماض في محلّ النصب، وعلّة الظرف إضمار (في) في المعنى دون اللفظ كالاسم بنزع الخافض، وهو مبهم يحتاج إلى الصلة، وصلته

---

(1) سيبويه، الكتاب لسيبويه (ج1/ 150)

(2) ينظر: شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو (ص 432)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج313/1)

(4) المصدر السابق (ج1/ 392)

(5) ينظر: أبو البركات الأنباري، أسرار العربية (ص141)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أضاء) والعامل فيه {مَشَوْا} مضوا في الضوء"[1]، ويقول: {وَراءَهُ} يعني القرآن ونصب {وَراءَهُ} على الظرف"[2]، وأيضًا: "{يَوْمَ} نصب على الظرف، والمظروف العذاب العظيم"[3]، "(وإذا) للتوقيت في المستقبل يحلّ محلّ الظرف"[4].

التمييز:

يسمي البصريون المصطلح بالتمييز فهو اسم نكرة، بمعنى من، مبين لإبهام اسم أو نسبة، ويسمى أحيانًا: التفسير أو التبيين، أو المفسر، أو المميز[5]، وفي قوله سبحانه: **{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [البقرة: 60]** يستعمل الإمام عبد القاهر الجرجاني مصطلح البصريين بقوله: "{عَيْناً} نصب على التمييز"[6]، وكان يسمي التمييز مفسِّرًا، أو التفسير عند الكوفيين، يقول الفراء تعليقًا على قوله سبحانه: **{فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا} [آل عمران: 91]**: "نُصب الذهب لأنه مفسِّر، لا يأتي مثله إلا نكرة، فخرج نصبه كنصب قولك: عندي عشرون درهمًا، ولك خيرهما كبشًا، ومثل قوله: **{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة: 95]**"[7].

المفعول لأجله:

يقول ابن هشام: "ومن المفاعيل المفعول له ويسمى المفعول لأجله ومن أجله وهو كل مصدر معلل لحدث مشارك له في الزمان والفاعل وذلك كقوله تعالى: **{يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} [البقرة: 19]** فالحذر مصدر منصوب ذكر علة لجعل الأصابع في الآذان"[8]، وسمى الفراء المفعول لأجله تفسيرًا: "إنما هو كقولك: أعطيتك خَوْفًا وفَرَقًا، فأنت لا تعطيه الخوف، وإنما تعطيه من أجل الخوف فنصبه على التفسير"[9]، يستعمل الإمام مصطلح البصريين فيوضح الإعراب حين يفسر الآية الكريمة: **{يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 118)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/198)
(3) المصدر السابق (ج1/419)
(4) المصدر نفسه (ج1/110)
(5) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ج2/ 295)
(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 164)
(7) ينظر: الفراء، معاني القرآن (ج1/ 225) وشوقي ضيف، المدارس النحوية (ص 201)
(8) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى (ص 226)
(9) الفراء، معاني القرآن (ج1/ 17)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} [البقرة: 19] بقوله:" {حَذَرَ الْمَوْتِ} أي: لحذر الموت، كقولك: زرتك طمعًا في برّك، وقال حاتم الطائيّ: [من الطويل]

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ إدِّخَارَهُ   وَأُعْرِضُ عَنْ قَوْلِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا "[1]

يذكر الإمام المصطلح (مفعول له) في تفسيره الآية الكريمة: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا} [البقرة: 109] فيقول الإمام: "{حَسَداً} "مفعول له"، فانتصب بنزع الخافض. والحسد أن لا تؤهل ذا نعمة لها"[2]. وفي قوله سبحانه: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} [النساء: 4] يقول: "{نِحْلَةً} عطيّة ، مصدر جاء بخلاف المصدر، فهي في معنى الإيتاء. وإنّما أجري مجرى العطيّة؛ لأنّه يثبت من غير معاوضة. وقيل: النّحلة: ما ينتحله الرّجل من الدّين، وهي نصب؛ لأنّه مفعول له"[3]، وفي مواضع يذكر المصطلحين:"{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} على أنّه مفعول له، أو على التفسير"[4]. لكن أغلب اختياره مصطلح البصريين(مفعول له)، ففي قوله سبحانه: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 92] يقول: "{تَوْبَةً} نصب؛ لأنّه مفعول له"[5]، وفي قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 107] (ضرارًا): مضارّة، وهو نصب على أنّه مفعول له"[6].

الجر:

أورد الفراء في معانيه (الخفض) ويريد به ما يريد به البصريون بالجر، قال ابن يعيش: الجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين"[7]، ويستعمل الإمام مصطلح الجر في مسائل ويستخدم مصطلح الخفض في مسائل أخرى، ففي قوله سبحانه: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 224] يبين

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 116) ينظر: الطائي، الديوان(ص 81)
(2) المصدر السابق (ج1/ 224)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 465)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 493)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 518)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 796)
(7) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل (ج2/ 123) والسيوطي، الأشباه والنظائر في النحو (مج/1، ص110)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإمام: "ولا تجعلوا اسم الله عدة مبتذلة لأيمانكم أن لا تبرّوا، وعلى المعنى الثاني: ولا تجعلوا اسم الله مانعًا لأن تبرّوا، أي: لبرّكم، فيكون {أَنْ تَبَرُّوا} في موضع الجرّ بدلًا عن الأيمان على طريق بدل الاشتمال عند الخليل والكسائيّ، وعند سيبويه في محلّ النّصب تقديره: تاركين أن تبرّوا، أو لتبرّوا"(1)، ففي قول الحق سبحانه: **{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [آل عمران: 15]** يبين الإمام:"{جَنّاتٌ} رفع على الابتداء عند البصريّين، وعلى أنّه خبر اللام عند الكوفيّين. وأجاز البصريّون: (جنّات) على الجرّ بدلًا عن لفظة {بِخَيْرٍ}، وعلى النّصب بدلًا من محمولًا على محلّه دون لفظه، ولم يجز الفرّاء لمكان الفاصل"(2).

مصطلح الكوفيين:

الخفض:

كما ذكر في مصطلح الجر الخاص بالبصريين، فإن مصطلح الخفض خاص بالكوفيين كما في الجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين، يستعمل الإمام مصطلح الخفض في مسائل نحوية متنوعة، ففي قولهبحانه:**{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 162]** فيقول: "{وَالْمُقِيمِينَ} في محلّ الخفض عطفًا على الضّمير في {مِنْهُمْ} أي: الرّاسخون في العلم من جملة اليهود ومن غيرهم من المصلّين"(3)، وفي تفسير الآية الكريمة: **{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 32]** قالت الملائكة عند التحدّي: ما أنزهك، و(سبحان) مصدر حقيقي عند أهل الكوفة كالغفران والحمران، ولذلك انتصب، وعند البصريين هو كالمصدر، وهو في محلّ الخفض"(4). أما في قوله: **{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} [الحجر: 20]** يقول الإمام: "{وَمَنْ لَسْتُمْ} في محلّ النّصب، عطفا على {مَعايِشَ} هم الذّراري والمماليك والسوائم. وقيل: في محل الخفض عطفًا على الضمير في {لَكُمْ} وهم الأطفال، والمجانين،

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 321)

(2) المصدر السابق (ج1/ 384)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 539)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 132)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبهائم"[1]. وفي قوله: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ} [الحج: 40] يقول: "في محلّ الخفض بدلًا من الذين ظلموا"[2]. أما في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} [الأحزاب: 53] {وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} في محلّ الخفض معطوفًا على قوله: {غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}"[3]، وفي قول الحق سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ} [فاطر: 1] يبين الإمام: "{أُولِي أَجْنِحَةٍ} "في محلّ النّصب على أنّه نعت للرسل، ويحتمل: أنّه في محلّ الخفض بدلًا من الملائكة، ويجوز إبدال النّكرة من المعرفة"[4].

العماد:

ذهب الكوفيون إلى أن ما يُفْصَلُ به بين النعت والخبر يسمى عمادًا، وله موضع من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما قبله، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما بعده. وذهب البصريون إلى أنه يسمى فصلًا لأنه يَفْصِلُ بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعًا لنعت الاسم ليخرج من معنى النعت كقولك: "زيد هو العاقل" ولا موضع له من الإعراب [5]، والبصريون يسمونه " ضمير الفصل " ووجه تسميته بذلك ما ذكره الشارح، ومن العلماء من يسميه" الفصل" كما قال الناظم "، والكوفيون يسمونه عمادًا ووجه تسميتهم إياه بذلك أنه يعتمد عليه في تأدية المعنى المراد، ولكونه حافظًا لما بعده حتى لا يسقط عنه الخبرية كالعماد للبيت، الحافظ للسقف من السقط[6]، ففي قوله سبحانه: {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} [البقرة: 85] يستعمل الإمام مصطلح الكوفيين فيبين بقوله: "{وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} {وَهُوَ}: عماد جاءت لتعذّر صلة هذه الواو، وإنّما هو فعل في التقدير ألا ترى لو أسقطت (هو) لم يقل: ومحرم عليكم إخراجهم، ولقلت: وقد حرّمنا عليكم إخراجهم.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 171)
(2) المصدر السابق (ج2/ 340)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 472)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 487)
(5) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 579)
(6) ينظر: الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية (ج2/456) وحاشية ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ج1/ 372)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: (هو) كاسم مبهم، و(إخراجهم) بيانه، كقولك: هذا على الباب زيد. وقيل: هو ضمير الأمر والشأن"[1]. وفي قوله سبحانه: **{يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل: 9]** {يا مُوسى إِنَّهُ} يقول الإمام: "عائد إلى المنادى، أو إلى جاعل النّار في الشجرة. وقال الفراء: هو عماد"[2]، ويقول: الضمير في {إِنّها} عماد كما في قوله: **{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} [الحج:46]**"[3].

الصرف:

تأتي بالواو معطوفةً على كلامٍ في أوّله حادثة لا تستقيم إعادتُها على ما عُطِف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصَّرْفُ وهذا كلام الفراء: " إن شئت جعلت هذه الأحرُفَ المعطوفة بالواو نصبًا على ما يقولُ النحويّون من الصَّرْف فإن قلت: وما الصّرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفةً على كلامٍ في أوّله حادثة لا تستقيم إعادتُها على ما عُطِف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصَّرْفُ كقول الشاعر:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثله　　　　عارٌ عليك إذا فَعلتَ عظِيمُ"[4]

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) فِي (تأتي مثله) فلذلك سُمّي صَرْفًا إذْ كان مَعطوفًا"[5]، "بينما ذهب جمهور البصريين إلى أن المضارع بعد هذه الحروف منصوب بأن مضمرة وجوبًا"[6]، ففي قوله سبحانه: **{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 42]** يبين الإمام: "{وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} معطوف على النهي مجزوم، وإن شئت جعلته منصوبًا على الصّرف"[7].

التفسير والمفسر:

يسمي التمييز مفسّرًا، أو التفسير عند الكوفيين، يقول الفراء تعليقًا على قوله سبحانه: **{فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا } [آل عمران: 91]**: "نُصب الذهب لأنه مفسِّر، لا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 192)
(2) المصدر السابق (ج2/ 401)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 442)
(4) نسبه سيبويه في كتابه (ج1/ 424) (باب الواو) للأخطل، ويروى لأبى الأسود الدؤلي في قصيدة طويلة.
(5) الفراء، معاني القرآن (ج1/ 33- 34)
(6) شوقي ضيف، المدارس النحوية (ص 166)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 158)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأتي مثله إلا نكرة، فخرج نصبه كنصب قولك: عندي عشرون درهمًا، ولك خيرهما كبشًا، ومثل قوله: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة: 95]"[1].

لقد ورد التفسير عند الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسيره الآية الكريمة كثيرًا: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: 74] بقوله: "ونصب {قَسْوَةً} على التفسير"[2]، وفي موضع آخر يذكر: انتصب النفس على التفسير، كقوله: {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا} [النساء:4]، وقولك: ضقت به ذرعًا"[3]، ويذكره في مواضع جمة، منها: {نَفْعًا} "نصب على التفسير"[4]، "{دَرَجَةً} "رتبة وشرفًا، أو منازل الجنّة، نصب على التفسير"[5]. "{وَقَرِّي عَيْنًا}: أي: طيبي نفسًا، نصب على التفسير"[6]. و{دَرَجاتٍ} نصب على التفسير كقوله: {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ} [الإسراء:21]، وقوله: {هَلْ نُنَبِّئُكُمْ} بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً [الكهف:103][7].

النعت:

الفراء أول من اصطلح تسمية الصفة بالنعت، ففي قوله سبحانه: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: 34] يقول: {أَذِلَّةٍ} يجوز فيه النعت والقطع"[8] فمن" مصطلحات الفراء والكوفيين. تسمية الصفة بالنعت، وتسمية التمييز بالتفسير."[9] وأخذ المتأخرون بتسميته، ففي قوله سبحانه: {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [التوبة: 72] يقول الإمام:"{طَيِّبَةً} اعتبارا للفظ أنث النّعت، وذكّر الفعل اعتبارًا بالمعنى"[10]. وفي قوله سبحانه: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: 88] يوضح الإمام: "أي: قليلًا يؤمنون، فيكون

---

(1) ينظر: الفراء، معاني القرآن (ج1/ 225) وشوقي ضيف، المدارس النحوية (ص 201)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 182)
(3) المصدر السابق (ج1/ 246)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 471)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 520)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 267)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 348)
(8) الفراء، معاني القرآن (ج1/ 497)
(9) شوقي ضيق، المدارس النحوية (ص 333)
(10) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 394)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القليل نعت اسم محذوف"[1] وفي قوله سبحانه: {**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ** } [**القصص: 30**] يقول: "{شاطِئِ الْوادِ} وشطّه شقّيه {الْأَيْمَنِ} ضدّ الأشأم، وهو نعت (الشاطئ)، وأيمن الوادي من يسلكه ويعبره"[2]. وفي قوله أيضًا: {**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ**} [**فاطر: 1**] يذكر: "{أُولِي أَجْنِحَةٍ} في محلّ النّصب على أنّه نعت للرسل"[3].

القطع:

يسميه الكوفيون القطع ويعنون الحال" وَقَالَ الكوفيُّون ينْتَصب على الْقطع يعنون الْحَال"[4]، والفراء يسميه القطع، ففي قوله سبحانه" {**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [**آل عمران: 18**] يبين {قائِمًا} منصوب على القطع لأنه نكرة نُعت به معرفة"[5]، وفي قوله سبحانه: {**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا**} [**هود: 17**] فيقول الفراء أيضًا:" منصوب على القطع"[6]، أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فيذكر القطع أيضًا: "{قائِمًا} نصب على القطع، وتقديره: شهد الله القائم بالقسط "[7]، لكن الإمام على الأغلب لا يذكر القطع إلا وذكر المصطلحين وبيّن مذهب المدرستين، ففي قوله سبحانه: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ**} [**البقرة: 91**] يقول: "و{مُصَدِّقًا} نصب على القطع كوفيًّا، وعلى الحال بصريًّا"[8]. ويقول في موضع آخر: "{مُصَدِّقاً} نصب على القطع، أو الحال"[9]. وأيضًا: "{كُفّاراً} نصب على القطع؛ لأنّه جاء بعد تمام الكلام وعند البصريّين نصب على الحال"[10]."{حَلالاً} نصب على الحال، أو على القطع، وهو ضدّ الحرام"[11].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 196)
(2) المصدر السابق (ج2/ 421)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 487)
(4) أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب (ج1/ 167)
(5) الفراء، معاني القرآن (ج1/ 200)
(6) المصدر السابق (ج2/ 6)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 384)
(8) المصدر السابق (ج1/ 198)
(9) المصدر نفسه (ج1/ 394)
(10) المصدر نفسه (ج1/ 224)
(11) المصدر نفسه (ج1/ 274)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المذهب النحوي:

تجاوز الإمام عبد القاهر في منهجه النحوي مسألة الطلاقة اللغوية أو الحكم بالصحة والفساد على التراكيب اللغوية كما فعل النحاة إلى البحث عن أسرار وجماليات وتذوق تلك التراكيب، وإن لم يصرح بمذهبه النحوي فإنه كان يميل إلى المدرسة البصرية لذكره النحاة البصريين في مؤلفاته: كسيبويه والاخفش والخليل وغيرهم، فيذكرهم بعبارة :" (هذا ما ذهب إليه أصحابنا)، تمتع الإمام بمقدرة فائقة ومميزة في تحليل مسائل النحو وناقشها مدعمًا أقواله بالحجج والبراهين والدلائل ورتب الأفكار، واستدل بها وكشف دقائقها من خلال البحث والتأويل وساعده في ذلك ذوقه الرفيع وإحساسه المرهف في تتبع النصوص، الإمام عبد القاهر الجرجاني "بالأساس رجل نحوي، وهكذا كان يسمى قديمًا، وأقواله بالأساس دفاع عن النحو، بل إن علم المعاني الذي قيل أنه واضع أصوله لم يكن إلا إحياء لروح المعنى والحس والذوق في علم النحو بعد أن أجهز النحاة على كل هذا بتعليلاتهم وتحليلاتهم وحججهم الدائرة حول قضية الإعراب فحولوه هدفًا أولًا وأخيرًا، فاستنفذ الجهد كله وضاعت القيمة المتوخاة من وضع قواعد وضوابط تقرب فهم اللغة لأبنائها وتذوقهم لها ومعرفتهم بأسرارها الجمالية، وأسس نظمها وهذه أمور هي بالتأكيد أبعد مدى وأوسع غاية من مجرد الإعراب" (1)، الإمام لم يلتزم بمذهب المدرسة البصرية ولا تعصب لمذهب المدرسة الكوفية، بل يقرر آراء أحد المدرستين في الكثير من المسائل النحوية دون ترجيح أحدهما، فلم يعرضها بشكل خلاف نحوي، وإنما أوردها من خلال تفسيره للآيات القرآنية الكريمة وإعرابها، كان للإمام الجرجاني منهجه الخاص في الانتقاء والاختيار ورؤيته لدلالات الإعراب وعلاقتها بالنظم والمعاني بحيث تقتضي علم النحو وأصوله.

إقرار رأي البصريين:

الضمير المنفصل (العطف على الضمير المرفوع دون تأكيد):

يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني رأي البصريّين وحدهم ويفصّل فيه، كما فعل في حديثه عن الضّمير المنفصل في قوله سبحانه: **{وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}** **[البقرة:35]**. يقول أبو البركات الانباري: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، نحو: "قُمْتُ وزيدٌ". وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح في ضرورة الشعر. وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فصل فإنه يجوز معه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح (مج/1 ، ص 14)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العطف من غير قبح"[1]. ونحا الإمام في ذلك منحى البصريين: فيقول: "و(أنت) للتأكيد، كقوله: {اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ} [طه:42]، وقوله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} [المؤمنون:28] ثمّ ذكر أنّ ذلك موافق لرأي البصريّين وفصّل فيه، ولم يذكر غيره موضحًا: "وإنّما اقتضى هذا التّوكيد عطف الظّاهر المرفوع على الضّمير المرفوع في الفعل، إذ ليس يجوز ذلك عند البصريّين إلا بالتّأكيد بضمير مرفوع منفصل، أو بنوع فاصل كقوله: {لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا} [الأنعام:148]، ولم يقل: وآباؤنا" [2].

الواو لا تفيد الترتيب:

وافقت آراء الإمام البصريّين في مسائل نحوية مخالفًا مذهب الكوفيّين، ومنها ذهابه إلى أنّ الواو لا تفيد التّرتيب، وكرّر ذلك في أكثر من موضع، ففي قوله تعالى: {يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي} [آل عمران:43] فيقول: "وتقديم السّجود لا يوجب تقديمه على الرّكوع؛ لأنّ الواو للجمع والاشتراك دون التّرتيب؛ لأنّ الواو في الاسمين المختلفين كالنّسبة في المتّفقين، وإنّما بدئ بالصّفا لقوله: (ابدؤوا بما بدأ الله به)"[3]. وكرّر ذلك مرّتين عند حديثه عن قوله سبحانه: {وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ} [النّساء:163] فقال: "وقدّم عيسى على أيّوب ويونس تشريفًا له لكونه من جملة أولي العزم، والواو لا توجب التّرتيب. ثمّ قال عن يونس عليه السّلام أيضًا: وإنّما قدّمه على هارون وداود وسليمان؛ لأنّ الواو لا توجب التّرتيب"[4].

المنادى المفرد مبني على الضم:

"ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المنادى المعرف المفرد معرب مرفوع بغير تنوين. وذهب الفرَّاء من الكوفيين إلى أنه مبنيّ على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول، وذهب البصريون إلى أنه مبني على الضم، وموضعه النصب؛ لأنه مفعول"[5]، وذهب الإمام مذهب البصريين في ذلك،

(1) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 388)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 135)
(3) المصدر السابق (ج1/ 396)
ينظر الحديث: النسائي، السنن الكبرى (ج2/ 413)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 644)
(5) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج1/ 264)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قوله سبحانه: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } [البقرة: 35] إذ يقول: نداء مفرد مبنيّ على الضمّ لمشابهته (قبل) و (بعد)"(1).

وقوع الفعل الماضي حالاً:

يقول أبو البقاء العكبري: "لا يجوزُ أن يقعَ الفِعلُ الماضِي حالاً إلاَّ أن تكونَ معه (قَدْ) ظاهرةً أو مقدرةً. وقالَ الكوفيُّون: يجوزُ ذَلِكَ من غيرِ تقدير"(2)، ففي تفسيره الآية الكريمة: **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 28]** يوضح الإمام:"{وَكُنْتُمْ} الواو فيه للحال، و (قد) فيه مضمرة"(3)، ويبينها الزجاج: "ومعنى (وكنتم) وقد كنتم وهذه الواو للحال، وإضمار قد جائز إذا كان في الكلام دليل عليه"(4).

الآن في الأصل:

يقول أبو حيان الأندلسي:" الآن اسم في أصل وضعه واستعماله بدليل دخول حرف الجر عليه"(5)، فهو من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" الآن اسم في الأصل. وقالوا أصله فعل ماض"(6) ، ففي قوله سبحانه: **{قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} [البقرة: 71]** يذهب الإمام أن الآن اسم حين يقول: "و{الْآنَ} اسم للوقت الموجود، أعني: الحال. وهو منتصب على الظرف، والعامل فيه {جِئْتَ} والمجيء: الإتيان"(7).

الناصب بعد حتى:

من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين أن الناصب للفعل المضارع عند البصريين: " بعد حتى بأن مضمرة، وقال الكوفيين بحتى"(8)، ويوافق رأي الإمام البصريين، ففي قول الحق سبحانه: **{يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا**

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 135)
(2) أبو البقاء العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين (ص 386)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 127)
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 107)
(5) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب (ج3/ 1423)
(6) محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص 134)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 204)
(8) محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص 134)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} **[البقـرة: 102]** يقول الإمام: "{حَتّى يَقُولا} للغاية، تجرّ الاسم، وتنصب الفعل بتقدير أن، وربّما لا تنصب"[1] .

زيادة من:

لزيادة "من" عند "جمهور البصريين شرطان: الأول: أن يكون بعد نفي أو شبهه، وهو النهي والاستفهام، والثاني: أن يكون مجرورها نكرة. مثال النفي: **{مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ}** **[الأعراف: 85]**، والنهي: "لا يقم "من" أحد"، والاستفهام: **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}** **[فاطر: 3]**، ومثّل النهي بقوله: "ما لباغٍ من مفرّ"[2]. ففي قوله سبحانه: **{مَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ }** **[البقرة: 102]** يختار الإمام مذهب البصريين في زيادة من فيقول:" {وَما هُمْ بِضارِّينَ} والضّرّ: إلحاق الضّرّ والضّرر بالشّيء، وهما البؤس والمكروه، وفيهما معنى النقصان، ونقيضهما: النّفع، والهاء في {بِهِ} كناية عن السّحر، أو عمّا يفرّقون به، وتقديره: وما هم بضارّين به أحدًا، إلا أنّه أدخل [من] للتأكيد كما قال: **{هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ}** **[التوبة:127]**، وقال الشاعر: [من البسيط]

وقفـتُ فيهـا أُصـيْلانًا ... أسـائلُها أعيت جوابًا وما بـالرّبعِ مـن أحَـدِ"[3]

ويتضح من الأمثلة أنه وافق مذهب البصريين.

رب بين الحرفية والاسمية:

ذهب الكوفيون إلى أن "رب" اسم. وذهب البصريون إلى أنه حرف جر. أما الكوفيون فإنهم احتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه اسم حملًا على "كم" لأن "كم" للعدد والتكثير، و"رب" للعدد والتقليل، فكما أن كم اسم فكذلك رب. والذي يدل على أن رب ليست بحرف جر أنها تخالف حروف الجر، وذلك في أربعة أشياء؛ أحدها: أنها لا تقع إلا في صدر الكلام، وإنما تقع متوسطة؛ لأنها إنما دخلت رابطة بين الأسماء والأفعال. والثاني: أنها لا تعمل إلا في نكرة وحروف الجر تعمل في النكرة والمعرفة. والثالث: أنها لا تعمل إلا في نكرة موصوفة، وحروف

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 213)
(2) المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ج2/ 750)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 254)
البيت للنابغة الذبياني، الديوان (ص 14) وفيه: عيّت، بدل (أعيت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجر تعمل في نكرة موصوفة وغير موصوفة، والرابع: أنه لا يجوز عندكم إظهار الفعل الذي تتعلق به. وكونه على خلاف الحروف في هذه الأشياء دليل على أنه ليس بحرف. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها حرف أنها لا يحسن فيها علامات الأسماء ولا علامات الأفعال، وأنها قد جاءت لمعنى في غيرها كالحرف، وهو تقليل ما دخلت عليه نحو "رب رجل يفهم" أي ذلك قليل[1]. ففي قول الحق سبحانه: **{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: 2]** يذكر الإمام: " [ربّ] حرف جارّ ولا يدخل إلا على الأسماء المنكورة، فإن صرف إلى فعل كفّ عن العمل بما الكافّة، ولا يدخل إلا على فعل ماض أو حال، وإنما دخل هاهنا على الفعل المستقبل لأنه واجب لا محالة، فكأنه ماض، ألا ترى أنّ أكثر أحوال القيامة مذكور في القرآن على لفظ الماضي"[2].

كلا وكلتا اسمان مفردان:

"وأمَّا (كلا وكلتا) فاسمان مفردان مقصوران وَقَالَ الكوفيّون هما مثنيَّان لفظًا وَمعنى"[3]، "كلا" و"كلتا" اسمان ملازمان للإضافة، ولفظهما مفرد، ومعناهما مثنى، ولذلك أجيز في ضميرهما اعتبار المعنى فيثنى، واعتبار اللفظ فيفرد، وقد اجتمعا في قوله "من البسيط":

كلاهُمَا حِين جدَّ الجَرِيُ بَيْنَهُمَا ... قَدْ أَقْلَعَا وكِلاَ أَنْفَيْهِمَا رَابِي[4]

ذهب الكوفيون إلى أن "كلا، وكلتا" فيهما تثنية لفظية ومعنوية، وأصل كلا "كل" فخففّت اللام، وزيدت الألف للتثنية، وزيدت التاء في "كلتا" للتأنيث، والألف فيهما كالألف في "الزيدان"، والعمران" ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة، وذهب البصريون إلى أن فيهما إفرادًا لفظيًّا وتثنية معنوية، والألف فيهما كالألف في عصًا، ورحًا [5]. ففي قول الحق سبحانه: **{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} [الكهف: 33]** يقرر الإمام عبد القاهر الجرجاني رأي البصريين في هذه المسألة بقوله : "كلا وكلتا: اسمان موحّدان في اللّفظ،

---

(1) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 686)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 167)

(3) أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب (ج1/ 398)

(4) ينظر: الأشموني، شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (ج1/ 56)

(5) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 359)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعناهما التّثنية، وألفهما كألف على وإلى، ويكون خبرهما منفردًا، والمعنى: كلّ واحد، أو كلّ واحدة منهما كذا وكذا"(1).

إقرار رأي الكوفيين:

نِعْمَ وبِئْسَ:

ذهب الكوفيون إلى أن "نِعْمَ، وبِئْسَ" اسمان مُبْتَدَآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرَّفَان، وإليه ذهب الكسائي من الكوفيين، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الخفض عليهما؛ فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول "ما زيد بنعم الرجُلُ" قال حسّان بن ثابت:

ألستُ بِنِعْمَ الجارُ يُؤْلِفُ بَيْتَهُ أخَا قِلَّةٍ أو مُعْدِمَ المالِ مُصْرِمَا! (2)

"وذهب الفرّاءُ وأكثرُ الكوفيّين إلى اسميّة نعم وبئس، واحتجّوا بدخول حرف الجرّ عليهما"(3)، أما الإمام فقد أورد آراء المدرستين وأدلتهما مرجحًا رأي الكوفيين: ففي قول الحق سبحانه: **{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} [البقرة: 90]** يقول: "(بئس) و (نعم) فعلان ماضيان مثل: لعب وشهد فمنعا الصرف، وكلّ واحد منهما يقتضي اسمين غالبًا، ويكون الأوّل عامًّا لعموم المدح والذّمّ، والثاني خاصًّا؛ لأنّ المقصود مخصوص، ثمّ الاسم الأوّل إمّا اسم جنس فيرتفع بالفعل، وإمّا نكرة فينتصب على التفسير، والاسم الثاني مرفوع أبدًا؛ لأنّه خبر مبتدأ محذوف. والاسم الأوّل ههنا: {بِئْسَمَا اِشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} والثاني: {أَنْ يَكْفُرُوا} وهذا قول البصريّين. وعند الكوفيّين هما حرفان يشبهان الفعل، وفيهما معنى الصّفة، والدليل على كونهما حرفين لزومهما صورة واحدة في التذكير والتأنيث والجمع والخطاب والحكاية عن النفس والغائب، ولأنّهما لو كانا فعلين لدخلهما (قد)، والدليل على أنّهما يشبهان الأفعال جواز قولك: بئس وبئست، ونعم ونعمت، والدليل على أنّ فيهما معنى الصفة استقلال قولك: بئس الرجل زيد، ونعم الرجل

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 247) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج1/ 81)

(2) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج1/ 81)

(3) ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة (ج1/ 411)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمرو، وأيّ مذموم زيد ومحمود عمرو، وعلى هذا (ما اشتروا به أنفسهم) ههنا اسم، و(الكفر) مشترى به، و(الأنفس) مشترى لها فانتصب بنزع الخافض "[1].

ألفاظ الإشارة أسماء موصولة:

يقول ابن يعيش في شرح المفصل: "لا يكون "ذَا" ولا شيءٌ من أسماء الإشارة موصولًا عند البصريين، إلَّا فيما ذكرناه من "ذا" إذا كان معها "مَا". وذهب الكوفيون إلى أن جميعَ أسماء الإشارة يجوز أن تقع موصولة، وإن لم يكن معها "مَا"، واحتجّوا بأشياء، منها قولُه تعالى: **{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه: 17]** ومن ذلك ما قاله ثَعْلَب في قوله تعالى: **{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: 85]** أن هؤلاء بمعنى "الذين"، والمراد: الّذين تقتلون أنفسكم"[2].

ففي قول الحق سبحانه: **{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: 58]** اتبع الإمام مذهب الكوفيين بقوله: "{ذَلِكَ} إشارة إلى ما سبق، و{نَتْلُوهُ} خبر له، والباقي خبر ثان، أو (ذلك) بمعنى الذي، و(نتلوه) صلة له، والخبر قوله: {مِنَ الْآيَاتِ}.{الْآيَاتِ} آيات الله"[3].

تناوب المعاني بين الحروف:

لا يجيز البصريون وقوع بعض الحروف موقع بعضها الآخر، والكوفيون يجيزون ذلك. وتأدية الحرف معنى حرف آخر، عند الكوفيين، تأدية حقيقية لا مجازية، و" ما حكي عن البصريين في هذه الأحرف من الاقتصار على معنى واحد لكل حرف."[4] تبنّى الإمام عبد القاهر الجرجاني رأي الكوفيين في هذه المسألة، فنجده كثيرًا ما يخرج الحرف إلى معنى حرف آخر، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا في تفسيره، ومنها: تناوب (أو): تكون بمعنى (الواو)، كما في قوله سبحانه: **{فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة:74]**، فجعلها هو بمعنى (الواو)، ونقل قول غيره بأنها بمعنى (بل)، وسوّغ قوله: إنها بمعنى (الواو) بقوله: "إلا أنه في مثل هذا الموضع لاستدراك الصواب بالأصوب"[5]. يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: **{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: 108]** "ثمّ بيّن وجه الاحتياط: "الحبس للاستحلاف بعد الصّلاة {أَنْ

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 230)

(2) ابن يعيش: شرح المفصل لابن يعيش (ج2/ 430)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 494)

(4) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (ج2/ 463)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 591)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَأْتُوا} بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها والثّاني: للخوف من أن تبطل أيمانهم بأيمان غيرهم إذا عثر على خيانتهم. وقيل: {أَوْ} بمعنى الواو، أي: الاحتياط أحد المعنيين"[1]، تناوب (ثم): فقد جعلها بمعنى (الواو)، وذلك في قوله سبحانه: {ثُمَّ أَفِيضُوا} [البقرة:199]، وشبهها بالآية الأخرى من سورة يونس قول الله تعالى: {ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ} [يونس:46]"[2]. والفاء بمعنى الواو، ففي قول الحق سبحانه:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَايِلُونَ} [الأعراف: 4]، يذكر الإمام: "فَجاءَها بَأْسُنا} الفاء بمعنى الواو، كقولك: أعطيتني فأحسنت إليّ" [3]. وفي قوله سبحانه: {فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً} [البقرة:200]، جعل (أو) بمعنى (بل)، وذكر بأنها بمعنى (الواو)، أي: عكس سابقتها، يقول الإمام:" {أَوْ أَشَدَّ} "بل أشدّ"، وقيل: (أو) بمعنى الواو "[4].

جواز إتيان التمييز معرفة:

المراد أن التمييز لا يكون إلا نكرة على مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيُجوِّزُون كونَ التمييز معرفة. واستدلوا بقول الشاعر:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنَا ... صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ يا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو

فالنفس باتفاق الفريقين أن إعرابه تمييز، وهو معرَّف بأل، فالكوفيون لهذا الشاهد جوَّزوا أن يكون التمييز معرفة، والأصل عند البصريين أنه لا يكون إلا نكرة، فالبصريون على قواعدهم أن الشيء المطرد والغالب هو القاعدة، وما عداه مما خالفها يؤول [5]، ففي قول الحق سبحانه: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: 130] يسير الإمام عبد القاهر الجرجاني في هذه المسألة في ركب الكوفيين ويذكر أربعة آراء ويدلل على رأي الفراء بالآيات القرآنية:" يقول الإمام: "وفي {سَفِهَ نَفْسَهُ} أربعة أقوال: الأوّل: استخفّ نفس إبراهيم حين رغب عن ملّته، وكأنّ قولهم: فلان سفه الشراب، إذا أكثر منه، ومثل هذا قوله صلّى الله عليه وسلّم: (من سفه الحقّ) ، وهذا قول لم

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 181)
(2) المصدر السابق (ج1/ 302)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 641)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 303)
(5) ينظر: الحازمي، فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية للشنقيطي (ص 551)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرو عن الأئمّة. والثاني: أنّه جهل نفسه، ومنه قوله: {عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً} [البقرة:282] ويحتمل قوله صلّى الله عليه وسلّم: "إلا من سفه الحق"، وقولهم: فلان سفه رأيه. وجهل النفس يؤدّي إلى جهل منشئها، قال الله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:21]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه" [1]، وإلى هذا ذهب الزجّاج، والثالث: سفه في نفسه، فانتصب بنزع الخافض. ويحتمل هذا قوله: (إلا من سفه الحق)، وقولهم: فلان سفه رأيه. والرابع: قول الفرّاء: إنّ الفعل للنفس، فلمّا أسند إلى (من) انتصب النفس على التفسير، كقوله: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً} [النساء:4]، وقولك: ضقت به ذرعًا، [وهي] من المعرفة كالنّكرة، كقوله: {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} [القصص:58]، وتقول العرب: وجعت بطنك، ووثقت رأيك. والدليل على أنّ السّفه فعل النفس غير واقع على النفس أنّه لا يقال: رأيه سفه زيد، كما لا يقال: دارًا أنت أوسعهم، وإنّما يقال: زيد سفه رأيه وأنت أوسعهم دارًا" [2].

العطف على الضمير المجرور:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجب العطف على الضمير المخفوض، وذلك نحو قولك "مررت بك وزيد" وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه يجوز أنه قد جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ} [النساء: 1] بالخفض وهي قراءة أحد القراء السبعة وهو حمزة الزيات [3]، ولا يكثر العطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض، حرفًا كان أو اسمًا؛ نحو: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11] {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 133] وليس بلازم [4]، وَمِثَال الْعَطف على الضَّمِير المخفوض بعد إِعَادَة الْخَافِض قَوْله تَعَالَى: {قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 64] {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ } [المؤمنون: 22]، وَلَا

(1) الحديث موضوع، ينظر: الهروي القاري، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (ص189) وأبو الفداء العجلوني، كشف الخفاء (ج2/ 343)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 298)

(3) ينظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 379)

(4) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ج3/ 352- 353)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجب ذَلِك خلافًا لأَكْثَر الْبَصرِيين بِدَلِيل قِرَاءَة حَمْزَة رَحمَه الله {وَاتَّقوا الله الَّذِي تساءلون بِهِ والأرحام} بخفض الْأَرْحَام[1]، فلا يصح أن يقال: مررت بك وزيد، بل لا بد من أن يقال: مررت بك وبزيد، أي: إنه لا بد في العطف على الضمير المجرور من إعادة حرف الجر[2]، ففي قول الحق سبحانه: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه: 72] يذهب الإمام مذهب الكوفيين بقوله:" {وَالَّذِي فَطَرَنا} قسم، ويجوز أن يكون معطوفًا على المجرور من غير تكرار الجارّ"[3]. "قَوْله {وَالَّذِي فطرنا} الَّذِي فِي مَوضِع خفض على الْعَطف على مَا وإن شِئْت على الْقسم"[4].

إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى:

هل تجوز إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى؟ ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك؛ لأنه قد جاء ذلك في كتاب الله وكلام العرب كثيرًا. قال الله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} [الواقعة: 95] واليقين في المعنى نعت للحق، لأن الأصل فيه الحق اليقين، والنعت هو المنعوت، فأضاف المنعوت إلى النعت، وهما بمعنى واحد، وقال تعالى: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يوسف: 109] والآخرة في المعنى نعت للدار، والأصل فيه: وللدار الآخرة خير، وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} [ق: 9] والحب في المعنى هو الحصيد، وقد أضافه إليه. أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز؛ لأن الإضافة يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لا يتعرف بنفسه، وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما ما احتجوا به فلا حجة لهم فيه؛ لأنه كله محمول على حذف المضاف إليه، وإقامة صفته مقامه، أما قوله تعالى: {إن هذا لهو حق اليقين} فالتقدير فيه: حق الأمر اليقين. وأما قوله تعالى: {ولدار الآخرة خير} فالتقدير فيه: ولدار الساعة الآخرة. وأما قوله تعالى: {وحب الحصيد} أي حب الزرع الحصيد؛ لأن الحب اسم لما ينبت في الزرع والحصد إنما يكون الزرع الذي نبت فيه الحب، لا للحب، ألا ترى أنك تقول: حصدت الزرع، ولا تقول حصدت الحب[5]. جوز الإمام إضافة الاسم على اسم يوافقه في

---

(1) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب (ص 583)

(2) ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية (ص 81)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 291)

(4) مكي، أبو محمد القيسي القيرواني، مشكل إعراب القرآن (ج2/ 470)

(5) ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (ج10/ 280)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعنى موافقًا رأي الكوفيين، بقوله: "{وَحَبَّ الْحَصِيدِ} أضيف إلى نفسه، ويجوز أن يكون الزّرع هو الحصيد"[1].

الرواية دون ترجيح:

يورد الإمام عبد القاهر الجرجاني رأي المدرستين دون ترجيح ودون أن ينتصر لأحدهما أو يقر رأيًا دون الآخر:

انتصاب (مثلًا) على القطع:

في قول الحق سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [البقرة: 26]** "{مَثَلاً} انتصب على القطع، فكأنّه قال: بهذا المثل، فلمّا قطعت الألف واللام انتصب. وعند البصريين انتصب على الحال، كقوله: **{وَهذا بَعْلِي شَيْخاً} [هود:72]**"[2].

معنى بلى:

{بَلى} نقيض (نعم)، وهو نفي لقولهم: **{لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً } [البقرة: 80]**، يقول الإمام:"و(بلى) موضوع على أصله مثل (على) عند البصريّين، وعند الكوفيّين أصله: (بل) ثمّ زيد الياء لمّا جعلوه مستقلًا بنفسه فرقًا بينه وبين ما لا يستقلّ بنفسه"[3].

أصل اللهم:

في قول الحق سبحانه: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ } [آل عمران: 26]** يقول الإمام: "(اللهمّ) في الأصل: يا الله، فعلّق بآخره الميمان بدلا عن حروف النّداء عند البصريّين. وقال الفرّاء: أرى أنّ الميم في آخره بقيّة كلام، وتقديره: يا الله أمّ بالخير، أي: اقصد، مثل: هلمّ إلينا. وقيل: ميم جمع ألحقت بالاسم، وذلك جمع الخلق، واللهمّ على هذا: إله الخلق وإله العباد، زيدت ميم أخرى للتأكيد، أو زيادة كما زيدت في عبشم ونحوه.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم(ج2/ 588)

(2) المصدر السابق (ج1/ 126)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 188)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الحسن أنّ اللهمّ مجمع الدّعاء. وعن أبي رجاء العطارديّ: في هذا جماعة سبعين اسمًا من أسماء الله تعالى. وعن النّضر بن شميل: من دعا بهذا الاسم فقد دعا الله بجميع أسمائه"(1).

عدم صرف (أخر):

يقول الحق سبحانه:{**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** } [**آل عمران: 7**] يقول الإمام:"{وَأُخَرُ} جمع أخرى. وإنّما [لم] يصرف للتأنيث والعدل عند البصريّين، وقال الكسائي: لأنّه صفة كالاسم مثل: عمر "(2).

القول في سبحان:

أما في قول سبحانه: {**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** } [**البقرة: 32**] يذكر الإمام: "قالت الملائكة عند التحدّي: ما أنزهك. و(سبحان) مصدر حقيقي عند أهل الكوفة كالغفران والحمران، ولذلك انتصب، وعند البصريين هو كالمصدر، وهو في محلّ الخفض.{لا عِلْمَ لَنا} بأسماء هؤلاء"(3).

وزن التوراة:

أما في قوله سبحانه: {**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**} [**آل عمران: 3**] يوضح الإمام: "أصل التّوراة عند الكوفيّين: تورية بوزن توصية، فلمّا أخرجوا اللّفظ من حيّز الأفعال إلى الأسماء نقلوا حركة عين الفعل إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها. وهو معنى الإيراء؛ لأنّ الله تعالى أورى لموسى عليه السّلام نارا، وكان ذلك سبب كتابه فسمّي كتابه بذلك. وقيل: سمّي لكونه ضياء وهدى، قال الله تعالى:{**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا**} [**الأنبياء:48**]. وقيل: إنّه من التّعريض؛ لأنّ التّعريض في التوراة كثير. وقيل: إنّه باللغة العبريّة: توروه ، وهو الأدب والمتأدّب وعند البصريّين وزن التّوراة: وورية كقوصرة، قلبت الواو الأولى تاء كما في تولج ، مشتقّ من الإيراء"(4).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 388)

(2) المصدر السابق (ج1/ 379)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 132)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 376)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرفع على الابتداء أو الخبر:

وفي قوله: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: 78] يذكر:"{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ} نزلت في المقلّدين من أهل الكتاب، و(أمّيّون): رفع على الابتداء عند البصريّين، وعند الكوفيّين على أنّه خبر بحرف خافض وليس باسم بحرف"[1].

إعراب جنات:

أما في قوله سبحانه: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [آل عمران: 15] يبين رأي المدرستين:{جَنَّاتٌ} رفع على الابتداء عند البصريّين، وعلى أنّه خبر اللام عند الكوفيّين. وأجاز البصريّون: (جنّات) على الجرّ بدلًا عن لفظة {بِخَيْرٍ}، وعلى النّصب بدلًا من (خير) محمولًا على محلّه دون لفظه، ولم يجز الفرّاء لمكان الفاصل"[2].

نصب خيرًا:

وفي حديثه عن قول الله تعالى: {فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ} [النساء:170] يذكر رأي المدرستين البصرة والكوفة ، فيقول: "نصب على القطع عند الكوفيين، وعلى المحل عند البصريين، فكأنك قلت: ائت خيرًا"[3].

نماذج نحوية:

الإمام عبد القاهر الجرجاني وإن كانت له اختياراته من المدرستين وفقًا لرؤيته ومنهجه فهو في مواضع كثيرة يعرب عن رأيه مبديًا وجهة نظره موضحًا موقفه، فيقوم بتحليل المسائل النحوية وفقًا لذلك مع إيراد الاحتمالات المختلفة والأوجه الإعرابية وأسباب الجواز والوجوب مكررًا في تفسيره كلمة (ويحتمل)، وذلك تعبير واضح على مرونته وسعة معرفته.

معاني أدوات الاستفهام:

اهتم بتوضيح معاني أدوات الاستفهام، ومن الأمثلة عليها: في تفسيره قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ واسِعٌ عَلِيمٌ} (115) [البقرة:115] يقول: "(أين) استفهام عن المكان، فإذا اتصلت بـ (ما) صارت للشرط، وعمت الأماكن عموم

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 185)
(2) المصدر السابق (ج1/ 384)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 541)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أيّ)، قال الله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} [النساء:78] {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً} [البقرة:148] [1]، وفي تفسيره قول الحق سبحانه: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ} [البقرة:91] يقول: "و(لم) أداة لطلب الحجّة، وهو في الأصل (لماذا)، وتقديره: لأجل أيّ شيء ذلك الفعل وذلك القول، ونظيره في الاختصار: (عمّ) و (ممّ)"[2].

الواو للاستئناف:

يوضح الإمام في تفسيره الآية الكريمة: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 163]:"{وَإِلهُكُمْ} الواو للاستئناف. واتّصالها بما قبلها أنّه لمّا ذكر للأمّة الحنيفة فروع الدّين من الصّبر والصّلاة والسّعي بين الصّفا والمروة أتى بذكر الأصل ليزيدهم مسارعة إليها وقيل: لمّا ذمّ الكفر أعقبه ما فيه الخلاص من الكفر، لتنبيه من قدّر له التنبيه. ورفع الضمير المستثنى لأنّه على المبتدأ الأوّل وهو قوله: {وَإِلهُكُمْ}، ولمّا ابتدأ فقال: {لا إِلهَ إِلاّ هُوَ} لم يجز في الاستثناء إلا الرّفع؛ لأنّ المستثنى إمّا ينتصب على الفصل تشبيهًا بالمفعول، وإمّا ردًّا على المستثنى منه، ولا فصل ههنا؛ لأنّ الكلام غير تامّ دونه، إذ الخبر مضمر وتقديره: لا إله لنا أو لكم إلا الله "[3].

تعدد الأوجه:

يبين الإمام في تفسير الآية الكريمة: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود: 58] "{بِرَحْمَةٍ مِنّا} يجوز أن يكون {مِنّا} متّصلًا برحمة، أي: برحمة من عندنا، ويجوز أن يكون متّصلا بـ {نَجَّيْنا} أي: نجّيناهم من أمرنا. وإن أراد الأول، فالخزي: معطوف على مضمر، تقديره: منه، ومن خزي يومئذ. وإن أراد الثاني فهما ظاهران. وقيل: الواو في قوله: {وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} مقحمة، كما في قوله: {جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها} [الزمر:71]"[4]. "وفي قوله سبحانه: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة: 135] {مِلَّةَ} ثلاثة أوجه: أحدها: أنّ معنى قولهم: اتّبعوا اليهوديّة والنّصرانيّة، فنصب الملّة وأضمر الاتّباع اعتبارًا بالمعنى، والثاني: إقامة المضاف إليه مقام المضاف، تقديره: بل أصحاب ملّة إبراهيم. والثالث: أنّ (بل) تارة تدخل في الكلام موصولة

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 230)
(2) المصدر السابق (ج1/ 198)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 269-270)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 107)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتارة مفصولة، وإذا كانت مفصولة فمعناها الابتداء ههنا فنصب على التحريض والإغراء.{حَنِيفًا} نعت إبراهيم عليه السّلام، نصب على القطع"[1].

المنصوبات:

يذكر الإمام أنواعًا من المنصوبات:" {طِينًا } **[الإسراء: 61]** نصب لنزع الخافض، أو لأنّه مفعول ثاني لقوله، أي: كونه في الابتداء طينًا، أو للحال، أي: قدرته وصورته في حال كونه طينًا"[2]. "{زِينَةً} **[الكهف: 7]** نصب على الحال، أو القطع، أو المفعول الثاني"[3]. "{وَنُوحًا} **[الأنبياء: 76]** نصب بفعل مضمر، أي: ونجّينا نوحًا"[4]. {فَسُبْحَانَ} **[الروم: 17]** نصب على المصدر، وأراد بالتسبيح الصلاة المكتوبة"[5]، {سُنَّةَ اللَّهِ} **[الأحزاب: 62]** نصب على المصدر، أي: سنّ الله فيك سنّته"[6]. " {يَوْمَ الْفَتْحِ} **[السجدة: 29]** نصب بالظرف، والعامل {لا يَنْفَعُ} فإن حملنا الآية: الأوّل على يوم بدر فنفي النفع نفي العفو عنهم بغير فداء، وإن حملناه على فتح مكة فنفي النفع هي كونهم مهاجرين غير طلقاء"[7]. {وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} **[الأحزاب: 60]** المولّدون للأقوال المضطربة التي لا قرار لها، ولا حقيقة، وأرجف الناس في الشّيء: إذا خاضوا فيه واضطربوا.{إلاّ قَلِيلاً} إلا قليلين، أو إلا زمانًا قليلًا.{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا} فعلى قوله: إلا قليلين، أو إلا زمانًا قليلًا، نصب على الحال أو البدل، وعلى قوله: إلا زمانًا قليلًا نصب على الذمّ ، والشّتم كقوله: وفي الآية دليل على جواز قتل المنافق إذا أظهر نفاقه"[8]. " {يَوْمَ تَجِدُ } **[آل عمران: 30]** (يوم): نصب على الظرف لأحد الأشياء الأربعة: أحدها: الخبر الذي في (ليس)، والثاني: {الْمَصِيرُ} **[آل عمران:28]**، والثالث: العقاب المضمر في التّحذير، والرابع: الجزاء في فحوى {يَعْلَمْهُ اللهُ} **[آل عمران:29]**.و{ما} في محلّ النّصب لوقوع الوجود أو الودّ عليه. و(الأمد): (الأجل والغاية) ، نصب بـ (أنّ). والكافر إنّما يتمنّى بعد

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 251)
(2) المصدر السابق (ج2/ 219)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 237)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 317)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 436)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 466)
(7) المصدر نفسه (ج2/ 448)
(8) المصدر نفسه (ج2/ 474)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمد كما يتمنّى طول الأجل ولا محيص. وإحضار الأعمال: إحضار ثوابها، وإحضارها في جوهر قابل لها كالمرآة تقبل الصّورة، أو كان العرض عينا قائمة"[1].

الواو في ويرى:

يبين الإمام في تفسير الآية الكريمة: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: 6] "الواو في: {وَيَرَى} للاستئناف، وهو عطف الجملة، و{الَّذِينَ} في محلّ الرّفع؛ لأنّه مفعول ما لم يسمّ فاعله. و{الْعِلْمَ} نصب لأنّه مفعول ثان و{الَّذِي أُنْزِلَ} في محلّ النّصب لوقوع الرّؤية عليه، وكذلك {الْحَقَّ} ؛لأنّ الرّؤية إذا كانت في معنى العلم أو الظنّ اقتضت مفعولين"[2].

معاني (حتى):

يقف الإمام طويلًا عند بعض الألفاظ مثل: (حتى) فيقول: "{حَتَّى تَتَّبِعَ} (حتى) تدخل في الكلام لثلاثة معان: الغاية نحو (إلى)، والتعليل نحو (كي)، والعطف بمعنى المبالغة، فالغاية تدخل على الأسماء والأفعال جميعًا، والتعليل مختصّة بالأفعال، والعطف بالأسماء. وإذا وليها فعل مضارع فهو مرفوع أو منصوب، وفي ذلك وجهان: متى رأيت قبلها فعلًا يطول أو يكثر منفيًّا أو مثبتًا، وبعدها فعل مضارع حكمه حكم الفعل الأوّل في الماضي والاستقبال فانصبه بتقدير (أن)، قال الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} [البقرة: 120] وقال: {وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ} [البقرة:214]، وقال: {وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة:193]. وقال الشاعر: [من الطويل]

وتنكرُ يومَ الرّوعِ ألوانَ خيلِنا ... من الدّم حتّى تحسبَ الجونَ أشقرا

لأنّ المراد ترداد الفعل وإطالته، فيكون الفعل الثاني في حكم الفعل الأوّل. وإن كان الفعل المضارع منفيًا بـ (لا)، وحسنت (ليس) مكان (لا) فرفعه حسن، قياسا على المنفيّ بـ (لا) بعد (أن لا)، نحو قوله: {أَلاّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ} [طه:89] ،{أَلاّ تَكُونَ فِتْنَةٌ} [المائدة:71]، ومتى رأيت قبلها فعلًا ليس فيه معنى الطول والكثرة، وبعدها فعلاً لم يكن حكمه حكم ما قبلها في الماضي والاستقبال، أو كان الفعل لفاعل الأوّل فارفعه نحو قولك: جئت حتى أكون قريبًا منك؛ لأنّ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 390)

(2) المصدر السابق (ج2/ 477)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفعل بعد (حتى) إمّا فعل حال مضت أو حال أنت فيها، وفعل الحال لا يقع إلا مرفوعًا، فإن كان الفعل لغير فاعل الأوّل فانصبه أو ارفعه، وأكثر النّحويّين على النّصب. وإذا وليها اسم فهو معرب بإحدى الحركات الثّلاث" [1]. وفي قوله سبحانه: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: 31] يوضح الإمام: "{وَنَبْلُوَا} عطف على قوله: {حَتّى} نَعْلَمَ، وإنّما حسن العطف عليه لكون البلاء الأوّل مسندًا إلى الله في اللّفظ والمعنى، والبلاء الثّاني مسند إلى الله في اللّفظ وإلى أوليائه في المعنى، أو المراد بالأوّل: الإصابة بالبلايا والمكاره، والثاني: الاختيار "[2].

إما ومعناها:

يقول الإمام: "{إمّا} للشّكّ والتّخيير، ولم يعقب كلاما مستقلا بنفسه بخلاف (أو). واعلم أنّ {إمّا} ربّما وصلت بالفعلين بـ (أن) كههنا، وقوله: {إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً} [الكهف:86] وربّما وصلت بالفعلين بغير (أن) كقوله: {إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} [التّوبة:106]، فإن وصلت بـ (أن) حلّ الفعلان محلّ المصدر وكان فيهما معنى الأمر على سبيل التّخيير، وإن وصلت بغير (أن) كانا خبرين، والواجب من الخبرين أحدهما لا بعينه، وفائدة الآخر الإيهام واللبس، والتّقدير ههنا: إمّا إلقاء منك وإمّا تسليم لنا لنلقي. وإنّما خيّروا موسى لجرأتهم ولاستواء الأمرين عندهم ولقصدهم قطع عذر موسى عليه السّلام من كلّ وجه"[3].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 234)
(2) المصدر السابق (ج2/ 572)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 687)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: جهود عبد القاهر الجرجاني الصرفية

تمهيد:

لم يعرض عبد القاهر الجرجاني للمسائل الصوتية كمقدمة للدراسة التصريفية، لكنه أضاف شيئًا في موضوعاته التصريفية التي خصص لها كتابه "المفتاح"، حيث أضاف فيه باب المعاني في الأفعال، وهي المعاني التي تكتسبها بالزيادات، فهو يربط الشكل بالمعنى، كما ربط بين علم النحو وعلم المعنى. اعتمد الإمام عبد القاهر في هذا الكتاب طريقه الإيجاز، فهو اكتفى بإيراد القاعدة، والتمثيل لها بمثال أو اثنين، إن القدماء سبقوه إلى ذلك، لكنهم لم يخصّصوا لها بابًا مستقلاً ضمن موضوعات التصريف، كما أدخل ضمن تلك الموضوعات باب الاشتقاق، الذي فصل المازني وابن جني بينه وبين موضوعات التصريف[1]، واهتمّ الإمام بإيراد التصريفات والأمثلة، فاهتمّ بتصريف الأفعال إلى صيغها التصريفية الزمنية، وصرّفها مع نون التوكيد، وغيّر صيغها إلى النهي والأمر والجحد والنفي[2]، ثم اهتم بإيراد صيغ هي التي تلزم في التراكيب، ولم يدخل أبوابًا تصريفية كالتصغير والنسب والتثنية والجمع والتأنيث. ولعلّ من أبرز ما يتّصل بمنهجه، أنه لم يدخل في موضوعاته المسائل التي يقصد بها التدريب والتمرين، التي تعتمد على التعمّل وكدّ الذهن، واقتصرت موضوعاته على وصف ظواهر لغوية وتحليلها وفق مفهومه، وهو يصرّح بعدم أهميّة تلك المسائل، ولا يرى حرجًا في طرحها وإهمال النظر فيها، فهو يقول في (دلائل الإعجاز): "فإن بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للرياضة، ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس، كقولهم: كيف تبني من كذا كذا، وكقولهم: ما وزن كذا، وتتبّعهم الألفاظ الوحشية" [3].

فطن الإمام عبد القاهر الجرجاني للمفهوم الحديث للتصريف وكل ذلك في إطار نظريته المشهورة نظرية النظم، فبين دلالات الألفاظ حين تتغير صورها وما يترتب عن ذلك من معان جديدة كما التصريف عند المحدثين: يعنى بالنظر فيما يعرض من للكلمات من تغيير في الصورة والشكل لاختلاف المعاني أي تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لاختلاف المعاني، حيث المقصود بالغرض المعنوي هو المعاني أو القيم الصرفية التي تكتسبها الصيغة بتغيرها إلى

(1) ينظر: ابن جني، المنصف (ج1/3-4)

(2) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص6- 13)

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 80-81)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صورة جديدة، أو قُلْ: إنّها الخواصّ الصرفية للكلمات التي يترتب على وجودها وجود خواصّ معيّنة في الجمل والتراكيب، فلا يقصد بالغرض المعنوي المعاني المعجميّة[1].

الظواهر الصرفية في درج الدرر:

1- الإبدال:

الإبدال في اللغة:

يقال : بدل الشيء غيره ، وتبدل الشيء وتبدل به واستبدله، كله اتحذ منه بدلًا، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، "والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله"[2].

الإبدال في الاصطلاح:

هو وضع حرف مكان حرف آخر بشرط ألا تكون هذه الحروف حروف علة تبدل في ما بينها لأن هذا يسمى إعلالًا و هو موضوع آخر. والإبدال قانون من القوانين الصوتية والصرفية في آن واحد ، بمعنى أنه قد تجتمع عوامل صوتية و صرفية معًا لتؤدي إلى حدوث الإبدال في اللفظ، وتفيد معرفة الإبدال مرونة اللغة في أمور كثيرة، أهمها تمكينه من حسن استخدام المعجم؛ لأنه بمعرفته بوجود إبدال في كلمة ما يتمكن من معرفة أصلها المبدل منه وبالتالي يقوم بإرجاعها إلى أصلها مما يسهل عليه البحث عن معناها داخل المعجم، "ومن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون "مَدَحَه، ومدهه" و"فرس رِفلٌ. ورِفنٌ" وهو كثير مشهور قد ألَّف فيه العلماء، فأمّا ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه قوله سبحانه: **{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء: 63]** فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب: (فلقُ الصبح وفرَقه). وذُكر عن الخليل أنه قال في قوله سبحانه: **{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا} [الإسراء: 5]** {فَجَاسُوا}: إنما أراد فحاسوا فقامت الجيم مقام الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقُّه عنه"[3]، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: {بِبَكَّةَ} هي الكعبة، و(بكّة): هي مكّة؛ لأنّ الباء قريبة من الميم في المخرج. وقيل:

---

(1) ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة (ص229 – 231)

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج11/ 48)

(3) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص 154)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنّ النـاس يتبـاكّون، يتزاحمـون فيهـا أيّـام الموسـم. ويقـال: بكّـة، كأنّهـا تبـكّ أعنـاق الجبـابرة لاتّضاعهم فيها"[1]. "وممن ألَّفَ في هذا النوع ابن السكيت وأبو الطيب اللغوي، قال أبو الطيب في كتابـه: " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتَعَمَّد تعويض حرف من حرف وإنما هـي لغـاتٌ مختلفـة لمعـانٍ متفقـةٍ تتقـارَبُ اللفظتـان فـي لُغتين لمعنـى واحد حتـى لا يختلفا إلا فـي حـرفٍ واحد"[2].

الاختلاف حول الإبدال:

اختلف العلماء حول ما يدخل في دائرة الإبدال وما يخرج عنها، ويمكن تمييز ثلاثة آراء رئيسة:

رأي المتوسعين: يرون أنّ الإبدال قد يقع بين كل حرف وآخر من حروف اللغة، سواء كانت متقاربة المخارج أو كانت متباعدتها، فالإبدال يتسع في جميع حروف اللغة.

رأي المضيقين: وهم الذين وضعوا شروطًا لتحقق الإبدال، ومن هؤلاء ابن جني الذي اشترط تقارب المخارج؛ "واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولا سيما حروف الحلق"[3].

رأي المتوسطين: يمثلهم ابن سيده الذي اشترط فقط تقارب المخرجين، وذلك قولهم فوك في الإضافة [4].

الفروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي:

هناك فروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي ومنها:

1- أن الصرفي له قواعد منضبطة ثابتة كما أنه مطرد منقاس مثل إبدال الواو أو الياء همزة في اسم الفاعل: نحو: قائل، وبائع. أما اللغوي فهو سماعي لا ينقاس ولا يطرد.

2- الإبدال الصرفي ضروري في الاستعمال فالإبدال واجب في مثل: قاول، وسماء، فلا بد أن يقال: قائل، وسماء. أما الإبدال اللغوي: فمن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، وهو سماعي غير مطرد في كلام العرب، ولكنه يختلف باختلاف القبائل [5].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 509)
(2) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 356)
(3) ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج1/ 79)
(4) ينظر: ابن سيده، المخصص (ج1/ 121)
(5) ينظر: ابن فارس، الصاحبي(ص154) إبراهيم أنيس، اللهجات العربية (ص72)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الإبدال الصرفي لا يجوز فيه استعمال الصيغة الأصلية مثل: قاول وإنما يقال: قائل، فالصيغة الأولى لا تستعمل لأنه لا وجود لها في اللغة، وإنما يؤتى بها للتوضيح والتعليم.

أما الإبدال اللغوي فالصيغتان تستعملان كأن ينطق العرب بالذال أو الثاء مثل: جذا، وجثا.

4- الإبدال الصرفي يقع في حروف محدودة فابن مالك يراها تسعة. جمعها في قوله: (هدأت موطيًا) وفي التسهيل يراها ثمانية جمعها في قوله: (طويت دائمًا). وعلى اختلاف عِدَّتها فهي محصورة. أما الإبدال اللغوي فليس له حروف محصورة لأنه سماعي واللغة كلها مجال له [1].

الإبدال في تفسير درج الدرر:

ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني أمثلة كثيرة للإبدال في تفسيره: وذلك ما جاء في أثناء كلامه على قوله سبحانه: **{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها} [البقرة:72]** إذ قال: {فَادّارَأْتُمْ} تدافعتم. صيّرت التاء دالًا وأدغمت في الدال، فصارت المدغمة ساكنة، فابتدئ بها بهمزة الوصل، نظيره: **{إِثّاقَلْتُمْ} [التوبة:38] و {تَّساءَلُونَ} [النّساء:1]**"[2]. وفي قوله سبحانه: **{قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ} [البقرة:111]** ذكر أنّ "(هات): أداة للسؤال كما أنّ هاء وهاك أداة للإعطاء "ثمّ بيّن أنّ أصل هذه الأداة فعل، وأنّ هاءها مبدلة من همزة، فقال: "والأصل فيه فعل، أي: آت، فقلبت الهمزة هاء كما في هراق، ثمّ جعل من حيّز الحروف فمنع الصّرف إلا على جهة الأمر"[3]، وفي قوله سبحانه: **{قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا} [البقرة:170]** يقول: "و(الآباء): جمع أب، والهمزة التي هي فاء الفعل مبدلة لاجتماع الهمزتين"[4]، أي أنّ أصله (أأباء) على وزن (أفعال) فأبدلت الهمزة الثّانية، وهي فاء الكلمة، ألفا للتّسهيل، وربّما أورد المثال من غير تفصيل، كما فعل في تفسيره قول الحق سبحانه: **{فَدَلّاهُما بِغُرُورٍ} [الأعراف:22]** فذكر معاني (دلاهما)، ومنها: "وقيل: جرّأهما، من الدّلّ والدّالّة، فصيّرت إحدى اللامات ياء"[5] ثمّ قلبت الياء ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، وفي قوله سبحانه:**{وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ} [النساء:86]** يقول الإمام: "والتّحيّة على وزن التّفعيل من الحياة، وأصله بثلاث ياءات حذفت التي هي

---

(1) ينظر: ابن مالك، الألفية (ص 75)
والمرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ج3/ 1563)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 180)
(3) المصدر السابق (ج1/ 227)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 275)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 646)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لام الفعل وعوّض منها هاء وأدغمت إحدى الباقيتين في الأخرى كالتّوصية، وقولك: التّحيّات لله، قيل: الإحياء لله تعالى، تقول: حيّاك الله، أي: أحياك الله"(1). وكذلك فعل في قوله سبحانه: {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف:54] إذ قال عن (ستّة): "أصله: سدسة"(2)، وواضح أنّه يعني أنّ التّاء مبدلة من الدّال والسين، وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة حدث في أفعالها إبدال مثل قوله سبحانه : {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق: 17 - 19] ففعل (اتسق) مشتق من (وسق)المثال الواوي، وقوله سبحانه أيضًا: {أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [الزمر: 24] ، والشاهد هنا هو فعل (يتقي) المشتق من (وقى) المثال الواوي كذلك، وقوله : {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} [يس: 56] ، حيث اشتق اسم الفاعل الذي جاء جمع مذكر سالم (متكئون) من (وكأ) المثال الواوي، إلى غير ذلك من الآيات التي لا يتسع المجال لذكرها هنا. فإذا كان الفعل ثلاثيًا فاؤه (أي حرفه الأول) دال أو ذال أو زاي فإن تاء الافتعال تبدل دالًا، وهذا النوع من الإبدال موجود أيضًا في كتاب الله في مثل قوله سبحانه: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: 49] والشاهد هو قوله (تدخرون) الذي اشتق من (دخر) وطبقت عليه قاعدة الإبدال السالفة الذكر، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "و(الادّخار): افتعال من الذخر، فالذّخيرة ما تعدّ لثاني الحال من متاع ونحوه"(3)، وكذلك بقوله سبحانه : {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} [يوسف: 45] ،الذي حدث في فعلها (ادكر) إبدال وهو مشتق من (ذكر) ، ومنه أيضًا قوله سبحانه : {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} [القمر: 9] حيث وقع إبدال في (ازدجر) الذي اشتق من (زجر)، ويقول الإمام "{أَوْ مُدَّخَلًا} مدخلًا، أصله: مدتخلًا على وزن (مفتعل)"(4). وإذا كان الفعل ثلاثيًا فاؤه صاد أو ضاد أو طاء او ظاء فإن تاء الافتعال تبدل طاء مثل قوله سبحانه : {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج: 75] والشاهد هو (يصطفي)، وقوله سبحانه كذلك: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: 24]حيث حدث إبدال في (نضطرهم)، وقوله أيضًا: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل: 7] ، ففعل (تصطلون) جاءت فاؤه صادًا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 513)

(2) المصدر السابق (ج1/ 658)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 399)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 775)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(صَلِيَ ـ يَصْلَى) وبالتالي لو صيغ على وزن افتعل سيصبح (اصتلى) ثم بعد تطبيق قاعدة الإبدال (اصطلى). وفي مثله بيّن الإمام معنى (الاصطفاء) في قوله تعالى: **{وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ} [البقرة:130]**، يقول: "وهو على وزن الافتعال، وإنّما جعلت التّاء فيه طاء لموافقتها الصّاد في الإطباق فبيّن سبب الإبدال وهو موافقة الطّاء الصّاد"[1].

2- الإعلال:

الإعلال في اللغة والاصطلاح:

الإعلال: هو تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه، أو إسْكانه، أو حذفه؛ فأنواعه ثلاثة: القلب، والإسكان، والحذف"[2].

الفرق بين الإعلال والإبدال:

أما الإبدال: فهو جعل مُطْلَق حرف مكان آخر. فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب، لاختصاصه بحروف العلة، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكْسَ، إذ يجتمعان في نحو قال ورمى، وينفرد الإبدال في نحو اصْطَبَر وادَّكر، وخرج بالمكان العِوَض، فقد يكون في غير مكان المعوَّض منه كتاءَي عِدَة واستقامة وهمزتي ابن واسم، وقال الأشموني: قد يُطلق الإبدال على ما يُعم القلب، إلا أن الإبدال إزالة، والقلب إحالة والإحالة لا تكون إلا بين الأشياء المتماثلة، ومن ثَمَّ اختص بحروف العلة والهمزة، لأنها تقاربها بكثرة التغيير " [3].

"أما القلب: وملخصه أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قُلِبَتَا ألفًا كما في قال وباع ونوى ورمى وغزا، ولا تقلبان إذا سكن ما بعدهما أو كانتا عينًا لفعل كحور وعين، أو لفعل الذي الوصف منه على وزن أفعل نحو: عور وعين، أو افتعل الواوي كاجتوروا، أو ما آخره زيادة تختص بالأسماء كدوران، أو كانت إحداهما أول حرفين مستحقين لهذا القلب نحو: حَيَوَان"[4]، ويذكر الإمام القلب بقوله:"{أَحَدُهُمْ} أحد الجمع اسم عام يتناول الكلّ على سبيل الإفراد، قال الله تعالى: **{يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ} [الأحزاب:32]**، وتقول العرب: يلبث أحدنا أيامًا لا يأكل ولا يشرب. وربّما تميّز وصار بمعنى الأوّل في إثبات، قال الله تعالى: **{أَمّا أَحَدُكُما**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 247)

(2) أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف (ص 121- 122)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ص 122)

(4) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (ص 276)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ} [يوسف:41]، والآخر الآخر لا محالة. ويسمّى اليوم الذي بعد السبت يوم الأحد، وهو في العربيّة الأولى اليوم الأوّل، وهو في الأصل: وحد فقلبت الواو همزة كما في (أناة)"[1]. وقوله:"{دَسّاها} دسسها فقلبت إحدى السّينات ياء كما في تقضّى وتصدّى، والتّدسيس الإخفاء والتّعليل، ذكر أبو عبيد الهرويّ. وقال أحمد بن فارس: هو من دسا يدسوا إذا غمّض وقلّ. والمزكّى والمدسّى على سبيل التّقدير هو الله تعالى، وعلى سبيل مباشرة الفعل هو الإنسان ذو النّفس"[2].

وردت أمثلة كثيرة على الإعلال في (درج الدرر) ما جاء في سورة الفاتحة:{إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]، يقول الإمام: {نستعين} يقول الإمام: "وهو في الأصل: نستعون، فنقلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها فانكسر ما قبل الواو فانقلبت ياء، نحو: ميعاد وميزان"[3]، وفي قول الحق سبحانه: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [البقرة: 49] يوضح الإمام دلالة كلمة (آل): {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} من عبوديّة فرعون وآله، كقوله: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [النساء:54]، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:46]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: (إنّا آل محمّد لا تحلّ لنا الصّدقة) ، وقال: (اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى). وأصل (الآل): الأهل، فقلبت الهاء همزة كما في (هيّاك) و(هراق)، ثمّ أبدل من الهمزة الساكنة ألفا ك (آخر) و (آدم). وتصغير الآل: أهيل إلا عند الكسائي فإنّ عنده: أويل. وآل الرجل: من يؤول إليه ويؤولون إليه، ويعتمد عليه ويعتمدون عليه من الذرّيّة والعشيرة والأتباع"[4]. وفي الآية نفسها في قوله تعالى: {يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ} تحدّث عن قلب الواو همزة في (أبناء) بعد أن بيّن أصل (الابن) فيقول: "وأصل (الابن): بنو، نحو: سمو، وقيل: بني، نحو: يدي، وقيل: بنو استدلالًا بقولهم: بنون وبنين. وإنّما انقلب الواو والياء همزة لوقوعهما طرفا وقبلهما ألف كالدّعاء والعطاء؛ لأنّ تقدّم الألف عليه كتقدّم الحرف المفتوح فصار في التقدير ألفا فلمّا حرّكت انقلبت همزة" [5]، وبعد أن بيّن أصل (التّوراة) عند الكوفيّين في قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ} [آل عمران:3] ذكر ما حدث فيها من إعلال، فقال: "أصل التّوراة عند

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 237)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 714)
(3) المصدر السابق (ج1/ 102)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 151)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 152)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكوفيّين: تورية بوزن توصية، فلمّا أخرجوا اللّفظ من حيّز الأفعال إلى الأسماء نقلوا حركة عين الفعل إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها"، وفي حديثه عن {السَّماواتِ} في قوله سبحانه: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ} **[الأعراف:54]** يقول: "إنّما لم يجمع سماءات؛ لأنّ الهمزة في وحدانها غير أصليّة، وهي واو انقلبت همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة"[1]، ويذكر الإمام في موضع آخر قبل هذا أنّ (السّموات) جمع (سماوة)، وأنّ (سماء وسماوة) بمعنى، وذلك في تفسيره قوله سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} **[البقرة:164]** إذ قال عن (السّموات): "جمع سماوة، مثل: حمامات وحمامة. والسّماوة والسّماء بمعنى، وإنّما جمع السموات ولم يجمع الأرض؛ لأنّ السموات من أجناس مختلفة، والأرض من جنس واحد وهو الصّعيد "[2]، وفي قول الحق سبحانه: {عَلَى شَفا جُرُفٍ هارٍ} **[التوبة:109]** يتحدّث الإمام عن نوعين من الإعلال في (هار) أحدهما بالقلب والآخر بالحذف فقال: "(هار): هائر، قدّمت لام الفعل وأخّرت عينه على سبيل القلب، كقولك: هو شاكي السّلاح وشائك، وقد تحذف الهمزة من (هائر) حذفًا حقيقيًّا من غير قلب، في حديث خزيمة وذكر السّنة قال: تركت المخّ رارا والمطيّ هارا"[3]. ويقول:"و(الموتى): جمع ميّت ، وأصله عند الفرّاء: مويت، كصريع وصرعى، وجريح وجرحى، فاستثقلت الكسرة على الواو والخروج من الواو إلى الياء، فجعل ياء، فأدغمت الياء في الياء، وقيل: أصله: ميوت"[4].

3- تعاقب الصيغ:

لم يذكر العلماء تعريفًا محدّدًا لمصطلح التّعاقب يمكن تمييزه عن غيره من الظواهر التي تندرج تحت هذا الاسم، ويمكن أن يُتّخذ دليلًا على وصف هذه الظّاهرة اللغويّة، وكان وروده في مصنّفاتهم – في الغالب – كأنّه لفظة شارحة، تصف مسألة من مسائل اللغة، وتوضّح ما جرى فيها، يقول الخليل بن أحمد: "وكل شيء يعقب شيئا فهو عقيبه كقولك: خلف يخلف بمنزلة الليل والنهار إذا قضى أحدهما عقب الآخر فهما عقيبان كل واحد منهما عقيب صاحبه، "[5]، " والتّعاقبُ والاعتقابُ: التداول، والعقيب: كل شيء أعقب شيئًا هما يَتَعاقبان

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 658)
(2) المصدر السابق (ج1/ 270)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 798)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 207)
(5) الخليل بن أحمد، معجم العين (ج1/ 179)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويَعتقبان: إذا جاء هذا وذهب هذا، كالليل والنهار عَقيبان، فكلُّ واحد منهما عَقيب صاحبه، وعَقيبُك الذي يُعاقبك في العمل، يعمل مرةً، وتعمل أنت مرة" [1].

يسمّي أبو علي القالي هذه الظّاهرة بالتَّعاقب، ويقصرها على تعاقب الأصوات، ويفرد لها حديثًا مطوّلا في أماليه، تجاوز مائة وخمسين صفحة في أبواب متفرّقة، وجاءت كلّها تحت مادة: عقب، وممّا قاله: "وقال أبو نصر عن الأصمعي: عاقب يُعاقبُ معاقبة، إذا راوح. وقال أبو عبيدة – رحمه الله – عن الأصمعي: أعقبتُ الرجلَ: إذا ركبتُ عُقبة، وركبَ عُقبة"[2]، كما تحدّث عن تعاقب: الفاء والثاء[3]، واللام والنون[4]، والميم والباء[5]، وتوسع ابن جنّي (ت 392هـ) في دلالة التَّعاقب، فهي لا تقتصر عنده على التَّعاقب الصّوتي، بل تتعدّاه إلى الدّلالتين: الصّرفية والنحويّة، يقول: "الألف والنون عاقبتا تاء التأنيث، وجرتا مجراهما[6].

يقع التعاقب بينَ جملة من الأصوات المُتقاربة المخارج ، ويكون أحد هذه الأصوات أصلًا والآخر مُعَاقِبًا لهُ . ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني عددًا من الصّيغ الصّرفيّة التي تتعاقب فيما بينها، وتتّفق في المعنى، ففي كلامه على الاستعاذة في بداية الكتاب تحدّث عن مجيء (فعيل) بمعنى (مفعول)، فقال: "الرّجيم: بمعنى المرجوم، كالقتيل بمعنى المقتول، سمّي بذلك لأنّه يرجم بالشّهب، أو لأنّه يلعن ويشتم"[7]. وذكر تعاقب (فعيل) و (مفعل) عند حديثه عن (بديع) في قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ} **[البقرة:117]**، واستدلّ له ببيت من الشّعر أيضًا، فقال: "فعيل بمعنى المفعل كالسّميع والأليم، قال:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعي السَّمِيعُ ... يُـؤَرِّقُني وأَصْحَابِي هُجُوعُ "[8].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج1/ 616)
(2) أبو علي القالي، أمالي القالي (ج1/ 185)
(3) المصدر السابق (ج2/ 34)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 41)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 52)
(6) ابن جني، الخصائص (ج3/ 211)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 99)
(8) المصدر السابق (ج1/ 232)، البيت لعمرو بن معدي كرب، الديوان(ص 136)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قوله سبحانه: {وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} **[البقرة:265]** يذكر أنّ (التّفعيل) قد يأتي بمعنى (التّفعّل) فقال: "{وَتَثْبِيتًا} تثبّتًا، والتّفعيل يجوز مكان التّفعّل عند زوال الاشتباه، قال الله تعالى: {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} **[المزّمّل:8]** وقيل: تثبيت النّيّة أو الثواب "[1]. وفي الحديث عن قول الحق سبحانه: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً} **[آل عمران:37]** يبيّن الإمام بوضوح تعاقب الصّيغ الصرفية، فلم يكتف بما جاء منها في الآية بل استدلّ بغيرها أيضًا فذكر أنّه قال: {بِقَبُولٍ} ولم يقل: بتقبّل؛ لأنّهما بمعنى، وكذلك لم يقل: إنباتًا؛ لأنّ في النّبات معنى الإنبات، كقوله: {أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً} **[البقرة:100]**، ولم يقل: معاهدة، وقوله: {مَتاعًا} **[البقرة:236]** في آية المتعة، ولم يقل: تمتّعًا، وقوله سبحانه: {إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ} **[البقرة:282]**، ولم يقل: بتداين"[2]، وفي قوله سبحانه: {رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً} **[آل عمران:191]** يقول: "وقيل: الباطل ههنا بمعنى المبطل، أي: ما كنت مبطلا في فعلك"[3].

4- أبنية الكلام والصيغ الصرفية:

من الأمور التي اهتم بها الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله هو بناء الكلمة، وذلك لأن معرفة بنية الكلمة وهيئتها يزيد من بيان معناها وتوضيح دلالتها.

أ- يبيّن أصل الكلمة من غير أن يورد خلافًا بين العلماء: ومن ذلك قول الحق سبحانه:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ} [الحج:1]، يقول في أصل الزلزلة نقلًا عن علقمة قوله: "إن الزلزلة قبل الساعة، وهو الاضطراب الشديد، وأصله من الزلل"[4] وفي قوله سبحانه: {فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم:44] يقول: "المهد والتمهيد بمعنى، وهي توطئة المسير، وأصله من توثير الفراش"[5].

ب- يذكر الوزن الصرفي للكلمة وتوضيح المعنى: ومنه قول الحق سبحانه: **{وَالصِّدِّيقِينَ} [النساء:69]**، يذكر وزن كلمة (الصّدّيق) فيقول: "فعّيل من الصدق، وهي لأقصى غاية المبالغة في الوصف أو التصديق، والصديق المجمع عليه هو أبو بكر"[6]، ومما يبرهن أن كتاب تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني نجد توافقًا بين ما ورد في تفسيره وبين ما

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 361)
(2) المصدر السابق (ج1/ 393)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 457)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 330)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 438)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 503)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورد في كتاب (المفتاح في الصرف) فيقول الإمام في المفتاح: "تقلب ياء "فُعْلَى" اسمًا، واوًا في نحو: طُوْبَى وكُوسَى، ولا تقلب في الصفة، ولكن يكسر ما قبلها، فتسلم الياء، نحو: مِشية حِيْكَى، وقِسمة ضِيْزَى"(1)، وفي درج الدرر يقول: "{طُوبى} اسم على وزن فُعلى، وهو اسم جامع لكل ما يستطاب، فكأنّها الحياة الطيبة بروح الاتحاد "(2). ويقول الإمام في موضع آخر: "{إفْتَرَى} (افتعال) من الفري، وهو القطع، وكأنّ المختلق يقطع شيئًا من موهومه الباطل فيتكلّم به"(3).

ج- إن منهج الإمام الاختيار والانتقاء من مدرستي البصرة أو الكوفة بما ناسب رؤيته، ولكنّه ظلّ على منهجه البعيد عن الخوض في الخلافات، كما فعل في حديثه عن (أشياء)، إذ اكتفى بتفسير قول الفراء بقوله: "و{أَشْيَاءَ} جمع شيء، وشيء في الأصل شئيء على وزن شفيع، فليّنت الهمزة الأولى وأدغمت كما في ميّت وهيّن فصار شيّئًا ثم استخفّ بحذف المدغم"(4). يكتفى الإمام عبد القاهر الجرجاني بتفسير قول الفراء: إنّ أصل (شيء) (شيّئ)، فقال: "و {أَشْيَاءَ} جمع شيء، وشيء في الأصل شئيء على وزن شفيع، فليّنت الهمزة الأولى وأدغمت كما في ميّت وهيّن فصار شيّئا ثم استخفّ بحذف المدغم، وأعرض عن ذكر الأقوال الكثيرة في وزن (أشياء) نفسها، واكتفائه بتفسير قول الفراء يوحي بموافقته له في ما ذهب إليه، لكن هذا لا يعنى موافقته آراء الكوفيين جمعيها، ويؤكد هذا أيضًا مبدأ الانتقاء فما أورده في المفتاح موافقًا رأيه في درج الدرر واختياره رأي الفراء أيضًا، لكنه يشير إلى رأي الكسائي- وهذا يدحض ما جاء به محققا درج الدرر(الفرحان وشكور) بأنه كوفي- فيقول في المفتاح: "الأشياء جمع شَيْء، أصلها: أَشْيِئَاء كأصْدِقَاء، على وزن أفْعِلاء قدّمت الهمزة التي هي لام الكلمة، فصار وزنها: لَفْعَاء، وقال الكسائي: أفْعال، وقال الفرّاء: أفْعَاء"(5). فتكاد تجمع المصادر أنّ "الأشياء" جمع شيء، أصلها: أشْيِئاء على وزن أفْعِلاء هو رأي الأخفش والفراء، وعبد القاهر يتصل بمذهب الأخفش عن طريق أبي علي الفارسي عن طريق أبي الحسين محمد بن الحسين ابن عبد الوارث الفارسي – ابن أخت أبي علي وقال الكسائي: أفْعال، وقال الفرّاء: أفْعَاء "(6).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص 111)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 154)
(3) المصدر السابق (ج1/ 414)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 588)
(5) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص109- 110)
(6) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، حاشية المفتاح في الصرف (ص 109- 110)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- يبيّن الإمام الفرق بين معنى كلمتين لهما اعتمادًا على وزن الكلمة: فمن ذلك ما جاء في تفسير قول الحق سبحانه: {تَبْغُونَها عِوَجاً} [آل عمـران:99]، إذ يقول: "والعوج، بكسر العين: الزيغ في الرأي، والعوج، بالفتح: الميل فيما يكون منتصبًا"(1).

هـ- يوضح الإمام كلمة بكلمة أخرى أكثر شهرة منها ومشتركة معها بالوزن: ومثالها ما جاء في تفسير قوله سبحانه: {أَوْ كانُوا غُـزًّى} [آل عمـران:156]، فيقول: "جمع غازي، كركع وسجد، جمع راكع وساجد"(2). ويبين بإيجاد التضاد والاشتراك في الوزن:"{سَيِّئَةً} خصلة سيّئة، نقيض: خصلة حسنة. ووزنها (فعيلة) في قياس قول الفرّاء وأهل الكوفة"(3).

و- يبين الإمام مفرد الكلمة: فعند حديثه عن كلمة (الآلاء) في قول الحق سبحانه: {فَـاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ} [الأعــراف:69]، يقول: "الآلاء: النعماء، واحدها ألى وإلى"(4). وكذلك يبين مفرد (أفئدة) في قوله سبحانه: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ} [إبـراهيم:37]، فيقول: (واحدها فؤاد)"(5)، ويقول: وواحدة (الأيمان): اليمين، وهي الحلف، وإنّما سمّي يمينًا لأنّهم كانوا يصافحون بأيمانهم عند ذلك وقيل: للتّوثيق والتشديد، واليمين: القوّة عندهم وعن ابن عبّاس أنّ اليمين اسم من أسماء الله تعالى، فإن صحّت فاليمين بمعنى اليامن، تقول: يمن الله الإنسان يَمنًا ويُمنًا فهو ميمون، تقول العرب: يمين الله، وأيمن الله وأيمن"(6).

ز- تبيان الجموع وصيغها وأصولها وطرائقها كثير في تفسير درج الدرر: يقول الإمام: "(عرفات) اسم واحد على صيغة الجمع"(7)، ويأتي بالجمع وتوضيح أصله واعتباراته ففي قوله سبحانه: {إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} [يوسف: 68] يقول: أمضاها، وأظهرها. والحاجة: قضية النفس، جمعه حوائج. وقيل: أصله حائجة"(8)، وفي قوله سبحانه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [النساء: 87]، يقول: "تسلية للمؤمنين وزجر لغيرهم، و{إلى} لاعتبار معنى الجمع، وهو الحشر والإرجاء والتّأخير، أو يكون يوم القيامة من المجموع كما تقول: جمعت الخيل إلى الإبل، أي:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 417)
(2) المصدر السابق (ج1/ 444)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 188)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 672)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 165)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 321)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 301)
(8) المصدر نفسه (ج2/ 139)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضممت"[1]. وكذلك عند تفسيره قوله سبحانه: {أَرَاذِلُنا} [هود:27]، يقول: "جمع أرذل، وأرذال جمع رذل: وهو النذل الخسيس"[2]. ويبين جواز واحتمالات مجيء بعض المفردات في معنى المفرد والجمع : {السَّماءِ} لفظه لفظ الوحدان ومعناه معنى الجمع، فجمع ما بعده على المعنى. ويجوز أن يكون واحدًا يراد به الجنس، كما يقال: كثر الدّرهم والدّينار في أيدي الناس. ويجوز أنّه أراد بالجمع نواحيها، كما يقال: ثوب أخلاق، ويحتمل أنّه كنّى عمّا لم يسبق ذكره، كقوله: {إِنّا أَنْزَلْناهُ} [القدر:31]"[3]، وعن الجموع التي لا واحد لها من لفظها، يقول: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} [البقرة: 54] والقوم: اسم للجماعة لا واحد له من لفظه، يطلق على العقلاء خاصّة {يا قَوْمِ} تقديره: يا قومي، إلا أنّه اكتفى بكسرة الميم عن الياء، كما تقول: يا ربّ"[4]، "و(المنّ) كان شيئًا من جنس التّرنجبين، و(السّلوى) كان طيرًا يشبه السّماني، ولا واحد له من لفظه عند الأخفش، وقال الخليل: الواحد: سلواة، ويقال: السّلوى: العسل، وقال: [من الطويل]

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ ... جَهْدًا لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا "[5]

ويقول :(الملأ): الوجوه والأشراف، لا واحد له من لفظه، والأملاء جمع الجمع. وقيل: الملأ: جماعة تمتلئ بها الأعين، وسمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رجلًا يقول يوم بدر: قتلنا عجائز صلعًا، فقال صلّى الله عليه وسلّم: "أولئك ملأ من قريش لو حضرت فعالهم احتقرت فعالكم "[6]. وعن الجموع التي لها مفرد من لفظها، يقول: "{مَقَامِعُ} واحدها مقمعة، وهي كالهراوة العظيمة، تسمّى: جرزًا، وقيل: مشتقّ من قولهم: قمعته فانقمع، أي: أذللته فذلّ"[7]، ويقول: و(الطّاغوت): اسم لكلّ معبود دون الله تعالى، أو مطاع في معصية الله. وهو واحد يذكّر في لفظه، مشتقّ من الطّغيان، وقال أبو عليّ: هو مصدر يوضع موضع الجمع والواحد "[8]، ويقول الإمام:"{وَالْأَنْعامِ}

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 513)
(2) المصدر السابق (ج2/ 100)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 136)
(4) المصدر السابق (ج1/ 156)
أبو ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين(ج1/ 158)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 158)
(6) المصدر السابق (ج1/ 344)
(7) المصدر نفسه (ج2/ 333)
(8) المصدر نفسه (ج1/ 352)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جمع نعم ، والنعم: الماشية من الإبل والبقر والغنم، لا واحد له من لفظه"[1]، ويقول أيضًا: و(الأنعام): جمع النّعم، وهو، جمع لا واحد له من لفظه. ويقع ههنا على البقر الوحشيّة والظّباء والوعول لقوله: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ}،{إلاّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ} استثناء من بهيمة الأنعام، والمراد به الميتة ونحوها"[2]، وعن صيغة جمع الجمع يقول الإمام: "العالمون: الإنس والجنّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، لقوله: **{لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً} [الفرقان:1]**، وهو جمع الجمع، ولا واحد له من لفظه، وقيل: العالم ما حواه الفلك، ثمّ كلّ جنس منه عالم على حدة عند التفصيل، وبيانه أنّ الجنّ عالم، والإنس عالم، والطير عالم، والمواشي عالم، ثمّ كلّ جماعة كثيرة من كلّ جنس عالم، وبيانه أنّ العرب عالم، والعجم عالم، وأهل كلّ عصر عالم"[3].

ح- يعلل الإمام مجيء كلمة على صيغة معينة: ومنه قوله سبحانه: **{وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} [الإسراء:72]**، يقول:" إنّما جاءت التفضيل على لفظة أعمى عند الفراء، بخلاف التفضيل في الألوان؛ لأنّ المراد به: عمى القلب، وعمى القلب من فعل الإنسان بغفلته، يجوز أن يقال: فلان أعمى من فلان في القلب، ولا يجوز في العين. وقال بعض النحويين: كل نعت على أفعل، والفعل منه ثلاثي عار عن الزيادات الملحقة فالتفضيل منه على لفظة أفعل جائز. تقول: عمي وزرق وعشي، فهو أعمى وأزرق وأعشى من فلان. وأنكره الفراء؛ لأنّ الكثرة في هذه الأفعال غير متصورة، والتفضيل يكون بعد الكثرة كالمبالغة"[4].

ط- وعن التذكير والتأنيث يبين تنوع الصياغة: ومنه قوله سبحانه:**{إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ} [البقرة:232]** "والتّراضي تفاعل من الرّضا، والتّفاعل يكون بين اثنين فصاعدًا"[5] وفي قوله سبحانه: **{جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ} [يونس:22]** ذكر أنّ اختصاص العصوف بالرّيح يغني عن علامة التّأنيث، ثمّ نقل في (عاصف) أكثر من لغة، فقال: "قال الفرّاء: تقول: ريح عاصف وعاصفة على لغتين، وأعصفت أيضًا"[6]. ويقول: "و(المدرار) من الدّرّ على وزن مفعال، لا يؤنّث، تقول: رجل مذكار ومئناث، وامرأة مذكار ومئناث"[7]. أما في قوله سبحانه: **{مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 383)
(2) المصدر السابق (ج1/ 543)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 128)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 221)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 328)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 328)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 600)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } [البقرة: 102] "ومرء وامرؤ لغتان، وفي التأنيث: مرأة وامرأة، وكأنّ همزة الوصل إنّما عوّضت من الهمزة الأخيرة إذ لا صورة لها، فسكّنت الميم وهي فاء الفعل وابتدئ بهمزة الوصل كما في الاسم والابن. والتثنية: مرءان وامرؤان ومرأتان وامرأتان، وهي في التأنيث أكثر استعمالًا"[1].

ي- أما دراسة جموع التّكسير فهي مهمّة صرفيّة؛ لأنّها توصل إلى معرفة أصول الأسماء مثلها مثل التّصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، يذكر سيبويه أن: "التّصغير والجمع من واد واحد"[2]. وجموع التّكسير نوعان: أحدهما: جموع القلّة، والآخر: جموع الكثرة. وجمع القلّة يدلّ حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة يدلّ على ما فوق العشرة إلى غير نهاية[3]. وردت أبنية جموع التّكسير في مواضع كثيرة عند الإمام ، ففي تفسير قوله سبحانه: {وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَذِى الْقُرْبى وَالْيَتامى} [البقرة:83] يقول: "{وَالْيَتامى} جمع يتيم كـ (ندامى) جمع نديم، وقيل: إنّه مقلوب كـ (الخطايا)، وقد يجمع اليتيم أيتامًا كاليمين والأيمان، والشّريف والأشراف"[4]، فالأول على غير قياس، والثاني على القول إنّ الخطايا جمع خطيئة على (فعائل)، وهو قول البصريين بخلاف الكوفيين الذين يرون أنّه على (فعالى) "[5]، وفي قوله سبحانه: {وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ} [البقرة:119] يقول الإمام: "أصحاب جمع صحاب، وصحاب جمع صحب، مثل ركاب وركب، ثمّ صحب جمع صاحب، ويحتمل أنّ الأصحاب جمع قلّة"[6]. وفي قوله سبحانه: {وَأَرِنا مَناسِكَنا} [البقرة:128] يقول: "{مَناسِكَنا} إمّا هي جمع (منسك) بالفتح، وهو المصدر، أو جمع (منسِك) بالكسر، وهو موضع النّسك"[7]، أما في قوله سبحانه: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ} [البقرة:154] يقول الإمام: {أَمْوتٌ} جمع مائت، كأصحاب جمع صاحب، وقيل: جمع مويت، كأشراف وشريف، و{أَحْياءٌ} جمع حيّ، وحيّ على وزن (فعيل) في الأصل"[8].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 214)

(2) سيبويه، الكتاب (ج3/ 417)

(3) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ج4/ 114)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 219)

(5) أبو البركات الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (ج2/ 663)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 233)

(7) المصدر السابق (ج1/ 244)

(8) المصدر نفسه (ج1/ 265)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ك- يذكر الإمام التصغير في تفسيره : {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: 17] يقول: "{أَمْهِلْهُمْ} بدل من قوله: {فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ} {رُوَيْدًا} نعت المصدر، أي: إمهالًا رويدًا، وهو تصغير رود، يقال: أرود بفلان، أي: أرفق، أصله من رادت الرّيح ترود رودانًا إذا تحرّكت خفيفة"[1] .

ل- ومن الآراء التي وضّحها وتبناها، وقلّما تشيع في كتب الصرف أن فرّق في الاستخدام بين الجحد والنفي[2]: ففي قوله سبحانه: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 179] يقول: "نزلت في الفرق بين المخلصين والمنافقين، عن ابن جريج ومجاهد وابن إسحق، وذلك أنّ القوم تمنّوا أن يعطوا علامة يعرفون بها أحد الفريقين من الآخر ومعناه: ما الله بتارك للمؤمنين، واللام لام الجحد، وإنّما تنصب لأنّها في الحقيقة لام (كي)"[3]، أما لا فيقول: "و(لا) النفي تدخل على الاسم بمعنى (ليس)، وعلى الفعل الماضي بمعنى (لم)، وعلى المضارع بمعنى (ما)"[4]."يرى أن لاسم الفاعل صيغ مبالغة خاصة، تختلف عن تلك التي تستخدم لاسم المفعول، فبعد اسم الفاعل ذكر المبالغة منه: نصّار ونَصر مُطلقًا، وبعد اسم المفعول ذكر المبالغة منه: مِنْصار ومِنْصر مطلقاً"[5]، فيقول: "و(النّصير): النّاصر، على طريق المبالغة، كالشّهيد والقعيد"[6] ويقول أيضًا: "و(الصّدّيق): فعّيل من الصّدق، وهي لأقصى غاية المبالغة في الوصف بالصّدق أو التّصديق. والصّدّيق"[7].

- صرّح الإمام عبد القاهر الجرجاني بموقفه (أن اللغة بالسماع) بوضوح في تفسيره حين تحدّث عن (المرء) في قوله تعالى: {ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [البقرة:102] فقال: "ومرء وامرؤ لغتان، وفي التأنيث: مرأة وامرأة"، ثمّ بين ما قيل في همزة الوصل في قولهم: (امرؤ وامرأة) فقال: "وكأنّ همزة الوصل إنّما عوّضت من الهمزة الأخيرة إذ لا صورة لها،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1718)

(2) المفتاح في الصرف (ص 13)

الجحد: هو نفي ما في القلب ثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، وليس بمرادف للنفي من كل جهة.

ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات (ج2/ 178) .

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 452)

(4) المصدر السابق (ج1/ 105)

(5) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص 13)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 223)

(7) المصدر السابق (ج1/ 503)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسكّنت الميم وهي فاء الفعل وابتدئ بهمزة الوصل كما في الاسم والابن. وقيل: إنّما سكّنت فاء الفعل في مثل هذه الأسماء وابتدئ بهمزة الوصل؛ لأنّها أسماء كثر دورها على الألسنة، فشبّهت بالأفعال التي على صيغة الأمر"، ثمّ بيّن موقفه من مثل هذه العلل المتكلّفة، وتعويله على السّماع في اللّغة فقال: "ومثل هذه العلل واه، واللّغة بالسّماع"، لكنه لا ينفي القياس على كلام العرب: "وكأنّ المرء موضوع غير مشتقّ، والتثنية: مرءان وامرؤان ومرأتان وامرأتان، وهي في التأنيث أكثر استعمالًا، وأمّا الجمع فلم يرو إلا في حديث: (أحسنوا ملأكم أيّها المرؤون) ، وقال رؤبة لطائفة رآهم: أين يريد المرؤون؟ وهذا جمع سلامة جائز بالقياس"[1].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 253)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : جهود عبد القاهر الجرجاني اللغوية

تمهيد:

أورد الجرجاني نصًا يشتمل على أنواع المعنى الثلاثة المعجمي والدلالي والوظيفي، يقول فيه: " ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيًا وتعجبًا (المعنى المعجمي) وتؤدى في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة (المعنى الوظيفي) هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذى وضعت له من صاحبتها على ماهي موسومة به (المعنى الدلالي) " [1]، وقد قسم الجرجاني المعنى الدلالي قسمين فقال: "الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلًا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة وهى أن تقول المعنى تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[2]. يفرق الإمام بين اللغة الفنية والكلام المعتاد، لا من حيث الصحة اللغوية أو النحوية، بل من حيث الفنية التي تنطلق من قوانين اللغة، فليس النظم "إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[3] . يعني الإمام أن اللغة الفنية "النظم" ليست محصورة في قوانين اللغة، بل يشمل علم النحو لدى عبد القاهر قوانين اللغة كما هي عند النحاة، ويشمل كذلك الخصائص الفنية.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 47)

(2) المصدر السابق (ص 177)

(3) المصدر نفسه (ص81)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظواهر اللغوية في درج الدرر:

1- الاشتقاق:

ظاهرة الاشتقاق تتميز بها لغة العرب فاتصفت بالمرونة والسعة، واللغة العربية اشتقاقية، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وصحّحه عن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : "أنا الرحمن الرحيم شققت الرحم وإني شققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، اللَّهمَّ صِلْ من وصلني واقطَعْ من قطعني فيقولُ اللهُ تبارك وتعالَى أنا الرَّحمنُ الرَّحيمُ وإنِّي شققتُ للرَّحِمِ من اسمي فمن وصَلها وصلتُه ومن بتَكها بَتكْتُه"[1].

الاشتقاق في اللغة:

الأخذُ في الكلام وفي الخصومة يمينًا وشمالًا، مترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف: أَخْذُهُ منه، ويقال: شَقَّقَ الكلامَ، إذا أخرجه أحسن مخرج"[2]، "شقَّق الكَلامَ: وسَّعه وبيَّنه وولّد بعضَه من بعض، أخرجه أحسن مخرج"[3]، "وشقق الحطب وغيره: إذ شقه {شقًا} فتشقق. ومن المجاز: شقق الكلام تشقيقًا: أخرجه أحسن مخرج"[4].

الاشتقاق في الاصطلاح:

الاشتقاقُ أَخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر"[5]. فهو " نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنىً وتركيبًا، وتغايرهما"[6]، فالاشتقاق يُقصد به استخراج لفظٍ من آخر متفقٍ معه في المعنى وفي الحروف الأصلية، أو استنباط صيغة من أخرى، والاشتقاق – في أغلب صوره- يتضمَّن إطالةً لبنية الكلمة بالنسبة إلى

---

(1) المنذري، الترغيب والترهيب، رَوَاهُ الْبَزَّار بِإِسْنَاد حسن (ج3/230)

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج10/ 184)، الجوهري ، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (ج4/ 1503)

(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج2/ 1223)

(4) الزبيدي، تاج العروس (ج25/ 522)

(5) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 275)

(6) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف (ص 62)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصدرها، ولعلَّ هذا الطريق هو أقرب الطرق وأكثرها نتاجًا في تنمية اللغة، فهناك آلاف الكلمات المشتقة يجري استعمالها في يسر وسلاسة، وتمَّ التعوُّد عليها استغناءً عن اللفظ الأجنبي، مثل: السيارة، والحوَّامة، والحاسب، والحاسوب، والهاتف، الاشتقاق هو صَوْغُ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرَّف(1)، فالكلمات العربية تأتي على هيئات صرفية تسمى الصيغ، وأن الخلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية، هو في الواقع اختلاف بين هذه الصيغ. والارتباط الذي قال به النحويون، والصرفيون بين الكلمات المتحدة الأصل المختلفة الصيغة، ارتباط لفظي أولًا، ومعنوي ثانيًا. أما لفظي؛ فلأن حروف الأصل توجد في الصيغتين المترابطتين بنفس الترتيب، وإن اختلف الهيكل في كلمة عنه في الأخرى، فلا بد إذًا أن ترد الكلمتان إلى أصل واحد، وأما معنوي؛ فلأن الملاحظ أن الكلمتين اللتين توصفان هذا الوصف، تعبران عن معنى عام واحد تختلفان في دائرته، كما تختلف الصيغتان، لا كما تختلف المادتان المعجميتان، فلا بد إذًا أن ترد هاتان الكلمتان إلى مادة واحدة(2).

أنواع الاشتقاق:

ويمكن التعرُّف على أنواع أربعة من الاشتقاق هي:

الاشتقاق الصغير أو الأصغر:

هو ما ينصرف إليه الاشتقاق عند إطلاقه، والاشتقاق الأصغر أكثر أنواع الاشتقاق ورودًا في العربية، وهو محتجٌّ به لدى أكثر علماء اللغة "وطريق معرفته تقليب تصاريف الكملة، حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ كلها، دلالةَ اطراد أو حروفًا غالبًا؛ كضَرْب، فإنه دالٌّ على مطلق الضرب فقط، أما ضارب، ومضروب، ويضرب، وأضرب، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفًا، وضَرَبَ الماضي مُساوٍ حروفًا وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في "ض ر ب" وفي هيئة تركيبها"(3).

الاشتقاق الكبير، ويسمى بالقلب:

أما الاشتقاق الكبير: فهو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية، ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كلٍّ منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير

---

(1) ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1/ 489)

(2) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (ص 178)

(3) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 174-175)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتيبها الصوتي، وقد أولع بهذا النوع من الاشتقاق ابن جني، وسماه: "بالاشتقاق الأكبر"، وعقد له فصلًا خاصًّا ذكر فيه عددًا من الأمثلة الموضحة، منها تقاليب هذه المادة الثلاثية "س م ل". فابن جني يرى أن "س م ل" "م س ل" "س ل م" "م ل س" "ل س م" "ل م س" مهما تقلبت واختلف ترتيبها الصوتي كما رأيت، فإن "المعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة؛ منها الثوب "السَّمَلُ" وهو الخلق"[1].

الاشتقاق الأكبر، ويسمى الإبدال:

الاشتقاق الكبار، وهو النحت (إما من كلمتين أو من جملة)، "ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ"[2]، هو بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينتين في المعنى والصورة، وبحيث تكون الكلمة الجديدة آخذة منهما جميعًا بحظ في اللّفظ، دالة عليهما جميعاً في المعنى " ونقصد بالنحت أن تأتي إلى كلمتين أو أكثر فتنحت من كل واحدة حرفًا أو أكثر ثم تصنع من هذه الحروف كلمة جديدة. وقد وقع النحت في المصطلحات الاسلامية على ألسنة الفقهاء، ومن ذلك البسملة: قول " بسم الله الرحمن الرحيم ". الحوقلة: قول " لا حول ولا قوة الا بالله ".الحيعلة: حي على الصلاة. الحيعلتان: قول " حي على الصلاة، حي على الفلاح " في الآذان، ورغم أن الفقهاء لم يتوسعوا في النحت، إلا أنهم استخدموه"[3].

ذكر الإمام النحت في معرض حديثه في تفسير الآية الكريمة: **{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج: 28]** بالقول: "التحميد والتهليل والثناء عليه، والشكر ما على رزقهم من السوائم والهدي، أو البسملة عند الذبح"[4]. فالنحت من كلمتين ينقسم ثلاثة أنواع هي: النحت الوصفي، والنحت الاسمي، والنحت النسبي. ويذكر الإمام النحت في توضيحه (اللهمّ) في الأصل: يا الله، فعلّق بآخره الميمان بدلًا عن حروف النّداء عند البصريّين. وقال الفرّاء: أرى أنّ الميم في آخره بقيّة كلام، وتقديره: يا الله أمّ بالخير، أي: اقصد، مثل: هلمّ إلينا. وقيل: ميم جمع

---

(1) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 186)

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج1/ 328- 329)

(3) محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء (ص 31)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 336)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألحقت بالاسم، وذلك جمع الخلق، واللهمّ على هذا: إله الخلق وإله العباد، زيدت ميم أخرى للتأكيد، أو زيادة كما زيدت في عبشم ونحوه"[1]. وعبشم عني بها هنا عبد شمس.

الاشتقاق نزع لفظ من لفظ، ولو مجازًا، بشرط مناسبتهما في المعنى، واتفاقهما في الحروف الأصلية وترتيبها، ومغايرتهما في الصيغة حقيقة أو تقديرًا. وهكذا تشترك مفردات كل مادة لغوية في حروفها الثلاثة وترتيبها، وتلتقي على معنى يشملها. ثم يفرد كل منها بصيغة ومبنى ودلالة خاصة. وقد أسموا هذا النوع من الاشتقاق، الاشتقاق الصغير. وبحث الاشتقاق كثير من الأئمة المتقدمين كالأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأخفش والمبرد وابن خالويه، وبرع فيه أبو بكر بن دريد في كتابه (الاشتقاق)، وأوغل فيه أحمد ابن فارس في كتابيه (فقه اللغة) المعروف بالصاحبي، و(مقاييس اللغة) ، قال ابن فارس في فقه اللغة: " أجمع أهل اللغة، إلا من شذ عنهم، أن للغة العرب قياسًا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر. تقول العرب للدرع جنة، وأجنه الليل. وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور. وأن الأنس من الظهور، يقولون: آنست الشيء أبصرته. وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم، وجهله من جهل" [2].

الأصل في الاشتقاق:

اختلف البصريون و الكوفيون في أصل الاشتقاق، فذهب البصريون إلى أن أصله هو المصدر في حين يرى الكوفيون أن الفعل أصل الاشتقاق، وذهب هؤلاء اللغويون في ذلك مذهبين شهيرين: "ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل، وفرع عليه"، وأتوا في ذلك بحجج بأن المصدر يصح لصحة العقل، ويعتل لاعتلاله؛ وأن الفعل يعمل فيه، وأنه يذكر تأكيدًا للفعل، وأنه لا يتصور معناه إلا بفعل فاعل، وأنت ترى أن المراد هنا هو جعل الفعل أصل المشتقات، لا أصل المصدر فحسب، وإنما اختص المصدر بالذكر؛ لأن البصريين جعلوه أصل الاشتقاق، فجعل الكوفيون من هذا الأصل فرعًا، وانسحب ذلك على كل ما عداه من الصيغ بالضرورة، والرد على حجج الكوفيين واحدة بعد الأخرى، فالمصدر لا يأتي إلا صحيحًا، ولا يعتل منه إلا ما فيه زيادة عن الأصل، وهو فرع عن الثلاثي، وهذا الذي يعتل إنما يعتل للتشاكل، وذلك لا يدل على الأصالة والفرعية[3]."فالأصل في الاشتقاق أن يكونَ من المصادر

---

(1)عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 388)

(2) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص35- 36)

(3) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (ص 179)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأصدقُ ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان ويغلبُ في العَلَم ويقل في أسماء الأجناس كغُراب يمكن أن يُشتق من الاغتراب وجراد من الجَرْد"[1]، وفي قول الحق سبحانه: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: 234] يتبنى الإمام رأي البصريين في أصل الاشتقاق بقوله: {وَيَذَرُونَ} يتركون، وهذا فعل لا مصدر له، ولا يشتقّ منه الاسم، ولا يذكر بلفظ الماضي"[2]. "قال أهل اللغة: أماتت العرب الفعل من ذر في الماضي، فلا يقولون وذرته" [3]. فذكر أن الفعل (يذرون) لا مصدر له فلا يشتق منه الاسم ولا يذكر بلفظ الماضي؛ فالبصريون يقولون أن أصل الاشتقاق المصدر وليس الفعل وهذا يخالف الكوفيين فيما ذكروا أن الأصل الفعل.

الاشتقاق في تفسير درج الدرر:

في (درج الدرر) أمثلة كثيرة عن مشتقّات الألفاظ ذكرها الإمام، ونخص منها ما يسمّى بالاشتقاق الأصغر أو العام أو الصّرفي، وسمّاه ابن جنّي الاشتقاق الصّغير وذكر أنّ المراد به: " أن تأخذ أصلًا من الأصول فتتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه" [4].

يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني الاشتقاق في مواضع كثيرة، ومنها في سورة الفاتحة حين ذكر البسملة نقل عن بعضهم أنّ اسم الجلالة (الله) غير مشتقّ، ثمّ نقل رأيين في اشتقاقه فيقول: "وقيل: مشتق من وله يوله، وقيل: من لاه يلوه". وتحدّث بعده عن اشتقاق لفظي (الرحمن الرحيم)، فذكر أنهما "اسمان مشتقّان من الرّحمة"[5]. وفي قوله سبحانه: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180] ، يبين: "اتّصالها بما قبلها من حيث ذكر الكفّار وهم ملحدون، (الأسماء): التّسميات التي يكلّم الله بها. و(الحسنى): تأنيث الأحسن {الَّذِينَ} يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ: الذين اشتقّوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله عزّ وجلّ، كاللاّت من الله، والعزّى من العزيز، والذين أنكروا إطلاق تسميتين على مسمّى واحد فقالوا: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا} [الفرقان:60]. ويدخل في جملة هؤلاء الذين قالوا: أسماء الله مخلوقة، والذين أطلقوا على الله اسم الجسم ، والذين فرّقوا بين الأسماء المشتقّة من صفات الذّات وبين الأسماء المشتقّة من

---

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 278)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 403)

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج6/ 98)

(4) ابن جني، الخصائص (ج2/ 136)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 100)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفات الفعل"[1]، وفي قوله سبحانه: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:120] ذكر معنى (الملّة)، ثمّ بيّن اشتقاقها بقوله: "والملّة: معظم الدّين والشريعة، عن ابن الأعرابيّ، قال أبو العبّاس: يعني بالمعظم: الجملة، وكأنّها مستعارة من الملّة التي هي الدّية والأرش؛ لأنّها مسنونة مشروعة مثلها. قيل: اشتقاقها من الملّة وهي الرّمل المحمّى، وقيل: من قولك: تملّيت الثّوب، إذا لبستها ملاوة من الدّهر" [2]، وفي قول الحق سبحانه:"{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: 31] يوضح الإمام: "ألهم ووفّق لا أنّه أخبر ولقّن؛ لأنّه لو لقّنه لما كان له مزيّة على الملائكة، و(آدم) مشتقّ من أديم الأرض، أو أدمة اللون"[3]، وفي قوله سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ} [البقرة:185] بيّن معنى (الشّهر)، ثم تحدّث عن جمعه واشتقاقه: "وجمعه: أشهر وشهور. مشتقّ من الشّهرة"[4]. وبين معنى (السّفر) واشتقاقه عند كلامه في تفسير الآية الكريمة نفسها: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ} [البقرة: 185] فيقول: "واسم (السّفر) في اللّغة يشمل أيّ خروج من الوطن ولو مدّة ساعة، إذ اشتقاقه من سفارة السّفير، أو الإسفار وهو الظّهور"[5]، وفي قوله سبحانه: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة:112] بيّن معنى (المائدة) واشتقاقها بقوله: " و(المائدة): الخوان حالة كون الطّعام عليه، مشتقّ من الميد، وهو العطاء والنّفع والعون، تقول: مادني ويميدني"[6]. وفي قوله سبحانه : {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: 74]، يبين الإمام: {قُرَّةَ أَعْيُنٍ} عبارة عن المرضيّ، وضدّه سخنة العين، وسخين العين، {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إماماً} أي: وفّقنا للتقوى، وأتبعنا ذرّيّاتنا بالتقوى، وإنّما لم يقل لاعتبار كلّ واحد من الراعين، أو لاعتبار المصدر، أو لاعتبار كون الاسم مشتقّا من الفعل، كقوله: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء:16][7]. وفي قول الحق سبحانه:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} [الأعراف: 156] يوضح الإمام:{هُدْنا إِلَيْكَ} تبنا إليك، وقال ابن عرفة: سكنّا إلى أمرك، ومنه الهوادة. قيل: ومن هذا اللّفظ اشتقاق لقب اليهود، وقيل: بل اللّفظة من

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 711)
(2) المصدر السابق (ج1/ 235)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 131)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 286)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 287)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 592)
(7) المصدر نفسه (ج2/ 390- 391)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقبهم"[1]، يقول الحق سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186] ، يبين الإمام: "{أُجِيبُ} أنفذ الدّعوة وأجيز، وذلك يكون بالقول والفعل جميعًا، ونقيضه الإعراض، فأمّا الرّدّ فإنّه نوع إجابة حقيقة أو مجازًا، والإجابة بمعنى الاستجابة كالإبشار والاستبشار، والجواب مشتقّ من الإجابة، أو اسم موضوع اشتقّ منه الإجابة، وإجابة الله إيّانا هي قبول دعوتنا، وإجابتنا إيّاه قبول أمره"[2] .

2- الترادف:

تتعدد أشكال العَلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن هذه الأشكال علاقة الترادف، والعلاقة تتمثل في وجود كلمات تتبادل المواقع مع بعضها دون أن يتغير المعنى على الرغم من اختلاف المكونات الصوتية لهذه الكلمات، والعلاقة في هذه الحالة علاقة إيجاب، تدل على وجود قرابة بين الكلمتين أو الكلمات التي تقبل التبادل مع بعضها، فالعربية تتصف بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، فإن لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معانٍ متشعبة، قديمة وحديثة، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي، لا نظير له في لغات العالم والقاعدة في فقه اللغات بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات[3].

الترادف في اللغة:

الترادف أَصله اللّغَوِيّ المادي ركُوب أحد خلف الآخر فَيُقَال ردف الرجل وأردفه أي ركب خَلفه، وارتدفه خَلفه على الدَّابَّة، فالردف هُوَ مَا تبع الشيء وكل شيء تبع شَيْئًا فَهُوَ ردفه وَإِذا تتَابع شيء خلف شيء فَهُوَ الترادف، وَمن هَذَا قَوْلهم مرادفة الْجَرَاد أي ركُوب الذّكر على الْأُنْثَى، وَيُقَال لِلَّيْل وَالنَّهَار ردفان لِأَن كل وَاحِد مِنْهُمَا ردف صَاحِبَة أي يتبعهُ، وَقد فسر قَوْله تَعَالَى: {أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9] بِمَعْنى يأْتونَ فرقة بعد فرقة

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 702)
(2) المصدر السابق(ج1/ 289)
(3) ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 292-293)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على رأى الزّجاج وَقَالَ الْفراء مُردفِينَ مُتَتَابعين"[1] "الرِّدْفُ: ما تَبِعَ شيئًا فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خَلْفُ شيءٍ فهو التّرادُف"[2].

الترادف في الاصطلاح:

عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، ويطلق على معنيين أحدهما الاتحاد في الصدق، والثاني الاتحاد في المفهوم، ومن نظر إلى الأول فرق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما"[3]، وقد عَرَّفَ عُلماء العربية الترادف عن طريق إخراج المحترزات، فالترادف هو: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[4]، وهو ما اختلف لفظه واتّفق معناه. وحدّه الشريف الجرجاني بقوله: ما كان معناه واحدًا وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك، أخذًا من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر؛ كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد"[5]، وعند أهل العربية والأصول والميزان فهو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة، وتلك الألفاظ تسمّى مترادفة. فبقيد اللفظين خرج التأكيد اللفظي لعدم كون المؤكّد منه والمؤكّد لفظين مختلفين [6].

ينكر بعض العلماء القدامى وقوع الترادف في العربية، يقول أبو علي الفارسي: "كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، ومنهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسمًا، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات"[7]. وهذا لا يعني أنه لا يقر بالترادف لكنه يفرق بين الاسم والصفات بقوله: "وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس

---

(1) أحمد اللبابيدي الدمشقي، اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء (ص 11)

(2) الخليل بن أحمد، العين (ج8/ 22)، ابن منظور، لسان العرب (ج9/ 114)

(3) علي بن شريف الجرجاني، التعريفات (ص 56)

(4) السيوطي، المزهر (ج1/ 402)

(5) علي بن شريف الجرجاني، التعريفات (ص 199)

(6) ينظر: محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج1/ 406)

(7) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 295- 256)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة، فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب؟ هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة"[1].

أسباب الألفاظ المترادفة:

يذكر السيوطي في المزهر أسباب الألفاظ المترادفة:" قال أهلُ الأصول: لِوُقُوعِ الألْفاظ المترادفة سببان.

الأول: أن يكون من واضِعَين وهو الأكثر بأن تَضع إحدى القبيلتين أحدَ الاسمين والأخرى الاسمَ الآخر للمُسَمَّى الواحد من غير أن تشعرَ إحداهما بالأخرى ثم يَشتَهر الوَضْعَان ويخفى الواضعان أو يلتبس وَضْع أحدهما بوضع الآخر وهذا مبنيٌّ على كون اللغاتِ اصطلاحية.

والثاني: أن يكون من واضع واحد وهو الأقل وله فوائد:

منها: أن تكثر الوسائل – أي الطرق – إلى الإخبار عما في النفس فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به وقد كان بعضُ الأذكياء في الزمن السالف ألْثَغ فلم يُحْفظ عنه أنه نطَق بحرف الراء ولولا المَترادِفات تعينُه على قَصْده لما قدَر على ذلك.

ومنها: التوسُّع في سلوك طرُقِ الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لأن اللفظ الواحدَ قد يتأتَّى باستعماله مع لفظ آخر السَّجْعُ والقافيةُ والتَّجْنِيسُ والتَّرصِيعُ وغير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتَّى ذلك باستعمال مُرادفه مع ذلك اللَّفظ.

الثانية: أن الترادفَ على خِلاف الأصْل والأصلُ هو التباينُ وبه جزَم البيضاوي في مِنهاجه.

الثالثة: قد يكونُ أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحًا للآخر الخفي وقد ينعكس الحالُ بالنسبة إلى قومٍ دون آخرين.

الرابعة: الألفاظُ التي بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظٍ متواردة وألفاظ مترادفة فالمتواردة كما تسمى الخمر عقارا وصهباء وقَهْوَة والسبع أسدا ولَيْثاً وضِرْغاماً، والمترادفةُ هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة" [2].

---

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص 19)

(2) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 319)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الترادف في تفسير درج الدرر:

وردت في الكتاب أمثلة كثيرة على التّرادف، وذلك من خلال تفسير الإمام الألفاظ بما يرادفها، ولكنّه لم يستعمل مصطلح الترادف في ما ذكره. ومن ذلك في قول الحق سبحانه: **{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة:60]** فقال: "وعثي يعثى وعاث يعيث: أفسد، وجمع اللفظين في معنى واحد نهاية في البلاغة، كقوله: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}** الآية **[الحج:30]**، وقوله: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} [عبس:38]**، وقوله: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف:80]** وقال ذو الرّمّة:

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لعَسُ وَفِي اللّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ "[1]

ف (عاث) و (أفسد) بمعنى واحد، وكذلك: الرّجس والوثن، والوجه والإسفار، والسّرّ والنّجوى، والحوّة واللّعس. وفي قوله سبحانه: **{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} [البقرة:119]** قال: "أنفذناك، وقد يكون الإرسال إطلاقًا في غير هذا الموضع"[2]، فالإرسال والإنفاذ والإطلاق مترادفات. ويقول {الْعَفْوَ} الصّفح والمتاركة، وذلك قبل آية السّيف، أو بعد ما يظهرون من أنفسهم الإيمان، أو خاصّة في الذّراري والنّسوان. وعن ابن عبّاس العفو: الزّكاة"[3]. وفي تفسيره الآية الكريمة: **{لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة:124]** ذكر مثالين على الترادف، فقال: "(النّيل) هو الإدراك والإصابة، و(العهد): الوصيّة والأمانة لقوله: **{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ} [البقرة: 125]**"[4]. فالنّيل والإدراك والإصابة بمعنى واحد، والعهد والوصيّة والأمانة بمعنى واحد أيضًا. وفي بيانه معنى {عَتَوْا} في قوله تعالى: **{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} [الأعراف:77]** قال: {وَعَتَوْا} تمرّدوا وطغوا"[5]، فالعتوّ والتّمرّد والطّغيان مترادفات. وفي قوله سبحانه: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } [الأنفال: 2]** يقول: "{وَجِلَتْ}خافت وفزعت، وهذه الحالة هي الأولى، وأمّا الحالة الثّانية فالاطمئنان والاستئناس، قال الله تعالى: **{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 165)
(2) المصدر السابق (ج1/ 233)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 718)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 237)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 143)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23] " [1]، وفي تفسيره معنى (لفت) في قوله سبحانه: ﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا﴾ [يونس:78] يقول:"﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصرفنا"[2]، أي أنّ (لفت) و(صرف) بمعنى واحد. وفي قوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] يقول:"﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ الإصابة والاستقامة، و(الغيّ) ضدّه، والرُّشد والرَّشد والرَّشاد بمعنى واحد"[3].

أمافي قوله سبحانه:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] يقول: "﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ أتمّوا عهدي الذي أخذت عليكم في هذا النبيّ الأمّيّ، وقيل: فرائضي التي فرضت عليكم، والإيفاء والوفاء بمعنى، والعهد: الوصيّة"[4]. ويقول الإمام:"﴿الَّذِي اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ هو قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات:7 - 8]، وقال: ﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ:2 – 3]. وقيل: هو القرآن. فقيل: إنه سحر وشعر وكهانة. يدلّ عليه قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44 "[5].

3- المشترك اللفظي:

اهتم عدد كبير من اللغويين والبلاغيين في هذه الظاهرة، وتنبَّه العلماء لها، وأشاروا إلى شواهدها وإلى أثرها الدلالي في بيان معاني القرآن، فالمشترك اللَّفظي من الظّواهر الدّلاليّة الخاصة التي دعت عوامل متعددة لوقوعه، فكما تتطور الكلمات وتتغير تتطوّر وتتغيّر معانيها مع احتفاظها بأصواتها. تأتي ظاهرة المشترك اللفظي إمّا على أساس تداخل اللّغات وتطور الألفاظ وإمَّا للاستعمال المجازي، فالتعبير عن المعنى المراد يتسع عن طريق المشترك اللفظي، فيثير قضايا بلاغية ودلالية مرتبطة بظواهر لغوية تناسب ظروف الاستعمال ومقتضى الحال والسياق.

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 722)
(2) المصدر السابق (ج1/ 826)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 352)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 143)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 188)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشترك اللفظي في اللغة:

"الشِرْكة والشَرْكة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر. وشاركت فلانًا: صرت شريكه، واشتركنا وتشاركنا في كذا[1]"، و"الشَريكُ يجمع على شُرَكاءَ وأشراك، مثل شريف وشرفاء وأشراف. والمرأة شريكة، والنساء شرائك. وشارَكْتُ فلانًا: صرتُ شَريكَهُ. واشْتَرَكْنا وتَشارَكْنا في كذا. وشَرِكْتُهُ في البيع والميراثِ أَشْرَكُهُ شِرْكَةً" [2].

المشترك في الاصطلاح:

ذكر الزبيدي أن المشترك اللفظي هو:" اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة "[3]. وجدير بالذكر الإشارة إلى قول سيبويه حيث قال: "اعلم أنّ من كلامِهم اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[4]، وقال السرخصي:"وأما المشترك فكل لفظ يشترك فيه معان أو أسامٍ لا على سبيل الانتظام بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد وإذا تعين الواحد مرادًا به انتفى الآخر مثل اسم العين فإنه للناظر ولعين الماء وللشمس وللميزان وللنقد من المال وللشيء المعين"[5]. فالمشترك هو ما اتحدت صورته واختلف معناه، ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه؛ لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان لينتج إلا اتحاد معناه، ولكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك، بينما تغايرت طرائق استعمالها، إما لتغاير البيئات اللغوية وإما لتفاوت المستعملين في مدى ولوعهم بالمجاز أو إيثارهم الحقيقة[6].

موقف العلماء من المشترك اللفظي:

اختلف علماء اللُّغة في ظاهرة المشترك اللّفظيّ وذهبوا فيها مذاهب شتى، فبعضهم اعترف بها وقال بوجودها في اللّغة العربيّة، وقد ذهب فريقٌ آخر للقول بعدم وجودها في اللّغة الواحدة، ولكلٍ رأيه وحجته التي استند عليها، يذكره ابن فارس بقوله: "وتسمى الأشياء الكثيرة

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة شرك (ج10/ 450)

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ص 1593 ، مادة شرك)

(3) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (ج25/1)

(4) سيبويه، الكتاب (ج1/ 24)

(5) السرخصي، أصول السرخصي (ج1/ 126)

(6) ينظر: صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 302)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالاسم الواحد نحو عين الماء، وعين المال، وعين السحاب"[1]، وابن درستويه من الذين يرفضون المشترك اللفظي وضيق مفهوم المشترك اللفظي وأخرج منه كل ما يمكن رد معانيه إلى معنى واحد، حيث صرح بأنّ اللغة إنّما وضعت للإبانة لا الغموض والتعمية بقوله: " وإنّما اللّغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظٍ واحدٍ لمعنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية"[2]، وابن درستويه في رفضه للمشترك اللّفظيّ في اللّغة الواحدة إنّما يهدف إلى نفي الغموض عن مفردات اللّغة العربيّة، بحيث لا يحتمل اللّفظ إلا معنى واحدًا ممّا يؤكد الدّقة في أداء اللّغة. وفي الفصل في الكلمات ذات الاستخدامات المجازية صعوبة لارتباط المعنى المجازي بالمعنى الحقيقي، ويرفض إبراهيم أنيس من المحدثين أن يكون المجاز من المشترك اللفظي، فالمشترك اللفظيّ لا يقع إلا في لفظه تؤدّي إلى معنيين مختلفين كلّ الاختلاف، ليس بينهما أدنى ملابسة أو أيّة علاقة، أو أيّ نوع من أنواع الارتباط فإذا ثبت لنا من نصوص أنّ اللفظ الواحد قد يعبّر عن معنيين متباينين كلّ التبّاين سمّينا هذا بالمشترك اللّفظيّ، أما إذا اتضح أنّ أحد المعنيين هو الأصل، وأن الآخر مجاز له فلا يصح أن يعدّ مثل هذا من المشترك اللفظيّ في حقيقة أمره [3]، ويكون اللجوء إلى المعيار الدلالي حين لا توجد علاقة دلالية بين المعنيين وتكون الكلمة مستقلة وإن كان لها نفس النطق والكتابة، وأما إذا وجدت علاقة ومشابهة فهي كلمة واحدة دلت على أكثر من معنى نتيجة تطور يعتريها في المعنى وبالتالي تتعدد المعاني.

لعلماء البلاغة واللغة فضل كبير في هذا الفن ولهم جهد مشكور، فمن الذين كتبوا في هذا نظرية أو تطبيقًا، جمعًا أو دراسة مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى (ت 150هـ) بعنوان (الوجوه والنظائر في القرآن العظيم) [4]، وكتاب آخر بعنوان(ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) لمحمد بن يزيد المبرد(ت 285هـ)، وهو من الكتب المبكرة التي وصلتنا معالجًا قضية المشترك اللفظي[5]. وكتب أبو هلال العسكري (ت395 هـ) كتاب (تصحيح الوجوه والنظائر)[6]، ثم كتب الحسين بن محمد الدامغاني (ت 478هـ) (الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب

---

(1) ابن فارس، الصاحبي، فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها(ج1/ 59)
(2) عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص 12)
(3) ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ (ص 213)
(4) ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم(ص7)
(5) ينظر: المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ،المقدمة.
(6) ينظر: العسكري، تصحيح الوجوه والنظائر (ص5-6)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله العزيز) وهو يعتبر من كبار علماء القرن الخامس[1]، وكتب السيوطي(ت 911هـ) كتابًا مستقلًا يحمل اسم (معترك الأقران في مشترك القرآن) فيقول عن كتابه: "فاشْدد بكلتا يديك على هذا الكتاب المسمّى بإعجاز القرآن ومعترك الأقران، مع أني – علم الله – لست من فرْسان هذا الميْدان، ولا من يجول في هذا الشأن، لكني تطفَّلت على المتقدمين، رجاء أن يضمني جميل الاحتمال معهم، ويسعني من حسن التجاوز ما وسعهم"[2].

إن السيوطي من المؤيدين لظاهرة المشترك اللفظي فيقول في الإتقان: "لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة، وفسر بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد"[3]، فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، أما كلمة النظائر فتعني الألفاظ المتواطئة أو المترادفة فكل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفًا، إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه: اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن، ومعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معان فهو مشترك لفظي، وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر ومترادفات، فاللسان مع اللغة يكون ترادفًا وهو مع الدعاء يكون ترادفًا ثانيًا ومع الثناء الحسن يكون ترادفًا ثالثًا[4]، يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: { وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} **[مريم: 50]** {لِسانَ صِدْقٍ} ثناء حسنًا من جهة الله تعالى وملائكته وأوليائه وأهل الكتاب أجمعين.{عَلِيًّا} رفيعًا شريفًا"[5]. ويقول: "{لِسانَ صِدْقٍ} هو الذّكر الجميل، وإنّما تمنّى ذلك ليؤمنوا به، فيسعدوا، ويصلوا عليه، فيزاد بصلاتهم خيرًا ورحمة"[6]. ويقول في موضع آخر: "لأنّ عمل اللّسان هو رافع الكلم الطّيب الذي في الصّدر، والكلم الطّيب على لسانه هو رافع أعماله الصّالحة بالأركان"[7]. ويضع السيوطي حدًا فاصلًا حيث يقول: "وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد

---

(1)"علم الوجوه والنظائر هو من فروع علم التفسير، ومعناه أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر".

ينظر: الدامغاني الحسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر(ص 22)

(2) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمَّى إعجاز القرآن ومعترك الأقران (ج1/ 388)

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج10/ 185)

(4) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة (ص 149)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 272)

(6) المصدر السابق (ج2/ 395)

(7) المصدر نفسه (ج2/ 488)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" [1]، و"للخليل ثلاثة أبيات على قافيةٍ واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويحَ قلبي من دَواعي الهَوى إذْ رَحَل الجيرانُ عند الغُروبْ

أتبعتُهم طَرْفي وقد أَزْمَعُوا ودمعُ عينيَّ كفَيْضِ الغُروبْ

كانُواْ وفيهم طَفْلَة حَرَّة تفتر عن مِثْل أقاحي الغُرُوبْ

فالغُرُوب الأول: غُروب الشمس والثاني جمع غَرْب: وهو الدَّلْو العظيمة المملوءة والثالث جمع غرب: وهي الوِهَاد المنخفضة[2]، وهذا يضيف مرونة واتساع للغة ويضفي عليها لمسة جمالية.

أنواع المشترك اللفظي

الاشتراك المطلق:

يقصد بالاشتراك المطلق:" استعمال اللفظ المشترك في جميع معانيه"[3]؛ إذ إن جميع المعاني المحتملة للقرآن الكريم مراده، وإعمال المشترك اللفظي في جميع معانيه ما لم يكن ممتنعًا الجمع بين مدلولات تلك المعاني وهي ظاهرة موجودة في كتب التفسير بمسميات أخرى كالمحتملات اللغوية، والإمام في تفسيره درج الدرر يكرر كلمة (ويحتمل) كثيرًا، وهذا يدلل أن الإمام يترك مساحة من التأويل المعبر عن الدلالات بإيراد الأدلة على كل ما يقول، ففي قول الحق سبحانه:**{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: 107]** يقول: "إن {مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} يحتمل كون أنفسهم اللطيفة في النار قبل مجيء القيامة وانفطار السماء وتبدل الأرض وبعثرة ما في القبور والاستثناء حالة الرقدة والصعقة، ويحتمل أن المراد بالسماوات سقوف النار ودركاتها والاستثناء حالة العرض والحساب أو حالة عقوبة الاستهزاء، ويحتمل أن المراد ببقاء السماوات والأرض بقاء أجزائهما لا بقاء

---

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 292)

(2) المصدر السابق (ج1/ 297- 298)

ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الديوان (ص 6)

(3) ينظر: محمد الخضري، أصول الفقه (ج46/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأليفهما ولا دلالة على فناء الأجزاء المتلاشية بعد الوجود والاستثناء حالة الدنيا "[1]، وكما قال الطبري:" والكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرفُ معناها إلى بعضٍ وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها"[2]، أي غير جائز نقل التي هي الأغلب في استعمال العرب عن معنى إلى غيره إلا بحجة التسليم بها، وفي (درج الدرر) أمثلة كثيرة على المشترك اللّفظي المطلق، دون أن يستعمل الإمام هذا المصطلح، وإنّما يكتفي بذكر اللّفظ الذي يتحدّث عنه ويورد معانيه المختلفة، ومن ذلك: في قوله سبحانه: **{فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا} [البقرة:59]** يقول الإمام: و (الرّجز): "العذاب"، وقيل: الطاعون، وهو الموتان، وفي اللغة: اسم لمعنى غير مرضيّ، وإنّما كان رجزًا؛ لأنّ الإنسان إذا مات في سخط الله قيل: أهلكه الله ودمّره، وإذا مات في مرضاته قيل: توفّاه الله واستأثر به"[3]، واختلفوا في الرجز هنا غضب الله تعالى أم طاعون أهلكهم [4]، وفي كلامه عن (الطّواف) في قوله سبحانه: **{أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ} [البقرة:125]** قال: "(الطّواف قريب من الدّوران)، ثمّ ذكر أنّ له ثلاثة معان فقال: "وههنا يحتمل ثلاثة معان: الطواف المعهود المشروع، والسّياحة وهي غير العكوف، والتّعهّد ومنه سمّي الخادم طائفًا، قال الله تعالى: {طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ} [النور:58]، والبعض قريب من بعض"[5]، والإمام يؤكد بقوله (ههنا) أي في السياق القرآني حيث ذكر: الطواف المشروع المعهود– والسياحة وهي غير العكوف والتعهد على خدمة البيت. يوضح الإمام أن (الإلّ) يأتي بمعان مختلفة أيضًا هي: القرابة والعهد والذّمّة واسم الله وربوبيّته، وقد ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني في أثناء تفسيره قوله سبحانه: **{لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً} [التوبة:8]** واستشهد لكلّ معنى بشاهد من كلام العرب، شعره أو نثره، فقال: "الإلّ": القرابة، قال حسّان:

لَعَمْرُكَ إنّ إلّكَ مِنْ قريشٍ ... كَإلِّ السّقبِ مِنْ رَأْلِ النّعَامِ[6]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 985)

(2) الطبري، تفسير جامع البيان، تحقيق شاكر (ج1/ 315)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/162– 163)

(4) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج1/ 363)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 240)

(6) حسان بن ثابت، الديوان (ص 242)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإلّ: العهد والذّمّة. والإلّ: اسم الله وربوبيّته، قال أبو بكر الصّدّيق: ويحكم إنّ هذا لم يخرج من إل"[1]. وفي تفسير الإمام وتوضيحه معاني كلمة (وحفدة) في قوله سبحانه:{**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**} **[النحل: 72]** يذكر الإمام المشرك اللفظي لكلمة(حفدة) نقلًا عن: "ابن عباس قال: البنون الصغار والحفدة ما قد أعان والده على عمله، وقال ابن مسعود: البنون الأولاد والحفدة الأختان، وقيل: الحفدة أولاد الأولاد، وقيل: الخدَم"[2].

الأضداد:

أما عن المشترك اللفظي وعلاقته بالتضاد، يقول ابن الأنباري عن مفهوم التضاد :"هذا كتابُ ذكر الحروف (الألفاظ) التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديًا عن معنيين مختلفين" [3]، إن "من سنن العربِ في الأسماء أن يُسَمُّوا المتضادَّين باسمٍ واحد نحو الجَوْن للأسود والجَوْن للأبيض، قال: وأنكرَ ناسٌ هذا المذهَب وأن العربَ تأتي باسم واحد لشيء وضده "[4]. وفي قول الحق سبحانه: {**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**} **[يونس: 54]** وقوله سبحانه أيضًا: {**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**} **[الرعد: 10]** كلمة (أسرَّ) من ألفاظ الأضداد: يقال: أسررت الحديث كتمته وأسررته أظهرته، يوضح الإمام: "{وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ} عند أوّل لحظة ثمّ الحسرة من بعد كما يحلفون ويجحدون ثمّ يعترفون ويتلاعبون"[5]، {وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ} في أوّل أمرهم، وحسرتهم بعد ذلك"[6]. " ممّن أسرّ القول أو جهر أو من استخفى بالليل وسرب بالنهار"[7]، ويقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**} **[البقرة: 46]** يعلمون ويستيقنون، كقوله: {**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ الله**} **[الجنّ:12]**، و{**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ**} **[الحاقّة:20]**. والظنّ من الأضداد يطلق على معنى اليقين

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 749)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1077)

(3) ابن الانباري، محمد بن القاسم، الأضداد، مقدمة الكتاب (ص1)

(4) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص 60)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 823)

(6) المصدر السابق (ج2/ 484)

(7) المصدر نفسه (ج2/ 149)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحقيقـة العلـم، ويطلـق علـى معنـى الحسـبان، وهـو مجـاوزة الشـكّ قلـيلًا والميـل إلـى أحـد النقيضـين"[1]، والأضـداد يتجلّـى فـي احتـواء اللفظـة الواحـدة علـى معنيـين مشـتركين فـي النطـق ولكنهما متباينان في الدلالة، وهذا يسهم في نموّ الثروة اللفظية والاتساع في التعبير.

الاشتراك بين الحقيقة والمجاز:

تـأتي ظـاهرة المشـترك اللفظـي إمّـا علـى أسـاس تـداخل اللّغـات وتطـور الألفـاظ وإمَّـا للاستعمال المجازي أو كما بين ابن سيده:"اتفاق اللَّفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدًا فـي الوضـع ولا أصـلًا ولكنَّـه مـن لغـات تـداخلت أو أن تكـون لفظـة تسـتعمل لمعنـى ثـمّ تستعار لشـيء فتكثـر وتسـير بمنزلـة الأصـل"[2]، وقد يكون المجاز أحد أسباب وقوع المشترك اللفظي بأن يكون أحد المعنيين متفرعًا في الأصل عن الآخر بطريق المجاز ثم نسي المجاز بمرور الوقت، يذكر الشوكاني: "وهو اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعًا أولًا، من حيث هما كذلك، فخرج بالوضع: ما يدل على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز"[3]؛ لأن المعاني المجازية التي يرتبط بها اللفظ إنما نشأ عن تطوره والتوسع فيها، فنُقل اللفظ إليها، لكن إذا كانت كلِمات المشترك اللَّفظي تملك نفْس النطق والهجاء، وتتعدَّد معانيها، يلجأ إلى المعيار الدلالي، وإذا لم توجد علاقة دلاليَّة بين المعنَيين فليس مشكلة؛ لأنَّ كلاًّ منهُما كلِمة مستقلَّة، أمَّا إذا وجدت علاقة ومشابهة فهُما كلمة واحدة تطوَّرت عبر الزمن أو عن طريق المجاز. فاللفظ المطلق على معان مختلفة ثلاثة أقسام: مستعارة ومنقولة ومخصوصة باسم المشترك. والمشترك هو الذي وضع بالوضع الأول مشتركًا للمعنيين لا على أنه استحقه أحد المسميين، ثم نقل عنه إلى غيره [4]. ففي قوله سبحانه: **{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَـا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: 87]**، يستشهد الإمام بالآية على معنى بلاغيّ: "ففي قوله تعالى: {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} يبين أن معنى هذا هو السفيه الجاهل، فيستشهد بقوله تعالى: **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:49]**، فخرج بهذا من المعنى الظاهر إلى المعنى المجازيّ في الآيتين"[5]. {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} خطاب خبري إنكاري والغرض منه أن

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 161)
(2) ابن سيده، المخصص (ج173/4)
(3) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (ج1/ 57)
(4) ينظر: الغزالي، معيار العلم في فن المنطق (ص85– 87)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 18)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوم شعيب ينكرون عليه ما جاء به من العلم ويسخرون منه، فالمعنى الظاهر هو الحلم والعقل والفهم لكن المعنى المجازي ووضعه في هذه الصيغة يجعله يأخذ معنى السفيه الجاهل، أما في قول الحق سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} **[الأنفال: 46]** يبين الإمام:"{رِيحُكُمْ} ريح النّصر، قال صلّى الله عليه وسلّم: "نصرت بالصّبا وأهلكت عاد بالدّبور" [1]، وقيل: الرّيح تزايد الأنفاس في الصّدر عند الغضب بطول الاهتمام، واحتباسها قليلًا في الصّدر، وذلك يزيد في قوّة الأعضاء، فإذا تنازعوا استوفوها في جهة التّنازع ولم يبق للمطاعنة والمسايفة منها شيء"[2].

أثر المشترك اللفظي في المعنى

الأثر الدلالي:

لا شك أن للمشترك اللفظي أثره في الدلالة في تفسير القرآن الكريم، كلفظة (قسورة) في قوله سبحانه: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} **[المدثر: 49 - 51]** فكما أن التعبير عن المعنى المراد يتسع عن طريق الاشتراك، فإنه يثير قضايا دلالية مرتبطة في عمومها بظواهر لغوية تناسب ظروف الاستعمال، والتعبير القرآني كثيرًا ما يختار مفردة معينة لها أكثر من دلالة كلفظة قسورة، فقد فسر بأنها الرامي أو الأسد أو جماعة الرماة أو أصوات الناس أو أول الليل وظلامه[3]، وبهذا ترسم هذه المعاني أبلغ صورة لهؤلاء الذين ينفرون من مجرد صوت القرآن كما تنفر الحمر الوحشية فيزداد التصوير تكثيفًا في الدلالة، فيبين الإمام ذلك نقلًا عن ابن عبّاس أيضًا: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} قال: هو ركز النّاس. قال سفيان: يعني: حسّهم وأصواتهم. وعن أبي هريرة قال: الأسد. وقال ابن عبّاس: الرّماة"[4].

يذكر الإمام حديث عائشة – رضى الله عنها– في توضيحه دلالة: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} **[النساء: 127]**: قالت عائشة في قوله في الآية الكريمة: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} رغبة أحدكم عن يتيمته، التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا لم يكن لهن مال

---

(1) ينظر الحديث: أحمد بن حنبل، المسند (ج 3/ 2013/461)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 737)

(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج10/ 339)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1677)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجمال، واليتيمة: الصغيرة، وفيه دليل على أن للولي أن يتزوجها وهو مذهب علي. {مَا طَابَ لَكُمْ} من غير إثم"[1]، وفي معنى قوله سبحانه: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} يجوز معنى الإقبال ومعنى الإعراض أي: (ترغبون في) أو (ترغبون عن)، وذكر ابن عاشور أن المعنيين مقصودان: "وترغبون أن تنكحوهن مقصودين على حد استعمال المشترك في معنييه"[2].

أثره في الإعجاز القرآني:

وردت في كتاب الله جلّ ثناؤه كلمات تعد من المشترك اللفظي مثل: (قضى) بمعنى حتم، كقوله تعالى: **{قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ} [الزمر: 42]** وقضى بمعنى أمر كقوله تعالى: **{وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} [الإسراء: 4]**، أي أعلمناهم، وقضى بمعنى صنع كقوله تعالى: **{فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ} [طه: 72]** وقضى بمعنى فرغ يقال للميت قضى أي فرغ، ومنه قوله تعالى: **{مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }[الأحزاب: 23]**. يقول الإمام في درج الدرر موضحًا دلالات (قضى) في أكثر من موضع مع اختلاف سياق الآيات التي ترد فيها بقوله:"{وَقُضِيَ الْأَمْرُ} أمضي حكم الله فيهم"[3]، ويقول: "{كُتِبَ} قدّر وقضي"[4]، **"{فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} [يوسف: 68]** أمضاها، وأظهرها، والحاجة: قضية النفس، جمعه حوائج"[5]، "**{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} [الحجر: 66]** {وَقَضَيْنَا} أوحينا،{ذَلِكَ الْأَمْرَ} الشأن والقصة،{أَنَّ دابِرَ هؤلاءِ مَقْطُوعٌ} برحمة للأمر المقضيّ"[6]، "{وَقَضَيْنَا} أوحينا وأعلمنا، كقوله: **{وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ} [الحجر:66]**"[7]، "**{فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ } [البقرة: 200]** متعبّداتكم بمنى، وقال مجاهد: ذبائحكم"[8]، "{أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ} سئل ابن عباس: أيّ الأجلين قضى موسى؟ وقال: أكثرهما وعن النبي عليه السّلام قال: سألت جبريل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: أتّمهما

---

(1)عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 566)
ينظر الحديث: البخاري (ج3/139/2494)
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج5/ 214)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 308)
(4) المصدر السابق (ج1/ 444)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 139)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 176)
(7) المصدر نفسه (ج2/ 200)
(8) المصدر نفسه (ج1/ 302)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأكملهما {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا} [البقرة: 117] والقضاء: قطع الشيء وإتمامه وإمضاؤه ، قال: [من الكامل]

وعليهما مَسْرودتان قضاهُما داودُ أو صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

وقد يكون القضاء بمعنى الأداء "(1) .

يذكر السيوطي عدة أوجه للكلمة: "الفراغ: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ} [البقرة: 200] ، والأمر: {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: 47]، والأجل: {فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ } [الأحزاب: 23]، والفصل: {لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأنعام: 58]، والمضي: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال: 42]، والهلاك: {لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} [يونس: 11]، والوجوب: {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} [إبراهيم: 22]، والإبرام: {إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} [يوسف: 68] والإعلام: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الإسراء: 4] ، والوصية: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } [الإسراء: 23] . "(2).

الأثر في الحكم الفقهي:

إذا ورد في الكتاب أو السُّنَّة لفظ مشترك ينظر فيه، فإن كان مشتركًا بين معنيين أحدهما لغوي، والآخر شرعي، وجب حمله على المعنى الشرعي؛ لأنه المقصود بالحكم. وإن كان مشتركًا بين معنيين أو أكثر لغة، وجب حمله على معنى واحد منها، بدليل يدل على هذا الحمل. فالنكاح: لفظ وضع لمعنى الضمِّ، فصح إطلاقه على العقد ذاته؛ لأنه فيه ضم اللفظين: الإيجاب والقبول وصحَّ إطلاقه على الوطء أيضًا: ولكن اشتُهِرَ إطلاقه على العقد، فظنَّ البعض أنه حقيقة فيه مجاز في غيره، وظنَّ البعض الآخر أنه في الوطء حقيقة، وفي العقد مجاز(3). وفي قوله سبحانه: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229]. يُحْمَلُ على معناه الشرعي، وهو حمل العصمة الزوجية، ولا يُحْمَلُ على معناه اللغوي الذي هو حل القيد مطلقًا. يقول الإمام في تفسير الآية الكريمة:"{وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 232)
البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر: شعراء الهذليين، ديوان الهذليين(ج1/ 19)
(2) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (ج3/ 139)
(3) ينظر: محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن(ج239/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[البقرة: 227] يعني ترك الفيء إلى انقضاء مدّة الإيلاء وقعت تطليقة بائنة، هكذا روي عن عثمان وعليّ وزيد بن ثابت وابن عبّاس وابن عمر، ولا تتعلّق هذه الفرقة بقضاء القاضي؛ لأنّ ابتداءه غير متعلّق بحكمه، بخلاف فرقة اللّعان والعنّة. و(العزم): القصد. و(الطّلاق): التّخلية والتّسريح. وإنّما يقال للمرأة: طالق؛ لأنّ هذا نعت مختصّ بها، كالحائض والحامل"[1]، وقوله سبحانه: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنعام: 72]. يُحْمَلُ على الصلاة بمعناها الشرعي، وهي العبادة ولا يُحْمَلُ على معناها اللغوي، وهو الدعاء. والسبب في حمل المشترك على معناه الاصطلاحي لا اللغوي، هو أنَّ الشارع لما نقل هذا اللفظ عن معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي الشرعي الذي استعمله فيه، كان اللفظ في عُرْفِ الشارع متعيِّن الدلالة على ما وضعه الشارع له، فيجب المصير إليه. ولفظ "القرء" في الآية الكريمة: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]. يحتمل معنيين لغوين، فلا بُدَّ إذًا من أن يكون أحد المعنيين مرادًا على التعيين: إما الحيض، وإما الطُّهْر. وهو من الأضداد[2]، وعلى المجتهد أن يبذل جهده لمعرفة المراد منه؛ ولهذا اختلف الفقهاء في المراد منه على مذهبين، وجاء كل فريق بأدلّة متساوية، يبين الإمام مرجحًا أن الحيض أولى من الطهر: " {قُرُوءٍ} ولم يقل: أقراء، لذكر المطلّقات، إذ كلّ مطلّقة منهنّ تتربّص ثلاثة أقراء، فتجتمع قروء كثيرة، وقيل: (من) فيه مقدّر، أي: ثلاثة من قروء. قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمّي الحيض قرءًا، ومنهم من يسمّي الطّهر قرءًا، ومنهم من يجمعهما فيسمّي الطهر مع الحيض قرءًا، غير أنّ الحيض أولى لكونه لغة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. "[3].

علل المشترك اللفظي

علل المشترك اللفظي على النحو التالي: علَّة تعدد الأصل الاشتقاقي علَّة المجاز– علَّة تعدد وظائف الأدوات– علَّة تعدد معاني الأصل الواحد– علَّة استعمال المشتق في غير وجهه– علَّة الانتماء لأجزاء مختلفة[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 395)

(2) ينظر: السجستاني، غريب القرآن (ص 382)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 324)

(4) ينظر: عبدالعزيز والكاروري، المشترك اللّفظيّ ودور السِّياق فيه (ص 216)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعدد الأصل الاشتقاقيِّ:

يعني هذا أن المعاني المفردة المشتركة في الآيتين ترجع إلى أصلين اشتقاقيين مختلفين، وينقسم الأصل الاشتقاقيُّ إلى ثلاثة أنواع، هي: الأصل الاسميُّ، والأصل الفعليُّ، وأصل الجمع.

تعدد الأصل الاسميّ:

من أمثلته قول الحق سبحانه: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا} **[مريم: 14]** وقوله سبحانه: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} **[المائدة: 96]** في الآيتين كلمتان لهما معنيان مختلفان تمامًا لكنّهما عن طريق الصّدفة صار لهما الشّكل نفسه، يقول الإمام: "{صَيْدُ الْبَرِّ}: كلّ ما كان جنسه متوحّشًا مأكول اللّحم أو غيره"[1]. ففي قول الحق سبحانه: {فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} **[القصص: 11]** وقوله: {وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ} **[المائدة: 6]**، إنَّ المشترك (جُنُب) جاء بمعنى البعد في الآية الأولى، وبمعنى الجنابة ضد الطَّهارة في الآية الثَّانيَّة، ويدرك هذا الفرق من خلال السِّياق، ففي الآية الأولى نجد العبارتين السَّابقتين لهذه الجزئيَّة قالت لأخته قصّيه أي تابعيه، ومعها كلمة {فبصرت} هنا. كلها تمثّل السِّياق الذي يحدد معنى البعد، وتكون (جُنب) هنا مأخوذة من الأصل الاسميّ جَنْبُ، أمَّا في الآية الثَّانية، فنجد سياق العبارات {إذا قمتم إلى الصلاة} و{فاغتسلوا} و{فاطهروا} و{فتيمموا} ترجِّح المعنى الثَّاني وهو معنى الجنابة وهي كلمة مشتقة من الأصل (جَنُبَ) أو أجنب [2]، يقول الإمام: "و(الغسل): إمرار الماء على أعضاء الوضوء، فلولا قوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} لسقط الوجوب بالغسل بكلّ مائع، و{إِلَى} بمعنى (مع)" [3]، {وَلا جُنُبًا} أي: ولا مجنبين، و(الجنب) واحد وجمع إذا كان نعتًا لاسم، يقال: رجل جنب، وامرأة جنب، وقوم جنب"[4].

تعدد الأصل الفعلي:

أما تعدد الأصل الفعلي من تعدد الأصل الاشتقاقي في مثل قوله سبحانه:{يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ} **[البقرة: 49]** وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً}

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 585)

(2) ينظر: الفيومي الحموي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ج202/2، مادة جنب)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 654)

(4) المصدر السابق (ج1/ 491)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[البقرة: 26]، فاللَّفظ المشترك هنا (يستحي) فقد جاء في الآية الأولى بمعنى الحياة مشتق من (أحيا) يحيي، أي أبقاه حيًّا، وهذا المعنى توضحه العبارات {أنجيناكم من آل فرعون} {يسومونكم} {يذبِّحون أبناءكم} ولفظ (بلاء) فكلها كما ترى تمثِّل سياق النَّص الذي يرجح هذا المعنى، وكذلك صيغة هذا الفعل تدل على التَّعدي خلافاً للفظ (يستحي) وفي الآية الثَّانيَّة الذي يأتي لازمًا. وقد جاءت صيغته بمعنى الحياء، وهي مشتقة من الفعل حييّ: حياءً وهي ضد الجرأة واللامبالاة، وهذا المعنى يفهم من سياق آية أخرى ورد فيها لفظ (يستحي) بهذا المعنى في قوله تعالى: {**وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**} [**الأحزاب: 53**]، فسياق هذه الآية واضح الدِّلالة أنَّ المراد بهذا اللَّفظ الحياء[1]، فهي مشتقة من الحياة ضد الموت، ومثل قول النَّسفيُّ: "إنَّ هذا المعنى من قبيل المقابلة، لأنَّ القرآن نزل بلغة هؤلاء العرب، وهو فن من كلام بديع"[2]، يقول الإمام: "الاستحياء امتناع يقتضيه الكرم، وقد ورد وصفه تعالى به، قال صلّى الله عليه وسلّم مخبرًا عن الله تعالى: "الشّيب نوري، وأنا أستحيي أن أحرق نوري بناري"[3]، وقال ابن عبّاس: إنّ الله حييّ كريم، والكرم ههنا لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة إيجاده وتدبيره وحفظه"[4]، ويقول: {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستبقون حياة إناثكم رجاء لخدمتهنّ، وهو أشدّ العذاب لمكان ضياعهنّ وبقائهنّ أيامى بلا أكفاء"[5]، يقول الحق سبحانه: {**وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**} [**الأحزاب: 18**]، ويقول سبحانه: {**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**} [**الأعراف: 4**] ، فالكلمة (قائل) تعدُّ من المشترك اللَّفظيِّ، حيث جاءت بمعنى القول أي الكلام الذي ينطقه اللِّسان في الآية الأولى وهي مشتقة من قول. وبمعنى القيل أي وقت الظَّهيرة مشتقة من (قيل) يوضح الإمام: " وفي قوله: {أَوْ هُمْ} قَائِلُونَ: واو مضمرة للحال، أي: وهم قائلون، والقيلولة: النّوم والاستراحة في نصف النّهار، تقول: قلت أقيل قائلة وقيلولة"[6].

---

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج14/ 211 ، مادة حيا)

(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل(ج1/33)

(3) ينظر الحديث: ابن عدي، الكامل (ج3/ 110)، والديلمي، مسند الفردوس (8039)، والحديث موضوع.

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 125)

(5) المصدر السابق (ج1/ 152)

(6) المصدر نفسه (ج1/ 642)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصل الجمع:

يقصد بهذا أن يكون الجمع متطابقًا في الشّكل والرّسم، ولكنّه يرجع إلى الاختلاف في معاني أصل المفرد، يقول الحق سبحانه: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ} [النساء: 69] وفي قوله: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} [البقرة: 133]، جاء المشترك في لفظ {شهداء}، حيث استخدم في الآية الأولى بمعنى القتلى في سبيل الله وهو جمع مأخوذ من أصل المفرد شهيد. أمَّا في الآية الثَّانيَّة، فقد استخدم بمعنى حضور أو شهود، وهو جمع مأخوذ من أصل المفرد شاهد. ويدلُّ على المعنى الأول في الآية الأولى الكلمات المجاورة: النَّبيين، الصّديقين، كذا الصَّالحين. بينما يدلُّ على المعنى الآخر في الآية الثَّانيَّة، كلمات مثل: أداة الاستفهام وحضور الموت، يقول الإمام:{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} استعينوا بآلهتكم، وإنّما سمّوا شهداء لزعمهم أنّهم يشهدون ما قدر لهم من الخير والشر فيقدرون على تغييره، أو يشهدونهم عند احتياجهم إليهم فينصرونهم، كقوله: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ} [القصص:62] على زعمهم"[1]، ويقول: "{شُهَدَاءَ} "جمع شهيد". وشهادتهم يوم القيامة على الكفّار بتكذيب الأنبياء عليهم السّلام، لما عاينوه، أو ثبت عندهم بالوحي، أو علموه بالإخبار المتواتر، وقيل: حجّة على الناس عند إجماعهم. وإنّما صاروا كذلك ؛ لأنّ كلّ نبيّ كان يتلوه"[2]،{وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} بما في كتابكم. وقيل: أنتم عقلاء، كقوله: {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق:37]، أي: حاضر بالعقل والهمّة"[3]، ويقول موضحًا دلالات الكلمة في سياقات آيات كثيرة: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} [آل عمران: 140] يجتبيكم بالشّهادة "[4]، {وَالشُّهَدَاءِ} الأئمّة الذين يشهدون على قومهم، أو المقتولون في سبيل الله، وإنّما سمّوا شهداء؛ لأنّهم يبعثون وأوداجهم تشخب دمًا يشهدون"[5]، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} [النور: 6] دليل على أنّ حكم اللعان إنّما يجب على من هو من جنس الشهداء دون المحدودين والعبيد ونحوهم "[6]. أما الانتقال من أصل الوضع إلى التّوسع في المعنى، وتمّ تقسيمه لقسمين، الأوَّل منهما: علّة المجاز في الأسماء، وثانيهما علّة المجاز في الأفعال:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 122)
(2) المصدر السابق (ج1/ 256)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 417)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 438)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 503)
(6) المصدر نفسه (2 / 355)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علة المجاز في الأسماء:

يتبين في قول الحق سبحانه: **{وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة: 45]**، ويقول سبحانه: **{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ}[التوبة61]**. فالمشترك جاء هنا في اللَّفظ (أذن) وهو بمعنى أداة السَّمع في الآية الأولى، وبمعنى الذي يستجيب لما يُقال في الآية الثَّانية، وهو في هذا المعنى مجازيٌّ، حيث نلاحظ في الآية الأولى ورود الكلمات، مثل: (السِّن بالسِّن) (والجروح قصاص) كلَّها تمثِّل السِّياق اللُّغويَّ الذي يرجِّح المعنى الأول، أمَّا المعنى الثَّاني في الآية الثَّانية، فتدلَّنا عليه الكلمة: (يؤذون)، والضَّمير(هو) حيث يتمثَّل قولهم هنا في نسبتهم إلى الرَّسول صلى الله عليه وسلم، القابلية والاستماع لما يُقال وهذا يفهم من سياق النَّص، وهذا ما يوصف بتداخل اللُّغات أو للاستعمال المجازيِّ، يقول الإمام: "{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} كان المنافقون يطعنون الدّين ويتكلّمون بالكفر ويعيبون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويقولون: إن بلغه قولنا اعتذرنا إليه وحلفنا عنده، فسيقبل عذرنا فإنّما هو أذن سامعة، وإنّما يوصف بهذا من كان سريع الاستماع سريع التّصديق من غير تحقيق. والمتكلّم بهذه الكلمة جلاس بن سويد أو الحلاس بن سويد، فبيّن الله أنّه {أُذُنُ خَيْرٍ} وصلاح ورحمة يؤمن بما يخبره الله ويشهد للمؤمنين بالصّدق، وليس أذن شرّ وفساد ليصدّق المنافقين في أعذارهم الكاذبة" [1]. يقول الحق سبحانه:**{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد: 20]**، ويقول سبحانه: **{وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ} [التوبة: 68]** فإنَّ اللَّفظ كُفَّار جمع كافر وهو مشترك لفظيٌّ، حيث جاء في الآية الأولى بمعنى تغطيَّة البذور ودفنها في الأرض، أي بمعنى الزُّراع. وفي الآية الثَّانيَّة جاء ليدلَّ على معنى التَّغطيَّة دلالة مجازيَّة، ففي الآية الأولى تغطيَّة للبذور وفي الآية الثَّانيَّة تغطيَّة للحق، يبين الإمام قول الحق سبحانه: {أَعْجَبَ الْكُفّارَ} "الزّرّاع، وقيل: أضداد المؤمنين لاختصاصهم بالسّرور العاجل، وقلّة نظرهم في العواقب، ويتابع الإمام توضيح الآية: **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} [الحديد: 20]** أي: في الآخرة شر محض، وخير محض على غير سبيل الابتلاء"[2].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 778)

(2) المصدر السابق (ج2/ 620)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علة المجاز في الأفعال:

يقول الحق سبحانه: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} [العنكبوت: 62] ويقول الحق سبحانه:{وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: 29] فالاشتراك اللَّفظيُّ هنا جاء في الفعل (بسط) والبسطُ في اللُّغة نقيض القبض، ويُراد به في الآية الأولى معنى التَّوسعة وهذا أقرب إلى أصل معنى البسط، ويُراد به في الآية الثَّانيَّة الإسراف وهو مجاز، "فالتداخل بين ألفاظ كل من ظاهرة المشترك والتضاد يرجع لاختلاف اللغات"(1)، وهذا ما عبر عنه الإمام بقوله: "وفي الآية نهي عن الإمساك والبخل، ونهي عن الإسراف في النفقة" (2). أما في قوله سبحانه: {وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60] فالمشترك اللَّفظيُّ جاء هنا في الكلمة (استخفّ) حيث جاء دالًا على معنى خفيف الحمل ممَّا يحمل من الأشياء في الآية الأولى وهو المعنى الأصليُّ، وفي الآية الثَّانية بمعنى: ألا يُسْتَخَفُّ بأمره الكفار ويهزأ به وهذا مجاز مأخوذ من الأوَّل، أنَّ التَّفريق بين اللَّفظين لم يكن ليتَّضح لولا السياق، ويشير الإمام للمعنى الثاني بقوله:"{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ} كقوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} [النور:63]، واستخفاف الإنسان ضدّ توقيره"(3).

تعدد الوظائف:

تتعدَّد وظائف الأدوات مثل: أدوات النَّفي والاستفهام والموصول وحروف الجر. فالاشتراك اللَّفظيُّ في اللَّفظ (ما) يأتي ويدلُّ على معانى كثيرة: "فهي أداة متعدِّدة الوظائف، فهي تتعدَّد معانيها ويظلُّ مبناها على حاله لا يتغيَّر"(4)، منها النَّفي وهو حرف في قوله سبحانه: {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 8] وعلى معنى الموصوليَّة في قوله: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [النحل: 49] وهو اسم، وعلى معنى الاستفهام في قوله:{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه: 17] وعلى معنى الشَّرط في قوله: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ} [البقرة: 197]. والسِّياق هو أساس تحديد هذه المعاني المختلفة في هذه الآيات، فالفيصل في حسم هذا التَّعدد الوظيفيِّ هو السِّياق، وأمثلة الإمام كثيرة في ما واستخداماتها وتعدد وظائفها: " {مَثَلًا مَا بَعُوضَةً} [البقرة: 26] (ما) صلة، كقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ} [آل عمران:159]، {فَمَا فَوْقَهَا} [البقرة:

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة (ج1/384)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 212)

(3) المصدر السابق (ج2/ 439)

(4) تمام حسان، اجتهادات لغويّة (ص186)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

26] أكبر منها مثل الذباب والعنكبوت، وقيل: فما فوقها في الصّغر"[1]، "{فَبِما رَحْمَةٍ} (ما): صلة عند الكوفيّين، وقائم مقام (شيء) عند البصريّين والرّحمة كالبدل والبيان"[2]. وفي قول الحق: {إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} [البقرة: 246]، يقول الإمام:{وَما} للنّفي عند المبرّد، وقوله: {أَلاّ نُقاتِلَ} في تقدير الابتداء، وقال غيره: (ما) للاستفهام"[3]، وقوله: (ما أصبرهم): على التعجّب، {عَلَى النّارِ} على موجبها. وقيل: ما أدوم حبسهم عليها. وقيل: ما أجرأهم عليها كما يقال: ما أصبر فلانًا على القتال"[4]. ويقول:{ما نَنْسَخْ} (ما): بمعنى الذي، إلا أنّ فيه معنى الشرط بدلالة جزم الفعل، نظيره: {وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ} [البقرة:110]"[5]، ويقول في تفسيره الآية الكريمة: {وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا} [المائدة: 4]: "{وَمَا عَلَّمْتُمْ } من الشرط، والجواب {فَكُلُوا} "[6].

علَّة تعدُّد معاني الأصل الواحد:

يُراد بهذا رجوع معاني الآية إلى لفظ واحد متعدِّد المعاني على سبيل الأصل لا المجاز، فاللَّفظ المشترك ربَّما يرجع لعلة تختلف عن علَّة المجاز، بمعنى أن لا تكون هنالك علاقة بين اللَّفظين وقد يكون جاء أحدهما من لغة أخرى قديمة أو قد يكون وضع لكلِّ لفظ معنىً وقد تصادف اللَّفظان في الشَّكل فقط، ومنها:

تعدُّد معاني الأصل الاسميّ:

يقول الحق سبحانه: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } [محمد: 15] ويقول سبحانه: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ } [الشعراء: 100- 101] فالاشتراك هنا في اللَّفظ حميم حيث يُراد به في الآية الأولى شدَّة الحرارة. ويراد به في الآية الثَّانيَّة الصَّاحب الخالص الود. ولعلَّ الكلمتين ترجعان إلى أصل اسميٍّ واحد، يوضح الإمام:"{حَمِيمٍ} ماء مسخن، ومنه

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 126)
(2) المصدر السابق (ج1/ 445)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 421)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 278)
(5) المصدر السابق (ج1/ 218)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 548)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحمام والمستحم. وحميم جهنّم يشوي الوجوه بئس الشّراب"[1].{حَمِيمٍ} أن بلغ غاية الحرارة من شدّة غليانه، وكأنّه من قوله: **{غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ} [الأحزاب:53]**"[2]،"{وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} خليل خاصّ، وحامّة الرجل خاصّته"[3]، ففي قول الحق سبحانه:**{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} [المائدة: 45]** وقوله سبحانه: **{فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [الأعراف: 160]** فالمشترك اللَّفظيُّ هنا جاء في كلمة عين حيث يُراد بها في الآية الأولى عضو الإبصار. ويراد بها في الآية الثَّانية ينبوع الماء، يشير الإمام:" {فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} موضع من البحر المستدير، سخن ماؤه من أسن، وكثر فيه الحمأ من حرارة الشمس. قيل: غروبها في العين الحمئة الحقيقية، وقيل: مجاز وتمثيل"[4] "{عِينٌ} جمع عيناء، وهي الواسعة العين، كقوله: **{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 7- 8]**[5]، "والفرق بين {عِلْمَ الْيَقِينِ} و {عَيْنَ الْيَقِينِ} أنّ {عِلْمَ الْيَقِينِ} يؤثّر في القلب لا في النّفس، {عَيْنَ الْيَقِينِ} يؤثّر فيهما جميعا على ما سبق في قصّة إبراهيم"[6]. يقول الحق سبحانه: **{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ} [الأحقاف: 35]** ويقول سبحانه:**{الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} [التوبة: 117] ويقول أيضًا:{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} [الأنعام: 31]** فالاشتراك اللَّفظيُّ هنا في اللَّفظ ساعة وهو جاء بمعانٍ مختلفة في الآيات الثَّلاث. ففي الآية الأولى، يدلُّ بمعناه على جزء قصير من الزَّمن يصوِّر حال هؤلاء النَّاس يوم القيامة. أمَّا في الآية الثَّانية، فإنَّ المعنى يُراد به لحظة، ويدلّنا على هذا المعنى السِّياق اللُّغويُّ ،أمَّا في الآية الثَّالثة، فإنَّ معنى (السَّاعة) المراد بها يوم القيامة، يقول الإمام: "و {السّاعَةُ} اسم من أسماء القيامة كالآزفة"[7].

أما في قول الحق سبحانه: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43]** ويقول سبحانه: **{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: 13]** فالمشترك اللَّفظيُّ يتمثَّل في كلمة (زكاة)، حيث يُراد بها في الآية الأولى زكاة المال، أمَّا في الآية الثَّانية فيُراد بها التَّعطف والرِّعاية، حيث يشير الإمام: "{وَآتُوا الزَّكاةَ} أعطوها إذا وجبت عليكم، والزّكاة في اللغة: نموّ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 813)
(2) المصدر السابق (ج2/ 609)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 395)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 258)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 478)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 733)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 607)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخير، يقال: زكا الزرع، إذا نما، وفي الشرع: عبارة عن جزء معهود من النّصاب يعتبر فيه الحول. وإنّما سمّي زكاة ؛ لأنّ الله تعالى يكثر وينمي ثواب مؤدّيها، وقيل: لوقوع التزكية بها، قال الله تعالى: {**خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها**} **[التوبة:103]**"[1]. "{وَحَنانًا} عطفًا ورحمة ورزقًا وبركة، تقول العرب: حنانك، وحنانيك ربّنا"[2].

علَّة تعدُّد معاني الأصل الفعليّ:

اتضحت علة تعدد الأصل الفعلي في قول الحق سبحانه: {**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**} **[الكهف: 108]** أما قوله سبحانه :{**قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** } **[ص: 24]** فالمشترك في كلمة (يَبْغِي) حيثُ يُراد بالأوَّل يطلب أو يريد، ويُراد بالثَّاني يجور ويعتدى، ففي الآية الأولى نلاحظ سياق الآية الذي يتحدث عن حال المؤمنين في الجنَّة، الذي تدلُّ عليه العبارة خالدين فيها أي الجنَّة، أمَّا المعنى في الآية الثَّانية فيتمثَّل سياقه في الكلمات: (الخلطاء، كثيرًا، بعضهم) فهي هنا تعني الجور والتَّعدي والظُّلم، فيتَّضح المعنى في الكلمتين من خلال سياقهما. يقول الإمام: {حِوَلاً} تحوّلًا وانتقالًا، ولا وصف لطيب المكان أبلغ من نفي ابتغاء التحول عن نازلته، فإنّ الإنسان يسأم الحياة، فكيف بما دونها"[3]، {قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ} خاطب الذي يصوّر له أنّه مظلوم دون الذي تصوّر له أنّه ظالم، إعزاز الذليل وإهانة الظالم، {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ} يجوز أن يكون من كلام داود عليه السّلام، ويجوز أن يكون كلامًا عارضًا في أثناء القصّة من جهة الله، ويجوز أن يكون من كلام الخصمين بإضمار القول"[4]. يبين الإمام: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} **[البقرة: 63]** وأخذه: عقده وإحكامه، قال في المنافقين: {**قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا**} **مِنْ قَبْلُ [التوبة:50]**، وقد يكون بمعنى الأسر كقوله: {**وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ**} **[التوبة:5]**، وبمعنى الغصب كقوله: {**يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**} **[الكهف:79]** وبمعنى القبول والتّمسّك كقوله: {**خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ**} **[البقرة:63]**"[5].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 145)

(2) المصدر السابق (ج2/ 265)

(3) المصدر نفسه (ج2/ 261)

(4) المصدر نفسه (ج2/ 525)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 192)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استعمال المشتق في غير وجهه:

يُراد أن يستخدم المشتق بمعنيين مختلفين، كأن يأتي في موضع: اسم فاعل وفي موضع آخر ظرفًا، يقول الحق سبحانه: **{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصافات: 164]** ويقول سبحانه:**{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: 46]** ، فالمشترك اللَّفظيُّ جاء هنا في (مقام) يدلُّ في الآية الأولى على معنى المنزلة، بينما يدلُّ في الثَّانية على معنى الجلال والقدر والعظمة، يبين الإمام: "{وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ} أي: مقامه بين يدي ربّه فيتّقيه، وهو عامّ في الجنّ والإنس على الظّاهر"[1]، {وَما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} ، أي: إلا من له"[2]. والمدقق في كلام الإمام يلاحظ توضيح الإمام بألفاظ مكثفة موجزة.

علَّة الانتماء إلى أنماط مختلفة من أجزاء الكلام:

من محاور المشترك اللَّفظيِّ، أنَّ الأجزاء المشار هي أجزاء الكلام، وتشمل: الأسماء والأفعال والصِّفات والظُّروف فالاختلاف بين الكلمتين يرجع إلى أنَّ كلًا من الكلمتين ينتمي إلى جزء من أجزاء الكلام يغاير انتماء الكلمة السَّابقة، ومنها:

علَّة الانتماء إلى الفعل والوصف:

تأتي الكلمة المشتركة في الآيتين المختلفتين مرة فعلًا وتارةً وصفًا (ذات مصدر)، يقول الحق سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: 200]** ويقول سبحانه: **{ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف: 69]** ، فالاشتراك جاء هنا في اللَّفظ (صابر) وعلَّته الانتماء إلى أجزاء مختلفة حيث نجد في الآية الأولى أنَّ معنى صابر فعل أمر أي اصبروا، وفي الآية الثَّانية نجد معناه وصفًا أي نجده متجلِّدًا، وهذا ما عبر عنه الإمام بقوله: " (الصّبر): على أيّ مكروه وعن أيّة شهوة، و(المصابرة): للعدوّ وعلى مكروه الحرب وحرّها"[3].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 610)

(2) المصدر السابق (ج1/ 203)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 460)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علّة الانتماء إلى الفعل والاسم:

يُراد بهذا المصطلح أن يأتي المشترك في موضع اسمًا (اسم ذات أو مصدر)، يقول الحق سبحانه: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65] ويقول: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} [النحل: 10]، فالاشتراك في اللّفظ (شجر) حيث يدلُّ على معنى الاختلاف في وجهة النّظر في الآية الأولى، أمّا في الآية الثّانية، فإنّه يدلُّ على النّبات ذي السَّاق، يقول الإمام: "{شَجَرٌ} كلّه ما ينبت من الأرض" [1]. {شَجَرَتَها} كلّ شجرة إلا العناب والصّندل والآبنوس، والعرب تقول: في كلّ شجر نار، واستمجد المرخ والعفار"[2]، يقول الإمام: "و(النصر): المنع ، كقوله: {وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي} [هود:30]، وقد يكون بمعنى الإعانة، قال الله تعالى: {مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ} [آل عمران:52]"[3].

المشترك اللفظي في السياق ذاته:

يبين الإمام المشترك اللفظي في (راعنا) في الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 104] "نزلت في النهي عن لفظة كان المسلمون يتلفّظون بها، ويلحن فيها اليهود ليًّا بألسنتهم يريدون الشتم، وهي لفظة (راعنا)، قال ابن عرفة: هو من المراعاة ، والعرب تقول: راعني، أي: تعهّدني، وافهم عنّي وأفهمني. وقال الأزهري: ظاهرها: أرعنا سمعك، وكانت اليهود تذهب بها إلى الرعونة ، والأرعن: الأحمق. وقيل: كانوا يقولون: راعينا، يعنون راعي السائمة، فنسخ الله تعالى تلك الكلمة بقوله: {أنْظُرْنا} أي: انتظر وارتقب ما يكون منّا من سؤال أو نحوه"[4]. وفي قول الحق سبحانه: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 102] ، يذكر الإمام: يحتمل أنّ (أنفسهم) مشترى بها، فيكون حينئذ {شَرَوْا} بمعنى: باعوا، وإنّما باعوا أنفسهم بتفويت حظّها من الآخرة، وفعلهم مذموم سواء علموا أو لم يعلموا، إلا أنّ المراد به كونه مذمومًا عندهم"[5]،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 183)

(2) المصدر السابق (ج2/ 616) واستمجد النار: أي استكثر من النار. وهو مثل تضربه العرب في الشرف العالي، والمرخ والعفار شجرتان فيهما نار. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال (ج2/ 74)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 151)

(4) المصدر السابق (ج1/ 216)

(5) المصدر نفسه (ج1/ 215)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والشرى بمعنى البيع، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف:20]"[1]. وفي قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: 74] يقول: "المؤمنون، والشّرى بمعنى البيع، ويحتمل أنّهم المنافقون، فيكون الشّراء بمعنى الاشتراء، والتفسير هو الأوّل"[2].

4- المعرب:

التعريب في اللغة والاصطلاح:

من عرّب الاسم الأعجمي، أي صيره عربيًا [3]هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها، على نهجها وأساليبها، فألحقته بأوزانها وأبنيتها وأصواتها[4]، وحده القدماء بأن تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهجها [5]، مثل : (السجنجل، والسندس، وغيرها). وقد قسم أبو حيان الأسماء الأعجمية على ثلاثة أنواع: الأول ما غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكمها حكم أبنية الأسماء العربية في اعتبار الأصلي والزائد والوزن وهو المعرب؛ والثاني ما غيرته العرب ولم تلحقه بأبنية كلامها، أما الثالث، فقد تركوه دون أي تغيير، وكلاهما يسمى الدخيل، فالتعريب يصير اللفظ عربيًا ويمنح للغة ملكًا جديدًا، أما الدخيل فهو إيراد للألفاظ الغريبة في ثنايا التركيب العربي[6].

أسباب نشوء المعرب والدخيل:

إنّ وقوع المعرب والدخيل في اللغة عمومًا أمر لا يقبل الشك فاللغات الإنسانية جميعها تتبادل التأثير والتأثر وهي جميعها تقرض غيرها وتقترض منه متى تجاورت أو اتصلت بعضها ببعض على أي وجه وبأي سبب ولأية غاية. فالحاجة هي الشرط الأساسي للاستعارة والاقتراض من اللغات الأخرى، أما إدخال ألفاظ أجنبية للاستعراض والتشدق بمعرفة لغة أجنبية فهذا أمر لا شك أنه يضعف اللغة ويؤدي إلى ظاهرة غير مرضية. وقد كان العرب على صلة بالشعوب المختلفة، فالعربية لغة جاورت لغات أخر مثل: لغة الفرس والروم والأحباش وغيرها، فهي ليست بمعزل عن جاراتها، ودخول الكلمات الأعجمية قديم في العربية وما ذاك إلا نتيجة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 307)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 611)

(3) ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ص : 48)

(4) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة (ص 125)

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج576/1، مادة عرب)

(6) ينظر: محمد مبارك، فقه وخصائص العربية (ص 295)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاتصالها بتلك اللغات فضلًا عن غيرها من الأسباب التي رافقت الحياة العربية من مجيء الإسلام والمد الحضاري فدخلت كلمات كثيرة إلى فضاء اللغة، حتى عد أحد مظاهر التقاء العربية بغيرها من اللغات على مستوى المفردات. وأن أهم ما جعل العربية تتأثر باللغات الأخرى هي العلاقات التجارية والرحلات المختلفة، كذلك سمحت الفتوحات الإسلامية للعرب بالتمازج مع الشعوب الأخرى، فاستفادت من الفارسية والسريانية واليونانية والأتراك والأكراد، وكذلك دور الحروب في مشرق العالم الإسلامي ومغربه من الحروب الصليبية وفتح الأندلس[1].

طريقة العرب في نقل الألفاظ الأجنبية أو التعريب تقوم على أمرين:

أ – تغيير حروف اللفظ الدخيل، وذلك بنقص بعض الحروف أو زيادتها مثل : برنامه (برنامج) بنفشه (بنفسج)، أو إبدال حرف عربي بالحرف الأعجمي: بالوده (فالوذج) برادايس(فردوس).

ب – تغيير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية ويناسب أبنيتها فيزيدون في حروفه أو ينقصون، ويغيرون مدوده وحركاته، ويراعون بذلك سنن العربية الصوتية كمنع الابتداء بساكن، ومنع الوقوف على متحرك ، ومنع توالي ساكنين[2].

المُعرَّبُ في القرآن الكريم:

شغلت هذه القضية أذهان العلماء قديمًا وحديثا؛ لمساسها بالقرآن الكريم، وتعلقها بأساسه المتين، فوقع خلاف بينهم، حيث قال بعضهم بمنع وقوع المعرَّب في القرآن الكريم[3]، وقال بعضهم بجوازه، و توسط آخرون بين الرأيين.

تتأثّر اللّغات بعضها ببعض، والعربيّة كغيرها أثّرت في اللغات المجاورة لها، وتأثّرت بها، وأهمّ ناحية يظهر فيها هذا التّأثير هي تبادل المفردات بين اللّغات. والألفاظ التي أخذتها العربيّة من غيرها هي ما يسمّى بالمعرّب[4]، وقد اختلف علماؤنا الأوائل في وجود المعرّب في

(1) ينظر: كل محمد باسل، المعرب والدخيل (ص 17 –20)
(2) ينظر: فرحان سليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات (ص9)
(3) ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة (ص 363)
(4) ينظر: المصدر السابق (ص 358 – 359)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن الكريم وعدمه، فأجازه قسم منهم، وأنكره آخرون حتى قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "من زعم أنّ في القرآن لسانًا سوى العربيّة، فقد أعظم على الله القول"[1].

الرأي الأول عدم وقوع المعرَّب في القرآن الكريم:

عُرف هذا الرأيُ برأي اللغويين، ونسبه السيوطي إلى الأكثرين، ومنهم: أبو عبيدة معمرين المثنى صاحب كتاب: مجاز القرآن وأبو بكر الأنبا ري صاحب كتاب: البيان في غريب إعراب القرآن، وابن فارس صاحب كتاب: الصاحبي في فقه اللغة والشافعي صاحب كتاب: الرسالة، وابن جرير الطبري صاحب تفسير: جامع البيان في تفسير القرآن وغيرهم، اختلفت الأئمة في وقوع المعرب في القرآن: فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: (قُرآنًا عَرَبيًا). وقوله: **{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ } [فصلت: 44]** ، وحجتهم: أن في القرآن الكريم آيات كثيرة تقطع بأنه عربي، والقول بأن فيه من لغات العجم ينافي ذلك[2]، وذلك بقول الحق سبحانه في الآيات الكريمة: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: 2] {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} [الرعد: 37]{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه: 113]{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: 28] {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت: 3] {كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } [الشورى: 7]{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: 3] {وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ } [الأحقاف: 12] {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103] {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: 195]**، أما الألفاظ التي قيل بأنها معرَّبة فهي ألفاظ عربية اتفق استعمال العرب لها مع غيرهم، فهذا من توارد اللغات، فقد تتفق أمّتان أو أكثر في استعمال كلمة واحدة لمعنى واحد أو مختلف. كذلك فإن اللغة العربية لا يحيط بها إلا نبي؛ فيحتمل أن تكون معاني هذه الكلمات قد خفيت على بعضهم؛ فظن أنها غير عربية الأصل، كانت لغة قريش كما قال ابن خلدون: "بعيدة عن بلاد العجم من جميع جهاتها"[3]، وإن كان بعدها عنها لم يحل دون تسرب الألفاظ الفارسية والرومية

---

(1) أبو عبيدة بن المثنى، مجاز القرآن (ج1/ 17)

(2) ينظر: السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص 57)

(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ص635)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها، ولكن عند الحديث عن التعريب، فإن مقدرة لغةٍ ما على تمثل الكلام الأجنبي، تعد مزية وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها، وصبّته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها (1).

الرأي الثاني وقوع المعرَّب في القرآن الكريم:

عُرف هذا الرأيُ برأي الفقهاء، ومنهم: ابن عباس ، ومجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير ، وعطاء، ووهب بن منبه، والجو يني، وغيرهم. ومال إليه ابن جني والسيوطي.

الرأي الثالث الجمع بين الرأيين السابقين:

صاحب هذا الرأي هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ومال إليه أبو منصور الجواليقي، وابن الجوزي، وآخرون. وأيد هذا الرأي كثير من المحدثين وفي الحقيقة رأي أبي عبيد يتفق مع أصحاب الرأي الثاني القائل بوقوع المعرب في القرآن الكريم، فهو يقرر أن هذه الأحرف أصولها أعجمية، لكنها عربت وحولت إلى العربية، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير. والنبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} [إبراهيم: 4]**. فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه (2).

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في معرض تفسيره للآية الكريمة: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: 193 - 196]** بقوله: " دليل على أنّ القرآن هو هذا المعنى المنظوم المكتسي بلفظ موسوم، سواء كان عربيًّا أو غير عربيّ، معجزًا أو غير معجز، وإنّما أنزله الله في ألفاظ عربيّة، ليكون أبين للمخاطبين في عصر النزول، وإنّما جعله معجزًا ليكون برهانًا كاليد والعصا، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى"(3)، ويقول الإمام : "وذلك أنّهم كانوا يتّهمون رسول الله أنّه يتعلّم من جبر ويسار وعائش، فبرّأه الله تعالى مرّة بقوله: **{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: 6]** ومرّة بقوله: **{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل:103]**، فلمّا نبّههم على هذا رموه بالشعر والسحر والكهانة"(4)، إن وجود المعرَّب في القرآن الكريم لا يقدح في عربية القرآن الكريم؛ إذ إن هذه الألفاظ القليلة لا تخرج

(1) ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص 110)

(2) ينظر: السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص 62)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 397- 398)

(4) المصدر السابق (ج2/ 379)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن الكريم عن عربيته، بل إن الحق سبحانه خاطب القوم بلغتهم التي يتحدثونها ويفهمونها وهذا دليل مرونة هذه اللغة العظيمة واتساع آفاقها؛ إذ استطاع أصحابها أن يُطوّعوا هذه الألفاظ ويخضعوها لمِنهاجهم ، ويجروا عليها قوانين لغتهم ، فصارت تجاري ألفاظها في الفصاحة والبلاغة.

بذل كثير من العلماء جهودًا كبيرة في محاولة الوقوف على الألفاظ المعربة في القرآن الكريم، وعلى رأس هؤلاء السيوطي (ت 911هـ) فقد جمع في كتابه: (المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب) فوق مائة وعشرين كلمة، رتبها هجائيًا من الألف إلى الياء، مبينًا أصلها الأعجمي الذي ترجع إليه ومنها: (الأرائك): حكى ابن الجوزي في (فنون الأفنان) أنها السرر بالحبشية[1]، (استبرق) : قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك حدثنا جويبر عن الضحاك قال: الاستبرق الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره، وقال الجوالبقي: الإستبرق: غليظ الديباج، فارسي معرب، وممن صرح بأنه بالفارسية أبو عبيد وأبو حاتم وآخرون"[2]. و(الزنجبيل) : حكى الثعالبي في (فقه اللغة) أنه فارسي وكذا الجواليقي"[3].

المعرَّب في تفسير درج الدرر:

وردت في (درج الدرر) ألفاظ كثيرة ذكر الإمام أنّ أصلها من لغات أخرى أوان أصلها أعجمي، وهذا يعني أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني لا ينكر وجود المعرّب في القرآن الكريم بل من المؤيدين، ومن أمثلة ذلك: في قول الحق سبحانه: **{يا بَنِي إِسْرائِيلَ} [البقرة:40]** ذكر أنّ (إسرائيل) من أصل غير عربي، فيقول: "وسمّي إسرائيل؛ لأنّه كان أساسًا للأسباط ومن بعدهم إلى عيسى عليه السّلام، و (إسرو) بالعبرانيّة هو الأساس، و (إيل) اسم الله، ثمّ قال: "ثمّ لم يكن في لغة العرب ضمّة مشبعة معجمة منحوّا فيها نحو الألف، كما قالوا مكان (إشموئيل): إسماعيل"[4]. وفي قوله سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا} [البقرة:62]** يقول: "اليهود: جمع يهوديّ، مثل: عربيّ وعجميّ"[5] ، ثمّ يقول: "وقيل: اسم عجميّ معرّب، فلمّا عرّب جعل كأنّه اشتقّ من هاد يهود"[6]. وفي قوله سبحانه **{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى} [البقرة: 51]** يقول: "وحقيقة

---

(1) ينظر: السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص 68)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ص 71)
(3) المصدر السابق (ص 94)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 141)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 168)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 168)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوعد أن يكون للشيء، فإذا كان على الشيء فهو مجاز، والمراد به التخويف بالجائز الممكن، كقوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة:268]، وقال صلّى الله عليه وسلّم في دعائه: "يا من إذا وعد وفى وإذا توعّد عفا"، و(موسى): اسم أعجميّ أصله: موشي، أي: الماء والشجر؛ لأنّهم التقطوه بين الماء والشجر، فعرّبته العرب"[1]. وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران:3] ذكر أكثر من قول عن أصل (التّوراة)، منها أنّها من أصل عبري، فيقول: "وقيل: إنّه باللغة العبريّة: توروه، وهو الأدب والمتأدّب"[2]. وفي قوله سبحانه: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: 34] ويقول: "وهو (إفعيل) من: أبلس، أي: يئس من رحمة الله، وقيل: إنّه اسم أعجميّ لذلك لا ينصرف"[3]، وحين نقل الأقوال المختلفة في معنى (الجبت) في قوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النّساء:51] ذكر منها أنّه: "السّحر بلغة الحبشة، يعني: مشتركة بينهم وبين بعض العرب"[4]. وفي كلامه على المراد بـ (عدن) في قوله سبحانه: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:72] يقول الإمام: "وسأل ابن عبّاس كعبًا عن العدن فقال: هي الكروم والأعناب بالعبرانيّة"[5]، وفي قوله سبحانه: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: 206] يقول الإمام: "أخذت من التّجهّم وهو النكرة، قال رؤبة: ركية جهنّام، أي: بعيدة القعر، وقال يونس: اسم أعجميّ، وقال أبو عبيدة: (جهنّم) إنّما لا ينصرف لأنّه اسم مؤنّث زاد على ثلاثة أحرف، والمراد به دار العذاب التي أعدّ الله لأعدائه في الآخرة"[6]. ويقول :"و(نوح): اسم أعجميّ، سمّي نوحًا لكثرة نياحته وبكائه من خشية الله تعالى، بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14] ولم يؤمن به إلا شرذمة، ولمّا أتاح الله له النّصرة والفرج أوحى الله إليه أن اصنع الفلك"[7]، ويبين الإمام أصل اسم الله سبحانه﴿الْقُدُّوسُ﴾ بقوله: "اسم عظيم من أسماء الله تعالى، اشتقاقه من القدس، وقال أبو عليّ الفسويّ: أصله من السّريانيّة قديس"[8].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 154)
(2) المصدر السابق (ج1/ 376)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 134)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 496)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 782)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 306)
(7) المصدر نفسه (ج1/ 391)
(8) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1613)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- لغات العرب:

إن العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ووصَلَنا بها الشعر الجاهلي، وكُتِبَ بها تراثُنا الإسلامي، لا تزال لغة العرب في كل مكان، يستخدمها المسلمون في العالم كله في عباداتهم، وفي كثير من شؤون حياتهم، لغة مشتركة للعرب جميعًا، تعاملوا بها، واستعملوها في لقاءاتهم ومواسمهم الدينية والثقافية والتجارية، وإلى جانب هذه اللغة كان لكل قبيلة لهجة خاصة بها، أو لغة خاصة، إن ما وصلنا من روايات عن لهجات العرب قبل الإسلام ليس بالشيء الكثير الذي يمكن أن يصور لنا حجم هذه اللهجات ومدى بعدها أو قربها من الفصحى. والمراد بلغات العرب اختلاف لهجات القبائل العربية. واللهجات في اصطلاح المحدثين هي: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[1]، لكن ما وصلنا من أدب جاهلي لا يمثل اللهجات الخاصة بقبائل شعرائه بقدر ما يمثل الفصحى؛ لأن العلماء أضربوا كثيرًا عن نقل اللهجات لأن ما وصلنا من أخبار وروايات عن اللهجات العربية، وما جاء منها في القراءات المتواترة وغير المتواترة يمكن أن يُستنتج منه بعضُ خصائص اللهجات العربية، ويبين لنا أن الاختلافات بين اللهجات لا تعدو أن تكون اختلافات قليلة من إمالة صوت أو إبداله، أو إدغامه، أو إعمال حرف عند قبيلة تهمله قبيلة أخرى، أو اختلاف في دلالة لفظ بين قبيلة وأخرى، أو أنها – بصفة عامة – لا ترقى إلى درجة الزعم بأن اللهجات العربية كانت متباعدة، أو أنه كان لكل قبيلة لهجة خاصة، فالأصلُ فيمن نزل القرآن بلغتهم، قريش، الذي خلصت به لغتُهم إلى التهذيب، داوروا بينهم في لغات العرب ممن كان يجتمع إليهم من الحجيج أو ينزل بهم من العرب في كل موسم ومُتَسوق. وكان طبيعيًا أن يكون القرآن بلغة قريش، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قُريشي، ثم ليكون هذا الكلام زعيمَ اللغات كلها كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارةِ المسجد الحرام، وغيرها من خصائصهم؛ وقد ألف العرب أمرهم ذلك واحتملوا عليه وأفردوهم به[2].

روى أهل الأثر حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله: " أنزلَ القرآنُ على سبعة أحرف، لكل منها ظَهرٌ وبَطن، ولكل حرف حَد، ولكل حد مطلَع " ثم اختلفوا في تأويله وفي تفسير هذا الأحرف ولكن الأكثرين على أنها سبعُ لغات من لغات قريش وألفافها من ظواهر مكة إلى قيس[3]، وهذا المقصود والمراد بالأحرف السبعة أي سبع لغات من لغات العرب

(1) إبراهيم أنيس، اللهجات العربية (ص 16)

(2) ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص 46)

(3) المصدر السابق (ص 50)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمعنى أن القرآن لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب وهي لغة قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن وهي أفصح لغات العرب[(1)]. ويبين الإمام أن أهل اللغة ذكروا في {هَيْهاتَ} سبع لغات: "هيهات بالفتح بغير تنوين، وهيهاتًا بالفتح والتنوين، وهيهات بالضمّ من غير تنوين، وهيهات بالضمّ والتنوين، وهيهات بالكسر من غير تنوين، وهيهات بالكسر والتنوين، وإيهات بإبدال الهمزة من الهاء الأولى، ومعناها النهي والنفي، وفيها شيء من معنى كلاّ"[(2)]، لقد "كانت العربُ تحضر المَوسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية وقريشٌ يسمعون لغاتِ العرب فما اسْتحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصحَ العرب وخلَتْ لغتُهم من مُستبْشع اللغات ومُستقبَح الألفاظ"[(3)]، يقول الإمام: "والعرب في فصاحتهم قصور، وقريش هم الغاية في الفصاحة"[(4)]. يقول ابن فارس:"أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشًا قطان حرمه، وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم"[(5)]، يقول ابن جني:" ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء"[(6)] ، "فالقرآن الكريم "احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير"[(7)]. "وقد داوروا بينهم لغات العرب جميعًا وتداولوها وأخذوا ما استملحوه من هؤلاء وهؤلاء في الأسواق العربية ومواسمها ووقائعها وحجها وعمرتها ثم استعملوه وأذاعوه بعد أن هذبوه وصقلوه، وبهذا كانت لغة قريش مجمع لغات مختارة منتقاة من بين لغات القبائل كافة"[(8)].

---

(1) ينظر: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (ج1/ 180)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1266)
(3) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 175)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 593)
(5) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص 28)
(6) ابن جني، الخصائص (ج2/ 13)
(7) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج2/ 127)
(8) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (ج1/ 190)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لغات العرب في تفسير درج الدرر:

يقول الإمام في تفسيره قول الحق سبحانه:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} **[يوسف: 2]** "{إِنّا أَنْزَلْناهُ} الضمير عائد إلى الكتاب {قُرْآنًا} اسم من القراءة، أو مصدر {عَرَبِيًّا} بلغة العرب قال عليه السّلام: "إنّ العربية ليست باب والد، ولكن كل من تكلم بالعربية فهو عربيّ"(1)، ويبنن الإمام:{عَرَبِيًّا} بلغة العرب، وعبارتهم، ويجوز أن يكون موصوفًا بأنّه عربيّ؛ لمكان الحج والغزو والنحر والقصاص وبيعة الإمامة والأذان والخطبة وهذه الأشياء شعار العرب، وهم معنيون، والناس كالأتباع لهم"(2)، وفي (درج الدرر) أمثلة متفرّقة استشهد فيها الإمام بلغات العرب، منها: في قوله سبحانه: **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة:23]** ذكر رأيين في الأصل الذي أخذت منه (السّورة) أحدهما أنّها "من السّؤر في الإناء، وهو القطعة الباقية منه، وهو بالهمز إلا أنّ لغة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ترك الهمز" ، وهو يريد أنّ ترك الهمز"(3) لغة الحجاز، وفي قوله سبحانه: {أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} [البقرة:248] بيّن معنى (التّابوت) ووزنه الصرفي، وذكر لغتين في جمعه، فقال: هو الصندوق، على وزن (فاعول) مثل: كانون، وجمعه: توابيت بلغة قريش، وبلغة الأنصار: التّابوه والتّوابيه"(4).أما في قوله سبحانه: **{حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ} [الأعراف:57]** ذكر أنّ وصف السحاب بالجمع لغة تميم، وعود هاء {سُقْناهُ} إليه بالإفراد لغة قريش فقال: "وإنّما وصف السّحاب الثّقال على اعتبار الجمع، وهو لغة تميم، ثمّ تحدّث عن الهاء في (سقناه) "فقال: الهاء عائدة إلى السّحاب. وهو لغة قريش، يذكرون بلفظ الوحدان كلّ جمع لا فرق بينه وبين واحدته إلاّ بالهاء"(5)، وفي قوله سبحانه: **{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص: 11]** يقول الأمام أيضًا:{جُنْدٌ ما هُنالِكَ} (ما) للنّفي على لغة تميم، وتقديره: جند هنالك ما هو مهزوم من الأحزاب، أو جند ما هو هنالك بمهزوم، أو جند ما هو بمهزوم هنالك، فإن صح هذا المعنى

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 119)
ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج12/ 407) وقال عنه ابن تيمية في "الاقتضاء": هذا حديث ضعيف، وكأنه مركب. وقال الألباني: ضعيف جدًا، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج2/ 325)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 156)
(3) المصدر السابق (ج1/ 122)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 422)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 660)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمراد بالجند الملائكة، و(هنالك) إشارة إلى الأسباب"[1]، ويشير للغة حمير أو الحبشة في قوله سبحانه: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ } [الصافات: 63] {فِتْنَةً لِلظّالِمِينَ} من وجهين: أحدهما: كون عينها عذابًا لأهل النّار، والثاني: كون اسمها سببًا لضلالة الكفّار؛ لأنّه موافق لاسم الزّبد مع التّمر على لغة حمير أو الحبشة"[2]. وفي أثناء كلامه على معاني (الطّوفان) في قوله سبحانه: {فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ} [الأعراف:133] نقل عن وهب قوله: "هو الطّاعون، بلغة أهل اليمن"[3]، وللغة اليمانية يذكر أيضًا: " {كِذَّابًا} [النبأ: 28] لغة يمانية فصيحة مصدر التّكذيب"[4].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 520)
(2) المصدر السابق (ج2/ 512)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 68)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 685)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

المعاني وأحوال اللفظ العربي

www.manaraa.com

التمهيد:

يهتمّ علم المعاني بدراسة طبيعة ألفاظ اللغة العربية التي تتطابق مع الحال المرتبطة به، وباللفظ من حيث فائدته في المعنى، وبالتالي تختلف طبيعة اللفظ مع اختلاف الحال. أي مع الغرض الذي يدلّ عليه في سياق النص، ويختص بعنصر المعاني والأفكار وإلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف وعلاقة كل جملة بالأخرى، وإلي النص كله بوصفه تعبيرًا متصلًا، فالكلامَ البليغَ هو الذي يُصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين. وبهذا "فإن ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم. علم المعاني عرفه البلاغيون بقولهم: هو "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"(1)، وهو أخص من علم الإعراب من جهة أن علم الإعراب تحصل فائدته بمطلق التركيب، وعلم المعاني له فائدة وراء ذلك التركيب، وهو ما يتعلق بالأمور الخبرية، وبالأمور الطلبية الإنشائية (2)، والكلام الذي تتوفر فيه الخصائص المشيرة إلى ألوان المعاني هو كلام ترتفع منزلته وتنخفض تبعًا لهذه الحالة، فكلما كان الكلام بخصائص تراكيبه أكثر شمولًا، واستيعابًا للفكر والشعور كان أعلى، وقد تقسمت مباحث البلاغة في ثلاثة علوم، فهناك بحوث تعنى بالصياغة وأحوالها، وموقع الكلمة المفردة، فتبحث التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والحذف والذكر والقصر والفصل، والوصل وغير ذلك مما له صلة بأحوال التراكيب(3)، وأهم ما يميز هذا النوع ارتباطه بالنظم النحوي، فالجاحظ يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك " (4)، وكلام الجاحظ تلخيص موجز لعلم المعاني يؤسس للمفهوم الدقيق في علم المعاني المعتمد على طرق سبك الكلام ونظمه، وجاء الإمام عبد القاهر الجرجاني فوضع نظرية النظم التي تقوم على تحليل علم المعاني على أساس التركيب النحوي، فاللفظ المفرد لا يمكن أن يكون له قيمة معنوية إلا عن طريق النظم، يقول: " وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها " (5)، ومن خلال نظرية النظم تعددت أنواع علم المعاني مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار،

---

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 52)

(2) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 194)

(3) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص 73- 74)

(4) ينظر: الجاحظ ، الحيوان (ج3/ 131 – 132) وعبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز(ص 198)

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز(ص 36)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والخبر والإنشاء . وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري والقرطبي وأبي حيان وغيرهم، وعلم المعاني عرفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1]، وقد وجه علماء البلاغة اهتمامهم لهذه الأمور حتى يحسن تدبر النصوص الرفيعة، وفهم صور الآداب الراقية ونقدها للارتقاء في إنشاء وارتجال الكلام الفصيح البليغ الراقي بعناصره الأدبية [2]، ويعرفه السكاكي بقوله: "اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم"[3]، أي هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ، وهذه الأحوال واقعة في الكلام موقعًا يناسب دواعي النفس، فلم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة، وهذه الأحوال هي الهيئات والكيفيات الذي بينها علم النحو، مثل الحذف والذكر وغيرها، وجواز التقديم وامتناعه ووجوبه وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه، وأنواع التعريف وأحكام التنكير. لكن تناولهل من ناحية بلاغية يختلف من حيث وقوعها مطلبًا بيانيًا يقتضيه المقام ويدعو إليه الحال كما بين ذلك البلاغيون.

إنَّ الكلام البليغ هو الذي يُصورِّه المتكلِّم بصورة تناسب أحوال المخاطبين، ويَعرف ما يجب أن يُصَوَّر به كلامه في كل حالة، فيجعل لكل مقام مقَالًا، وقد اتفق على تسمية العلم الذي تُعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها طابقُ اقتضاء الحال باسم علم المعاني، فذكاء المُخاطب: حال تَقتضي إيجاز القول، فاذا أَوَجزتَ في خطابه كان كلامك مطابقًا لمقتضى الحال، وحال تقتضي الإطناب والإطالة – فاذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبًا: فهو مطابق لمُقتضَى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغًا وَلو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة [4].

---

(1) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: (ص42)

(2) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 138)

(3) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 161)

(4) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص46– 47)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الأساليب الخبرية

كل كلام في اللغة العربية إما خبر أو إنشاء، فالخبر كلام يحتمل التصديق والتكذيب وله ثلاثة أنواع: الابتدائي – الطلبي – الإنكاري، وغرضان:

1 – إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.

2 – إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة [1].

وقد يخرج الخبر الى مقاصد بلاغية أخرى تعرف من خلال السياق اللغوي وطريقة نظم الكلام.

الخبر في اللغة:

خبرت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمرَ أَخْبُرُهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبرُ بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر[2]. ومن أقدم النحويين الذين عرفوا الخبر المبرد إذ قال: " الخبر ما جاز على قائلهِ التصديق والتكذيب " [3]. ومن العلماء الأوائل الذين عرضوا لموضوع الخبر أيضًا ابن قتيبة الدينوري في كتابه أدب الكاتب: "والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة؛ ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر، والاستخبار، والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر"[4].

الخبر في الاصطلاح:

بين ابن فارس الفارق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلا باعتباره إعلامًا للآخرين أما أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: " أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام . والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمرًا في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم" [5]. أما القزويني فبيَّن معنى الصدق والكذب في الخبر: " اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقالوا الأكثر منهم: صِدْقُهُ مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه، وهذا هو

---

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 50)

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة (خبر ص 445)

(3) المبرد، المقتضب (ج3/ 89)

(4) ابن قتيبة، أدب الكاتب (ص 7)

(5) ابن فارس، الصاحبي (ص 179)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشهور وعليه التأويل " [1]، فالقول من الكلام المترتب المفيد، الذي يحمل معناه الصدق والكذب فإذا وافق مفهومه واقع الحال كان صادقًا، وإن كان خالفه كان كاذبًا، والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

أنواع الخبر باعتبار حال المخاطب:

استنبط البلاغيون للكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبرية خالية من المؤكدات سُميَّ الخبر ابتدائيًا وإذا أُكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبيًا وإن أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكاريًا. إن فكرة التصديق والتكذيب أوجدت تفاوتًا في أحوال المخاطبين، فالتقسيم ينبئ على استعداد المتلقي وحاجته على فهم الدلائل، فالجملة الخبرية إما تكون خالية من التأكيد أو مؤكدة وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى الاختلافات بقوله: "واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده، أن ههنا فروقًا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر، بل لا يدرون أنها هي، ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل"[2]، وبهذا تكون علة التسمية نابعة من طبيعة الخبر واعتمادًا على ما سبق فالخبر ثلاثة أنواع باعتبار حال المخاطب:

1- الخبر الابتدائي:

الخبر الذي يكون خاليًا من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قال تعالى: {**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا**} {**الأنبياء: 63**} [3]، فالأصل في الجملة الخبرية مثبتة كانت أو منفية أن يؤتى بها خالية من المؤكدات، حين لا يكون حال المخاطب يستدعي تأكيد الخبر له، وذلك إذا كان خالي الذهن، ليس في نفسه ضد مقدم الخبر عوامل شك أو إحجام عن قبول أخباره، ويحسن في ابتداء الإخبار بالخبر إيراده غير مقترن بأية مؤكدات، يقول الحق سبحانه: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۝الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۝عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**} [**العلق: 1 - 5**] ، فالجمل الخبرية في هذا النص خالية من المؤكدات، لعدم وجود الداعي إلى اقترانها بما يقتضي تأكيدها[4]. يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ**

(1) القزويني، الإيضاح (ج1/ 86) والقزويني، التلخيص(ص 38)

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ج1/ 315)

(3) ينظر : الرفاعي، أساليب بلاغية (ص 91)

(4) ينظر : الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 178)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: 92] "فاليوم ننجّيك ببدنك، من النّجاة فتكون قدوة وحجّة لمن خلفك. وقيل: إنّها على سبيل الخبر، ومعناها: اليوم نلقي بدنك بعد إزهاق الرّوح على نجوة من الأرض لتكون عبرة ونكالًا لمن خلفك"[1]، فالإمام يوضح أن ذلك قيل على سبيل الخبر فحسب، فحال المخاطب لا يستدعي تأكيد الخبر له، فليس له أدنى شك فيما يحدث فحقيقة الواقع تتبئ بذلك.

2- الخبر الطلبي:

الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته، أو هو كما قال السكاكي: " وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاه عنده من دون الاستناد فهو منه بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة أو إنَّ كنحوِ (لزيد عارف) أو (إن زيدًا عارف) وسمي هذا النوع من الخبر طلبيًا " [2]. ومن الخبر الطلبي قوله سبحانه: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} {القصص20}، يقول الإمام في تفسير الآية الكريمة: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} [التوبة: 10] "{لا يَرْقُبُونَ} الخبر الأوّل خبر عن نيّاتهم معلّق بشرط القدرة، وهذا الخبر خبر عمّا هم يفعلون في الحال. وقيل: الخبران واحد والتّكرار للتّأكيد" [3].

3- الخبر الإنكاري:

أن يكون المخاطب منكرًا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريًا[4]، يشير الإمام إلى أن من الأخبار من ينكره المخاطب فيقول: "ألا ترى أنّك إذا تيقنت الخبر ثمّ جاء إنسان وقال: إنّ ما علمت لم يكن، فإنّك تكذّبه لا محالة، ولو أخبرك بزواله بعد كونه لم تكذّبه، ولكنّك طالبته بالبيّنة والبرهان"[5]، وهو الذي ينكره المخاطب إنكارًا يحتاج الى أن يؤكَّد بأكثر من مؤكد كقوله سبحانه: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 828)
(2) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 81)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 861)
(4) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 53)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 218)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ {يس: 13 - 16} فقد تأكد الخبر في قوله تعالى: {إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} بمؤكدين هما (إنَّ) و (اللام المزحلقة)، وفي قوله سبحانه:{**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**} [**التوبة: 42**]، يقول الإمام مشيرًا إلى تأكيد الخبر بمؤكدين إن واللام: "{وَاللهُ يَعْلَمُ} يعلمهم كاذبين، العلم واقع على ذواتهم وأخبارهم جملة، يدلّ عليه كسرة الهمزة من قوله: {إِنَّهُمْ} ودخول اللام في الخبر، ولو كان العلم واقعًا على مجرّد فعلهم لكانت مفتوحة ولما دخلت اللام في الخبر"(1). وفي مثله يقول سبحانه: {**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**} [**البقرة: 156**] ويوضح الإمام في تفسيره الآية: {إِنَّا لِلَّهِ} اللام للتمليك، وفائدة قوله: {إِنَّا لِلَّهِ} قطع وجوه الخصومات كلها، إذ لا ينكر على أحد فعل ما يملك فعله، وفائدة قوله: {وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} قطع الجزع عن النفس إذ لا بدَّ للمنقرض الفاني من الآفات، ولا وجه للجزع مما لا بدَّ منه(2) . وفي الآية الكريمة توكيد وتكرار وكما أشار الإمام وأن فائدة قوله (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) قطع الجزع عن النفس اللوامة فالأمر مرجعه إلى الله سبحانه، وهذا الكلام موجه للذين أصابهم الجزع وأنكروا قضاء الله وقدره فيؤكد المولى سبحانه بأكثر من توكيد ويكرر ليقطع على هؤلاء الذين خامرهم الظن ويكون جزاء الخير للمؤمنين بقضاء الله وقدره، والمهتدين بالصراط المستقيم الرحمة والمغفرة: {**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** } [**البقرة: 157**].

الأساليب الخبرية:

يذكر الإمام قول أبي بكر الصّدّيق: "إيّاكم والكذب فإنّ الكذب مجانب الإيمان" ، سئل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، فقيل: أيكون المؤمن بخيلًا؟ قال: نعم، فقيل: أيكون المؤمن كذّابًا؟ قال: لا" (3). ويفرق الإمام عبد القاهر الجرجاني بين الخبر الصادق والكاذب ويذكر أكثر من آية في ذلك فيفسر القرآن بالقرآن:"{وَلَا تَلْبِسُوا} ولا تخلطوا، كقوله: {**لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**} [**آل عمران:71**]، {**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ**} [**الأنعام:82**]، {**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**} [**الأنعام:65**].{الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} (الصدق بالكذب) وهو صفة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصفة الدجّال، وتحرّفون التوراة عن مواضعه. وإنّما سمّى الصدق حقًّا والكذب

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 772)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 323- 324)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 806)
ينظر الحديث: البيهقي، شعب الإيمان(ج6/456/4472)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باطلًا؛ لأنّ معنى الصدق ما تحقّق كونه، ومعنى الكذب ما عدم كونه "[1]، ويبين الإمام في موضع آخر أن الحق هو الصدق: "وتقديره: هو الحقّ، فيريد: هو الوحي الذي ذكر فيه حالة أهل الكتاب، هو الصدق من ربّك"[2]، ويقول: " {وَبِالْحَقِّ} الصدق والصواب" [3]، فالصدق شاع في الأقوال خاصة وقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق أي ما جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم؛ فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع . ويعتبر الصدق من جانب السامع، فينظر إلى الخبر، فإن وجده مطابقًا للواقع قال: كلام صدق وحق وهذا ما أشار إليه الإمام أيضًا في تفسيره الآية من سورة هود، يقول الحق سبحانه: **{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود: 65]** فيتحدث الإمام على أن الوعد غير مكذوب أي غير مصروف عن جهة الصدق: "{تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيّامٍ} إخبار عن انتهاء تمتّعهم، كقوله: **{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} [التوبة:2]**، {مَكْذُوبٍ} مصروف عن جهة الصدق"[4]. ويقول:"{صادِقِينَ} في مقالتكم. والصدق هو الخبر الحقّ[5]،. وفي موضع آخر: **{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ} [البقرة: 101]** نزلت في اليهود أيضًا، وفي الآية دلالة على امتياز الخبر المتواتر عن غيره" [6]. ويستفاد من كلام الإمام أن الخبر المتواتر صادق بما امتاز به، فالخبر المتواتر يفيد العلم، ويجب تصديقه، والحديث المتواتر في أعلى درجات الصحة والثبوت وهو المتواتر المعروف في الفقه وأصوله وعلوم الحديث، وهو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره وغيره قد يحتمل غير ذلك من الكلام [7].

للجملة الخبرية غرضان أصليان وضعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما:

فائدة الخبر ولازم الفائدة:

معناه أن تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قام) لمن لا يعرف، أي إفادة المخاطب الحكم. ولازم الفائدة: أن تفيد الجملة المخاطبة أنَّ المتكلم عالم نحو: أنت جئت: لمن قام بالمجيء. أي إفادة المخاطب أن المخبر عالم بالحكم،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 144- 145)
(2) المصدر السابق (ج1/ 262)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 233)
(4) المصدر نفسه (ج2/ 107)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 132)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 207-208)
(7) ينظر: النووي، التقريب والتيسير (ص 85)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلًا له، ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر) نحو (الدين المعاملة). وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضًا بأنه يعلم الخبر كما تقولُ لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع: لازمَ الفائدة؛ لأن يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به[1]. فهذا يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر، أو من يوجّه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، ويراد إعلامه أو تعريفه به، ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه– أي المتكلم – عالم بحكم الخبر، أي مضمونه ومثله: إنك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك.

وقال المتنبي مخاطبًا سيف الدولة ومثنيًا على شجاعته:

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورُ على الذرَى   وقدْ كَثرتْ حولَ الوكورِ المطَاعِمُ[2]

يأتي الجانب البلاغي في دراسة الخبر؛ لأن الأصل في إلقاء الخبر المجرد تحقق الفائدتين الشائعتين، فائدة الخبر ولازم الفائدة، ويخرج الخبر عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغيًا إلى الطلب والإنكار والتعظيم وغيرها . ويتجلى المعنى في معرفة ما وراء إلقاء الخبر ما يتضمنه من معانٍ أخرى ليست للفائدة ولا لازم الفائدة وهذه تسمى الأغراض البلاغية للخبر.

أغراض الخبر البلاغية في تفسير درج الدرر:

بحث المفسرون الغرض من الخبر في الآيات القرآنية في آيات كثيرة، وأبرزوا أغراضها البلاغية، وكان هدفهم من دراسة الخبر ذكر الألوان البلاغية الكامنة وراء هذا الأسلوب المتنوع، ومن الأغراض التي ذكرها الإمام في تفسيره للخبر الخبر الإنكاري.

---

(1) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 56)

(2) علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ص 50)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- الخبر للإنكار:

ورد الخبر الابتدائي في قوله سبحانه: **{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} {الأنبياء: 63}** فقول إبراهيم – عليه السلام – {فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ} خبر خال من المؤكدات وهو كلام خرج بلاغيًا إلى معنى الإنكار والتنبيه على فساد اعتقادهم ما داموا يعتقدون أنَّ أصنامهم آلهة فاعلةً، أوضح إبراهيم –عليه السلام– لقومه مستنكرًا متهكمًا بهم وملزمًا بالحجة: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}، لقد ناقش المفسرون الخبر في تفسير الآية السابقة عن حديث سيدنا إبراهيم عليه السلام وكيفية توافق آراء المفسرين في بيان عمق سبرهم لمعاني الخبر في القرآن الكريم وإيضاح الألوان البلاغية التي يكشف عنها سياق الآيات. ومن الخبر الذي خرج إلى معنى التهكم والتبكيت والإنكار عند الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله تعالى: {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود:87] ويوضح الإمام:"{الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} السّفيه الجاهل. وقيل: هو على ظاهره، أي: كنت الحليم الرشيد حتى الآن، كقول ثمود لصالح: **{كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا} [هود:62]**"[1]، وذهب الزمخشري في الآية على سبيل الهزء والتهكم[2].

إن التفسير السابق للآية عند أغلب المفسرين جاء بأساليب مختلفة لكنها ترمي الى الغرض البلاغي نفسه، فالإمام عبد القاهر الجرجاني يصرح بالتوبيخ والاستهزاء والتهكم حين ذكر بأنه السفيه الجاهل وهذه الألفاظ البلاغية كلها ترمي إلى غرض بلاغي واحد هو الإنكار.

2- الخبر لإظهار التحسر والاستغفار:

قد يخرج الخبر إلى الإنكار ولكنه في مواضع قرآنية أخرى قصد به إظهار التحسر والاستغفار ورد الخبر في القرآن الكريم على سبيل إظهار التحسر والندم في آيات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} {يوسف: 53}**، فالإخبار هنا من النوع الإنكاري وغرضه فائدة الخبر؛ لأن امرأة العزيز زليخة أخبرت نساء قومها واعترفت بمراودتها سيدنا يوسف عليه السلام أول مرة مع إظهار الحسرة والندامة وإشارة إلى اعتراف المرأة بالمراودة وهو كلام المرأة برأت يوسف ولم تبرئ نفسها؛ لأنَّ النفس أمرتها بالسوء وهذا ما صرح به الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "إنه من كلام المرأة،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 112)

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج3/ 507) البيضاوي، أنوار التنزيل (ج2/ 384) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج8/ 40)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي أعترف بالمراودة ليعلم يوسف أني لم أخنه بظهر الغيب في الافتراء عليه. {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} أراد التنبيه على توفيق الله وعصمته ونفي الزنا والعجب، {إِلَّا مَا رَحِمَ} استثناء منقطع، أي لكن من رحم ربي فهو المعصوم، وقيل: استثناء متصل تقديره إلا رحمة من ربي، وقيل: هو كلام المرأة برأت يوسف ولم تبرئ نفسها"[1]. والمتأمل في كلام الإمام يلاحظ أنه لم يذكر الغرض البلاغي من هذه الأخبار وإنما اكتفى بذكر إنه من كلام المرأة اعترفت بالمراودة متحسرة على ما فعلت وهذا ما يشير إليه حين أورد أنها برأت سيدنا يوسف عليه السلام ولم تبرأ نفسها، وتتمة الآية هي التي توضح الغرض البلاغي وتؤكده في قوله سبحانه: {إلا من رحم ربي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}، دليل توبتها وتحسرها وندمها فهو المعصوم، وهي التائبة النادمة على ما فعلت، فالله غفور رحيم أي يبلغ الستر للذنوب وبليغ الإكرام لمن يريد وهو لإظهار الاستغفار والندم. وذهب الزمخشري إلى أن الإخبار في الآية وحملها على معنى الاستغفار. وهو الذي عَوَّل عليه أبو حيان في تفسيره[2].

إن الخبر في قوله سبحانه: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} خرج الى معنى الإقرار بالذنب والاستغفار؛ لأَنَّ تتمة الآية تدل على ذلك ولأن تأكيد الخبر بأداتي توكيد يزيد الاعتراف وضوحًا وينفي الإنكار لذلك أكدت إسنادها الفعل إلى النفس الأمارة على سبيل الاستغفار والتحسر، ومنه نحو قوله سبحانه: **{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ} {آل عمران: 36}** يقول الإمام: " {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى} لأنّ الذّكر يمكنه لزوم المسجد عامّة أحواله. {وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ} عارض تلفظت به لحاجة في نفسها، وليس بمتصل بالدّعاء، فمن قاله جعل (مريم) من أسماء الأعلام. وقيل: هو متّصل بالدّعاء، و (مريم): التي لا تريد الرّجال، وقيل: التي لا تطاوع في الشّرّ "[3]. فالسيدة العذراء كانت قد نذرت ما في رحمها لعبادة الله وكان العرب ينذرون الذكور، فلما وضعتها أنثى تحسرت وتألمت [4].

اعتمادًا على ما سبق من كلام الإمام فهو يشير إلى خروج الآية الى المعنى البلاغي وهو التحسر، بقوله (عارض تلفظت به لحاجة في نفسها) فالمقام أصل المقال؛ لأَنَّ لكل مقام مقال، فالخبر يتحدد غرضه في سياق الخبر المقرر له فكانت الإجابة في نفس ابنة عمران أن يرزقها الذكر فيكون محررًا لوجه الله تعالى أي للعبادة ويمكنه لزوم المسجد في عامّة أحواله،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1004– 1005)
(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف(ج2/ 481)، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج5/ 317)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 392)
(4) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج4/ 63)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتسميتها مريم كان لهدف يعوضها عن حسرتها وحاجة بأن ترزق الذكر كما نذرت ما في بطنها، وهو اسم متصل بالدعاء والعبادة كما أشار الإمام: "لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها فيقول سبحانه: **{وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: 36]**، وأن يصدق فيها ظنها بها، ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه" [1].

3- الخبر لإظهار الضعف:

الأسلوب الخبري في القرآن الكريم غني بالمعاني البلاغية المتعددة فمنه ما يخرج الى غرض إظهار الضعف، يقول الحق سبحانه على لسان زكريا: **{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً} {مريم: 4 - 5}** في الآية خمس جمل خبرية في أصل وضعها، والنبي زكريا عليه السلام في الآيات الكريمة لا يريد أن يقرر واقعًا يفيد به ربه معرفة ذلك الواقع فالخبر لازم الفائدة لأنَّ الله لا يخفى عليه شيء وهو العليم الحكيم. إنما يريد زكريا عليه السلام أن يظهر ضعفه وخوفه ملتمسًا من ربّه مخرجًا من ضعفه وخوفه.

يذكر الإمام: "وإنما قال ذلك لأحد معان أربعة: إما لنفي ما أصابه من وهن العظم وشيب الرأس أن يكون أصابه لمقاساته شدة العبادة واحتماله أعباءها كما في نبينا – صلى الله عليه وسلم – **{طه◉ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [طه:1- 2]**، وإما لنفي الخيبة عن نفسه فإن الخائب هو الشقي فكأنه يقول: لم أكن بسبب عبادتي إياك وإيماني بك خائبًا من لطائف صنعك، وإما لنفي الكفر عن نفسه فكأنه يقول: لم أكن بعبادتك وتوحيدك كافرًا فأنا متوسل إليك بذلك إليك، وإما لنفي الحرمان عن نفسه فكأنه يقول: لم أكن في عبادتك محرومًا فإنك وفقتني لها وبشرتها علي لأستأهل إجابة الدعوة منك"[2].

ذكر المفسرون معنى الضعف بأساليب ودلالات مختلفة، "فيقال: وهن يهن وهنا إذا ضعف فهو واهن، وقال أبو زيد يقال: وهن يهن ووهن يوهن. وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقط سائر قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن"[3]، وذكر الزمخشري إلى أنه: "لم يهن منه بعض عظامه

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 356)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1168)
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج11/ 76)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن كلها"[1]،"أي ضعف وفي ذكره وهن العظم أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى"[2]، وذهب ابن عاشور إلى أن الوهن: الضعف، وأصله ضعف الذات: وإن قوله سبحانه:{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139] عن أسباب الفشل؛ ولذلك نهوا عنه، والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما[3]، وبيَّن الإمام أن ما أصاب زكريا لمقاساته شدة العبادة واحتماله أعباءها مما أوهن جسمه، وهذا ما ذهب إليه الإمام حين عدد أسباب ضعف سيدنا زكريا، إما لنفي الخيبة عن نفسه وإما لنفي الكفر عن نفسه وإما لنفي الحرمان عن نفسه، فهو متوسل إلى ربه، ولم يكن في عبادته محرومًا فإن الله سبحانه وفقه وبشره، لم يكن سيدنا زكريا بعيدًا عن الخضوع في شبابه وخاضعًا في كبره لذلك؛ فإن الوهن يقصد به الخضوع وهذا من دلالة هذا، ومما يلفت الانتباه في تفسير الإمام عبد القاهر الجرجاني للآية الكريمة تفسيرها بالغرض البلاغي الذي خرج إليه الخبر وهو الضعف حيث عبر عن معان أربعة كانت من أسباب ضعفه ومنها ما معناه الخضوع لله لمقاساته شدة العبادة واحتماله أعباءها والتوسل لله والدعاء.

4- الخبر لإظهار الاسترحام والاستعطاف:

تتقارب أغراض الخبر في المعاني فمن الخبر ما يأتي بمعنى الاسترحام والاستعطاف وهو غرض قريب من حيث المعنى من الخبر لإظهار الضعف، ومن الآيات القرآنية التي جاءت على أسلوب الإخبار وخرجت إلى معنى الاستغفار قول الحق سبحانه: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [القصص: 16] وقوله سبحانه: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الأعراف: 23} فقوله {ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} اعتراف منهما بالخطأ وهو إخبار جاء بصيغة الماضي لتأكيد وقوع الخطيئة بعد إنذارهما ونهيهما.

يقول الإمام: "وعن عُبيد بن عمير أن آدم قال: يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشيءٌ كتبته عليّ قبل أن تخلقني أم شيء ابتدعْتُه من قِبَلِ نفسي؟ فقال الله – عَزَّ وَجَلَّ –: بل شيء كتبتُهُ عليك قبل أن أخلقك، قال: فكما كتبته عليّ فاغفر لي، وعن الحسن وقتادة وابن زيد أنها

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 4)

(2) الماوردي، النكت والعيون (ج3/ 354)

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج4/ 98)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا}، وعن مجاهد: هي قوله: "اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رَبِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي فإنك أنت خير الغافرين . فإنك أنت خير الراحمين . رب إني ظلمتُ نفسي فَتُبْ عليَّ إنك أنت التَّواب الرحيم" ، وقيل: إنها جميع ما ذكرنا،{فَتَابَ عَلَيْهِ} قَبِلَ توبته، وإنما لم يقل "عليهما" لأَنَّ آدمَ استغفرَ لنفسه ولحواء فإذا ثبت استجابة دعوته ثبت غفران حواء، و{التَّوَّابُ} كثير المراجعة إلى قبول توبة التائبين" [1]، فالخبر يرد في الآية الكريمة لغرض بلاغي للآية، فقال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} اعتراف واستعطاف وطلب للمغفرة والرحمة، بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية، وإذا نظرنا في كلام الإمام وجدناه يوضح مسألة بلاغية مهمة وهي خروج الخبر إلى معنى الإنشاء في بعض الأحيان فقول الإمام: رب إني ظلمتُ نفسي فَتُبْ عليَّ إنك أنت التَّواب الرحيم وقيل: إنها جميع ما ذكرنا،{فَتَابَ عَلَيْهِ} قَبِلَ توبته يثبت أنَّ الخبر في الآية عن ظلم نفسيهما خرج إلى معنى الطلب ومن المعروف أن الطلب لون من ألوان الإنشاء ثم خرج هذا الطلب إلى معنى الاستغفار فصار فيه إخبار وإنشاء، والإمام عبد القاهر الجرجاني يبين أن الاعتراف بالذنب من قبل أبوينا آدم وحواء عليهما السلام؛ ولأن آدم استغفرَ لنفسه ولحواء وطلب من الله سبحانه أن يتوب عليه فهو التواب الرحيم، ويوضح الإمام أن التواب كثير المراجعة إلى قبول توبة التائبين، فالإخبار الذي تضمنته الآية الكريمة خرج إلى معنى المغفرة وقد اتضح ذلك في توضيح الإمام أن الله خير الغافرين وخير الراحمين، وأن الله سبحانه هو التَّواب الرحيم، وبذلك خرج الخبر عن حقيقته إلي غرض آخر يفهم من سياق الآية الكريمة وهو إظهار الاسترحام والاستعطاف.

5- الخبر لتحريك الهمة والحث على الجد والاجتهاد:

يأتي الخبر حاملًا تحريك الهمة والحث على الجد والاجتهاد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وهذا الأسلوب معروف عند العرب، ففي المثل: كن عصاميًا ولا تكن عظاميًا؛ يريدون به قوله:

نفسُ عصامٍ سودتْ عصامًا وصيرتْهُ ملكًا هُمامًا [2]

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 151- 152)

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج12/ 408)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا المثل العربي المشهور ورد بأسلوب الخبر لتحريك الهمة وحفزها لكي يقتدي الناس بعصام الذي ساد بجهده ودأبه ومن ذلك قوله سبحانه: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26] فالأسلوب الخبري في الآية الكريمة غرضه حفز الهمة وتحريض النفوس لفعل الإحسان والصدق والصلاح والشهادة في سبيله، ومن الخبر الذي يحمل مقتضى تحريك الهمم والحث على الاجتهاد في الطاعات في قول الحق سبحانه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} {النساء: 69}، يوازن الإمام بين معاني النبوة والصدق والشهادة والصلاح ولكل وزنه ودرجته عند الله ورسوله، والجنة مستحقة لكل أولئك، والله يعلم المحسن والمفسد والمطيع وغيره، فيقول الإمام: "وإنّما قدّم النّبي لأنّ اسم النّبيّ مختصّ بالدّاعي الموحى إليه، فكان لاختصاصه أشرف، والصّدّيق يستجمع معنى الشّهادة كلّها لصدقه، ثمّ يزيد صدقًا في سائر المعاني من استواء ظاهره وباطنه، فلزيادته كان أشرف، والشّهيد أخصّ من الصّالح؛ لأنّ كلّ مسلم صالح إذا حافظ الشّريعة سواء كان من أهل المشاهدة أو لم يكن، {وَحَسُنَ أُولَئِكَ} ما أحسن أولئك، وأحسن بأولئك، {رَفِيقًا} مرافقة، {ذَلِكَ} يعني: إدخال الجنّة فضلًا؛ لأنّه بفضله جعلها موعودة، فلولا فضله ووعده لما كانت الجنّة مستحقّة، ولكان يكفي المحسن أن لا يعاقب بعقوبة المفسد،{عَلِيمًا} أي: من عليم، يعلم المطيع وغيره"(1)، فقوله سبحانه: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} إخبار فيه تحريك الهمم ليكون المسلم ممن يرافق ويصاحب الرفقاء الأربعة المذكورين في الآية ويحتذي حذوهم: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} فيها إشارة إلى الأصناف الأربعة: الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء، وقد ذهب الإمام الى معنى التعجب (ما أحسن أولئك) (وأحسن بأولئك) وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة، حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده، ومن المعروف أنَّ أسلوب التعجب يعني كل أمرٍ حسن يزيد في فعل الإنسان همة ونشاطًا؛ لأننا عندما نتعجب من الأمر الحسن يكون الهدف أن نجعله قدوة يُقتدى بها وأسوة حسنة، وعلى هذا فإنَّ المعنى والخبر يخرج إلى تحريك الهمم، ويختم الحق الآية بقوله: {وَحَسُنَ أولئك رَفِيقاً}، و{أولئك} تعني النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا توجد رفقة أفضل من هذه، والرفيق هو: المرافق لك دائمًا في الإقامة وفي السفر؛ ولذلك يقولون: خذ الرفيق قبل الطريق، فقد تتعرض في الطريق لمتاعب وعراقيل؛ لأنك خرجت عن رتابة

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 503- 504)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عادتك[1]. فالشهداء هم القائمون بالقسط، والصالح يكون صالحًا في اعتقاده وعمله، وفي هذا ترغيب للمؤمنين في طاعة الله وطاعة رسوله، حيث وعدوا بمرافقة أقرب عباد الله إلى الله، وأرفعهم درجات عنده.

6- الخبر للتوعد(الوعيد والتهديد):

إن من أساليب اللسان العربي إخراج الخبر الى مقتضيات كثيرة. يحددها مقام الكلام كقول أحدهم للآخر وكان قد ناله الأذى منه (إن غداً لناظره قريب) فالخبر من النوع الإنكاري وغرضه فائدة الخبر على وجه التوعد، والتوعد من المقتضيات التي يخرج اليها الخبر، ورد هذا الأسلوب من الخبر في القرآن الكريم في قول الحق سبحانه: {**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} **[المائدة: 33].**

إنَّ الأسلوب الإخباري الموجود في الآية السابقة جاء لوعيد المشركين وردعهم فهم لا يعجزون ربهم مهما فعلوا، فالآية جاءت بهذا الأسلوب الخبري لتخرج إلى التهديد والوعيد، إن الله سبحانه لا يخلف لا وعده ولا وعيده، وذلك فالوعيد بحقّ الكفار والمشركين والمنافقين يتحقق لا محالة في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم. يقول الإمام:{إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ }: "اتّصالها بما قبلها من حيث القتل، قال ابن عبّاس: نزلت في شأن المشركين، ويتناول المسلمين إلا في خصلة واحدة وهي التّوبة قبل القدرة فإنّها مختصّة بالكفّار، عند ابن عبّاس،{الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ}: يعني: يحاربون أولياء الله. والعقوبات مرتّب على الجرائم: إن أخافوا الطّريق نفوا من الأرض، وإن أخذوا المال ولم يقتلوا قطّعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا، وإن أخذوا المال وقتلوا قتلهم الإمام وصلبهم، وله أن يقطّعهم ثمّ يقتلهم ثمّ يصلبهم ليكون القطع ثأر الأخذ، والقتل ثأر القتل، والصّلب للجمع بين المحظورين. والنّفي عندنا بالحبس حيث يستصوبه الإمام. والصّلب بعد القتل، وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنّه يصلب حيّا ثمّ يطعن في نحره. إن أخذوا مالا ولم يخص كل واحد عشرة دراهم لم يقطّعوا وضمنوا المال. ومن تغلب في الأمصار فقتل ونهب لم يكن حكمه حكم قطّاع الطّريق"[2]، " ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام"[3]، فالمحاربة:

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي (ج4/ 2390)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 668- 669)

(3) أبو حيان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط في التفسير (ج4/ 239)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفار، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر، والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات(1)، إنَّ الآية الكريمة سمَّتهم محاربين لله ورسوله؛ ذلك لأنهم يحاربون أحكام الشرع، ويسعون في الأرض بالفساد يعاندون الشرع ويخلون بأحكامه ويحاربون الفضائل فيأخذ من الآية الكريمة الدرس في بيان بعض الأحكام التشريعية الأساسية في الحياة البشرية، وهي الأحكام المتعلقة بحماية النفس والحياة في المجتمع المسلم المحكوم بمنهج الله وشريعته، وحماية النظام العام والسلطة التي تقوم عليه بأمر الله، في ظل شريعة الله(2). فالله سبحانه لا يبدل قوله في الوعيد فجعل العلة في إزاحة العذر تقديم الوعيد، أي بعد تقديم الوعيد لم يبق لأحد علة ولا مخلص من عذابه، فما يبدل القول وهذا صريح في أنه تعالى لا بد وأن يفعل ما دل اللفظ عليه(3).

يخبر الإمام عن أنواع العقوبات التي سينالها من يرتكب الجرائم، وأمر العقوبات مرتب على الجرائم كما يشير الإمام إلى أن هذه الآية نزلت في الكفار والمشركين وتتناول المسلمين إلا في خصلة واحدة وهي التوبة، وذلك أن من النفوس البشرية من لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا خوطبت بخطاب فيه تهديد ووعيد، فالله سبحانه لا يخلف وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة، وانقسم في القرآن إلى ما يكون منه في الدنيا من تطبيق حدود الله وتنفيذ العقوبات على جرائم أعداء الله من الكفار والمشركين والمنافقين وما يكون منه في الآخرة من حساب وعذاب، والخبر لم يقتصر على العقوبة في الدنيا والآخرة، بل تجاوزه إلى ترشيد وهداية الإنسان إلى ما يكون له من مآلات في الآخرة؛ لأن الإنسان لم يخلق سدىً ولم يترك هملاً، مما يستدعيه تجنب ما قد يؤدي إلى ارتكاب هذه الجرائم، وقد اقتضت الحكمة والعدالة الإلهية أن يكون للإنسان حساب وعقاب على ما يأتيه من أعمال شر، وثواب وجزاء خير على الصلاح والمغفرة.

7- الخبر للوعد:

يحمل الخبر معنى الوعد أحيانًا كقوله سبحانه: **{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} {الأنفال: 65}**. فالآية تحمل معنى الوعد، وهو وعدٌ بالغلبة للصابرين، وتوجب غاية الوثوق

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (ج3/ 94-95)

(2) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2/ 872)

(3) ينظر: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج3/ 573)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بوعد الله، الوعد الصادق ونحو قوله سبحانه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } **[فصلت: 53]** . يقول الإمام:"{الْآفاقِ} النّواحي، واحده أفق، فمن جملة ما رأت قريش من الآيات في الآفاق على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إيمان النّجاشيّ، وفيروز الدّيلمي، وباذان والي اليمن، وهلاك كسرى أنرواز والأسود العنسيّ، واستئصال اليهود، ومخافة هرقل، وأخذ أكيد صاحب دومة الجندل، وما رأوه بعد ذلك: هلاك مسيلمة، وأخذ طليحة الأسديّ، وفتح العراق والشّام، وما والاهما من ديار الشّرق والغرب، وممّا سيرونه بإذن الله: فتح القسطنطينية، وهلاك الدّجال، وسائر ما هو مأمول من فضل الله ورحمته، والذي رأوه من الآيات في أنفسهم على عهد رسول الله عليه السّلام: غزواته المعروفة إلى يوم فتح مكة، والذي رأوه بعد ذلك" [(1)]. والمعنى: عليك بالبلاغ الذي حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه، ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضجرك تأخره، فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها[(2)]، ويحدد ابن كثير كما حدد الإمام عبد القاهر الجرجاني جملة من الأخبار علمتها العرب في تفسيره الآية الكريمة ويبين ما رأوه ومما يرونه والذي سيرونه بعد ذلك بإذن الله ، "أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًا منزلًا من عند الله، عز وجل، على رسوله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية {في الآفاق}، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان"[(3)].

8- الخبر للتحذير:

من أسلوب الخبر في القرآن الكريم ما يخرج الى غرض التحذير كقوله تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {البقرة: 220}**. فقوله سبحانه: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ.} تحذير للذين يأكلون أموال اليتامى بأن الله يعلم فعلهم وسيعاقبهم عليه، والله يعلم المفسد من المصلح، ولما كان أمر اليتامى محثوثًا عليه، كان التحذير بهذا المقام أولى فالله يعلم المفسد لأموال اليتامى من المصلح لها، فيجازي كلاً على إصلاحه أو على إفساده ، وفي هذا يقول الإمام: "{عَنِ الْيَتَامَى} أي: عن أموالهم {قُلْ إِصْلَاحٌ} الرعاية والحفظ {خَيْرٌ} من الإضاعة {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ} بالأموال فتأكلوا معًا وتشربوا معًا من غير تمييز فهم إخوانكم، وقد قال تعالى:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 548)

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج6/ 401)

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير ت سلامة (ج7/ 187)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} [النور: 61] {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} أي الذي يخالطهم ليفسد أموالهم ليسَ كالذي يخالطهم ليصلح أموالهم {لَأَعْنَتَكُمْ} لكلَّفكم ما يشقُّ عليكم، والعنت المشقة"(1)، وأشار الإمام إلى التحذير بقوله أي الذي يخالطهم ليفسد أموالهم ليسَ كالذي يخالطهم ليصلح أموالهم وبين أن الله لو شاء لكلفكم ما يشق عليكم، فالرعاية والحفظ خير من الإضاعة، واتقاء مال اليتيم واجتنابه من أخلاق العرب. إن في تقديم ذكر المفسد على المصلح إشعار لشدة التحذير من الإفساد في معاملته، ولأنه محل التحذير في موطن آخر جعلهم بمنزلة الأولاد في قوله: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]؛ لأنهم بمنزلة أولادهم، بل ربما كان لهم أولاد فيما بعد أيتاما من بعدهم، فكما يخشون على أولادهم إذا صاروا أيتامًا من بعدهم، فليحسنوا معاملة الأيتام في أيديهم، وهذه غاية درجات العناية والرعاية(2).

9- الخبر للتعظيم:

يلقى الخبر لمقصد التعظيم، حيث يخرج الخبر إلى غرض التعظيم في قوله تعالى:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7] في الآية أسلوب خبري قصد به تعظيم الله وانفراده بعلم تفسير المتشابه من القرآن الكريم، {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن الكريم، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس، ويذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني ذلك بتوضيحه مآل ومصير التأويل مرجعه إلى الله: "(يتبعون) يتتبعون، و(التأويل) ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، وقيل: هو تبيين ما يؤدي إليه فحوى الخطاب على وجه الاستخراج. {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} أي: مآله ومصيره وما يؤدي إليه"(3)، والإمام استعمل ما يعبر عن التعظيم في أن التأويل مآله ومصيره وما يؤدي إليه يعلمه الله والراسخون في العلم ويُفهَمُ من معناه تعظيم الله الذي اختص بتأويل المتشابه من القرآن الكريم، {إلا الله}، ومعناه أن الله استأثر بعلمه تأويل المتشابه. إلا الله كان المعنى أن المتشابه الكلام الذي لا يصل فهم الناس إلى تأويله وأن علمه مما اختص الله به مثل اختصاصه بعلم الساعة وسائر الأمور الخمسة وكان ما بعده ابتداء كلام يفيد أن الراسخين يفوضون فهمه إلى الله تعالى، وإذا وصل

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 386)
(2) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 567)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 464)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله: إلا الله بما بعده كان المعنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه في حال أنهم يقولون آمنا به[1]، فالراسخون في العلم لكونهم أفضل الخلائق عند الله سبحانه، وقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28] يشير إلى مكانتهم فهم أولياءه من خلقه؛ إذ وصفهم وخصّهم بأنهم الخائفون منه فهم الأتقياء، فمن يرد الله به خيرًا يفقه في الدين.

10- الخبر للتوبيخ والتقريع:

يقول الحق سبحانه: {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} **[الأعراف: 123]** في الآية الكريمة أفاد الخبر التقريع والتوبيخ؛ لأنه حين أخبر به من هو عالم بفائدته تولد منه بحسب القرائن والأحوال ما ناسب المقام، والمناسب للمقام هنا هو التوبيخ والتقريع، يوبخهم على إيمانهم قبل إذنه، فالاستفهام إنكاري لإنكار الواقع، وإنكار الواقع توبيخ، وموضع التوبيخ أنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم!!، وكان طاغوته قد سول له أنه ملك قلوبهم وألسنتهم فلا تتحرك إلا بإذنه، وقد رأينا ذلك من فرعون دونه عقلا، وفوقه طغيانًا[2]، يبين الإمام في تفسيره الآية الكريمة الغرض من الخبر حين أنكر على السحرة إيمانهم بغير علمه: "{قالُوا آمَنّا} يحتمل إلجاء كالسّجود، ويحتمل إخبارًا، {قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ} لمّا رجعت العصا كهيئتها رجع إلى فرعون قدرته، وعاد إلى عادته الخبيثة من الكفر والطّغيان، وأنكر على السّحرة إيمانهم بغير إذنه، يري العامّة أنّهم مسيؤون حيث لم ينظروا إذنه، ويريهم أنّهم كانوا قد واطؤوا موسى عليه السّلام في السّرّ من قبل، وأنّ دعوتهم واحدة. وهدّد السّحرة بقوله: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}، ثمّ أتبعه التّصريح بالوعيد فقال: {لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ} لعلّهم يخافونه، وإنّما اجترأ على السّحرة لما شاهد من عجزهم"[3].

إن الطاغية لَا يفكر إلا في نفسه، ولا يحس بحق غيره إلا من زاوية استقامة الأمر لأهوائه وشهواته، لقد ثارت نقمة فرعون لإنكار موسى ألوهيته وتحديه بآياته، وكان يرجو ويتوهم أنه يقضى على موسى بحجته، فاستعان بالسحر والسحرة، فما أسعفوه بحجة، فكان الغلب عليه، فأثاره ذلك. وكان من بعد ذلك أن من استعان لهم ليغلبوا موسى وهارون خذلوه. فأيدوهما، وآمنوا

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 82)

(2) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج6/ 2927)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 689)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهما، وتشايع بين الناس إيمانهم، فغلت بالشر نفسه، والمعاند لَا تزيده الآيات البينات إلا كفرًا(1).

إنَّ الأسلوب الخبري في القرآن الكريم أوسع من أن تذكر أغراضه ففيه التشريع الإلهي المعجز، ومن يستعرض أساليب القرآن الكريم المعجزة فسوف يقف على كثير من هذه الأغراض، وهي لا تجري على قاعدة ثابتة، وإنما تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني أهم الأغراض والأساليب البلاغية حيث أوضح أغراض الخبر في توضيحه الوجوه البلاغية والإشارات الدلالية: فذكر الإنكار والتوبيخ والاستهزاء والتهكم وإظهار التحسر والاستغفار، وبين الخبر لإظهار الضعف والتحسر على فوات المأمول وتحريك الهمة والتحريض والوعد والوعيد والتوعد، وأشار إلى الخبر للتحذير والتعظيم والتقريع. تفرد الإمام في حديثه عن أغراض الخبر دون أن يحدد مسميات اصطلاحية عرفت لاحقًا، لكنه من خلال التفسير يتضح أسلوبه الموجز، فيبدأ تفسيره بالمفردة وتصريفها، ومواقع الكلم والسياق وتبيان الدلالة فنجده يوجز مرة وأخرى يفصل وينَّوع في تفسيره بين الصرف والنحو والبلاغة والمعاني وفصاحة الآيات وسرد العبر من خلال القصص والموروث. فالإمام في تفسيره لمعاني الخبر إنما كان مقصده تفسير المعاني القرآنية وتوضيح الشريعة الإسلامية مبرزًا بذلك فصاحة القرآن مستعينًا في كل المواضع بالحديث النبوي الشريف والشعر العربي والموروث القصصي وبآراء الفقهاء ومذاهبهم، وينتقي ما يجده وفق رؤيته ومسعاه، والغرض الأسمى من ذلك هو بيان إعجاز وفصاحة القرآن وبيان سبل نظمه ودلالة معانيه معتمدًا تفسير معاني المفردات ومواقع الكلم والسياق العام للآيات لفهم الخبر ومعانيه وأغراضه البلاغية.

---

(1) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج6/ 2926)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية

اهتم البلاغيون بالإنشاء ومنحوه وافر الرعاية، فالإنشاء قسيم الخبر، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه، فالإنشاء يختلف عن الخبر بأنه كلام لا يحتمل التصديق والتكذيب وله أنواع وأغراض بلاغية، ومثل هذا القول ينطبق على سائر أساليب الإنشاء، فليس لمدلول أي لفظ منها قبل النطق به وجود خارجي يعرض عليه مدلوله ويقارن به، فإن طابقه قيل: إنه صادق، أو خالفه قيل: إنه كاذب، وعدم احتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب إنما هو بالنظر إلى ذات الأسلوب بغض النظر عما يستلزمه، وإلا فإن كل أسلوب إنشائي يستلزم خبرًا يحتمل الصدق والكذب[1]، فوظيفة الخبر الإخبار والإعلام عن نسبةٍ خارجية قد يُطابقها الخبر وقد لا يطابقها؛ لذلك عرف عند علماء البلاغة: بأنه ما كان محتملاً للصدق والكذب لذاته ثم إن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفترقان باللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب في الطلب [2]، فإن أفاد التركيب غير الطلب فإمّا أن يحتمل الصدق والكذب، أو لا يحتمل، فإن احتملهما فهو الخبر، فإن طابق مخبره فهو الصدق، وإن لم يكن مطابقًا لمخبره فهو الكذب، وإن لم يحتمل صدقًا ولا كذبًا فهو الإنشاء، وهذا نحو التمني والترجي، والقسم والنداء، وغير ذلك من أنواع القضايا المركبة والجمل المفيدة[3].

أقسام الأسلوب الإنشائي:

ينقسم الإنشاء قسمين: طلبي وغير طلبي، واقتصر البلاغيون في دراستهم على الإنشاء الطلبي على اعتبار أنَّه أغنى بالاعتبارات والملاحظات البلاغية، وأساليبُه هي: الأمر، والنهيُ، والتمنِّي، والاستفهام، والنداء، فالإنشاء الطلبي يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقتَ الطلب كما في قوله تعالى: {**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**} [**الحجر: 94**] وقوله: {**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**} [**آل عمران: 169**]، وقول عمر يوصي ابنَه عبد الله – رضي الله عنهما–: "يا بني، اتقِ الله، فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده". كذا قوله تعالى: {**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**} [**الفجر: 24**]، وقوله سبحانه: {**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي**

---

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 70)

(2) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 165)

(3) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 26)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: 142] إلى غير ذلك، هذه هي أساليب الإنشاء الطلبي الخمسة، وكل واحد منها لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، وإنما يطلب به حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب؛ لأنه يوجد وقت أو قبل الطلب إنما يتحقق بعد الطلب، ولذلك يسمى الإنشاء فيها طلبيًا، أما الإنشاء غير الطلبيّ: فهو ما لا يستدعي مطلوبًا وقت الطلب، وله أساليب وصيغ كثيرة منها: صيغ المدح والذم من مثل: نعم وبئس، وحبذا ولا حبذا. وقوله سبحانه: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: 11] [1]، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو (طاب عليٌّ نفسًا) (وخبث بكرٌ أصلًا) وأما العقود فتكون بالماضي كثيرًا، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ - وأعتقتُ - وبغيره قليلًا نحو (أنا بائع) (وعبدي حرٌ لوجه الله تعالى)، وأما القَسَم فيكون: بالواو - والباء - والتاء - وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا. نحو(لله دره عالمًا) وأما الرجاء فيكون بعسى - وحرى - واخلولق، نحو(عسى الله أن يأتي بالفتح). والإنشاء غير الطلبي لا يبحث عند علماء البلاغة؛ لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء، وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي) لما يمتاز به من لطائف بلاغية[2].

الإنشاء هو الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فلا ينقل المتحدث به خبرًا ، وإنما يُنشئ به شيئًا معينًا غير حاصل وقت التكلم؛ ولذلك لا يصح أن يُقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب يقول سبحانه: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [لقمان: 11] ، تجد أن الحق سبحانه لا يأمر الكافرين في (أروني) لمجرد الطلب، وإنما أنشأ لهم هذا الأمر علي سبيل التعجيز، فالرؤية هنا غير حاصلة وقت التكلم، يقول الإمام في إشارة للأسلوب الإنشائي :" {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2] أي: هذا القرآن. إنّما سمّي القرآن كتابًا لما جمع فيه من الأمر والنّهي والقصص والمواعظ والوعد والوعيد، وكلّ شيء جمعته فقد كتبته" [3].

---

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 71)

(2) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 69)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/104- 105)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسلوب الإنشاء الطلبي وأغراضه:

1- الأمر:

الأمر في اللغة:

استعمال نحو (لينزل) و (انزل) و (نزال) على سبيل الاستعلاء، وهو الصيغة الطالبة للفعل مطلقًا من المخاطب على طريق الاستعلاء، لكن بشرط أن لا يراد بها التهديد أو التعجيز أو نحوهما [1].

الأمر في الاصطلاح:

طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا، " وهو صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " [2]، وللأمر أربع صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء والإلزام. وهذه هي: فعل الأمر - المضارع المجزوم بلام الأمر- اسم فعل الأمر- المصدر النائب عن فعل الأمر، وهذه المعاني للأمر الحقيقي أقرب إلى أبواب النحو منها إلى أبواب البلاغة، أما دلالات فعل الأمر فهي مختلفة منها ما يدلُّ على الأمر الحقيقي، ومنها ما يخرج إلى دلالات أخرى.

أغراض الأمر البلاغية في تفسير درج الدرر:

إن صيغ الأمر في قوله: وسارعوا وقوله: سابقوا، وقوله: فاستبقوا تدل على الوجوب؛ لأن الصحيح المقرر في الأصول: أن صيغة افعل، إذا تجردت عن القرائن اقتضت الوجوب، وافعل لدى الأكثر للوجوب. وذلك في قول الحق سبحانه: {**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: 63] وقوله سبحانه: {**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**} [الأحزاب: 36] فصرح سبحانه، بأن أمره قاطع للاختيار، موجب للامتثال، وقد سمى نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مخالفة الأمر معصية، وذلك في قوله: { **أَلَّا تَتَّبِعَنِ**

---

(1) ينظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص176)

(2) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 155)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [طه: 93] يعني قوله له: {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعــراف: 142] وإنما قال موسى لأخيه هارون قبل أن يعلم حقيقة الحال، يقول الحق سبحانه:{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف: 151] فدل ما ذكر على أن الشرع واللغة دلا على اقتضاء الأمر المجرد الوجوب(1).إذ الأمر يقتضي الوجوب عند عدم قرينة تدل على خلافه(2)، يذكر القزويني في الإيضاح أن صيغة الأمر قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام(3)، إن "مدلول صيغة الأمر هو طلب حصول الفعل مطلقًا عن قيد الفورية؟ أو التراخي، فالمأمور يكون ممتثلًا للآمر بالإتيان بالفعل المأمور به سواء أتى به فورًا، أو بعد مهلة، ولا يتعين أحدهما إلا بقرينة، وهذا هو الراجح"(4).

يقول الحق سبحانه:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133] وقوله سبحانه: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: 21] ، يوضح الإمام:"{وَسارِعُوا} المسارعة إلى الجنّة، وهي مسابقة بعض الناس بعضًا، أو مسابقتهم انقضاء الأجل إلى عمل يوجب الجنّة، فقيل: إنّه التّوبة، وقيل: الغزو، وقيل: الهجرة، وقيل: الوقوف على قضيّة الأمر والنهي"(5)، فقوله: وسارعوا وقوله: سابقوا إلى مغفرة فيه الأمر بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرته، وجنته جل وعلا، وذلك بالمبادرة والمسابقة إلى امتثال أوامره، ولا شك أن المسارعة والمسابقة كلتاهما على الفور لا التراخي، وكقوله: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 148] ويدخل فيه الاستباق إلى الامتثال.

نظر الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى صيغة الأمر في القرآن الكريم فوجد أن لفظ افعل يحتمل معان أخرى – وإن اقتضت الوجوب – وحدد المطلوب وفق سياقها مبرزًا أهم معانيها التي تدل عليها: يقول الإمام رحمه الله أن:" ظاهر الأمر يقتضي الوجوب لجواز انتفاء لفظ الأمر عن غير الواجب، ولفظ (افعل) يحتمل عشرة معان منها: الإيجاب كقوله: {وَأَقِيمُوا

(1) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج4/ 333)
(2) ينظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى (ج1/ 303)
(3) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 82)
(4) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج2/ 89)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 432)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصَّلاةَ} [البقرة:43] ، والإرشاد كقوله: {وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ} [البقرة:282] والإباحة كقوله: {فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة:10]، والإعجاز كقوله: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة:23] ، والتّهديد كقوله: {إِعْمَلُوا} ما شِئْتُمْ [فصّلت:40] ، والسّؤال كقوله: {وَاُعْفُ عَنّا وَاغْفِرْ لَنا} [البقرة:286]، والنّدب كقوله: {فَكاتِبُوهُمْ} [النور:33]، والحثّ على الاعتبار كقوله: {فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الزخرف:25]، والإكرام كقوله: {اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ} [الأعراف:49]، والامتنان كقوله: {فَامْشُوا فِي مَناكِبِها} [الملك:15]، والظاهر من الجميع الإيجاب، وإنّما يحمل على غيره بدليل، ثمّ هذا اللفظ يكون أمرًا لمن هو دونه في الرّتبة لصيغته ولا يشترط إرادة الأمر؛ لأنّ الله تعالى أمر بذبح ابن إبراهيم ولم يرده، ولأنّ الإرادة انفصلت عن الأمر، يقال: أريد أن تفعل كذا ولكن لا آمرك به، فيفيد الإيجاب دون كونه مرادًا لعدم الإرادة في النهي، الإيجاب، كقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ} [البقرة:43]"[(1)].

لقد أتى الإمام على إجمال أغراض الأمر فيما سبق، وبين دفتي تفسيره درج الدرر تفصيل ما ذكر وزاد أغراضًا أخرى: منها أيضًا خروج الأمر عن حقيقته كالدعاء والعبادة: {قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ} [الأعراف: 151] يقول: "لأخذه برأس أخيه، {وَلِأَخِي} لما ظنّ به من التّقصير وقيل: الاستغفار عبادة وإن لم تكن الزّلّة معلومة"[(2)]. يقول الإمام في توضيحه خروج صيغ الأمر لمعان وأغراض أخرى:"{إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ} قال الحسن: هذا الخطاب ورد عليه حين أفلت الشمس، في كونه خطاب السرّ أو خطاب العلانية محتمل كلاهما، وذلك لا يدلّ على أنّه كان من قبل على غير الفطرة، كما قال لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ} [محمد:19]، والمراد بهذا النوع من الأمر الاستقامة والاستدامة"[(3)]، وفي قوله سبحانه:{ {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: 19] يقول الإمام: "إنّه الأمر للاستقامة على العلم، {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} وعن الأعمش قال: ما قعدت إلى أحد أكثر استغفارًا من أبي صالح، وقال أبو صالح: ما قعدت إلى أحد كان أكثر استغفارًا من أبي هريرة، وقال أبو هريرة: ما قعدت إلى أحد كان أكثر استغفارًا من النّبيّ عليه السّلام"[(4)]. وقوله سبحانه:{اذْهَبْ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 142)
(2) المصدر السابق(ج1/ 700)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 247)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1543)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه: 42] ولا تضعفا، ولا تفترا، وفائدة الأمر بالقول الليّن: تعبّدهما بتوخّي رشد فرعون، واستمالته، والثاني: قطع أعذار فرعون من كلّ وجه"[1]، يقول الإمام: "{فَكُلُوا} أمر إباحة، وهو عامّ في كلّ بدنة بلغت محلّها، وكانت دم فدية ، ولم يكن دم جناية"[2]، وَقَوله: {فَكُلُوا مِنْهَا} هَذَا أَمر إِبَاحَة، وَلَيْسَ بِأَمْر إِيجَاب، وَقَالَ بَعضهم: هُوَ أَمر (ندب) ، وَيسْتَحب أَن يَأْكُل مِنْهَا[3]، "وهذا الأمر من الله جلّ ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحُجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضيع له فرضا كان واحبا عليه، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب"[4]، ويقول الإمام: "{فَأْتُوا} تحذير وإعجاز، كقوله: {إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} [الرحمن:33]، وحدّ الإعجاز هو الإتيان بناقض العادة، الخارج عن طوق من هو مثل صاحب المعجزة في الخلقة، وذلك الشيء يزينه ولا يشينه، ويكون برهانا على صحّة دعوى النبوّة. وإنّما وقع التحدّي ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرًا وسحرًا" [5]، إن سر بلاغة التعبير بالأمر في مقام التعجيز إبراز قوة التحدي والسبيل لإظهار عجزهم؛ ليتعظوا ويقلعوا عما هم فيه من عنادٍ ومكابرةٍ، وفي كلام الإمام إشارة إلى نظرية النظم فيما أن النظم دليل وجه إعجاز القرآن الكريم، لكن الفرق بينه وبين من سبقه من العلماء الذين أشاروا إلى النظم شاسع المدى، فقد جعل من النظم نظرية تتفاضل على أساسها مراتب الكلام ويعلو بعضها على بعض، وتضم كل ما يزيد الكلام بهاء وشرفًا، كما تتناول الألوان البلاغية بالتحليل والتعليل والشرح والتفصيل والتقنين والتحديد والمقارنة والتمثيل، مستخدمًا في ذلك كله ذوقه البلاغي المرهف وعقليته الناضجة المتفتحة[6].

يذكر الإمام من الأغراض التهديد في قوله سبحانه: {اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ} [فصلت:40]. وكذلك في قوله تعالى:{اِعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ} [هود:93] يقول: "فقال على سبيل

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 289)
(2) المصدر السابق (ج2/ 339)
(3) ينظر: السمعاني: تفسير السمعاني (ج3/ 435)
(4) الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج18/ 611)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 121)
(6) ينظر: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، (ص 658)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التهديد" [1]، "إن قوم شعيب كانوا يخوّفونه بأن يعتريه بعض آلهتهم بسوء وعذاب، ويسمّونه كاذبًا، فقال على سبيل التّهديد: { وَيا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ} على حالتكم التي هي حالة التمكين من الاختيار،{إِنِّي عامِلٌ} عملي على هذه الحالة،{سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ} عند نسخ حالة الاختيار بحالة الإلجاء والاضطرار" [2]، ويوضح:"{قُلْ سَمُّوهُمْ} يجوز أن يكون على سبيل التهديد، كقوله: {اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ} و{اِسْتَفْزِزْ} **[الإسراء:64]**، ويجوز أن يكون على سبيل التحدي بالتعيين؛ لأنّ التعيين إنّما يكون بالإشارة إلى الذات، أو إلى الفعل، أو لتحذير الوصف، وكانوا لا يقدرون على شيء من ذلك؛ لأنّ إشارتهم لو وقعت إلى ذات لوقعت إلى جماد لا يستحقّ العبادة، ولو وقعت إلى فعل لوقعت إلى أفعال الله تعالى، وهم معترفون بذلك، ولو قصدوا تحذيرا بالوصف لأحالوا كلامهم إلى مجهول" [3]، "المعنى: "اثبتوا على كفركم وعداوتكم فإني ثابت على الإسلام وعلى مضارتكم فسوف تعلمون أينا له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله: اعملوا ما شئتم وهي تفويض الأمر إليهم على سبيل التهديد" [4]. وقوله سبحانه: **{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ } [الكهف: 26]**"صورته صورة الأمر، والمراد به التعجّب، أي: ما أبصره، وهو جامد، يجري مجرى الحروف" [5]، وقوله سبحانه:**{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات: 24]** "أمر بالوقف بعد الأمر بالسّوق، إنّما هو، إن شاء الله، لتكرار الأمر بالسّوق، وتضعيف الخوف والهول عليهم [6]، "ومنها: الندب، كقوله تعالى: **{**فَكاتِبُوهُمْ} [النور:33]. ومنها الحث على الاعتبار، كقوله: {**فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[الزخرف:25]**، والإكرام، كقوله تعالى: {اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ} [الأعراف:49]. والامتنان، كقوله: {فَامْشُوا فِي مَناكِبِها} [الملك:15]، وخلال حديثه عن قول الله سبحانه: {**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء: 48]** يقول: "أمر على سبيل التعجب، فزاد هنا نوعًا آخر من خروج الأمر عن حقيقته" [7]، وفي قول الحق سبحانه: {**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159]**، "على النّدب والإباحة، والمعنى فيه استمالة قلوب القوم بالإصغاء

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 983)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 113)
(3) المصدر السابق (ج2/ 156)
(4) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج13/ 157)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 245)
(6) المصدر السابق (ج2/ 510)
(7) المصدر نفسه (ج2/ 215)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليهم وبإشراكهم في إمضاء الأمر"[1]، "غير هذا كان أوفق، دليل على جواز مشاركة النبيّ والإمام في الاجتهاد؛ لقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159]"(2)، ومنها {شُورى} اسم من المشاورة، ووجه المدح على كون الأمر شورى بينهم قبح الاستبداد والتّضادّ، كقول الله سبحانه: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، وقال عمر بن الخطّاب في بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إنّها كانت فلتة، وقد وقى الله شرّها، فلا تكون الإمارة من بعد إلا عن مشورة"(3).

لقد أشار الإمام إلى أن صيغ الأمر تستعمل في غير هذا الأصل الذي وُضعت له، فتفيد والإرشاد والإباحة والإعجاز والحثّ على الاعتبار والدعاء والعبادة والقول الليّن والاستغفار والاستقامة والاستدامة والإكرام والامتنان والوصف والندب ومنها التهديد والتحذير وتضعيف الخوف والهول على الكفار، إلى غير ذلك من المعاني التي تفيدها هذه الصيغ بما يقتضيه السياق وقرائن الأحوال، لقد اهتم البلاغيون بالحديث عن هذه المعاني وتجلياتها والكشف عن دقائقها، ومزاياها في التعبير.

2- النهي:

النهي في اللغة:

ضد الأمر النهي أي كلام دالّ على طلب الكفّ من الفعل على سبيل الاستعلاء وضعًا، أو هو قول القائل استعلاء لا تفعل، أو هو القول المقتضي طاعة المنهي بترك المنهي عنه، أو قول القائل لمن دونه لا تفعل مجرّدة عن القرائن الصارفة عن النهي، أو صيغة لا تفعل بإرادات ثلاث: وجود اللفظ ودلالته والامتثال[4].

النهي في الاصطلاح:

طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، ويكون لمن هو أقلّ شأنًا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور. فالنهي:" هو طلب الكف عن شيء ما، مادي أو معنوي، وتدل عليه صيغة كلامية واحدة"[5] هي المضارع المقرون بلا الناهية، أي له حرف واحد، وهو (لا الجازمة) في نحو قولك: لا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 445)

(2) المصدر السابق (ج2/ 318)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1518)

(4) ينظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج1/ 267)

(5) الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 228)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء [1]، ومثاله قول الحق سبحانه: {وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [الحجرات: 12]، وقوله سبحانه: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: 56] وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال: كالدعاء في مثل قوله سبحانه: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: 286]، والنصح والإرشاد: {لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} [الحجرات: 11] التيئيس: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التحريم: 7] والالتماس: {قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} [طه: 94] وغير ذلك [2].

أغراض النهي البلاغية في درج الدرر:

يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [المائدة: 41] ، يقول الإمام: "(لا يحزنك): لا يغمّك ، نهي إلى غير المنهيّ كقوله: {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ} [التّوبة:55] والمقصود من النّهي التّسلية"[3]، يوضح الإمام ما في الآية الكريمة من خروج النهي إلى معنى التسلية والتسرية والتخفيف عما يكابده الرسول الكريم من أذى الكفار والمنافقين، يقول الزمخشري في الكشاف:" والمعنى: لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم"[4]. أما في قول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 104] يقول الإمام: "نزلت في النهي عن لفظة كان المسلمون يتلفّظون بها، ويلحن فيها اليهود ليًّا بألسنتهم يريدون الشتم، وهي لفظة (راعنا)، قال ابن عرفة: هو من المراعاة ، والعرب تقول: راعني، أي: تعهّدني، وافهم عنّي وأفهمني، وقال الأزهري: ظاهرها: أرعنا سمعك، وكانت اليهود تذهب بها إلى الرعونة، والأرعن: الأحمق، وقيل: كانوا يقولون: راعينا، يعنون راعي السائمة. فنسخ الله تعالى تلك الكلمة بقوله: {أنْظُرْنا} أي: انتظر وارتقب ما يكون منّا من سؤال أو نحوه"[5]، أشار الإمام أنها نزلت في النهي عن الشتم. وأنزل الله تعالى النهي عن ذلك لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله

---

(1) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 88)

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 76)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 565)

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 632)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 216)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى الله عليه وسلم وأمروا بما هو في معناها وهو قوله تعالى: {وقولوا انظرنا} أي: انظر إلينا [1]، وفيها دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها[2].

يقول الحق سبحانه:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**} **[المائدة: 57]** يبين الإمام أن فائدة تكرار النهي في الآية الكريمة: " بالاتّخاذ اتّصال النّهي الأوّل بأنّهم سيهزمون وأنّ موالاتهم لا تورث إلاّ حسرة، واتّصال هذا النّهي بالإخبار عن اتّخاذهم الدّين هزوًا ولعبًا، وفيه نوع تحريض على المعاداة إذ العاقل يعادي من يستهزئ به"[3]، فالنهي عن موالاة المتخذين للدين هزوًا ولعبًا يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام[4]، إن حمية المؤمن الذي لا يرى لنفسه كرامة إذا أهين دينه، وأهينت عبادته، وأهينت صلاته، تستدعي اتخاذ موقفه بين يدي ربه مادة للهزء واللعب.. فكيف يقوم ولاء بين الذين آمنوا وبين أحد من هؤلاء الذين يرتكبون هذه الفعلة ويرتكبونها لنقص في عقولهم[5]، وفي قوله الحق سبحانه: {**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} **[الحجرات: 11]**.

يذكر الإمام: "النّبز والنّزب: اللّقب السّوء، والتّلقيب المنهيّ عنه، فما ما يحبه المدعو به فلا بأس، لما روي عن النّبيّ عليه السّلام: "من حقّ المؤمن على أخيه: تسميته بأحبّ أسمائه إليه"[6]؛ ولهذا كانت التّكنية من السّنّة، ولقد لقّب أبو بكر بالصّدّيق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله"[7]، وخروج النهي في الآية الكريمة إلى معنى كراهة هذا الأمر لما يترك من أثر في نفس الإنسان، فلا بأس في أن يكنى ويلقب الإنسان بما يحب وبأحب أسمائه كما بين الإمام. وفي قول الحق سبحانه: {**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**} [آل

---

(1) ينظر: الشربيني، السراج المنير (ج1/ 83)

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج1/ 374)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 572)

(4) ينظر: أبو الطيب الحسيني، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج3/ 455)

(5) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2/ 922)

(6) الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (ج3/ 340)

(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 584)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمران: 8- 9] يبين الأمام: "أن النهي يخرج إلى معان الدعاء والعبادة حين يشير إلى أن هذه الأدعية وغيرها عبادة وإظهار للحاجة: {رَبَّنَا} محمول على {آمَنّا}، أي: {يَقُولُونَ آمَنّا} ويقولون: {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا} ، أي: لا تخذلنا ولا تمسك عنّا توفيقك فتزيغ قلوبنا ، وقيل: لا تعاقبنا على ذنوبنا على إزاغة قلوبنا، وقيل: لا تكلّفنا البحث عن المتشابه فتفترق بنا الأهواء"[1]، وفي قوله سبحانه: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286]** يقول الإمام موضحًا:"{وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ} لا تكلّفنا ما يستحيل فعله منّا على وجه العذاب والعقاب، ولا ما يتلف أنفسنا علينا في فعله على وجه الشّرع. والتّحميل: التّكليف ، وفي المثل: النّفس عزوف وما حمّلتها احتملت.{وَاُعْفُ} امح ومحّص {عَنّا} ذنوبنا.{وَاِغْفِرْ لَنا} ألبسنا العفو واستر قبائحنا.{وَاِرْحَمْنا} أرد بنا الخير " [2]، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا أي: يقولون ربنا، وكأنهم لما رأوا انقسام الناس إلى زائغ، ومتذكر مؤمن، دعوا الله تعالى بلفظ الرب أن لا يزيغ قلوبهم بعد هدايتهم، فيلحقوا بمن في قلبه زيغ، ويحتمل أن يكون تعالى علمهم هذا الدعاء، والتقدير: قولوا ربنا[3]، وكأنهم إذ يعلنون الإيمان والإذعان يضرعون إلى الله تعالى أن يحفظه ويبقيه بإبعادهم عن الزيغ والاضطراب في العقيدة، وقال بعض المفسرين: إن هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ليدعوا بهذا الدعاء[4]. وفي قوله سبحانه: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة:101]** يقول الإمام: "نقل عنه حديثين: أحدهما أنّه لمّا نزل قوله: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران:97]**، قال رجل من الأعراب: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، فأعاد عليه ثلاث مرّات، فاستغضب، فمكث طويلا ثمّ تكلّم فقال: من هذا السّائل، قال الأعرابيّ: أنا، فقال: ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم، لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لكفرتم، فأنزل الله الآية. وفي الحديث الآخر قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم غضبان قد احمرّ وجهه، فجلس على المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أحدّثكم به، فقام رجل وقال: أين أبي؟ قال: في النّار، فقام عبد الله بن حذافة، وكان يطعن في نسبه، فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة، فقام عمر وقال: رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبالقرآن إمامًا وبمحمّد نبيًّا، يا رسول الله كنّا حديثي عهد

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 380)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 454)

(3) ينظر: أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج3/ 31)

(4) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج2/ 1117)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الجاهليّة وشرك فالله أعلم من آباؤنا، قال: فسكن غضبه، ونزلت الآية"[1]، فظاهر الآية النهي عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فجاء النهي يحمل معنى الإرشاد لهؤلاء الذين يسألوا عن أشياء إن بدت لهم أساءتهم[2]، يقول الإمام الشافعي: "وفي معناه: كراهية لكم أن تسألوا عما لم يحرّم، فإن حرَّمه الله في كتابه، أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – حُرِّم أبداً، إلا أن ينسخ الله تحريمه في كتابه، أو ينسخ على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – سُنَّة بسُنة"[3].

ينزل الوحي الإلهي التشريعي لتنظيم حياة المسلمين بتكامل فلا يهمل منه شيء، وإنما كان نزول القرآن الكريم بالتدريج، فينزل الحكم الإلهي في المكان والزمان المناسبين، ويأتي جواب شاف لحل مسائل طارئة أو قضايا مختلف فيها بحسب الحكمة الإلهية، وبمقتضى إرادة الحق سبحانه وعدله ومصلحة ورحمة للعالمين ؛ لذا فإن استعجال الجواب عن بعض الأمور ليس من الأدب أو اللياقة، بل يترك كل تفصيل لله سبحانه فهو المشرّع، وهذا من شأن الوحي الذي ينزل بأمر من الله لا بحسب أمزجة الناس وتّطلعاتهم، ويكون السؤال عما لم ينزل فيه وحي مكروهًا، أو قد يكون حرامًا، فتنزل الآية بالنهي عن تلك الأسئلة السخيفة التي تسيء لسائليها، وبهذا خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معنى الإرشاد والتوجيه، فلا تسألوا عن أشياء لا فائدة منها، أو أمور دقيقة أو تكاليف سُكت عنها، فيشق ذلك على بقية المؤمنين، ويكون السؤال سببًا في التشديد. أما في قول الحق سبحانه: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23]** فيذكر الإمام سبب نزول الآية الكريمة موضحًا أن الآية الكريمة فيها نهي عن التأفف وبيّن ما تحمله من معاني الإرشاد والتوجيه والتعليم: "{وَقَضى رَبُّكَ} نزلت في سعد بن أبي وقاص كان قد أسلم، وله أمّ مشركة، تشتمه، وتطرده عن بيتها، وتعود عليه بالجميل أخرى، وكان سعد متقدم الإسلام، لم يتقدمه إلا زيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق، وعليّ بن أبي طالب. {فَلا} تَقُلْ لَهما أُفٍّ: نهي عن التأفيف، ونصّ عليه، يدلّ بفحواه على ما فوق ذلك أدخل في النهي، كما أنّ مثقال ذرة ومثقال حبّة يدلاّن أنّ ما فوقهما أدخل في الجزاء

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 587)

ينظر الحديث: محمد بن حبان، الصحيح (6245/139/14)

(2) ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، من بلاغة القرآن (المعاني– البيان– البديع) (ص48–49)

(3) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (ج2/ 795)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحساب.{وَلا تَنْهَرْهُما} ولا تزجرهما"[1]؛ ولذلك منع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين، نهى عما يؤذيهما بعد الأمر بالإحسان بهما، وَلا تَنْهَرْهُما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ، وقيل النهي والنهر والنهم أخوات، وَقُلْ لَهُما بدل التأفيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلاً لا شراسة فيه[2]، وإن كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول أف لأنه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهيًا عن الأعلى بجهة الأولى، والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما قولا كريمًا أي جامعًا للمحاسن من البر[3]، وفي قوله سبحانه: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ } [الحجر: 88] يذكر الإمام عن ابن عباس: "نهى الله رسوله عن الرّغبة في الدنيا، فحظر عليه النظر إليها بعين الرّغبة، روي عنه عليه السّلام: أنّه مرّت به غنم في أيام الرّبيع، فغطّى كمّه على عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: {بهذا أمرني ربّي}"[4]. ثبت أن اللَّه تعالى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اكتساب ذلك وجمعه، وجعل رزقه – عليه السلام – من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر، وهو الفيء والغنيمة، ثم نهى عن إمساكه وادخاره لنفسه؛ بل أمر أن يصرفه في أمته وذكر أن رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – كان لا يدخر لغد، وقال تعالى: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران: 196- 197] ؛ فثبت أنه كان منهيًا عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى اكتساب الأموال، وإلى الجمع؛ فنهي عن العطايا التي يلتمس بها أفضل منها في الدنيا[5]. ويقال لما أدّبه ربه في ألا ينظر إلى زينة الدنيا بكمال نظره، أو كما ذكر الإمام فحظر عليه النظر إليها بعين الرّغبة، ففيها الفتنة وما يشغل به عن الحقّ، ويستولى حبّه على القلب، "ويقال قليل يشهدك ربّك خير من كثير ينسيك ربّك"[6].

يقول الحق سبحانه: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29] يتفرد الإمام بأسلوبه الموجز في تفسيره الآيات الكريمة وخاصة في ذكره وجوه البلاغة ودلالات الألفاظ والمعاني ونظم الكلم، لكن الإمام بسط القول في ذكره

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 210)
(2) ينظر: البيضاوي، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج3/ 252)
(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج7/ 37)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 178)
(5) ينظر: الماتريدي، تفسير تأويلات أهل السنة (ج10/ 303)
(6) القشيري، تفسير لطائف الإشارات (ج2/ 488)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصص والأخبار، فورد عن الإمام من الإسرائيليات كما بيّن محققا كتاب درج الدرر الذين قالا بأنه منسوب للإمام[1]، ووافق هذا الرأي محققا درج الدرر الذين قالا بأن الكتاب تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني [2]، ويرى الباحث أن في بعض ما أورده الإمام أخبارًا منقولة وقد نصفها بالإسرائيليات، لكن الكثير من القصص والأخبار التي ذكرها الإمام هي من سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأخبار صحابته الكرام والسلف الصالح – رضي الله عنهم وأرضاهم– يقول الإمام في تفسيره قوله سبحانه: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} **[الإسراء: 29]** "عن المنهال بن عمرو: أنّ امرأة بعثت ابنها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستكسيه درعًا، وقالت له: إن قال: حتى يأتيني شيء ، فقل له: إنّ أمّي تستكسيك قميصك، فأتى ابنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذكر له ذلك، فنزع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قميصه، فدفعه إليه، فأنزل، وفي الآية نهي عن الإمساك والبخل، ونهي عن الإسراف في النفقة"[3].

أما في قوله سبحانه: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} **[مريم: 44]** يوضح الإمام التماس إبراهيم وخوفه على أبيه بأن ينزل عليه العذاب ويبين كيفية تعامله برفق ولين ورجائه أن يتبعه فيهديه صراطًا سويا:{يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ} إنما نهاه لأنّ الشيطان يتصوّر للمشركين بصور آلهتهم، فيكلّمهم فيها، فترجع عبادتهم في الحقيقة إليه، {يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ} "إنّما خاف أن ينزل عليه العذاب، ولم يتيقّن بذلك؛ لرجائه له الإسلام، وإنّما لم يكن أنّه وليّ الشيطان في الحال لإرجائه أمره إلى الله تعالى كيف يختم عليه فإنّما الأعمال بالخواتيم"[4]، يوضح الإمام أن إبراهيم أراد لأبيه الخير والهداية وإرجائه أمره إلى الله، وفي النهي استمالة والتماس إبراهيم عليه السلام لأبيه، وأورد كل ذلك مقرونـاً بـالرفق واللطف رغم مقابله أبيه بجواب يضاد ذلك، حيث قال: فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطًا سَوِيًّا أي: مستقيمًا موصلاً إلى أسمى المطالب، منجيًا من الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب، ثم ثبّطه عما كان عليه من عبادة الأصنام، فقال: يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ، فإن عبادتك للأصنام عبادة له، إذ هو الذي يُسولُها لك ويغريك عليها، ثم علل نهيه فقال: إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا،

(1) عبد القاهر الجرجاني، دُرَجُ الدُّرر في تَفِسيرِ القرآن العظيم، المنسوب، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي ، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا.

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 211– 212)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1176)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو تعليل لموجب النهي، وتأكيد له ببيان أنه مستعصٍ على ربك، الذي أنعم عليك بفنون النعم[1].

3- التمني:

التمني في اللغة:

التَّمَنِّـي: حديثُ النَّفس بِمَا يكون وَبِمَا لَا يكون، قَالَ: والتمنِّـي: السُّؤال للربّ فِي الْحَوَائِج[2]، أي تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون، والمعنى إذا سأل الله حوائجه وفضله فليكثر فإن فضل الله كثير وخزائنه واسعة. أبو بكر: تمنيت الشيء أي قدرته وأحببت أن يصير إلي من المنى وهو القدر، الجوهري: تقول تمنيت الشيء ومنيت غيري تمنية. وتمنى الشيء: أراده، ومناه إياه وبه، وهي المنية والمنية والأمنية. وتمنى الكتاب: قرأه وكتبه[3]. والرجاء: وهو الأمل، يقال رجوت الأمر أرجوه رجاء. ثم يتسع في ذلك، فربما عبر عن الخوف بالرجاء. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: 13]**[4] ، وتفسير ذلك أن الرَّجاء والخوف يتلازمان، الرَّجاءُ مَمْدُود وَهُوَ نقيض الْيَأْس، وَالْفِعْل مِنْهُ، رَجَا يَرْجُو، ورَجِيَ يَرْجَا، وارْتَجَى يَرْتَجِي، وتَرَجَّى وَيَتَرَجَّى" [5]، والرَّجاء: الْخَوْف، وَفِي التَّنْزِيل: **{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: 13]**. وَقَالَ ثَعْلَب: قَالَ الْفراء: الرَّجاء فِي معنى الْخَوْف لَا يكون إِلَّا مَعَ الْجحْد، تَقول: مَا رجوتك: فِي معنى مَا خفتك[6].

التمني في الاصطلاح:

" فهو طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، ولكن لا يرجى حصوله في اعتقاد المتمني، لاستحالته في تصوره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه، إذ يراه بالنسبة إليه معذرًا بعيد المنال"[7]،"هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله، أما لكونه مستحيلًا، أو لأنه بعيد

---

(1) ينظر: الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج3/ 336)
(2) ينظر: الهروي، تهذيب اللغة (ج15/ 383)
(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج15/ 294)
(4) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج2/ 494)
(5) الهروي، تهذيب اللغة (ج11/ 124)
(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (ج7/ 545)
(7) الميداني، البلاغة العربية، (ج1/ 251)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحصول"[1]، "واللفظ الموضوع له ليت، ولا يشترط إمكان المتمني، بل قد يكون المتمني قريبًا، مثل: ليت زيدًا يقدم، وهو مشرف على القدوم، وقد يكون بعيدًا ممكنًا، وقد يكون غير ممكن"[2]،

أغراض التمني البلاغية في تفسير درج الدرر:

يميز البلاغيون بين نوعين في التمني: الأول: توقع الأمر المحبوب الذى لا يرجى حصوله لكونه مستحيلًا، كقوله تعالى: **{يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } [النساء: 73]**، والثاني: توقع الأمر المحبوب الذى لا يرجى حصوله لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله، كقوله تعالى: **{يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } [القصص: 79]**[3]، إذا كان الأمر المحبوب ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجّيًا فهو طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، مما يرى طالبه أنه مطموع فيه، وهو يترقب الظفر به، أو الحصول عليه، وقد ترد صيغته لمجرد، التوقع، ولو كان توقع أمر محذور منه، ويسمى حينئذ إشفاقا، مثل: **{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [الشورى: 17]**، ويستعمل في الترجي كلمتان هما: (لعل) و(عسى). وقد يترجى بأداة الاستفهام (هل) وبحرف (لو) فيما هو عزيز المنال مع إمكانه، وعلى خلاف الأصل قد يستعمل في التمني: (هل– لعل– عسى) لغرض بلاغي، وهو إبراز المتمني في صورة الممكن المطموع فيه، بغية الإشعار بكمال العناية به، والتلهف على الحصول عليه، أو تحقيقه[4].

فالترجي ترقب حصول الشيء فهو كما بين الإمام في الظاهر المعقول. فالتمني هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، كقول المتنبي:

فَليتَ وقارَك فرّقتَهُ ... وحملتَ أرضكَ ما تحملُ

وإما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو: **{يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: 79]** ، فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجيًا ويعبر فيه بعسى ولعل. وألفاظ التمني أربعة: واحدة أصلية، وهي ليت، وثلاثة نائبة عنها، وهي:هل– لو– لعل [5].

---

(1) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج2/ 108)
(2) السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ج1/ 420)
(3) ينظر: الرفاعي، أساليب بلاغية (ص 127)
(4) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 251– 252)
(5) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 62)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الحق سبحانه: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ۝ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ } [يس: 25- 26] يحكي الإمام قصة حبيب النّجار الذي "دعا الناس إلى الإيمان، فوطئوه بأرجلهم حتى قتلوه، فأدخله الله الجنّة، قال: يا ليت قومي يعلمون. واختلف الروايات، قيل: آمن الملك وطائفة من النّاس معه، فصاح جبريل عليه السّلام بالباقين. وقيل: لم يؤمن الملك ولا أحد سوى حبيب النّجار، ولكن رجموا الأنبياء، فصاح جبريل بهم أجمعين. وروي: أنّ الرّجل الذي آمن بهؤلاء الرسل عليهم السّلام لم يكن نجّارًا، ولكنّه كان راعيًا من رعاتهم، وهو أب الميت الذي أحيوه بإذن الله، وهو الذي قتلوه، فقال: يا ليت قومي يعلمون"[1].

يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } [الأعراف: 94] ، "{لَعَلَّهُمْ يضَرَّعُونَ} أي: جعلنا البأساء والضرّاء من دواعي التّضرّع والإذعان في الظّاهر المعقول دون المعلوم المقدور"[2]، أما في قول الحق سبحانه: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: 32] يبين الإمام سبب النزول:"{وَلا تَتَمَنَّوْا} "نزلت في أمّ سلمة، قالت: [ليت] الجهاد كتب علينا فنصيب من الثّواب ما يصيبه الرّجال، عن مجاهد وقيل: تمنّي الرّجال أن يزادوا في ثواب الآخرة كما زيدوا في الميراث في الدنيا. وقيل: حسد الناس بعضهم بعضًا، فنهوا عن ذلك {لِلرِّجالِ نَصِيبٌ} أي: لكلّ واحد من الفريقين نصيب من قضيّة ما كسبوا"[3]، قيل: لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال غيره ومنزل غيره، فإن ذلك هو الحسد، ولكن ليقل: اللهم إني أسألك من فضلك، وقيل إن أم سلمة قالت: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا وكان لنا ثواب الرجال. وقال بعضتهم. قال الرجال: ليتنا فضلنا في الآخرة على النساء كما فضلنا في الدنيا[4].

يقول الحق سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: 94-95] يذكر الإمام أنها : "نزلت في اليهود حيث زعموا أنّهم يبعثون ويثابون، وسائر الناس لا بعث لهم ولا نشور. والمراد بالدار الآخرة الجنّة، وإنّما توجّه عليهم تمنّي الموت بهذه

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 498)
(2) المصدر السابق (ج1/ 682)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 483)
(4) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ج2/ 45)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدعوى لمعنيين: أحدهما مجمع عليه؛ لأنّهم لو باينوا سائر الناس في حكم البعث والنشور لباينوا في حكم كراهية الموت وتمنّيه. وتمني الشيء: تشهيه، وهو إرادة غير المقدور، ومن أدواته: ليت. {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ} كان حكم هذا التحدي في الآية السابقة حكم التحدي للمباهلة مع النصارى "[1]. وفي قوله: {فتمنوا الموت} خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى معنى التعجيز؛ لأن ذلك ليس من سماتهم ولا من ظواهرهم المألوفة وتمنى الموت من شأن المقربين الأبرار؛ لأن من أيقن بالشهادة اشتاق إليها، وبكى حنينًا إليها، وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه كان يطوف بين الصفين في غلالة فقال ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين فقال: يا بني لا يبالي أبوك سقط أم سقط عليه الموت [2].

أما في قوله سبحانه:{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } **[النبأ: 40]** حين يقضى الحق بين الخلائق يتمنى أن يكون الكافر ترابًا كالخلائق الأخرى (كالبهائم) دون الإنس والجان، وهو طلب حصول شيء محبوب لن يحصل، لكونه مستحيلًا، يقول الإمام: "ثمّ يقضي الله بين خلقه كلّهم إلا الثّقلين: الجنّ والإنس، ويقيد بعضهم حتى إنّهم ليقيد الجلحاء من القرناء حتى إذا لم يبق تبعة لواحد عند آخر، قال الله: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: **{يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً} [النبأ:40]"** [3]، ويقول الكافر من شدة ما يعانيه من أنواع الأهوال والعذاب، ليتني كنت ترابًا، فهو يتمنى إن لم يكن إنسانًا يبعث، وإنما كان ترابًا، ويتمنى أن يصير ترابًا كالحيوانات بعد الاقتصاص من بعضها لبعض، ومضمون تلك الأخبار: أن البهائم تحشر، فيقتصّ للجمّاء من القرناء، ثم تردّ ترابًا، فيودّ الكافر حالها ليتخلص من العذاب[4].

4- الاستفهام:

الاستفهام في اللغة:

الاستفهام طلب الفهم، لاستفهام مصدر الفعل "استفهم"، "واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيءَ فأفهمتُه وفهَّمته تَفهيمًا"[5]، فسؤال الفهم طلب السائل أن يخبره المسؤول عمَّا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 235)

(2) ينظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج1/ 150)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 504)

(4) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي (30/ 28)

(5) ابن منظور، لسان العرب مادة (فهم) (ج12/459)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسأل، ولذلك ساوى ابن فارس بين معنى الاستفهام والاستخبار فقال: "الاستخبار: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام"(1).

الاستفهام في الاصطلاح:

طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته، وهي إحدى عشرة: الهمزة، هل، ما، من، متى، أيان، أين، كيف، أنى، كم، أي. وهذه الأدوات على ثلاثة أقسام: ما يطلب به التصور تارة، والتصديق أخرى، وهو (الهمزة) ما يطلب به التصديق فحسب، وهو (هل)، وما يطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات الاستفهام (2)، والاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وهو الاستخبار الذى قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك، أي طلب الفهم. ومنهم من فرق بينهما(3)، فالاستفهام له صدر الكلام (4)، للاستفهام كلمات موضوعة، وهي: الهمزة وأم وهل وما من وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان بفتح الهمزة وبكسرها(5)، ومعناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: طلب المراد، عام فيه وفي الأمر، وقولنا، على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر، فإنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد، وآلاته على نوعين، أسماء، وحروف، فالحروف، الهمزة، وهل، لا غير، والأسماء على وجهين أيضًا، ظروف وأسماء، فالظروف الزمانية نحو متى، وأيّان، والظروف المكانية نحو أين، وأنّى، وأما الأسماء فهي من، وما، وكم، وكيف فهذه آلات كلها للاستفهام(6).

أغراض الاستفهام البلاغية في تفسير درج الدرر:

أسلوب الاستفهام من الأساليب البيانية العظيمة التي عني بها القرآن عناية كبيرة لكونه وسيلة مهمة في إيصال الأفكار والأهداف، وتثبيت المفاهيم والاتجاهات، فهو أسلوب بلاغي يؤدي غايته بالفكرة أو المعلومة التي يحملها فتصل للملقي بأسلوب فائق لا تعقيد فيه؛ لأنه أوقع في النفس، وهو في الحقيقة استخبار عن الشيء الذي لا علم لنا به، ولقد وقف الإمام عبد

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها (ص292)
(2) ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج2/ 95)
(3) ينظر: الرفاعي، أساليب بلاغية (ص 118)
(4) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 5)
(5) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 308)
(6) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 158)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القاهر الجرجاني أمام هذا الأسلوب، وكشف عن معانيه وأغراضه بعبارة مختصرة موجزة دلت على المقصود حيث يخرج الاستفهام إلى معان أخرى وهي عند الإمام أحد عشر غرضًا:

1 – الاستفهام للتقرير والإثبات:

معناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ومثاله ما جاء في قوله سبحانه: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ} [آل عمران:135] فالاستفهام التقريري أن تطلب من المخاطب أن يقر بِما يُسأَلُ عنه نفيًا أو إثباتًا ، لأي غرض من الأغراض التي يراد لها التقرير، كالإدانة واللوم ونحو ذلك، ومن أمثلته في القرآن الكريم: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: 1] يقول الإمام: "استفهام بمعنى التقرير"(1).

أما في قوله سبحانه: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} [التوبة: 70] يبين الإمام أنه استفهام على سبيل التّقرير والإثبات، وحثّ على اعتبار الآيات(2)، ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات هذا استفهام تقرير وتوبيخ لمن نزلت فيهم الآيات من الكفار والمنافقين في عهد النبي– صلى الله عليه وسلم– يذكرهم بالأقوام الذين ضلوا من قبلهم ووصلت إليهم سيرتهم"(3). ويسمى استفهامًا تقريريًا، والمراد منه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده العلم به، أو هو أمر باستطاعته معرفته حسيًا أو فكريًا، موجبًا كان أو سالبًا، فمن ادعى أنك جئته وأنت لم تأته، قد توجه له استفهامًا تقريريًا قائلا: هل أنا جئتك؟ ومتى جئتك؟ وماذا كان حين التقيتك، لتنزع منه الإقرار والاعتراف بأنك لم تأته(4).

الهمزة هي "الأصل فيه؛ لكونها حرْفًا، بخلاف ما عدا هذه من أدواته، فلم تخرجْ عن موضوعها، فلم تستعمل لنفي، ولا بمعنى "قد"، بخلاف "هل"، ومِن ثَمَّ؛ أي: من أجْل أصالتها فيه اخْتُصَّت بالحذف؛ أي: بجواز حذفها. وسائر الأدوات لا تحذف، ودخولها على النفي، كما تدخل على الإثبات، نحو ألَم يقمْ زيد؟ وغيرها لا يدخل إلاَّ على الإثبات خاصة، ودخولها على واو العطف، وفائه، وثُمَّ؛ تنبيهًا على أصالتها، بخلاف غيرها من الأدوات، فلا يتقدم العاطف

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 433)
(2) المصدر السابق (ج1/ 782)
(3) القلموني، تفسير المنار (ج10/ 464)
(4) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 275)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل يتأخَّر"[1]، وذلك أنَّ الهمزة كما قال ابن الحاجب: "أعم تصرُّفًا في الاستفهام"[2]، إنما حروف الاستفهام تدخل في الكلام إما بمعنى الاستثبات، وإما بمعنى النفي[3]، "وبلى: حرف يجاب بها الاستفهام الداخل على كلام منفي فتحيله إلى الإثبات بخلاف (نعم) فإنه يجاب بها الكلام الموجب، وتأتي (بلى) في النفي من غير استفهام"[4]، ووجه انقلاب النفي إثباتًا أن الهمزة إنكارية، فهي مضمنة معنى النفي، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فينفيه، ونفي النفي إثبات فيؤول إلى معنى الإثبات[5].

أما في قوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} **[إبراهيم: 19]**، فالاستفهام هنا لإنكار الوقوع أي للنفي، وهو داخل على النفي (لم) ونفي النفي إثبات وهو إثبات مؤكد، كأنه استفهم فكان الجواب هو الإثبات[6]، اعلم أن الإنكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفيًا – كقوله سبحانه: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} **[إبراهيم: 10]**، أي لا شك فيه، وإذا وقع في النفي يجعله اثباتًا، نحو: قوله سبحانه: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} **[الشرح: 1]** أي: قد وجدناك، وبيان ذلك: أن إنكار الإثبات والنفي نفى لهما، ونفى الاثبات نفى – ونفى النفي اثبات، ثم الإنكار قد يكون للتكذيب، نحو: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} **[القيامة: 36]** [7] فعند تفسير الإمام قول الله سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} **[البقرة: 107]** يقول: {أَلَمْ تَعْلَمْ} بمعنى الإثبات، كقوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} **[الأعراف:172]**، قال جرير [من الوافر]:

ألستم خيرَ من ركبِ المَطَايَا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ"[8]

---

(1) السيوطي، همع الهوامع شرْح جمع الجوامع في علم العربية(2 / 69)

(2) الإستراباذي، شرْح الرَّضي على الكافية (ج4/446)

(3) ينظر: الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج2/ 485)

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج10/ 120)

(5) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج4/ 82)

(6) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج8/ 4012)

(7) ينظر: الهاشمي، حاشية جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 83)

(8) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 222)، ينظر ديوان جرير (ص77)

www.manaraa.com

2- **الاستفهام للإنكار:**

المقصود منه الإنكار على المخاطب فعل أمر قام به في الماضي أو يمكن أن يحدث في المستقبل، والأمثلة التي وردت بهذا الغرض كثيرة: يقول الحق سبحانه ، {وَمَنْ أَحْسَنُ} استفهام بمعنى الإنكار، معناه: ليس أحد أحسن"[1]،"{أَيَأْمُرُكُمْ} استفهام بمعنى الإنكار"[2]، وكذلك في قوله تعالى:{**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ} [البقرة:28]**، فيقول: "استفهام بمعنى الإنكار"[3]، وقوله سبحانه:{أَتَعْبُدُونَ} "استفهام بمعنى الإنكار، وفيه دليل أنّ العبد وإن اتّصف بالقدرة لم يملك لأحد ضرًّا ولا نفعًا إلاّ بمشيئة الله تعالى وتقديره"[4]،{أَرَأَيْتَكَ} "استفهام بمعنى الإنكار"[5]، {أَلا يَتَّقُونَ} "استفهام بمعنى الإنكار على المستفهم عن حالهم، كقوله: **{أَوَلا يَعْلَمُونَ} [البقرة:77]**"[6]، فهو يدل على أن الأمر المستفهم عنه أمر منكر، وقد يكون هذا الذي ينكره العقل أو الشرع أو العرف أو القانون أو غير ذلك. للاستفهام الإنكاري أنواع بحسب المراد بالإنكار، فقد يكون إنكاراً يراد به التوبيخ على أمر قد مضى، أو أمر قائم، أو إنكاراً للتكذيب وغير ذلك. ومن أمثلته قوله تعالى على لسان موسى يخاطب أخاه هارون: **{أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى} [طه: 93]** وقوله سبحانه: **{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء: 40]**، ينكر عليهم إنكارًا فيه تكذيب لهم، وقوله سبحانه على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه فكذبوه: **{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود: 28]**، ويقع الأمر المُنْكَر في الاستفهام الإنكاري بعد همزة الاستفهام كما في الأمثلة السابقة.

3- **الاستفهام للتعجب:**

يخرج أسلوب الاستفهام بأنواعه المختلفة عن معناه الوضعي الحقيقي وهو الاستفهام عن حقيقة الشيء إلي معنى دلالي آخر وهو التعجب، وكما في قول الشاعر طرفة بن العبد :

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 254)
(2) المصدر السابق (ج1/ 410)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 37)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 578)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 219)
(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1322)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكيــفَ نضـلُ القصـدَ والحـقُ واضـحٌ   وللحـــقِ بـــينَ الصـــالحينَ ســـبيلُ[1]

فالتعجُّب؛ إمَّا أن يَرِدَ بمعنى إظهار العَجَب استغرابًا ودهشةً؛ لعدم الإلف أو الاعتياد، أو لأن ما يتعجَّب منه ليس له سببٌ معلوم عند السائل، وقد تشتدُّ حِدَّته، فيقترن به الاستنكار، وإمَّا أن يَرِد التعجُّب بمعنى: إظهار الاستحسان والإعجاب، فيكون تعجُّبك لإعجابك به، أمَّا الأول فتعجُّبك منه، وهو يصدر عن المتكلم لأمْرٍ ما قد ذكَره أو فعَله المستفهَم – وهو عند المستفهم غير معلومٍ وجْه ذِكْره أو فِعْله؛ لدَلالة الحال والموقف على نقيض ما يذكر أو يفعل، فكأنَّ ما ذُكِر أو فُعِل أصبحَ عند المتكلم أمرًا مُلغزًا مُحيِّرًا، فيسأل سؤالاً، "القصد فيه إلى بيان الاستغراب، ويَجري هذا الاستفهام عادةً بعد حصول الظاهرة موطن التعجُّب"[2].

أوضح الإمام أن الاستفهام يأتي بمعنى التعجب:**{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ} [البقرة:28]** "استفهام بمعنى الإنكار، وفيه تبيين أنّه موضع لتعجّب المتعجّب حيث يكفرون بمن تولّى إنشاءهم وحفظهم وإفناءهم وإعادتهم من النشأة الآخرة، ويخالفون قضيّة اللّبّ، ويكابرون العقل"[3]، **{كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} [آل عمران: 86]** "استفهام بمعنى البيان لموضع التّعجّب. وقيل: استفهام بمعنى الإنكار والإحالة؛ لأنّ اجتماع حالتي الكفر والإسلام محال"[4]، ويقول: "فكلمة (كيف) بلفظها ومعناها تفيد في الأصل الاستفهام، ولكنها في هذا المقام دلت على التعجب دلالة عارضة على سبيل المجاز. (ألم تر): ألم تنته رؤيتك إليهم، كما تقول للطّليعة: أما ترون؟ أما تبصرون إلى موضع كذا غبارًا أو كيفية. والمراد به رؤية القلب وهو العلم كقوله: **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [سبأ:6]**، وألف الاستفهام في مثل هذا الموضع لا تقتضي استعلامًا ولا نفيًا ولا إثباتًا، ولكنّها للتوقيف كقولك: ألم تسمع، أما سمعت، أما بلغك، إلا أنّها مع التّوقيف تقتضي إحداث تعجّب واستجهال في الحقيقة، وأمّا في المجاز فيجوز إطلاقه سواء تعجّبت واستجهلت أم لم تتعجّب ولم تستجهل"[5]، ويقول الإمام في تفسيره: "{أَعَجَزْتُ} استفهام بمعنى التعجب، والعجز عن القدرة كالموت من الحياة، قيل: هو عدمها، وقيل: هو معنى يضادها و (أصبح) صار {مِنَ النَّادِمِينَ} على قتله. وإنما لم ينفعه الندامة لقوله عليه

(1) طرفة بن العبد، الديوان (ص67)
(2) الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية (ص 114)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 127)
(4) المصدر السابق (ج1/ 412)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 337 -338)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلام : "ثلاث لا تقبل توبتهم: إبليس رأس الكفرة، وقابيل رأس القتلة، ومن قتل نبيًا أو قتله نبي" والندامة لم تكن توبة لهم"[1].

5 – الاستفهام للنفي:

تعني كلمة النفي لغةً: الطرْد والإبعاد والجَحْد، "يقال: نَفَيْت الرجل وغيره، أَنفيه نفْيًا، إذا طردْته، ونَفْيُ المخنَّث: ألاَّ يَقَرَّ في مُدن المسلمين، ونَفَى الشيءَ نفْيًا: جَحَده، ونَفَى ابنَه: جَحَده، وفي الحديث: المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها؛ أي: تُخرجه عنها، وهو من النفي: الإبعاد عن البلد"[2]، هذا المعنى اللغوي للكلمة مراد كذلك في الاستفهام، فالمستفهم الذي يقصد النفي من سؤاله يطلب من المسؤول أن يستبعد نقيض النفي وهو الإثبات، ويخرجه من دائرة الإقرار، بل عليه أن يقرَّ بالسلب؛ أي: بسلب مضمون الحكم الذي تضمَّنه الاستفهام، وشرط دلالة الاستفهام على النفي أن يصحَّ حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام [3] ، ومن المعاني التي يخرج الاستفهام معانيه الأصلية إلى معان كثيرة منها: النفي: كقوله تعالى: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [الرحمن: 60]**، وقول البحتري:

هــل الــدَّهر إلّا غمــرةٌ وانجلاؤهَــا وشـــيكًا وإلّا ضـــيقةٌ وانفراجهـــا [4]

وهذا أبلغُ من التعبير بالنفي الصريح "فأسلوب الاستفهام في أصْل وضعه يتطلَّب جوابًا يحتاج إلى تفكير، ولَمَّا كان المسؤول يُجيب بعد تفكير ورَوِيَّة عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حَمْلاً له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضلُ من النفي ابتداءً"[5]، ومثال ذلك ما جاء في تفسير الإمام قوله سبحانه: **{مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ} [البقرة:255]** إذ قال: "استفهام بمعنى النفي، كقوله: **{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم:65]**"[6].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 667)

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة نَفَى (ج247/10)

ينظر الحديث: البخاري، صحيح البخاري (ج3/ 22/ 1883)

(3) ينظر: عبد العزيز عبدالمعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي (ص 124)

(4) ينظر: الرفاعي، أساليب بلاغية (ص 120)

(5) عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن (ص155 – 156)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 428)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6 – الاستفهام للأمر:

ورَد أسلوب الاستفهام بمعنى الأمر في أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم ومنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود" فجمعوا له، فقال: "إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم." [1]، فالقصد ليس سؤال اليهود على الحقيقة، بل القصْد أمرُهم بالصدق، واختار التعبير عن الأمر بالاستفهام؛ ليحثّهم على الصدق، ويتلطف معهم؛ كي لا يكذبوا، ولا ينفروا فالأمر المباشر بالصدق ، ثم في التعبير عن الأمر بالاستفهام بهل مع الجملة الاسمية أفاد الدَّلالة على بلوغ الغاية في الاهتمام والعناية بأن يَصدقوه فيما يسألهم عنه؛ لأن أصْل هل أن تدخلَ على الفعل لا الاسم، فالرسول الكريم – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو البليغ وأفصح العرب، وعرَف مواضع الكلام وتفاوُتَه بحسب مُقتضيات الأحوال، فيضع لكلِّ مقامٍ مقالاً [2]،"فمِن سمات المقام الذي يخرج فيه الاستفهام إلى الأمر أن يكون الطالبُ في موقعٍ اجتماعي أو غيره، مُتصل أو منقطع، عالٍ بالقياس إلى موضع السامع، وأن يتوفَّر في ذَاكِرَتَيْهما المشتركة جُملة من الأحداث أو الرَّغبات، يُمكن أن يطلبَ تحقيقها على سبيل الاستفهام[3]. ويؤكد الإمام على ما سبق في تفسيره الكثير من الآيات التي ورد فيها الاستفهام بغرض الأمر: كما في قوله سبحانه: {أَأَسْلَمْتُمْ} **[آل عمران:20]**، فيقول: "بمعنى الأمر، كقوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} **[هود:14]**، و{هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ} **[الصّافّات:54]**"[4]، وكذلك في قوله سبحانه: **"{هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ} [الشعراء:39]** إذ يقول: "استفهام بمعنى الأمر"[5].

7– الاستفهام للنهي:

استعمال الاستفهام في النهي نظير استعماله في الأمر، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، وبالعكس، يقول الحق سبحانه **{أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [التوبة: 13]** أي: لا تخشوهم، لأن الله ناصركم عليهم[6]، ويتلطف الآمر، أو الناصح، أو الداعي، أو

---

(1) ينظر: البخاري، صحيح البخاري (ج4/ 3169/99)
(2) ينظر: عبدالقادر حسين فن البلاغة (ص 125)
(3) ينظر: الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، (ص 113)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 386)
(5) المصدر السابق (ج2/ 394)
(6) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 291)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طالب أي مطلب، فيعرض ما يطلبه أو يدعو إليه عرضًا بأسلوب الاستفهام، والصيغة الأصلية التي تستعمل في ذلك صيغة الأمر، أو صيغة النهي[1]، إن دلالة الأمر وكذا النهي والاستفهام يحدد معانيها السياق وقرائن الأحوال، وفي قول الحق سبحانه: {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [النساء: 20] يقول الإمام: "كما في قوله تعالى: {أَتَأْخُذُونَهُ} [النساء:20] استفهام بمعنى النهي والإنكار"[2].

8- الاستفهام للوم والتقريع:

يقول الإمام عند قول الحق سبحانه: { {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [النحل: 33] "استفهام بمعنى اللوم والتقريع،{هَلْ يَنْظُرُونَ} استفهام بمعنى اللوم والتقريع"[3]، "ومعنى ينظرون ينتظرون وهل استفهام معناه النفي وتقدير الآية: أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور الثلاثة وهي مجيء الملائكة أو مجيء الرب أو مجيء الآيات القاهرة من الرب"[4]. وإن ورد عند بعض المفسرين معناه النفي إلا أن الإمام يراه بمعنى اللوم والتقريع لأنهم من المعاندين والمتمردين، الذين هِمتهم العناد والتعنت فكان التقريع واللوم والتوبيخ، وفي مثله قوله سبحانه: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 76] ، {وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا} نزلت في منافقي أهل التوراة: {أَتُحَدِّثُونَهُمْ} ألف الاستفهام للتقريع واللّوم، والتحديث كالتّكليم، والحديث هو الكلام"[5]، إن في أسلوب الاستفهام إنكار على فعلهم وتقريع ووبيخ لافترائهم وذلك إخبار من الله جل ثناؤه عن إقدامهم على البهت، ومناصبتهم العداوة له ولرسوله موسى عليه السلام، وبقائهم على العداوة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بغيًا وحسدًا على مثل الذي كان عليه أوائلهم من ذلك في عصر موسى عليه الصلاة والسلام[6].

---

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 295)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 475)

(3) المصدر السابق (ج2/ 185)

(4) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج14/ 188)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 184)

(6) ينظر: الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج2/ 249)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- **الاستفهام للاستدراج:**

يقول الحق سبحانه: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} [**الكهف: 103**] ينقل الإمام عن الكلبي: "الخطاب للمؤمنين، والذي ضلّ سعيهم هم اليهود والنصارى. وقيل: الخطاب لهم كما في قوله: {هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ} [**المائدة:60**]، وفائدة الاستفهام استدراج المستمعين"(1). ذكر الأمام أن فائدة الاستفهام الاستدراج في الآية الكريمة: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ} [طه: 9] بقوله:" فائدة الاستفهام في مثل هذا: استدراج المخاطب به إلى التفكّر والتذكّر ؛ ليغتنم المسموع فينجع في قلبه"(2) الاستدراج: استفعال من دَرَجَ، وأصْلها ترتيب شيءٍ فوق شيء، ومنه: "دَرَجَ البناء ودَرَّجَه، بالتثقيل: مراتب بعضها فوق بعض"(3)، ومنه قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [**الأعراف: 182**]، وقوله: {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [**القلم: 44**]. وعلى ذا، فالاستدراج: انتقال بالمستَدْرَجِ من أمرٍ إلى أمرٍ آخرَ، أو من حُجَّة إلى حُجَّة أخرى، أو من حال إلى حالٍ بطريقة من طُرق الكلام، بحيث لا يشعر أو يعلم المستدرَج، والقصْد من الاستدراج إقامةُ الحُجَّة على المستدْرَج وإلزامه بها؛ سواء بحقٍّ أو بباطلٍ، وهو في الاستفهام: إلجاء المسؤول إلى جواب يكون حُجَّةً عليه، والأصل أن يقال هو الذي يأتي بالأعمال يظنها طاعات وهي في أنفسها معاص فلا تقبل منهم لأجل كفرهم فأولئك إنما أتوا بتلك الأعمال لرجاء الثواب، وإنما أتعبوا أنفسهم فيها لطلب الأجر والفوز يوم القيامة فإذا لم يفوزوا بمطالبهم بيّن أنهم كانوا ضالين، ثم إنه تعالى بيّن صنعهم فقال: أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم(4).

10- الاستفهام للزجر والتوبيخ:

يقول الإمام في تفسيره قول الله سبحانه: {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} [**البقرة: 139**]: {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا} [البقرة:139] يقول: "استفهام بمعنى الزجر والإنكار"(5)، {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا} "أي: أتخاصموننا وتجادلوننا؟ ! وهذا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1163)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 286)
(3) ابن منظور، لسان العرب (ج2/ 266)
(4) ينظر: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج21/ 501)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 308)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استفهام معناه التوبيخ"(1)، "وهو استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ"(2) أو كما تقدَّم عند الإمام استفهام بمعنى الزجر والإنكار، وفيها تقدير استفهام وهو للتوبيخ والإنكار وذلك لمبلغهم من الجهل زعموا أن إبراهيم وأبناءه كانوا على اليهودية أو على النصرانية كما دل عليه قوله تعالى: قل أأنتم أعلم أم الله ولدلالة آيات أخرى عليه مثل: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67] ، ومثل قوله: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [آل عمران: 65] والأمة إذا انغمست في الجهالة وصارت عقائدها غرورًا ومن دون تدبر اعتقدت ما لا ينتظم مع الدليل واجتمعت في عقائدها المتناقضات(3).

11- الاستفهام للإفحام:

يقول الحق سبحانه: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} [الرعد: 16] يقول الإمام : "فائدة قوله: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} الإفحام، وفائدة الإتيان بالجواب هو الإثبات بعد الزوال، أو بمعنى الاستفهام، وهو متّصل بما مضى.{شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ} أي: خالقين مثله.{فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} أي: التبس عليهم أقسام المخلوقات، فأوجب ذلك الالتباس عبادتهم، وإشراكهم بالله"(4). لم ترد كلمة الاستفهام للإفحام كثيرًا عند المفسرين ومن الذين ذكروها أبو حيان في البحر المحيط: {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58] بقوله "على سبيل التنزل من الخبر إلى الاستفهام المقصود به الإفحام، وهذا الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى"(5)، "إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحُجة بقوله: قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً"(6)، وفي مثله قول الحق سبحانه: {هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

---

(1) الواحدي، التفسير الوسيط (ج1/ 223)
(2) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج2/ 146)
(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 747)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 152)
(5) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج9/ 385)
(6) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج2/ 490)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَخْرُصُونَ} **[الأنعام: 148]**، "وجاء بالاستفهام المقصود منه الإفحام والتهكم بما عرف من تشبثهم بمثل هذا الاستدلال"(1).

5- النداء:

النداء في اللغة:

طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة أدعو، والغاية منه أن يصغى من تناديه إلى أمرٍ ذي بال؛ ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار بحكم شرعي، كما في قول الحق سبحانه تعالى: {**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**} **[المدثر: 1 - 4]** وقوله سبحانه: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**} **[المائدة: 87]** وقوله سبحانه: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**} **[التحريم: 1]** وقوله: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**} **[الطلاق: 1]**.

النداء في الاصطلاح:

طلب الإقبال بمعنى (أقبل)؛ فهو بمعنى أقْبِل؛ الأمر. وحروف النداء هي: (الهمزة وأي ويا وآ وآي وأيا وهيا ووا) والأكثر استعمالًا في نداءات القرآن هو يا، وهذه الأدوات منها ما يُنادى به القريب وهي الهمزة وأي، وما ينادى به البعيد وهي بقية الأدوات، فالنداء لغة الدعاء، واصطلاحًا الدعاء بحروف مخصوصة، وتكسر نون النداء وتضم، وهمزته منقلبة عن واو ، ومذهب الجمهور أنها حروف، وذهب بعض النحاة إلى أنها أسماء أفعال تتحمل ضميرًا مستكنًا فيها، وأعمها استعمالاً: (يا) ينادى بها القريب والبعيد، والهمزة للقريب، و (آ) حكاها الأخفش والكوفيون، وزعم ابن عصفور أنها للقريب كالهمزة، و(أي) زعم المبرد وجماعة من المتأخرين أنها للقريب كالهمزة، و (أي) حكاها الكسائي، وذكر سيبويه رواية عن العرب أن الهمزة للقريب وما سواها للبعيد، وما هو للبعيد (أيا) و (هيا)، وزعم ابن السكيت، وتبعه ابن الخشاب أن (هاء) هيا بدل من همزة (أيا)، و (وا) ذكر سيبويه والجمهور أنها مختصة بالندبة، وقيل تستعمل في غيرها، والنداء إنشاء، وقيل إن كان بالصفة فهو خبر نحو: يا فاسق(2). ويجوز حذف أداة النداء وتقديرها، وقد ورد ذلك في الآية الكريمة بقوله تعالى: {**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**} **[يوسف: 29]** وفي آيات أخرى كقوله تعالى: {**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**}

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (8-أ/ 149)

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب (ج4/ 2179)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[البقرة: 286] أي يا ربنا، وهذا كثير وشائع في أساليب العرب، وأداة النداء المحذوفة المقدرة هي (يا) لكونها أشهر أدوات النداء، ولا ينادى اسم الله عز وجل إلا بها [(1)]. أما في الحق سبحانه: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 26] يفسر الإمام (اللهمّ) بقوله: "في الأصل: يا الله، فعلّق بآخره الميمان بدلًا عن حروف النّداء عند البصريّين، وقال الفرّاء: أرى أنّ الميم في آخره بقيّة كلام، وتقديره: يا الله أمّ بالخير، أي: اقصد، مثل: هلمّ إلينا. وقيل: ميم جمع ألحقت بالاسم، وذلك جمع الخلق، واللهمّ على هذا: إله الخلق وإله العباد، زيدت ميم أخرى للتأكيد، أو زيادة كما زيدت في عبشم ونحوه، وعن الحسن أنّ اللهمّ مجمع الدّعاء" [(2)]، وذهب بعضهم إلى أن النداء منه ما هو خبر لا إنشاء وهو النداء بصفة نحو يا فاسق و يا فاضل لاحتمال الصدق والكذب في تلك الصفة، ومنه ما هو إنشاء وهو النداء بغير صفة[(3)]،

أغراض النداء البلاغية في تفسير درج الدرر:

يوضح الإمام قول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21]، "{يا أيُّهَا النّاسُ} خطاب للجميع؛ لأنّه ذكر فيه النعمة العامّة، وهي الخلق والرّزق. وقيل: نزلت في المشركين بدليل قوله: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً} و (يا) حرف نداء، تقول: يا زيد، و(أيّ) اسم مبهم، تقول: أعط أيّهم شئت، و(ها) حرف التنبيه، و(الناس) كالوصف لـ (أيّ) ؛ لأنّك تقول: يا أيّها الفقيه، ولا تقول: يا أيّها زيد"[(4)]. النداء هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه، وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة أو أي تنبيها على أنه لا يغيب عن القلب، بل هو مالك الفؤاد واللب، وللدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن، وللإشارة إلى أنه وضيع، منحط الدرجة او النداء للدلالة على المكانة الرفيعة. تخرج ألفاظ النداء إلى معان أخرى تستفاد من القرائن، ومن ذلك:

1- التمني:

هو طلب أمر تحبه النفس وتميل إليه وترغب فيه، ولكنه لا يُرجى حصوله إما لكونه مستحيلًا أو لكونه بعيدًا، لا يطمع في نيله، والأداة الموضوعة له هي (ليت) تقول في تمني

---

(1) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج12/ 414)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 388)
(3) ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (ج2/ 33)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 119)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر المحبوب الذي لا طمع فيه لكونه مستحيلًا لا يمكن حصوله: يا ليت الشباب يعود يومًا، ومن ذلك قوله سبحانه: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم: 23]، ومثله قوله سبحانه: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } [النساء: 73] يقول الإمام وقوله: "{كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} عارض، والتّقدير: ليقولنّ يا ليتني، ثمّ العارض يجوز أن يكون في موضعه؛ لأنّ الحبيب يفرح بغنيمة الحبيب ولا يتمنّى مشاركته على سبيل المزاحمة، ويحتمل أنّه راجع إلى قوله: {قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ} و (يا): حرف نداء، والتّقدير: يا قوم ليتني كنت معهم. {فَأَفُوزَ} نصب؛ لأنّه جواب التّمنّي"(1)، فالحبيب يفرح بغنيمة الحبيب ولا يتمنّى مشاركته على سبيل المزاحمة كما ذكر الإمام، لكن " المنافقين إذا سمعوا أن المسلمين أصابهم فضل من الله أي: نصر وظفر وغنيمة تمنوا أن يكونوا معهم ؛ ليفوزوا بسهامهم من الغنيمة"(2)، وفي مثله يقول الحق سبحانه: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } [يس: 26- 27]، يوضح الإمام: "{قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ} واختلفت الروايات قيل: آمن الملك وطائفة من الناس معه فصاح جبريل –عليه السلام– بالباقين، وقيل: لم يؤمن الملك ولا أحد سوى حبيب النجار ولكن رحموا الأنبياء فصاح جبريل بهم أجمعين. وروي أن الرجل الذي آمن بهؤلاء الرسل –عليه السلام– لم يكن نجّارًا ولكنه راعٍ من رعاتهم وهو أب الميت الذي أحيوه بإذن الله وهو الذي قتلوه فقال: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ}،{يَا حَسْرَةً} لبيان موضع التحسُّر كأنه قيل: يا متحسرًا، أي هل من متحسر فيكم"(3).

2– التحسر:

ذلك عند نداء الأطلال والمنازل والمطايا والقبور والأموات والويل والحسرة وما إلى ذلك، كما في قوله سبحانه: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 27 - 29] ومثل قوله: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزمر: 56] ، ومثل قول الحق سبحانه:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 505)
(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج1/ 246)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1452)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام: 31]، يشير الإمام أن: "النداء نداء الحسرة بقوله: {بَغْتَةً} "فجأة" ، وهو وقوع عن الموهوم، نداء الحسرة مجاز كنداء الويل والتمني، و(التّفريط): العجز والتّضييع"(1)، وإذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب؟ فالفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل، لأن النداء باب تنبيه.

3- الندبة:

يبين الإمام في تفسيره قول الحق سبحانه: **{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة: 31]** خروج النداء عن المعنى الحقيقي في تفسيره الآية الكريمة بقوله: "{فَبَعَثَ اللهُ غُراباً} قال: إنّ الله تعالى بعث غرابين وقيّض أحدهما ليقتل الآخر، فقتله ثمّ واراه في التّراب، و(البحث): رفع ظاهر الأرض لكشف باطنها.{لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ} ليدلّه وينبّهه على قبر أخيه فإنّه لم يقبر أحد قبل هابيل، و(السّوأة): العورة، سمّيت سوأة ؛ لأنّها تسوء الرّائي وتوحشه، وأراد ههنا الجسد كلّه،{يا وَيْلَتى} نداء للويلة والويل والويلة بمعنى. والألف في {وَيْلَتى} إمّا للنّدبة، أصله: [يا] ويلتاه، وإمّا بدلا من الإضافة، وأصله: يا ويلتي، بترقيق الياء، والمقصود بنداء ما لا يجيب تنبيه النّفس أو السّامعين على فوت ذلك الشيء وأوانه"(2)، {قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي} استقصر إدراكه وعقله في جهله ما يصنع بأخيه حتى يعلم، وهو ذو العقل فيه الفكر والرؤية والتدبير من طائر لا يعقل. وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، ثم قد ينادى ما لا يعقل على سبيل المجاز كقولهم: يا عجبا و يا حسرة، والمراد بذلك التعجب، كأنه قال: انظروا لهذا العجب ولهذه الحسرة(3). "فالقصد من وجود هذه الحيوانات في الصورة الفنية تبيين تدنّي مستوى الكافرين وشناعة تصرفاتهم، وبعدهم عن الصفات الآدمية"(4)، وفي مثله يقول الحق سبحانه:**{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 18]**، يقول الإمام: "{وادِ النَّمْلِ} كان معروفًا في ذلك الزمان، أو ذكره معروفًا فيما بين العرب؛ لأنّ الله تعالى سلّط النمل على كثير من الأمم، فجلاهم عن ديارهم، وإنّما خاطبت خطاب [العقلاء] لتكليفها إياهن تكليف العقلاء،(مساكنهم): قراهنّ وحجرهنّ.{لا يَحْطِمَنَّكُمْ} لا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 604)

(2) المصدر السابق (ج1/561-562)

(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج4/ 234)

(4) أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية (ص 133)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكسّرنّكم"[1]، هذه الآيات البينات فيها كشف عن النفس المؤمنة المطمئنة الراضية، وكشف عن النفس الحاسدة الحاقدة، وتدل على أمور نفسية تصوّر مصدر الشر والخير، فالنفس المؤمنة تعرف الأمور على وجهها، وتدرك الحق وما أوجبه، فهي ترد سبب قبول القربان إلى التقوى والخوف من الله، والنفس التقية هي التي تمتلئ بذكر الله وتستشعر خوفه دائمًا، وأنَّ الاعتداء إنما يكون حيث يختفي الخوف ويظهر الطغيان[2].

4- التوبيخ:

يقول الحق سبحانه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: 59]، يقول الإمام: "{قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا} نزلت في اليهود حيث عابوا المؤمنين للإيمان بعيسى عليه السّلام. وقيل: نزلت في النّصارى حيث عابوا المؤمنين للإيمان بسليمان عليه السّلام وبنقض شرائع التّوراة وبقولهم: إنّ عيسى عبد، وافتخروا بجحود ذلك، يقول: ولستم تعيبون وتنكرون علينا إلاّ إيماننا بالكلّ، وذلك منقبة وليس بمنقصة، وأنتم تتفضّلون علينا بأن جحدتم بعض الأنبياء وذلكم فسق ونقيصة، وأراد بالأكثر الكلّ، أو الرّفق في الخطاب، أو إخراج بني سلام وأصحابه من الوصف"[3]، ويذهب الإمام كما ذكره كثير من المفسرين أن ذلك الذي تعيبونه علينا منقلة وليس بمنقصة وجحودكم فسق وجحود، وفي النداء كما يذكر الزحيلي في تفسير المنير: " {يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا} على توبيخ أهل الكتاب على تعيير المسلمين بشيء لا محل لإنكاره أو ذمه أو تعييبه، وأرشد قوله تعالى: يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ إلى النعي على العلماء توانيهم في القيام بواجبهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد وبخ الله علماء اليهود في تركهم النهي عن المنكر، ودلت الآية أيضا على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[4].

5- التنبيه:

يذكر الإمام موضحًا خروج النداء لمعاني التنبيه في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 402)
(2) ينظر: ابو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (ص 378)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 573)
(4) الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي (ج6/ 248)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: 1- 2]:"{يا أَيُّهَا النّاسُ} عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بعض المسير إذ نزلت عليه: {يا أَيُّهَا النّاسُ اِتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} فتفاجّت ناقة رسول الله عليه السّلام من ثقلها، فنادى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاث مرّات، ثم قال: يا أيّها الناس، أتدرون أيّ يوم ذلك؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: ذلك يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر، ويسكر فيه الكبير من غير شراب، وتضع الحوامل ما في بطونها"(1)، {يا أيها الناس اتقوا ربكم} المراد بهذا النداء المكلفون، أي اخشوه في أوامره أن تتركوها، ونواهيه أن تقدموا عليها، والاتقاء: الاحتراس من المكروه، والمعنى: احترسوا بطاعته عن عقوبته(2).

6- الجحود والإنكار والتقليل:

يبين الإمام قول الحق سبحانه: **{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة: 55]** "خطاب للسبعين الذين اختارهم موسى للميقات فقالوا: لن نشهد لك بالحقّ عند بني إسرائيل إلى أن نرى الله {جَهْرَةً} معاينة، وإنّما قالوا: جهرة ليؤكّدوا قولهم، وينفوا إيهام الرؤيا والرؤية بالقلب.{فَأَخَذَتْكُمُ} أحرقتكم.{الصّاعِقَةُ} العذاب الذي فيه هلاك. وإنّما عوقبوا لتمرّدهم وامتناعهم عن الشهادة إلى تحصيل منيتهم"(3)، إن ما ذكره الإمام من تمرد بني إسرائيل على سيدنا موسى وجحودهم وإنكارهم وما أصابهم نتيجة فعلهم فأحرقتهم الصاعقة، وفي نداء بني إسرائيل لنبيهم باسمه سوء أدب منهم معه، إذ لم يقولوا: يا نبي الله، أو يا رسول الله، أو يا كليم الله، أو غير ذلك من الألفاظ التي تشعر بصفات التعظيم، وهي كانت عادتهم معه: **{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} [البقرة: 61]، { يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } [الأعراف: 138] {قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} [الأعراف: 134]**، ساق الحق سبحانه جانبًا مما حدث بين موسى- عليه السلام- وبين قومه، ومما لقيه منهم من سفاهة وجبن وتخاذل. إذ في ذلك تسلية للرسول صلّى الله عليه وسلم عما شاهده منهم من عناد وجحود(4).

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 328)
(2) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي (ج12/ 3)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 174)
(4) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج4/ 101)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- التأسف:

يقول الحق سبحانه: {**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** } **[يوسف: 84]** يوضح الأمام:"{يا أَسَفى} تأسّفٌ على يوسف، والتأسّف: التلهف؛ لأن المحن توالت بعد غيبته، فتأسف على حالة عدم وجوده وحضوره عنده"[1]. الأسف: الحزن والغضب، ومن استعمال الأسف بمعنى الحزن قوله تعالى حكاية عن يعقوب {وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ} وبمعنى الغضب قوله: {**فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**} **[الزخرف: 55]**[2]، وهو تعبير عن الحزن الشديد لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه وَتَوَلَّى عَنْهُمْ أي أعرض عن بنيه الذين جاءوا بالخبر وفارقهم وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ الأسف أشد الحزن. والألف فيه مبدل من ياء الإضافة ونداء الأسف كنداء الويل والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية[3].

8- التحير والتذكر والترهيب:

يقول الحق سبحانه: {**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** } **[هود: 44]** يشير الإمام في دلائل الإعجاز إلى المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لما يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض موضحًا دلالة استخدام يا: "ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء "بيا" دون "أي"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال: {ابلعي ماءك}، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك، بما يخصها" [4]، ويأتي أسلوب النداء مفيدًا لمعان بلاغية كثيرة، تفهم من السياق وقرائن الأحوال ومن ذلك ما ورد في تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني أن هذه السّور مما اختصت به " التّرهيب، والتشيب للطيفة من القوي، كما بلغنا أنّ بعض أهل الإلحاد تصوّر له أنّه يحاكي القرآن بهذيان، فلمّا انتهى إلى قوله: {وَقِيلَ يا أَرْضُ اِبْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي}انشقّت مرارته"[5].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 142)
(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج9/ 70)
(3) ينظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (ج4/ 117)
(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 45-46)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 94)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التعريف والتنكير

التعريف والتنكير في اللغة:

المعرفة: "ما دلت على شيء بعينه، والنكرة: ما دلت على شيء لا بعينه"[1].

التعريف والتنكير في الاصطلاح:

يدل كل من النكرة والمعرفة على معين وإلا امتنع الفهم، إلا أن النكرة تدل على معين من حيث ذاته لا من حيث هو معين، والمعرفة تدل على معين أي: إن في لفظ المعرفة ما يشير إلى أن السامع يعرفه، وإذًا فالنكرة يفهم منها ذات المعين فحسب ولا يفهم منها كونه معلومًا للسامع، والمعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلومًا للسامع، والتعين في المعرفة، إما أن يكون بنفس اللفظ، كما في الأعلام، وإما بقرينة خارجية، كما في غيره من بقية المعارف "[2]

أولًا: التعريف

يمثل المبتدأ في الجملة الاسمية المسند إليه وكذلك الفاعل في الجملة الفعلية، والمسند إليه محكوم عليه، فمحمد وهو المسند إليه هو المحكوم عليه، وبهذا يكون معينًا، فالحكم على المجهول لا يفيد إفادة تامة وتمام التعيين بالتعريف؛ ولذا جعل البلاغيون الغرض العام لإيراد المسند إليه معرفًا بأي نوع من أنواع التعريف قصد المتكلم إفادة المخاطب الحكم إفادةً تامة، فإذا لم يقصد المتكلم هذه النكتة جِيء بالمسند إليه نكرةً، والمقام هو المقتضي قصد هذه النكتة أو عدم قصدها، هذا هو الغرض العام بإيراد المسند إليه معرفة، ثم لكل نوع من أنواع التعريف بعد ذلك أسرار ونكات؛ لأن المعرفة ستة أقسام: الضمير، العلم، اسم الإشارة، اسم الموصول، المعرف بأل، المضاف إلى واحد من هذه الخمسة المذكورة[3]، التعريف من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم، ولها من الأسرار التي تضفي على الكلام روعة وجمالًا لا يحدثه غيابهما، فيقال هذا الديوان تكثر فيه أسماء الموصول أو يكثر منها (الذي) دون (الذين) أو (ما) دون (من) أو تكثر فيه معاني الحصر المستفادة من تعريف الطرفين أو ضمير الفصل أو يأتي عنده اسم الإشارة، فإن استعمال اسم الإشارة الذي تراه يقع

---

(1) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/ 8)

(2) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 112)

(3) ينظر: البلاغة – المعاني – جامعة المدينة (ص 175)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في مفاصل الكلام ويقوم مقام أداة الربط عند الانتقال من غرض لآخر(1) . وفي قول الحق سبحانه: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا } [مريم: 15]، وقوله سبحانه: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: 33] يبين الإمام: "{سَلَامٌ} مرتفع بالابتداء، أراد التحية والدعاء، وذلك من الله تعالى إيجاب، فسلامة الميلاد في إحكام الفطرة، وسلامة الموت في إتمام الفطرة، وسلامة البعث في ختام الفطرة، فمن استحكمت طبيعته بحبّ الإيمان والإحسان، وكراهة الفسوق والعصيان، ومات ووصيّته هذا، بعث مبيضّ الوجه، مشروح الجنان، قال: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} "(2). ففي الآيتين الكريمتين موازنة لطيفة بين التعريف والتنكير في قوله تعالى عن يحيى عليه السلام: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا}، وعن عيسى عليه السلام قوله سبحانه: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}، فقد جاء السلام منكرًا مع يحيى؛ لأنه من الله ففيه دعاء ووعد من الله ليحي بالسلام، وهذا يناسب أن يكون السلام منكرًا يشمل كل نوع من السلامة، ولاشك أن الله قادر على ذلك، وهذا ما أورده الإمام عبد القاهر حين ذكر أنه مرتفع بالابتداء، أراد التحية والدعاء، وذلك من الله تعالى إيجاب، فسلامة الميلاد في إحكام الفطرة، وسلامة الموت في إتمام الفطرة، وسلامة البعث في ختام الفطرة فلا حدود تحد السلام من عند الله، أما عيسى وهو بشر له حدود معينة، فالسلام منه على نفسه مقصور ومحدود وهذا ما يناسب التعريف، ومن الدلائل القرآنية الدالة على فضيلة السلام أن أشد الأوقات حاجة إلى السلامة والكرامة ثلاثة أوقات: وقت الابتداء، ووقت الموت، ووقت البعث، والله تعالى لما أكرم يحيى عليه السلام فإنما أكرمه بأن وعده السلام في هذه الأوقات الثلاثة فقال: وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا، وعيسى عليه السلام ذكر أيضًا ذلك فقال: والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا(3)، يوم: يعني حين، وكذلك قول عيسى عن نفسه يعني: وحين أموت، وحين أبعث(4). فقول الله سبحانه عن يحيى: {وسلام عليه} فيه تنكير حيث الاشتمال على كل أنواع السلامة، فلا حدود تحد السلام من عند الله، وقول عيسى عليه السلام عن نفسه {والسلام عليّ} فيه تعريف وهو مقصور ومحدود.

---

(1) ينظر: محمد أبو موسى، دلالات التراكيب البلاغية دراسة بلاغية (ص9-10)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 265)

(3) ينظر: الرازي، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج10/ 162)

(4) ينظر: عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص 71)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرق التعريف:

في تعريف الكلمة طرق كثيرة تختلف حسب مقتضيات الكلام، فمن ذلك:

التعريف بالضمير:

يختلف الضمير حسب نوعه من متكلم إلى مخاطب إلى غائب، ويُلجأ إليه في مقامات الاختصار والإيجاز والفخر والتأكيد، وأحيانًا يكون أكثر تعريفًا حين يكون المتحدث حاضرًا ويتحدث عن نفسه، فالتعريف بالضمير أولى من ذكر العلم حتى لا يوهم غير من يتكلم، يبرز ذلك عند الفخر مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم(1)، يقول الإمام: " والضمير (أنت) للتأكيد، كقوله: **{اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ} [طه:42]**، وقوله: **{فَإِذَا اِسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} [المؤمنون:28]**. وإنّما اقتضى هذا التّوكيد عطف الظّاهر المرفوع على الضّمير المرفوع في الفعل، إذ ليس يجوز ذلك عند البصريين إلا بالتّأكيد بضمير مرفوع منفصل، أو بنوع فاصل كقوله: **{لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا} [الأنعام:148]**، ولم يقل: وآباؤنا"(2)، أما التعريف بضمير الأمر والشأن(3): وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولًا مبهمًا ثم يفسر، ووردت عند الإمام أمثلة كثيرة ومنها قول الله سبحانه: **{وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ} [هود:36]** إذ يقول في الضمير في قوله: {أَنَّهُ} الهاء ضمير الأمر والشأن" (4)، وفي تفسير الآية الكريمة:"**{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: 72]** "قيل: من كلام عيسى، [وقيل] استئناف كلام من الله عزّ وجلّ. والهاء ضمير الأمر والشّأن"(5)، وفي قوله

---

(1) ينظر الحديث: مسلم النيسابوري، صحيح مسلم (ج4/ 1782/ 2278)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 146)

(3) ضمير الأمر والشأن نحو: هو زيد قائم، فلا يجوز الإخبار عنه، لأنه لازم التقديم على الجملة الواقعة خبرًا له، فلا يجوز أن تقول: الذي هو زيد قائم هو، لأنك إذا أضمرته كانت الجملة خبرًا لذلك الضمير، فيلزم أن يكون فيها عائد عليه؛ لأنه ليس بضمير للشأن، وإنما يستغني عن إعادة الضمير من الجملة ضمير الشأن وحده، وخلفه ليس كذلك، ينظر: الشاطبي، المقاصد الشافية (شرح ألفية ابن مالك) (ج6/ 211)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 33)

(5) المصدر السابق (ج1/ 577)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا } [الجن: 1] يقول: "إنّها عماد، وهو ضمير الأمر والشّأن"[1].

يكرر الإمام لفظة الضمير عائد في توضيح دلالة الضمير في تفسير الآيات القرآنية يقول الإمام: {افْتَرَاهُ} الضمير عائد إلى القرآن والتحدي {بِعَشْرِ سُوَرٍ} وقيل: التحدي بسورة وبحديث لأن الآية مكية، ونزول سورة "هود" متقدم على نزول سورة "الطور" {مِثْلِهِ} بدل من عشر سور"[2]، ويقول:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} الضمير عائد إلى الكتاب {قُرْآنًا} اسم من القراءة أو مصدر {عَرَبِيًّا} بلغة العرب"[3]، ويقول: ويحتمل أن الضمير في قوله: {مَرْجِعَهُمْ} عائد إلى الأحياء من كفار قريش وأمثالهم دون الأموات الذين دخلوا النار"[4]، يقول الإمام: "{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تقديره: نعبدُكَ ونستعينُكَ، فلما قدِّمَ الضميرُ ليكونَ ذكرُهُ أهمَّ من ذكر العبادة"[5]، والضمير في {وَضُحَاهَا} و {تَلَاهَا} و {يَغْشَاهَا} عائد إلى (الشمس)، أمّا إضافة الضحى إلى الشمس فلا يخفى جوازها"[6].

التعريف بالعلمية:

يراد من التعريف بالعلمية – أحيانًا– التعظيم والمدح كقوله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ .}[الفتح:29] فالمقام هنا للمدح والتمييز، وقد يكون المراد عكس ذلك، كما نقول : الكذاب هو مسيلمة، فذكر العلم هنا فيه مزيد ذم، لارتباط العلم بما يذم، إن نداء النبيء عليه الصلاة والسلام بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره ولذلك لم يناد في القرآن بغير {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [الأنفال: 64] أو {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} [المائدة: 41] بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله: {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ } [التحريم: 8] {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ} [الفرقان: 30] {قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } [الأنفال: 1] {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } [الأحزاب: 6] ويجيء باسمه العلم كقوله: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 666)
(2) عبد القاهر الجرجاني درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 965)
(3) المصدر السابق (ج3/ 989)
(4) المصدر نفسه (ج4/ 1469)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 87)
(6) المصدر نفسه (ج4/ 1731)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: 40]. وقد يتعين إجراء اسمه العلم ليوصف بعده بالرسالة كقوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } [الفتح: 29] وقوله سبحانه: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران: 144] وتلك مقامات يقصد فيها تعليم الناس بأن صاحب ذلك الاسم هو رسول الله، أو تلقين لهم بأن يسموه [1]، ومن أسرار ودواعي التعريف بالعلم تعظيم المسند إليه أو إهانته كما في الألقاب والكنى الدالة على معنى محمود أو مذموم، يقول الإمام: "النّبز والنّزب: اللّقب السّوء، والتّلقيب المنهيّ عنه، فما ما يحبه المدعو به فلا بأس، لما روي عن النّبيّ عليه السّلام: من حقّ المؤمن على أخيه: تسميته بأحبّ أسمائه إليه، ولهذا كانت التّكنية من السّنّة، ولقد لقّب أبو بكر بالصّدّيق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله ، وخالد بسيف الله"[2].

أما في قول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: 14] يقول الإمام في تعظيم لقب الحواريين: "الحواريّون: ثمّ لقّب هذا اللّقب كلّ ناصر لنبيّ حتى قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لكلّ نبيّ حواري، وحواريي طلحة والزّبير. وقيل: الحواري: المتجرّد للنّصرة المتمحّص في الموالاة. وقال الزهريّ: هم خلصان الأنبياء، وتأويله: الذين أخلصوا ونقوا عن كلّ عيب {نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ} أولياؤه"[3]، ويقول الإمام في ذم لقب آزر: " {آزَرَ} لقب تارح، وهو كالذّمّ والشّتم بلغتهم ، بدلًا من قوله: (أبيه)"[4].

التعريف باسم الإشارة:

الإشارة تكون بـ(هذا وأخواتها) ، فالهاء للتنبيه وذا للإشارة، ولكأن تقول:(ذاك) و (ذلك)، ففي الإشارة إلى القريب تقول (ذاك) وللبعيد تقول (ذلك) لأن اللام للبعد، وتذكر (ذلك) في التعريف لقصد تعظيم المكانة ورفعة المنزلة، وذلك كقوله تعالى: {الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 1- 2] وأيضًا نجد التعريف بالإشارة يكثر لقصد التحديد كقوله سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة: 28]

---

(1) ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير (ج21/ 249)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 584)

(3) المصدر السابق (ج1/ 401)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 615)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتعريف بـ(هذا) لتحديد العام المقصود وليس هناك شيء أكثر تحديدًا من اسم الإشارة، فهناك من المقامات ما يستدعي إبراز العناية بأمر المسند إليه وتقرير الحكم المحكوم به عليه وتأكيده، وخير ما يحقق هذا المطلوب تمييز المسند إليه أكمل تمييز؛ لذا يلجأ المتكلم في هذا المقام إلى تعريف المسند إليه بالإشارة ليتحقق لكلامه المطابقة لمقتضى الحال؛ نظرًا لهذه الخصوصية الكامنة في اسم الإشارة[1]، كما يعرف المسند إليه بالإشارة للقريب للتعظيم يعرف بها أيضًا بقصد التحقير؛ تنزيلًا لدنو منزلته وانحطاط مرتبته منزلة قرب المسافة؛ فيعبر عنه حينئذٍ باسم الإشارة الموضوع للقريب؛ تحقيقًا لهذا الغرض، كما في قول الله تعالى: {**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} **(العنكبوت: 64)** وقد أشير إلى الحياة الدنيا بالقريب إشعارًا بهوانها وحقارتها، فلا ينبغي للمؤمن أن يجعلها غاية أو أن يتخذها هدفًا. من هنا قال – صلى الله عليه وسلم: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها جرعة ماء"[2] وكما في قوله سبحانه حكايةً لقول المشركين: {**أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ**} **[الأنبياء: 36]** مشيرين إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – قصدًا إلى إهانته في زعمهم – قبحهم الله – ويرد اسم الإشارة عند الإمام ويحتمل معان ودلالات متنوعة: كالتذكير والنفي والاستواء والاستفهام والتلطف والمدح والتعبير عن الرضا والتحقير والإهانة بحسب نظم الآيات وسياق الكلم. ففي قوله سبحانه: {**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**} **[البقرة: 253]** أفاد العلم بتفاضل الرّسل عليهم السّلام بالخصال الشريفة بعد استوائهم في رتبة الرّسالة، كتفاضل المؤمنين فيها بعد استوائهم في رتبة الإيمان، فيقول الإمام:"{وَتِلْكَ} إشارة إلى تربيته وليدًا؛ لأنّه لم يكن يربّي أولاد بني إسرائيل إلا لتعبيدهم وإذلالهم، وهو على وجه الاستفهام تقديره: أو تلك {نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا} المنّ: تذكير المنعم نعمته، ولا يحسن ذلك إلا من الله تعالى؛ لأنّه هو المنعم على الحقيقة، وأما غيره إذا منّ على أحد فقد تحلّى بما ليس له، إذ هو سبب في تلك النعمة، والمنعم في الحقيقة هو الله"[3].

أما في قوله سبحانه: {**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} **[البقرة: 134]** يقول الإمام في تفسيره اسم الإشارة(تلك): "أي: تلك الأمّة أمّة، و(تلك): إشارة إلى شيء بعيد مؤنّث، كما أنّ (ذلك) للمذكّر، والتاء هي الاسم فقط والمراد بالآية هو نفي توجّه إعراضهم عن الآيات المعجزة والمفعول الواجب لاختلافهم في شأن الأمم

---

(1) ينظر: جامعة المدينة، البلاغة 2 – المعاني (ص 187)

(2) ابن ماجة، سنن ابن ماجه (ج2/ 4110/1376)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 394)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماضية وأحوالهم"[1]، ويقول الإمام في موضع آخر: "{ذَلِكَ} إشارة إلى قتل النّفس، عن عطاء وقيل: إلى الظّلم الموجود في أكل الأموال وقتل الأنفس جميعًا. وقيل: إلى ما نهى من أوّل السّورة إلى هنا، وقوله: {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ} جزاء وشرط وليس بخبر"[2].

يوضح الإمام مشيرًا إلى التلطف:" **{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} [هود: 78]** إشارة إلى نسائهم، وإنّما دعاهنّ بنات على سبيل التلطف في الخطاب، إذ النّبيّ من أمته بمنزلة الأب من أولاده، ألا ترى أنّ لوطًا لم يكن له إلا ابنتان، ويحتمل أنّه كان له بنات غيرهما، فعرضهنّ عليهم بالتّزويج، وكان ينعقد النّكاح من الكفّار والمسلمين يومئذ، ويحتمل أنّ لوطًا عبّر عن ابنتيه بالبنات، وعرضهما على رئيسين؛ ليمنعا الباقين"[3]، واسم الإشارة هذا يتمثل بسر بلاغي في تعظيمه تنزيلًا لقربه من النفس منزلة قرب المسافة والمكانة؛ فيعبر عنه حينئذٍ باسم الإشارة الموضوع للقريب؛ تحقيقًا لهذا الغرض كما في قول الله سبحانه: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9]** ووجه إفادة التعظيم من اسم الإشارة الموضوع للقريب أن المحبوب يكون عادة مخالطًا للنفس، حاضرًا في الذهن، لا يغيب عن الخاطر، فإرادة تعظيمه يناسبها القرب المكاني[4]. وفي قوله سبخانه: **{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك: 21]** يبين الإمام أن:"{هذَا الَّذِي} إشارة إلى موهوم لا شيء، كقولك للّذي نطق أنّه محترم: من هذا الذي يحترمك، وهو من مجاز الكلام، ولا يخفى عليك ما وراء الإشارة من تحقير وإهانة لمن خاض في هذه الحادثة. ومن دواعي تعريف المسند إليه بالإشارة أيضًا قصد التعريض بغباوة السامع، وأن الأشياء لا تتميز عنده إلا بالإشارة الحسية كقول الفرزدق يهجو جريرًا ويفتخر عليه:

أولئك آبائي فجِئْنِي بمثلِهم إذا جمعَتنا يا جريرُ المجامعُ"[5]

يقول الإمام في توضيحه اسم الإشارة وما يفيده من احتمالات تنتهي إلى التمني:" **{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]** إن كان جواب القسم فالإشارة واقعة إلى شقاق المشركين، وإن كان

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 250)
(2) المصدر السابق (ج1/ 482-483)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 110)
(4) ينظر: البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص 199)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 652)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قول المشركين فالإشارة إلى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،{إِنَّ هذا لَشَيْءٌ} إن كان جواب [القسم] فالإشارة واقعة إلى ما وعدهم النّبيّ عليه السّلام على كلمة الإخلاص من طاعة العرب، واستسلام العجم، وإن كان من قول المشركين، فالإشارة واقعة إلى الضّمير على الآلهة ، أي: هو شيء يرضاه الله، ويجوز أن تكون الإشارة على قوله واقعة إلى خلاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أي: هو شيء يتمناه كلّ أحد ليذكر، وليتشرّف به على غيره"[1]. يقول الحق سبحانه:{جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص: 11] يقول الإمام: "{جُنْدٌ ما هُنالِكَ} (ما) للنّفي على لغة تميم، وتقديره: جند هنالك ما هو مهزوم من الأحزاب، أو جند ما هو هنالك بمهزوم، أو جند ما هو بمهزوم هنالك، فإن صح هذا المعنى فالمراد بالجند الملائكة، و(هنالك) إشارة إلى الأسباب"[2]،

التعريف بالاسم الموصول:

وهو نوعان رئيسيان :عام مشترك، وهو (مَنْ وما). خاص، وهو (الذي) وأخواتها، ويُلجأ إلى التعريف به لبيان قوة اتصاف المعرَّف به بما وقع في حيز الصفة، ولإمكان إجراء الأوصاف وعدول المعاني وإخراج الأغراض من مدح وقدح. على المراد تعريفه.

يقول سبحانه:{رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف: 23] ، فالتعريف بالموصول (التي) دون اسم امرأة العزيز (زليخا)، ودون الإضافة لما في التعريف بالصلة من إمكانية إجراء الأوصاف التي تذم في حينها المرأة ، فعرّفنا بالتعريف بالموصول أن المراوَد وهو يوسف كان في بيت المرأة، وأن موضع المراودة هو بيتها، والمفترض في مثلها وهي السيدة وهو المأمور عندها ألا ترغب في مثل ذلك، لكنه " غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر"[3]. فالتعريف بالموصول أسهم هنا في الإيحاء بكل هذه المعاني التي أوحت بصفات زليخة.

وفي قوله أيضًا: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 9] يقول الإمام في: "{لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}: أي: إلى الخصلة التي هي أصوب الخصال، وهي ملّة الإسلام"[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 520)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1478)
(3) السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن (ص 396)
(4) المصدر السابق (ج2/ 206)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعريف بأل:

يؤتى بالمسند إليه معرفًا باللام، لإفادة معنى من المعاني التي تفيدها اللام، ذلك أنها تنقسم قسمين: لام العهد الخارجي، وهي ثلاثة أنواع: صريحي، وكنائي، وعلمي. ولام الحقيقة، وهي أربعة أقسام: لام الحقيقة أو لام الجنس، ولام العهد الذهني، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي: أما لام العهد الصريحي هي ما يتقدم مدخولها صراحة، كما في قوله سبحانه: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} [النور: 35] ، فقد ذكر المصباح والزجاج منكرين ثم أعيدا معرفين، ولام العهد الكنائي: هي ما يتقدم ذكر كناية، أي: مبهما، تعينه القرائن، كقوله تعالى: {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: 36] فالذكر، وإن لم يتقدم صريحًا، قد استفيد من "ما" في قولها: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [آل عمران: 35] إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكور فهو المعنى بـ"ما" في كلامها– لام العهد العلمي: هي ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضرً أم لا، نحو: {إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: 18]،{إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} [التوبة: 40] أي: الشجرة والغار المعهودين لك، أما لام الحقيقة في ضمن فرد مبهم: إذا قامت القرينة على ذلك، وتسمى لام العهد الذهني، كما في قوله تعالى: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } [يوسف: 13] ومدخولها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها، وفي ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة، وتسمى لام الاستغراق الحقيقي، ودليل الشمول والاستغراق، إما: قرينة خالية نحو: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: 73] أي: كل غيب وشهادة، والقرينة المقالية نحو: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } [العصر: 2] أي: كل إنسان، بدليل الاستثناء الذي هو علامة إرادة العموم، إذ شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه، لو لم يذكر[(1)]. ففي قوله سبحانه: {لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132] يفسر الإمام أن التعريف بـ (أل) لإفادة العهد: "والألف واللام في {الدِّينَ} للمعهود لا للجنس، والدّين هو المثال من الحكم الذي هو أوجب من السنّة والعادة" [(2)]، ويقول في موضع آخر:{"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ}

---

(1) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص118– 120)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 249)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[البقــرة:74]، إذ يقول: "الألف واللام في {كَالْحِجارَةِ} لاستغراق الجنس"[1]، وكذلك في قوله تعالى: "{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ} [البقـرة:110] يقول: والألف واللام في (الصلاة) و(الزكاة) للجنس"[2]، وفي قوله سبحانه: {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} [البقرة:51] يقول الإمام: " وقيل: الألف واللام للمعهود"[3].

التعريف بالمضاف إلى معرفة:

إن التعريف بالإضافة يكون؛ لأنه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أخصر منه، أي: يقصد إليه رغبة في الإيجاز كما في قوله تعالى: {**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**} [الجن: 19] فالإضافة إلى الله سبحانه تشريف ما بعده تشريف، وقد تفيد الحث على فعل الشيء كقوله سبحانه: {**لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ**} [البقرة: 233] ، فإنه لما نهى المرأة عن المضارة أضاف الولد إليها استعطافًا لها، وحثًا على عدم المضارة ومثله: {وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}[4]، ويشير الإمام إلى المضارة قوله: وقوله: {لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها} "يحتمل معنيين: أحدهما: لا تدخل الوالدة ضررًا على أب المولود بمنع الدّرّ عن الولد ، والثاني: لا يدخل أب الولد ضررًا على الوالدة بالاسترضاع كرهًا من غير أجرة، أو بانتزاعه منها كرهًا، وقوله: {وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} يحتمل هذين الوجهين"[5]. وفي قول الحق سبحانه:{**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**} [آل عمران: 145] يوضح الإمام: "إذن الله ههنا قدر الله ، وفي الآية تشجيع للمؤمنين، {كِتابًا} {مُؤَجَّلاً} مؤقتًا، ومثله يجيء للتأكيد كقوله: {**وَعْدَ اللهِ**} [النّساء:122] و{**كِتابَ اللهِ**} [البقرة:101] و{**صُنْعَ اللهِ**} [النّمل:88] و{**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**} [الإسراء:28] و{**جَزاءً مِنْ رَبِّكَ**} [النبأ:36].{ثَوابَ الدُّنْيا} الغنيمة والذّكر. و{ثَوابَ الْآخِرَةِ} المغفرة والأجر، والمراد بـ {الشّاكِرِينَ} مريدو ثواب الآخرة. وإنّما كرّر وعد جزائهم للتأكيد، وقيل: لما يجمع لهم من ثواب الدّارين"[6].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 182)
(2) المصدر السابق (ج2/ 33)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 155)
(4) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص 211– 212)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 329)
(6) المصدر السابق (ج1/ 439)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: التنكير

إن موضوع التنكير أحد القضايا الهامة في البلاغة، والذي يندرج في قضايا علم المعاني وفيه أغراض بلاغية مميزة ولاستخدام الكلمة نكرة أرجحية لما يحتويه من معنى لا يمكن التعبير عنه بالتعريف، ومن هنا آثر النظم القرآني تنكير المسند إليه على تعريفه في قول الله تعالى مثلًا: **{وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى} [القصص: 20]** إن النكرة يراد بها، واحد من أفراد الجنس، ويؤتى بها، عند ما لا يراد تعيين هذا الفرد، فليس المراد هنا تعيين الرجل، ولكن يراد هنا أن يصل إلى موسى نبأ الائتمار عليه بالقتل.

يذكر ابن جني أن التنكير أسبق رُتْبة من التعريف، وكما أن التعريف لما كان طارئًا على التنكير احتاج إلى زيادة لفظ به كلام التعريف في الغلام والجارية ونحوه(1) ، وقد يكون من دلالة سبق التنكير أنه أوسع دلالة من التعريف وتذكر معه دائماً إرادة الشيوع، وإذا تكررت النكرة دلت على معنى جديد على عكس المعرفة، "وقد يظن ظان أنّ المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أنّ الإبهام في مواطن خليق وأنّ سلوك الايضاح ليس بسلوك للطريق خصوصًا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد، وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة متكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة"(2)، وتأمل سعة مدلول التنكير في لفظة(حياة) في قوله تعالى: **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} [البقرة: 96]** وقوله سبحانه: **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179]** ، فكلمة (حياة) جاءت منكرة ، لتشمل كل صور الحياة، وذلك أن إقامة القصاص من المعتدي فيها حياة للمجتمع كله(3)، يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز أن مما يلفت النظر، ويسترعي الانتباه التنكير في قوله سبحانه: ومما ينظر إلى مثل ذلك، قوله تعالى: **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} [البقرة: 96]** إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك، وجدت لهذا التنكير وأن قيل: "على حياة"، ولم يقل: "على الحياة"، حسنًا وروعة ولطف موقع لا يقادره قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك أنه لا يحرص عليه إلا

---

(1) ينظر: ابن جني، الخصائص (ج3/ 82)

(2) الرفاعي، أساليب بلاغية (ص 155)

(3) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/ 10)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها، إذا كان كذلك، صار كأنه قيل: {ولتجدنهم أحرص الناس} ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه، حياة في الذي يستقبل[(1)]، ويقول الإمام:" {وَلَتَجِدَنَّهُمْ} اللام للقسم، تقديره: والله لتجدنّهم، أي: لتلفينّهم، وهو يقتضي مفعولين، وقوله: {أَحْرَصَ} مفعول ثان ههنا، كقولك: وجدت الرجل صالحًا. والحرص: شدّة التمنّي، وتجعل في التقدير: ومن الذين أشركوا من يودّ أن يعمّر ألف سنة، كأنّه وقع العدول من قصّة إلى قصّة ليتبيّن أنّ من الناس من يودّ عمر ألف سنة ومع ذلك فإنّ اليهود أحرص منهم"[(2)]. وللنوعية: قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} أي: نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة، كأنه قيل: "لتجدنهم أحرص الناس وإن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في الماضي[(3)]. أما تنكير " الحياةِ " في هذه الآية تنكيرُها في قولِه سبحانه: **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179]** ، وذلكَ أنَ السببَ في حسن التنكير وأنْ لم يحسن التعريف أنْ ليس المعنى على الحياة نفسها، ولكنْ على أنه لمَّا كانَ الإنسان إذا علم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ ارتدعَ بذلك عن القَتْلِ فَسَلِمَ صاحبُه، صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقِصَاصِ وصار كأنَّه قد حَيِيَ في باقي عمره به أي بالقِصاص.

يوضح الإمام: "{وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ} ليس المراد بالحياة منع اخترام الآجال؛ لأنّه محال لقوله تعالى: **{وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ} [آل عمران:145]**، ولقوله: **{لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ} [آل عمران:156]**، لكنّ المراد طيب الحياة بعد الممات بالنّجاة من النار، وتهنئة الحياة في الدنيا بالأمن من الغوائل بعد القصاص، والأمن من المقدمين على سفك الدماء إذا علموا بالقصاص، أو حياة القلب بنور الاتّقاء عن حدود الله"[(4)]. وأمرٌ آخرُ وهو أنه لا يكونُ ارتداعٌ حتى يكونَ همٌّ وإرادةٌ ، ليس بواجبٍ أن لا يكونَ إنسانٌ في الدنيا إلاّ وله عدوٌّ يَهُمُّ بقتله ثم يردَعُه خوفُ القِصاصِ ، وإذا لم يَجِبْ ذلك فمَن لم يَهُمَّ إنسانٌ بقتلِه فكُفيَ ذلك الهمَّ لخوفِ القصاصِ ليس هو ممَّن حَيِيَ بالقصاص، وإذا دخلَ الخصوصُ فقد وجبَ أن يقالَ " حياةٌ " ولا يقالَ " الحياةُ " كما وجبَ أن

---

(1) ينظر: عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 288)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 236)

(3) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج1/ 93)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 282)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقالَ " شفاءٌ"، ولا يقالُ " الشفاءُ " في قولِه تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 69] حيثُ لم يكن شفاءً للجميع.

أغراض التنكير:

1- التعظيم:

يقول الحق سبحانه:{ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [المائدة: 49] يوضح الإمام مشيرًا إلى التعظيم في التنكير:"{بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ}: أي: بكلّها، وقيل: البعض صلة، وقيل: يصيبهم ببعضها في الدنيا وببعضها في العقبى، وقيل: إنّما ذكر البعض ليبيّن أنّ الكلّ لا غاية له على حسب عزائمهم ونيّاتهم" (1)، ومن شواهد التنكير قوله سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1] إن "من لطائف هذه الآية أن الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل ولم كان نكرة (ليلًا) ؟ الجواب: ورد {ليلًا} بلفظ التنكير، لدلالة تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة؛ وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، مع تعظيم مكانة هذه الرحلة حيث تبعد مكة عن الشام مسيرة أربعين يومًا"(2)، ولو وقفنا مع قوله سبحانه: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة: 21] لوجدنا أن التنكير في (الرحمة والرضوان والجنات) للتعظيم، والمعنى: أنها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين، وتأمل كيف جاء كل ذلك في سياق البشارة من الله سبحانه!.

2- التكثير:

كقولهم: "إن له لإبلاً، وإن له لغنمًا" يريدون الكثرة. والتنكير في قوله سبحانه: {قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا} [الأعراف: 113] ، وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعًا، كقوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} [فاطر: 4] أي: رسل ذوو عدد كثير، وآيات عظام، وأعمار طويلة، ونحو ذلك. والمعنى لكثرته أنه لا يحتاج إلى تعريف، وهو يدخل في معنى التكثير للتفخيم والتعظيم أيضًا، يقول الإمام فيما يروي عن ابن عبّاس في قوله الحق سبحانه: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 569)

(2) البيضاوي، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج2/ 130)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار: 5] "{عَلِمَتْ نَفسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} يقول: "ما علمت من خير أو شرّ، فإن كان شرًّا كان عليه مثل أوزار من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، وإن كان خيرًا كان له مثل أجر من يعمل به من غير أن ينتقص من أجورهم شيء"[1]، وبيّن الزمخشري وجه دلالة التكثير، إذ كيف يكون الاسم نكرة، وهو في الأصل دال على الواحد، مفيداً للتكثير .؟! وساق قوله تعالى: **{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار: 5]**. ومثلها في قوله سبحانه: **{ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير: 14]** "فإن قلت: كل نفس تعلم ما أحضرت، كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا لا نفس واحدة. فما معنى قوله علمت نفس؟ قلت: هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما بعكس عنه"[2].

3- بيان النوعية:

أي يشير التنكير إلى نوع من أنواع النكرة، كما في قوله سبحانه:**{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 7]** يبين الإمام: "{وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ} أراد بالسمع الأذن، وبالأبصار العيون، إذ العرب تسمّي الشيء باسم الشيء إذا كان قريبًا منه، وإنّما لم يقل: على أسماعهم؛ لأنّ العرب تكتفي من جمع المضاف بجمع المضاف إليه،(غشاوة): "غطاء" وهذه الغشاوة تمنع رؤية الاعتبار لا رؤية الاختيار"[3]، ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعًا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله.

4- التهديد:

يشير الإمام إلى التنكير بغرض التهديد في قوله سبحانه: **{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: 95]** بقوله موضحًا: "{وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ} على التهديد"[4]."وفيكم من يسمع ما يقوله المنافقون ويقبلون منهم {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} يعني: بالمنافقين وهذا وعيد لهم، يعني: عَلِيمٌ بعقوبتهم"[5]، وتتضح روعة التنكير في قوله سبحانه: **{وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18]** ، فكلمة (ذهاب) نكرة، والمعنى: أي كما قدرنا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 693)
(2) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/ 709)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 108)
(4) المصدر السابق (ج1/ 202)
(5) السمرقندي، تفسير بحر العلوم (ج2/ 63)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على إنزال الماء فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه، ولهذا التنكير في كلمة (ذهاب) حسن موقع لا يخفى، وفي هذا تهديد شديد لما يدل عليه من قدرته سبحانه على إذهابه وتغويره حتى يهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم، "وَإِنَّا عَلَى ذَهابٍ بِهِ على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه. لَقادِرُونَ كما كنا قادرين على إنزاله، وفي تنكير ذَهابٍ إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به [1].

5- التقبيح:

يقول الحق سبحانه: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا } **[طه: 102]**
يذكر الإمام: "{زُرْقاً} جمع أزرق، والأزرق الذي في عينيه خضرة إلى كهبة. قيل: أراد به قبح المنظر، وقيل: حدّة النظر. وقيل: العمى، وقيل: شدّة العطش، فإنّ العطشان تزرقّ عيناه من شدّة العطش، وحرارة الصدر"[2]، "بيض العيون من العمى، قد ذهب السّواد وبقي البياض"[3]، وسواد العين إذا ذهب تزرق، وقيل: المراد بقوله: {زرقًا} أي زرق العيون، والعرب تتشاءم بها. وقيل يجتمع مع الزرقة سواد الوجه، والمراد بالزرقة شخوص أبصارهم، والأزرق شاخص فإنه لضعف بصره يكون محدقا نحو الشيء، وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره[4].

---

(1) ينظر: البيضاوي، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج4/ 84)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1204)
(3) ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص 229)
(4) ينظر: الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج13/ 384)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: التقديم والتأخير

يعد مبحث التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة العربية، فهو واحد من الأركان التي يقوم عليها علم المعاني، لما له من وثيق الصلة بقصد المتكلم، وحال المخاطب، والمقام الذي يلقى فيه الكلام، وهي العناصر التي يعنى بها علم المعاني، فالتقديم والتأخير من مباحث علم المعاني المميزة، الذي يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، فإن معنى الجملة ليس مجموع معاني المفردات التي تتألف منها، بل حصيلة تركيب هذه المفردات في نمط معين، حسب قواعد لغوية محددة؛ ذلك لأن المعنى إنما يتولد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات، ومعنى هذا أن لكل تركيب نظمه وترتيبه، ومواقع ألفاظه، فالتقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى حيث اختلف البلاغيون في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، ومنهم من رأى أنه ليس من المجاز؛ لأن المجاز نقل ما وضع له إلى مالم يوضع له[1]، إنه من مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لتغير عليك المعنى الذي تريد، أو ضاع جماله ورونقه ،فتقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر يغير المعنى، وتغيير المعنى بتقديم اللفظ وتحويله عن مكانه، لا يكون جزافًا وعبثًا، بل يتم وفق أسس وضوابط وأغراض وغايات يقصد إليها المتكلم، فيقدم ما يريد التنبيه عليه أو الالتفات إليه، فإذا قدم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام ومقتضى الحال، إذن فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أو متأخرة.

التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح :

عند البحث عن معنى التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح، نجد أن مادة (قدم) تؤدي معاني مختلفة، ذكرتها المعاجم العربية، فالفراهيدي (تـ 175هـ) في معجم العين يذكر: القُدمَة، والقَدَم: أي: السابقة في الأمر، ومنه قوله تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس: 2]** [2]، يقول ابن منظور: "القدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، وقدم واستقدم : تقدم، وأخرته فتأخر، واستأخر كتأخر، ومنه قوله سبحانه: **{وَلَقَدْ عَلِمْنَا**

---

(1) ينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية (ص97)

(2) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (ج5/122)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} [الحجر: 24]" (1)، فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة، ويقول (سيبويه تـ 180هـ) : " كأنهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم [2]".

أهمية التقديم والتأخير:

للتقديم والتأخير عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته، ومن أهم مباحث علم المعاني، الذي يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب، لكي يبرز ما يكمن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية: وينقل لنا السيوطي (تـ 911هـ) أن السلف – رضوان الله عليهم – قد أشكل عليهم معنى بعض الآيات، فلما عرفوا أنها من باب التقديم والتأخير اتضح مدلولها [3].

استقر النحاة على أن الأصل في الجملة العربية هو أن يأتي المبتدأ مقدمًا والخبر مؤخرًا، وما عدا ذلك مخالف للأصل، والأصل في الجملة الفعلية هوأن ياتي الفاعل والفعل، وأن يلي المفعول الفاعل وما عدا ذلم مخالف للأصل، فتخرج الحالات التي تحافظ فيها الجملة على نسقها الأصلي من الدرس البلاغي وذلك لوجود قاعدة معروفة تنص على أن ما جاء على أصله لا يسأل عن سببه، لهذا تستبعد كل الحالات التي جاءت محافظة على نسقها الطبيعي عند الكلام على التقديم والتأخير بلاغيًا، ويترتب على الضابط السابق أن الكلام على التقديم والتأخير بلاغيًا يجب أن يركز على المخالفة للنسق الأصلي للجملة العربية الاسمية والفعلية، وتمثل حالات الوجوب لزامًا للمتكلم بصياغة الجملة بترتيب ثابت ومحدود ولا يملك فيه خيارًا، وهذا يقف بالتركيب عند حدود القاعدة النحوية لارتباطه بالصنعة النحوية وانفصاله عن المقاصد والمقامات، وبذلك خلوه من ملمح جمالي يدخله في الدرس البلاغي.!

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج466/12)

(2) سيبويه، الكتاب (ج34/1)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 38)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قول الحق سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } [المؤمنون: 57 - 59] يقول الإمام :" وفي تأخير الإيمان عن الخشية دليل على وجود الإيمان بالعقل قبل وجوده بالسماع، ولولا ذلك لما تقدّم الإشفاق من خشية الله على الإيمان بالآيات، فإنّما تأخّر نفي الشرك عن إثبات الإشفاق والإيمان لوجود الشرك في أهل الكتاب بعد ادعائهم الخشية والإيمان"(1). فالكلمة الموظفة في سياق النص القرآني إذا قُدّمت أو تأخرت فإنما يكون ذلك لغرض مقصود ومبتغى من وراء هذا التقديم والتأخير، فللأشياء مراتب في التقديم والتأخير، فمنها ما يكون إما بالتفاضل، أو بالاستحقاق، أو بالطبع، أو على حسب ما يوجبه المعقول (2).

تتضح أهمية التقديم والتأخير في كلام العرب من وجهين :

الأول: أنه سمة بارزة في الكلام، تشهد للعرب بتمكنهم في الفصاحة، وامتلاكهم ناصية الكلام، وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه ، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه، ثقة بصفاء أذهانهم، فهو علامة من علامات سمو التفكير عند العرب.

الثاني: أنه كما يقول عبد القاهر الجرجاني: " باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا نزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "(3)، ففي قول الحق سبحانه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] يبين الإمام:" {إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ} تقديره: نعبدك ونستعينك، فلمّا قدّم الضمير لكون ذكره أهمّ من ذكر العبادة قيل كذلك، مثاله قولهم: [إيّاه] ضربت"(4)، إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض، له أسباب عديدة يقتضيها المقام، وسياق الكلام، فالتقديم يكون للعناية والاهتمام وللتخصيص، فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا نرى القرآن يقدم لفظة مرة ، ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام. فنراه مثلاً يقدم السماء على الأرض، ومرة يقدم الأرض على السماء، ومرة يقدم الإنس على الجن، ومرة يقدم الجن على الإنس، ومرة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1268)

(2) ينظر : السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو (مج:1، ص90)

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص 106)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 102)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقدم الضر على النفع، ومرة يقدم النفع على الضر، كل ذلك بحسب ما يقتضيه الكلام وسياق التعبير، فإذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك ، فإنه لا يصح الاكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلم للعناية بها والاهتمام ، دون تبيين مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم.

يذكر الإمام قوله سبحانه: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [التوبة: 43] فيبين :"إنّما قدّم العفو لتلطيف العتاب كقولك: رحمك الله لم فعلت، وعافاك الله لم فعلت. كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أذن في التّخلّف للمعتذرين إليه على الفور من غير تثبّت وتمييز بين الصّادقين والكاذبين معتبرًا بالظّاهر من أحوالهم، وكان ذلك له جائزًا لقوله: {فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} [النور:62] إلاّ أنّه سلك سبيل الرّخصة وترك الاحتياط فأنكر الله ذلك عليه وبيّن له أنّه لو فعل غير ذلك لكان أحسن وأحوط" [(1)]، إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض بنظم عجيب، ويرى ابن النقيب أن للتقديم والتأخير أقسام أربع هي: " إما أن يكون موجبًا لزيادة في المعنى، أو لا يكون كذلك، وإما أن يكون ما قدم الأولى به التقديم، أو الأولى به التأخير، أو يتكافأ الأمران فيه "[(2)]. ثم يفصل القول في كل قسم، وقد جعل له أسبابًا مؤدية، وأمورًا موجبة: التقديم أدل على قدرة الخالق من التأخير – أن يكون للمتقدم تأثير في وجود المتأخر= (العلة والسببية)– أن يكون المتقدم أكثر وجودًا = (الأكثر على الأقل) أن يكون المتقدم في الوجود بالذات– أن يكون متقدما لأجل كلام تقدم = (مناسبة السياق المتقدم)– أن يكون التقديم للاهتمام – أن يكون التقديم رعاية للسجع (الفاصلة)[(3)].

يقول الحق سبحانه: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } [مريم: 51] وفي هذه يكثر الإمام القول: "{كَانَ مُخْلَصًا} لتخليص الله إيّاه من القتل والغرق، وضلالة فرعون، وجناية القبطيّ، و {رَسُولاً نَبِيًّا} على التقديم والتأخير، لاعتبار نظم الآي، ومعناه: أنّه كان نبيًا مرسلًا" [(4)]، وفي مثله قول الحق سبحانه: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 65] يقول الإمام: {خَاسِئِينَ} متباعدين على الذّلّ والصّغار، وتقديره: خاسئين قردة، وإلا يقال: قردة خاسئة، لكن التقديم والتأخير لوفق رؤوس

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 772)
(2) ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب (ص167)
(3) المصدر السابق (ص 169 – 171)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 272)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآي"[1]. ففي قوله سبحانه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69] يذكر الإمام أسباب تقديم الكلمات الواردة في الآيات ورُتب ومكانة كل فرد من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بقوله: "{وَالشُّهَدَاءِ} الأئمّة الذين يشهدون على قومهم، أو المقتولون في سبيل الله. "وإنّما قدّم النّبي لأنّ اسم النّبيّ مختصّ بالدّاعي الموحى إليه، فكان لاختصاصه أشرف، والصّدّيق يستجمع معنى الشّهادة كلّها لصدقه، ثمّ يزيد صدقًا في سائر المعاني من استواء ظاهره وباطنه، فلزيادته كان أشرف. والشّهيد أخصّ من الصّالح؛ لأنّ كلّ مسلم صالح إذا حافظ الشّريعة سواء كان من أهل المشاهدة أو لم يكن"[2].

تناول الإمام (الزركشي) المسألة إذ فصل الكلام فيها، وجعل لها خمسة وعشرين سببًا، كرر فيها سبعة عشر سببًا ذكرها السابقون، وتفرد بذكر ثمانية أسباب لم يسبق إليها، ولم يحصيها السابقون، وهذه الأسباب هي: التقديم لتحقق ما بعده – التقديم للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد – التقديم للتنقل – التقديم للتنبيه على أن السبب مرتب– التقديم لمراعاة الإفراد – التقديم للتحذير منه والتنفير عنه التقديم للتعجيب من شأنه – التقديم للترتيب[3]، وفي قوله سبحانه: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: 2] يقول الإمام: "{كِتَابٌ} هذا كتاب، {حَرَجٌ} شكّ، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسدّي: أي: لا تشكنّ في ظهوره وانتشاره، أو في نفسه وعينه، وقال الفرّاء والزّجّاج: المراد بالحرج الخوف، أي: لا تخافنّ من عجزك عن القيام به فإنّك موفّق لتبليغه، أو من ردّهم وإنكارهم فإنّك منصور عليهم. والضّمير في {مِنْهُ} عائد إلى الإنذار على سبيل التّقديم والتّأخير"[4]؛ لأنه الأصل في الضمائر أن تعود إلى متقدم في اللفظ والرتبة ولا يعود إلى متأخر في اللفظ والرتبة وهذا عيب من عيوب التأليف.

أنواع التقديم والتأخير:

وقد ورد منه في القرآن الكريم أنواع حصرها الزركشي في ثلاثة:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 173)

(2) المصدر السابق (ج1/ 503)

(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3 / 238 – 275)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 744)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النوع الأول: ما قدم والمعنى عليه (تقدي لا على نية التأخير): "ومقتضياته كثيرة قد يسر الله منها خمسًا وعشرين" [(1)]:أي أن اللفظ والمعنى مقصود تقدمهما، ومقتضيات هذا النوع وأسبابه كثيرة ، ذكر منها حدها: السبق، وهو أقسام: منها السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى: **{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ } [آل عمران: 68]** قال ابن عطية: المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة. وقوله: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: 75]** فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود. وقوله: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: 59]** فإن الأزواج أسبق بالزمان لأن البنات أفضل منهن لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم، وقوله: **{هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } [الفرقان: 74]** ، واعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشريف كقوله: **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33]** وقوله سبحانه: **{وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الأحزاب: 7]. {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: 19]** [(2)]، يذكر الإمام بأسلوبه مقتضيات السبق بالاصطفاء في ذكر الرسل بقوله:"واصطفاؤهم بالرّسالة لقوله لموسى: **{إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي} [الأعراف:144]**. وتخصيص الأربعة؛ لأنّ كلّ واحد أصل مؤصل بافتتاح وحي بعد فترة، وغاية في الإسناد والانتشار والاقتداء"[(3)].

النوع الثاني: مما قدم النية به التأخير(تقديم على نية التأخير): منه ما يدل على ذلك الإعراب كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28]** وقوله: **{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج: 37]** [(4)]، أي لفظه مقدم، ومعناه مؤخر، وهذا النوعان يكونان في آية واحدة، أو سياق واحد، يقول الإمام: " "{إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ} إنّما خصّهم بالخشية لاختصاصهم بالهيبة، واختصاصهم بالهيبة؛ لاختصاصهم بتجلّي ذي الجلال لهم"[(5)].

---

(1) الزركشي البرهان في علوم القرآن (ج3/ 238)

(2) ينظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن (ج3/ 239)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 391)

(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن(3 / 275)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 491)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النوع الثالث: ما قدم في آية وأخر في أخرى: فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة: {**الحمد لله**}[**الفاتحة:1**] وفي خاتمة الجاثية: {فلله الحمد} فتقديم "الحمد" في الأول جاء على الأصل والثاني على تقدير الجواب فكأنه قيل عند وقوع الأمر لمن الحمد ومن أهله فجاء الجواب على ذلك نظيره: {**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**} [**غافر: 16**] ثم قال: {**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**} [**غافر: 16**] (1)، وهذه الأنواع التي ذكرها الزركشي، لم يبحثها البلاغيون إلا من خلال الجملة والعملية الإسنادية، فما كان خارجًا عن نطاق الجملة، ولا علاقة له بالإسناد، كان اهتمامهم به قليلًا، أما المفسرون والذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم، فقد تجاوزوا ذلك، وتحدثوا عن التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم، كاشفين عن المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني، التي أودعها الله في كتابه العزيز، فإذا كانت البلاغة مبنية على ترتيب الألفاظ وحسن مواقعها، وكان الأسلوب محكم البناء جيد السبك والرصف، أخذت كل كلمة موقعها ولم تكن مكرهة مستقبحة فيه، وجاد اللفظ وأبان المعنى والعكس صحيح إذا لم يراع حسن الترتيب اللفظي ضاع الترتيب الذهني بسبب ذلك التعقيد(2).

أسباب التقديم:

من أسباب التقديم: التبرك: كتقديم اسم الله في الأمور ذوات الشأن، ومنه قوله سبحانه: {**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [**آل عمران: 18**] **والتعظيم:** كقوله سبحانه: {**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**} [**النساء: 69**] **والتشريف:** في قوله سبحانه: {**نَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**} [**الأحزاب: 35**]، حيث قدم الذكر لشرفه على الأنثى، **والمناسبة نوعان: الأول:** مناسبة المقدَّم لسياق الكلام ومن أمثلته عنده الآيات الآتية:{**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**} [**النحل: 6**] ؛ لأنها حالة إراحتها آخر النهار يكون الجمال بها أفخر **والنوع الثاني:** فهو مناسب لفظ لما له من التقدم نحو: {**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [**الحديد: 3**] **والحث عليه:** ومن أبرز أمثلته عنده تقديم الوصية على الدَّيْن في قوله تعالى: { **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**} [**النساء: 11**] **والسبق:** إما باعتبار الإيجاد كتقديم الليل على النهار**والكثرة على القلة:** ومن أمثلته عنده قوله تعالى: {**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**

---

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن(ج284/3)

(2) ينظر: منير محمود المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (ص43)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر: 32] ، قدم " الظالم " لكثرته، ثم " المقتَصد" **والترقي من الأدنى إلى الأعلى:** وقد مثل له بأمثلة كثيرة منها قوله تعالى: **{أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا} [الأعراف: 195]** قال: بدأ بالأدنى لغرض الترقي- **التدلي من الأعلى إلى الأدنى:** ومن أمثلته – عنده – قوله تعالى:**{مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } [الكهف: 49]** (1).

وقف الإمام عبد القاهر الجرجاني مع بعض آيات الكتاب الكريم مبينًا ما فيها من أسرار أسلوب التقديم والتأخير مشتملًا على أمرين: التنبيه على وجود تقديم وتأخير، وبيان أسراره في الآية. والثاني: الاكتفاء بالإشارة إلى وجود هذا الأسلوب في الآية الكريمة متخذًا منه وسيلة لفهم المعنى من غير تعقيب، ففي قول الحق سبحانه: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: 3]** يوضح الإمام: "وإنما قدّم الاستغفار على التّوبة لأنّ الإنسان يستقبح الشّرّ، ويعرض عنه مستغفرًا، ثم يستفتح الخير، ويقبل عليه مستوفيًا، والمراد بالاستغفار كسب سبب المغفرة، وهو إصلاح العقيدة، وبالتّوبة سبب الاستقامة، بإصلاح العزيمة، ويوفّ الله تعالى {كُلَّ ذِي فَضْلٍ} خصلة فاضلة"(2). إن تقديم الاستغفار يتعلق بإصلاح العقيدة وتأخير التوبة يتعلق بإصلاح العزيمة، وهو تقديم ما هو أولى وأهم. والتقديم من جهة اللغة واجب هنا؛ لأن التعبير بحرف العطف(ثم) يحتم ذلك فحرف العطف هنا "يقتضي ثلاثة أمور التشريك في الحكم والترتيب والمهلة"(3). ومما يلحظ من كلام الإمام في تفسيره الآيات الكريمة السابقة توضيحه بعض أغراض التقديم وأسبابه: "وإنما قدّم الاستغفار على التّوبة؛ لأنّ الإنسان يستقبح الشّرّ وأراد بهذا الحث على فعل الخيرات والإسراع في التوبة مراعيًا حالة النفس البشرية باستقباحها الشر.

أما قول الحق سبحانه: **{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: 1] يقول الإمام: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} هما صفتان للسّموات والأرض◉ فكأنّ التّقدير: وجعلهنّ مظلمة ومنيرة◉ كما قال: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} [النّحل:78]** وإنّما قدّم الظّلمات؛ لأنّها هي المخلوقات أوّلًا ، فيما يروى عن ابن عبّاس، وقيل:

(1) ينظر: المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج2/ 105-120)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 95)
(3) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص 158)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكونها مجموعة كالسّموات"[1]. يقول الحق سبحانه: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم: 47] يقول الإمام:"{مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ} أي: مخلفًا وعده رسله، وإنّما قدّم الوعد على الرسل؛ لأنّه أليق بالإخلاف، والكلام يستقل به دون المفعول الثاني"[2]

يقول الإمام: في تفسير قول الحق سبحانه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ۝ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: 2 - 4]"{وُجُوهٌ} ذو الوجوه، وعملهم يومئذ طوافهم بين الجحيم {وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن:44]، ويكلّفهم في الجواز على الصّراط، واقتحام العقبة، والعقد بين شعيرتين، ونحو هذا، وكلّ ذلك عذاب. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وجوه عاملة ناصبة يومئذ خاشعة، وهي وجوه الرّهبان والبراهمة، ونسّاك الرّوافض والمعتزلة، وسائر الملحدين"[3]. والمقصود وجوه أهل الكفر كما عددها الإمام، عاملة ناصبة في النار، لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها الله في النار، وخاشعة في هذا السياق ذليلة في النار، ويقال: عامِلَةٌ في الدنيا بالمعاصي، ناصِبَةٌ في الآخرة بالعذاب. ويجدر الإشارة إلى ذكر (المعتزلة) من بين هؤلاء الذين يصلون نارًا حامية يدلل ويؤكد أن الإمام من الأشاعرة، فكيف يصف (المعتزلة) بهذا الوصف إن كان منهم؟.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 598)

(2) المصدر السابق (ج2/ 166)

(3) المصدر نفسه (ج2/ 707)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: أسلوب القصر

أسلوب القصر من الأساليب الغنية باعتبارات دقيقة وملاحظات متنوعة، فهو فنٌّ دقيق في أسلوبه، لطيف في مغزاه، جليل المقدار فوائده كثيرة، وأسراره غزيرة، يرجع ثراء أساليبه وكثرة فوائده إلى تنوّع طرقه، وما بين تلك الطرق من فروق دقيقة واعتبارات وملاحظات لطيفة.

القصر في اللغة:

"القصر الحبس؛ يقول الحق سبحانه: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: 72]، أي محبوسات في خيام من الدر مخدرات على أزواجهن في الجنات؛ وامرأة مقصورة أي مخدرة، وقال الفراء في تفسير مقصورات، قال: قصرن على أزواجهن أي حبسن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم"[1]، "وكل شَيْء حَبسته فِي شَيْء فقد قصرته فِيهِ. وَجَارِيَة مَقْصُورَة فِي خِدرها، أَي محبوسة"[2]، "وامرأة قاصرة الطرف: لا تمده إلى غير بعلها، كأنها تحبس طرفها حبسًا، قال الله سبحانه: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} [الرحمن: 56]"[3].

القصر في الاصطلاح:

"تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[4]، فعندما نقول: زهير بن أبي سلمى شاعرٌ لا كاتب، فإننا نخص زهيرًا بصفة الشعر؛ بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الكتابة، فزهيرٌ مقصور والشعر مقصور عليه، "وطرق القصر ستة هي: النفي مع الاستثناء وإنما والتقديم لما حقه التأخير من مسند ومفعول ومعمول فعل، والعطف بلا وبل ولكن "[5]. "ولأسلوب القصر طرفان وله طرقه المختلفة التي يؤدى بها، كما له أقسامه باعتبار الحقيقة والإضافة، وباعتبار حال المخاطب، وباعتبار الطرفين "[6].

وينقسم القصر بحسب الحقيقة والإضافة إلى:

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج5/ 99)
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة (ج2/ 743)
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج5/ 97)
(4) القزويني، الإيضاح (ج3/6)
(5) الطاهر ابن عاشور، موجز البلاغة (ص20)
(6) عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 146)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصر الحقيقي:

يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة لا يتعداه إلى غيره أصلًا، كقوله سبحانه: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرعد: 19]

القصر الإضافي:

ذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص لا إلى جميع ما عدا المقصور عليه، ومنه قوله سبحانه:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: 144] ، فمحمد مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر، وليس المقصود أنّ الرسالة مختصة به وحده.

القصر باعتبار طرفيه:

ينقسم المقصور والمقصور عليه إلى: قصر موصوف على صفة: كقوله سبحانه: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3] فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف: مثل: ما في الدار إلّا محمد، فقد قصر الوجود في الدار على محمد، قصر صفة على موصوف. والمراد بالصفة في أسلوب القصر الصفة المعنوية لا النعت الذى يذكره النحاة، لأنّ الاستثناء لا يقع بين الصفة والموصوف(1).

أسلوب القصر في تفسير درج الدرر:

يقول الحق سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: 28] يبين الإمام: "أن الله خص العلماء بالخشية لاختصاصهم بالهيبة وإنما يخاف الله ويتقي عقابه العلماء لعلمهم بقدرته على ما يشاء وأنه يفعل ما يريد؛ ولأنّ من كان عالمًا بالله اشتدت خشيته له، "{إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ} إنّما خصّهم بالخشية لاختصاصهم بالهيبة، واختصاصهم بالهيبة؛ لاختصاصهم بتجلّي ذي الجلال لهم"(2).

يقول الإمام: "وفي فحوى قوله: {وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً} [الشورى: 51] ما يدلّ على أنّ القول صفته حقيقة، والأدلّة عليه موجودة في سائر قصصه وأخباره وأوامره

---

(1) عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 177– 178)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1444)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونواهيه ووعده وإيعاده، وقول الجماد؛ فلأنّ الله تعالى قد أنشأ النطق في الأجزاء المؤلّفة على بنية حيوانيّة، قال الله تعالى: {وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ} [الأنبياء:79] فلولا أنّ تسبيح الجبال بالقول حقيقة وإلا لم يكن لتخصيصه معنى"(1). إن تخصيص تكليم البشر لا يكون إلا عن طريق الوحي أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا وبذلك تخصيص تكليم البشر مقصور ويكون عن طريق الوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا ويفسر الإمام ما يقول بأن تخصيص الوحي للأنبياء وهم بشر يوحي إليهم على أن القول صفته حقيقة والأدلّة عليه موجودة في سائر قصصه وأخباره وأوامره ونواهيه ووعده وإيعاده.

يبين الإمام في تفسير قوله سبحانه:"{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]: "تقديره: نعبدك ونستعينك، فلمّا قدّم الضمير لكون ذكره أهمّ من ذكر العبادة قيل كذلك، مثاله قولهم: [إيّاه] ضربت"(2). إن الأصل في ترتيب مفردات الجُمَل الكلامية : (الفعل ثم الفاعل ثم المفعول) مثل: شكرَ زيدٌ عمرًا، فلا تُخِلُّ العربُ بتسلسل الكلم إلا عند إرادةِ غرَضٍ بلاغيٍ خاصٍ، ففي الآية الكريمة حصرٌ وقصرٌ للعبادة والاستعانة بأنها لله وبالله دون غيره من الخلق، (وَالتَّقْدِيمُ) من طرق القصر تقديم ما حقه التأخير وفيها تقديم المعمول على عامله، وهو أسلوب من أساليب القصر والحصر، تقديم ما حقه التأخير، نحو: بنا مَرَّ. مرَّ زيد بنا، بنا لا بغيرنا. فيه قصر الصفة على الموصوف، وقول الإمام: قدم الضمير لكون ذكره أهم من ذكر العبادة،{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} أي: لا نعبد إلا أنت، والاهتمام أنه لم يقدم على اسم الله تعالى شيئًا البتة، وفي مثله قوله سبحانه: {وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ} [المائدة: 23] فتوكلوا على الله، سواء كان المقدم مفعولاً به أو جارًا ومجرورًا أو غيره، و"الحق سبحانه وتعالى حين قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} قصر العبادة على ذاته الكريمة؛ لأنه لو قال نعبدك وحدك فهي لا تؤدي المعنى نفسه؛ لأنك قد تقول نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا، ولكن إذا قلت {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وقدمت إياك تكون قد حسمت الأمر بأن العبادة لله وحده فلا يجوز العطف عليها"، "وتحصر العبادة فيه وله وحده سبحانه؛ فلا تتعداه إلى غيره؛ ولو أنها أُخِرَّتْ لَجازَ أن يعطف عليه، ويُقَال في ذلك اسم قصر أي: أن العبادة مَقْصورة عليه؛ وكذلك التوكُّل. {قُلْ هُوَ رَبِّي لا إله إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ } [الرعد: 30]" (3)، فحين يذكر الإمام أن تقديم الضمير لكون ذكره أهمّ من ذكر العبادة يبين حصر العبادة وقصرها لله وحده سبحانه، فلا تتعداه إلى سواه، إن ترابط الكلام ووضع كل كلمة في مكانها المناسب من مقومات البلاغة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 173)

(2) المصدر السابق (ج1/ 102)

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج1/ 78) و (ج12/ 7336)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبيان، فمن الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لتغير عليك المعنى المراد و ضاع جماله ورونقه؛ لأن تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر يغير المعنى وتغيير المعنى بتقديم اللفظ، وتحويله عن مكانه لا يكون جزافًا وعبثًا، وإنما يتم وفق أغراض بلاغية يقصد إليها المتكلم.

أما في قول الحق سبحانه: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** [آل عمران: 64] يقول الإمام موضحًا قول الحق:"{قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ} خطاب لوفد نجران عن الحسن والسدّي وابن زيد، ولليهود عن قتادة والرّبيع وابن جريج، ولأهل الكتابين في الظاهر.{إِلى كَلِمَةٍ} المقالة التي هي قاعدة الدّين والأمر وهو التّوحيد، ثمّ ابتدعت اليهود فادّعت اتّخاذ الولد كاتّخاذ الوليّ والخليل والبيت، فلم يعلموا أنّ ما ادّعوه يقتضي المشابهة أولًا، وهو شرك، بخلاف اتّخاذ الوليّ والخليل؛ لأنّه يقتضي إرادة الخير، بخلاف اتّخاذ البيت؛ لأنّه يقتضي اتّخاذ متعبّد للعباد، وابتدعت النصارى فزعمت أنّ الله تعالى هو الرّوح تزوّج بمريم وهي النّفس، فتولّد منهما المسيح وهو العلم، وزعم بعضهم أنّ المسيح عينه حلّ في العالم، ولم يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى متعال، تقدّس عن الازدواج والانفصال والتّغيّر والانتقال، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا"[1].

لا يأتي الإمام في تفسيره الآية الكريمة على ذكر مصطلح القصر بل في تفسيره وتوضيحه تجد الإشارات إلى الوجوه البلاغية والدلالية مطابق للتعريف الاصطلاحي دون تحديد للمصطلح، ففي عبارته الأخيرة يشير إلى قصر العبادة على الله وحده: "ولم يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى متعال. وإنما ادعاء اليهود اتّخاذ الولد كاتّخاذ الوليّ والخليل والبيت وادعاء النصارى زعمهم بأن الله تعالى هو الرّوح تزوّج بمريم وهي النّفس، فتولّد منهما المسيح وهو العلم، فهو شرك. فالمراد قصر العبادة على الله سبحانه؛ بحيث لا تتعداه إلى غيره مطلقًا، وفيه القصر الحقيقي وهو ما كان غرض المتكلم منه أن يختص المقصور بالمقصور عليه؛ بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلًا، فالعبادة لله وحده لا شريك له تقدس عما ادعوه وابتدعوه، "قيل الخطاب لأهل نجران بدليل ما تقدم قبل هذه الآية، وقيل ليهود المدينة، وقيل لليهود والنصارى جميعًا، وهو ظاهر النظم القرآني، ولا وجه لتخصيصه بالبعض؛ لأن هذه دعوة عامة لا تختص بأولئك الذين حاجوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالسواء العدل"[2].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 405)

(2) الحسيني البخاري القِنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج2/ 259)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس: الإيجاز والإطناب والمساواة

ينقسم الكلام بالنظر إلى المنطوق به، وإلى معانيه من جهة نسب الكثافة بين كل منهما في مقابل الآخر إلى ثلاثة أقسام رئيسة سوية، ويأتي وراءها أقسام أخرى، فالأقسام السوية الثلاثة هي ما يلي:

الإيجاز: كون الكلام دالًا على معان كثيرة بعبارات قليلة وجيزة دون إخلال بالمراد، فالإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها.

والإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

والمساواة: تساوي اللفظ والمعنى، فيما لم يكن داع للإيجاز والاطناب، كما أنه إذا لم تف العبارة بالغرض سمّي: إخلالاً وإذا زاد على الغرض بدون داع سمّي: تطويلًا، فالمساواة هي التطابق التام بين المنطوق من الكلام وبين المراد منه دون زيادة ولا نقصان.

فمثال الإيجاز قوله سبحانه: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199]** ومثال الاطناب، قوله سبحانه: **{قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } [طه: 18]** ومثال المساواة، قوله سبحانه: **{كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء: 13]** (1). يقول ابن قتيبة:" واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول "، يريد الإيجاز وهذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرَّر تارة للإفهام"(2).

1- الإيجاز:

الإيجاز في اللغة:

"وجز: وجز الكلام وجازة ووجزًا وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه: اختصره، قال ابن سيده: بين الإيجاز والاختصار فرق منطقي ليس هذا موضعه، وكلام وجز: خفيف. وأمر وجز ووأجز

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 7)

(2) ابن قتيبة، أدب الكتاب (ص 19)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووجيز وموجز وموجز. والوجز: الوحى؛ يقال: أوجز فلان إيجازًا في كل أمر. وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر"[1].

الإيجاز في الاصطلاح:

يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني: " لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وإذا لم تجعله وصفًا للفظ من أجل معناه، أبطلت معناه، أعني أبطلت معنى الإيجاز"[2]، يذكر الرماني في النكت في إعجاز القرآن أن: "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: حذف ، وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف" [3]، أما الإيجاز عند السكاكي:"فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة على الجمل أو على غير الجمل"[4]، وفي معنى الإيجاز والإطناب والمساواة يقول القزويني:" المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة، والمرد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصًا عنه بحذف أو غيره . ولا زائدًا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض" [5].

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسيره درج الدرر:"ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون، والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين"[6]. ولم يذمّ أحد من السلف الإيجاز ويقدح فيه، ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهروبها من التثقيل والتطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مدّ المقصور، وتسكين المتحرك أخفّ عليها من تحريك الساكن لأن

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج5/ 427)

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 463)

(3) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص 76)

(4) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 277)

(5) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 173)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 148)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحركة عمل والسكون راحة، ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أحمد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومىء إلى الشيء فتستغني عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لمحة دالّة[1].

قسما الإيجاز:

1 . إيجاز القصر: ويسمّى ايجاز البلاغة، وذلك بأن يتضمن الكلام المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف[2]، كقوله تعالى: **{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 72]** فإنّ مقتضى الكرامة في كل مقام شيء، ففي مقام الإعراض: الإعراض، وفي مقام النهي: النهي، وفي مقام النصح: النصح. يقول الحق سبحانه: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [سبأ: 24]** يبين الإمام: "{قُلِ اللهُ وَإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ} على سبيل الإيجاز، تقديرها: وإنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"[3]. في إيجاز القصر مع قلة الألفاظ كثرة المعاني وازدحامها مع عدم الحذف، وبه يأتي الكلام متكامل المعنى ومنتظم الألفاظ بلا خلل ولا إرباك، وإذا كان إيجاز الحذف يعتمد على حذف جملة أو مجموعة جمل خدمةً للسياق وانسجامًا معه، فإنَّ إيجاز القصر يعمد إلى توسيع المعنى وتكثيفه وتضمينه بألفاظ قليلة حتى ليصبح أكثر تأثيرًا في المتلقي وذلك من خلال تصوير الأحداث أو تلخيصها بإيجاز خالٍ من التطويل والحشو.

2 ـ إيجاز الحذف: الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحًا، لكن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه، فالعربية في خصائصها الأصيلة تميل إلى الإيجاز في التعبير، وباب الحذف في العربية باب عظيم جعله عبد القاهر الجرجاني كالسّحر، ويجمل رأيه في ظاهرة الحذف بقوله:" قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول

---

(1) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4/ 238)

(2) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج131/2)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 483)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاطر أن الذي قلت في شأن "الحذف" وفي تفخيم أمره، والتنويه بذكره، وأن مأخذه مأخذ يشبه السحر، ويبهر الفكر "[1].

لقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته. فأمَّا الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال – من الجار والجواب– دليلًا على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيدًا، إذا أردت: اضرب زيدًا، أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرته، أي: احفظ نفسك ولا تضعها، والطريق الطريق، وهلا خيرًا من ذلك. وقد حذفت الجملة من الخبر نحو قولك: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس. وخير مقدم؛ أي: قدمت خير مقدم. وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعاله إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، أي: إن فعل المرء خيرًا جزي خيرًا، وإن فعل شرًّا جزي شرًّا. وقول الله سبحانه: **{فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [البقرة: 60]** أي: فضرب فانفجرت، وقوله عز اسمه: **{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} [البقرة: 196]** أي: فحلق فعليه فدية، ومنه قولهم: ألا تا، بلى فا، أي: ألا تفعل؟ بلى فافعل. وقول الآخر: قلنا لها قفي لنا قالت قافأي: وقفت[2]. ويعني إيجاز الحذف بأن يحذف شيء من العبارة، لا يخل بالفهم، مع وجود قرينة، وقد حُصر الحذف في أحد عشر أمرًا:

1 . الحرف: يقول سبحانه: **{وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} [مريم: 20]** أي: ولم أكن. وقوله (ولم أك بغيّا) حذف النون لأنه ليس في مريم أدنى شيء من البغي وليس هناك جزء من الحدث مطلقًا أصلًا، كما أنّ فيه تخفيفًا لأمر الحدث وتهوينه على مريم عليها السلام، يذكر الإمام: "قالت مريم لجبريل عليه السّلام: يا سيّدي، أنّى يكون لي ولد ولم يقربني زوج، ولم أك فاجرة؟ قال لها جبريل: **{كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} [مريم:21]**، أي: خلقه عليّ يسير، **{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} [مريم:21]** في ولادته من غير أب، **{وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا} [مريم:21]**" [3]، وكحذف حرف النداء كما في قول الله تعالى: **{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [يوسف: 29]** إذ المراد: يا يوسف أعرض،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 171)

(2) ينظر: ابن جني، الخصائص (ج2/ 362– 363)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 265)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحذف حرف النداء، يقول الإمام: " و(اللهمّ) في الأصل: يا الله، فعلّق بآخره الميمان بدلًا عن حروف النّداء عند البصريّين"[1].

2 . **الاسم المضاف أو المضاف إليه**: يقول سبحانه: **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: 78]** أي: في سبيل الله، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضًا أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: **{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: 54]** [2]، ومما تحذف فيه المضاف، كما في قول الله سبحانه: **{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} [يوسف: 82]** أي أهل القرية وأصحاب العير، فحذف المضاف في الموضعين، وحذفه يشير إلى شهرة السرقة وذيوعها، وفي توضيحه الحذف في الآية الكريمة: **{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} [البقرة: 19]**، يقول الإمام (كصيّب): "كأصحاب صيّب، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كقوله:**{هُمْ دَرَجَاتٌ} [آل عمران:163]**، أي: ذوو درجات"[3]، ويقول في موضع آخر: **{لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} [النساء: 84]** يعني التّكليف عنه، تقديره: إنّك لا تكلّف إلاّ فعل نفسك، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أي: لا تؤخذ بتخلّف غيرك وإن كانوا مكلّفين مثلك"[4].

يقول سبحانه: (**{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الأعراف: 142]** أي: بعشر ليال، يقول الإمام: **{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} [البقرة: 197]** "نزلت في شؤون كثيرة: ذكر أشهر الحجّ، والنهي عن الأشياء الثلاثة، والأمر بالزّاد والرّاحلة، وإباحة التّجارة في الإحرام، وإيجاب الوقوف لذكر الله تعالى بالمشعر الحرام. و(الحجّ) فعل، والأشهر ظرف. وجعل الفعل مبتدأ والظرف خبرًا على أحد تقديرين: أحدهما: على حذف المضاف، أي: مدّة الحجّ أشهر، تقول العرب: الحرّ شهران والبرد شهران، والثاني: أن تجعل الظرف مقدّرًا للمبتدأ ومقدار الشيء صفة له، كما تقول: هذه الحنطة صاع وهذا الشعير قفيز" [5].وفي قوله سبحانه:**{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 388)

(2) ينظر: البغوي، تفسير إحياء التراث (ج3/ 354)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 115-116)

(4) المصدر السابق (ج1/ 511)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 365)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء: 105]، يقول الإمام: "وعن ابن عباس في قوله: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها} الجنّة"[1]، والمقصود أرض الجنة فحذف المضاف إليه.

3 . **الاسم الموصوف**: يقول سبحانه: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [الفرقان: 71] أي: عملًا صالحًا، وفي الآيةا لكريمة:{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف: 89] يقول الإمام موضحًا: "{بِالْحَقِّ} أي: بحكمك الحقّ، حذف الاسم وأقيم الصلة مقامه"[2]، كما في قوله سبحانه: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ} [ص: 52] أي حورٌ قاصرات الطرف. يقول الحق سبحانه:{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} [القمر: 13] أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير[3].

4 . **الاسم الصفة**: يقول سبحانه: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 125] أي: مضافًا إلى رجسهم. "فيكون من حذف الصفة، كقوله: {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: 79] ، أي كل سفينة صالحة، ومثله قوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38] "[4]، وفي قوله سبحانه: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الإسراء: 58] قال بعض أهل العلم: في هذه الآية الكريمة حذف الصفة، أي: وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها، وهذا النعت المحذوف دلت عليه آيات من كتاب الله تعالى ؛ كقوله: {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } [القصص: 59] [5]، يقول الحق سبحانه:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: 105] أي وزنًا نافعًا، يقول الإمام: "أراد نفي السعي المتزن عن كعب بن عجرة[6] قال: يجاء

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 326)

(2) المصدر السابق (ج1/ 681)

(3) ينظر: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (29/ 297)

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج8- أ/ 177)

(5) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج3/ 163)

(6) أبو محمد كعب بن عجرة بن أمية السالمي الأنصاري المدني، من أهل بيعة الرضوان، توفي سنة 52 هـ. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج7/ 220)، الربعي، مولد العلماء ووفياتهم(ج1/ 153)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالرجل يوم القيامة، فيوزن بالحبّة فلا يزنها، ثمّ يوزن بجناح بعوضة فلا يزنها، ثمّ تلا هذه الآية"[1].

5 . الشرط: يقول سبحانه: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } [**آل عمران: 31**] {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ} أي: فإن اتَّبعتموني يحببكم، يقول الإمام:" {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ} إن كانت في شأن المؤمنين ف (إن) بمعنى (إذ)، وإن كانت في شأن الكفّار ف (إن) للشّرط على قضيّة زعمهم[2].

6 . جواب الشرط: يقول سبحانه: {**حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ**} [**التوبة: 118**] إشارة إلى ما وقع في نفوس هؤلاء الثلاثة الذين خلّفوا من ندم وحسرة، لقد ضاقت عليهم الأرض على سعتها، بل وضاقت عليهم أنفسهم، فلم تحتملهم، ولم تجد القرار والسّكن إليهم، وهذا يعنى ثقل ما يعانونه من ندم وألم، ولهذا كانت توبتهم نصوحًا صادقة، لا تنتكس بهم على أعقابهم أبدًا، وقد حذف جواب الشرط هنا، إذ دلّ عليه قوله تعالى: [وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ] أي أنهم حين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه لجئوا إلى الله، وفرّوا إليه تائبين مستغفرين[3]، يقول الإمام: "{وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} أي: صدورهم وقلوبهم، وضيق النّفس: أن تمتلئ بالحزن والهمّ حتى تختنق فلا تسع شيئًا، {وَظَنُّوا} أيقنوا، وإنّما استثنى الملجأ إليه للتّنبيه على رحمته ورأفته بعد ابتلائه ومحنته"[4].

7 . المسند: يقول سبحانه: {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**} [**العنكبوت: 61**] أي: خلقهنّ الله، أو المسند أو أحد متعلقات الفعل، كالمفعول والجار والمجرور والحال، إلى غير ذلك، ويورد الإمام في دلائل الإعجاز فصلًا كاملًا عن الحذف بأنواعه: القول في حذف المبتدأ – القول في حذف المفعول به .

يذكر الإمام في معرض توضيحه مواضع الحذف في الآية الكريمة:{**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ.**} [**القصص: 23- 24**] ، فيها

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 260)

(2) المصدر السابق (ج1/ 390)

(3) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج6/ 911)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 802)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حذف مفعول في أربعة مواضع، إذا المعنى: "وجد عليه أمة من الناس يسقون" أغنامهم أو مواشيهم و"امرأتين تذودان" غنمهما و"قالتا لا نسقي" غنمنا "فسقى لهما" غنمهما. ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقًا، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود"[1].

8 ـ المسند اليه: ومن إيجاز حذف الكلمة: حذف المسند إليه، يقول الحق سبحانه: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} **[البقرة: 117]** "وقوله: بديع خبر لمبتدأ ملتزم الحذف في مثله، وهو من حذف المسند إليه الجاري على متابعة الاستعمال عند ما يتقدم الحديث عن شيء ثم يعقب بخبر عنه مفرد"[2]، وهذا الحذف جار على حذف المسند إليه المسمى عند علماء المعاني تبعًا للسكاكي بالحذف لمتابعة الاستعمال، أي استعمال العرب عند ما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أعظم مما تقدم ذكره ليكسب ذلك الانتقال تقريرًا للغرض[3].

9 . المتعلّق: قال سبحانه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} **[الأنبياء: 23]** أي عمّا يفعلون. "قال: لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم"[4] ، "ولا يجوز أن يقاس الخلق بالخالق، وبالحقيقة فإن الأفعال كلها لله تعالى، والخلق بأجمعهم له، يصرفهم كيف يشاء ويحكم فيهم بما أراد"[5]، يقول الإمام:" "وقوله: {لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ} دليل على أنّه لا علّة لفعل الله تعالى، وأنّه غير داخل تحت حكم، ولا مفض إلى ظلم أيّ شيء فعل لعلمه الغيوب، وسبقه العيوب"[6].

10 . الجملة والجمل: يقول سبحانه: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ} **[البقرة: 213]** أي: فاختلفوا، يقول الإمام في تفسيره: "{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} الباء مع الاسم آلة لفعل محذوف، وتقديره: أفتتح وأبتدئ بسم الله، وإنما حذف لدلالة الحال، كما يقال في اليمين: بالله ، أي: أحلف بالله"[7]. أما الجمل، يقول سبحانه: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 161)

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج7/ 410)

(3) المصدر السابق (ج13/ 182)

(4) الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (18/ 426)

(5) النعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج9/ 379)

(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 306)

(7) المصدر السابق (ج1/ 99)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} [يوسف: 45- 46] أي فأرسلوني إلى يوسف لأقصّ عليه الرؤيا، فأتاه، وقال: (يوسف)، ومما حذفت فيه الجملة: جواب الاستفهام، كما في قول الله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [التوبة: 127] فحذف جواب الاستفهام وتقديره: لا يرانا من أحد، بدليل قوله: {ثُمَّ انْصَرَفُوا} لأنهم لم ينصرفوا إلا بعد تأكدهم من أنه لا أحد يراهم، والحذف هنا يشير إلى حذرهم ومبلغ حيطتهم.

يقول الحق سبحانه: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد: 33] يقول الإمام: "{أَفَمَنْ هُوَ} حذف جوابه اكتفاء؛ لأنّه يدلّ على الخبر بصفته، تقديره: أفمن هذه صفته، كمن ليست هذه صفته، أو: أفمن هذه صفته خير وأحقّ بأن يعبد أم من ليست هذه صفته، كقوله: {أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ} [الزمر:9] بالتخفيف"[(1)]، وفي قوله سبحانه: {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ} : "(مَنْ) موصولةٌ، صلتُها (هو قائم) والموصولُ مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُه محذوفٌ تقديرُه: كمَنْ ليس كذلك مِنْ شركائِهم التي لا تَضُرُّ ولا تنفع، ودلَّ على هذا المحذوفِ قولُه {وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ} ونحوُه قولُه تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} [الزمر: 22] تقديره: كَمَنْ قَسا قلبُه، يَدُلُّ عليه قوله سبحانه:{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 22] وإنما حَسَّن حَذْفَه كونُ الخبرِ مقابلاً للمبتدأ"[(2)].

11. **حذف القسم**: يقول سبحانه: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب: 60] أي: تالله لئن لم ينته، وقوله: {وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف: 32] أي: والله لئن لم يفعل، فحذف القسم في الموضعين، غير أنه من قبيل حذف الجملة، يقول الحق سبحانه: { وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} [النساء: 72] يقول الإمام: "{وَإِنَّ مِنْكُمْ} نزلت في المنافقين المتثاقلين عن الخروج المتربّصين بالمؤمنين.{لَمَنْ} اللام هي التي في قولك: إنّه ليفعل، وإنّه لفاعل، فلمّا قام الاسم مقام الخبر اكتسى بتلك اللام. واللام في {لَيُبَطِّئَنَّ} لام القسم، فكأنّه قال: وإنّ منكم لمن واللهِ"[(3)]. ويستخلص مما سبق أن من دواعي الإيجاز: الاختصار– تحصيل المعنى باللّفظ اليسير– تقريب الفهم–

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1029)

(2) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج7/ 55)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 504)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تسهيل الحفظ- ضيق المقام- الضجر والسآمة- إخفاء الأمر على غير السامع- التخفيف لدلالة الحال- التعظيم- التنبيه - متابعة الاستعمال والإخبار عما هو أعظم- التقرير للغرض.

2- الإطناب:

الإطناب في اللغة

مصدر أطنب، يقال: أطنب في كلامه، إذا بالغ فيه وطول ذيوله، "أطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد؛ وأطنب في عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة، وفرس في ظهره طنب أي طول. ومنه أطنب في الكلام إذا أبعد"(1).

الإطناب في الاصطلاح:

عرض الجاحظ للإطناب بقوله: "وقد بقيت- أبقاك الله تعالى- أبواب توجب الإطالة، وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية، وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقلّ مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة"(2)، فالإطناب والإطالة في رأي الجاحظ مترادفان ومقابلان للإيجاز، وهما عنده: كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية، ويشير أبو هلال العسكري إلى الإطناب في معرض كلامه عن الحاجة إلى الإيجاز والإطناب بقوله: "والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه؛ ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ. وأبو هلال في هذا متأثر بأقوال السابقين في البلاغة كقولهم: "البلاغة الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل"(3)، أما ابن الأثير فيقول: "وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال: أطنبت الريح؛ إذا اشتدّت في هبوبها، وأطنب في السير؛ إذا اشتد فيه، وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني. فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة؛ فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، ثم لبيان التكرير الذي يدخل في باب الإطناب،

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج1/ 562)

(2) الجاحظ، الحيوان (ج6/ 322)

(3) العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص 190)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتكرير الذي يخرج من باب الإطناب ويدخل في باب التطويل"[1]. يفرق الإمام بين الإطناب والإيجاز بقوله في تفسير الآية الكريمة: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ} [البقرة: 33] "أي: قلت لكم، كقوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى} [الأعراف:172] ، فإن قيل: ثم متى قال لهم: {إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [البقرة: 33] قلنا: هذا الإطناب في إيجاز قوله: {إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ} [البقرة:30]،{غَيْبَ السَّماواتِ} مكنوناتها"[2]. وفي قول الحق سبحانه: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم: 4] أراد زكريا –عليه السلام– أن يخبر بكبره وتقدم سنه، فجعل الألفاظ زائدة على المعاني لفائدة، وهي إظهار ضعفه وتأكيد الوهن؛ لأنه لو قال: رب إني قد كبرت لأفاد ذلك الإخبار بتقدم العمر فقط، دون ظهور الضعف، إذ قد يكون مع تقدم سنه قويًّا نشيطًا، ومن ذلك قول الله سبحانه: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } [طه: 17- 18] فقد كان يكفي في الجواب أن يقول موسى –عليه السلام: عصا، ولكنه أطنب وفصّل، فأضاف العصا إليه وذكر وظائفها بعضها مفصلًا: {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي}، وبعضها مجملًا: {وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}[3].

أقسام الزيادة: ينقسم الزائد على أصل المراد إلى ثلاثة أقسام:

1 . **الإطناب:** وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر منه لغرض مّا.

2 . **التطويل:** وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة في الكلام غير متعيّنة أي ألا يتعين الزائدة في الكلام[4].

3 – **الحشو:** وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة متعيّنة في الكلام غير مفسدة للمعنى[5]، والحشو الحسن في قوله سبحانه: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [آل عمران: 21] فإنه لم يقتل قط نبي بحق،

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج2/ 120)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 133)

(3) البلاغة 2 – المعاني – جامعة المدينة (ص 510)

(4) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 175) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 201) والرفاعي، أساليب بلاغية (ص 204)

(5) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 178) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج2/ 328)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما أتى بهذه الحشوة ليتأكد قبح قتل الأنبياء، ويعظم أمره في قلب العازم عليه، والتكرار في {ويقتلون الذين} تأكيدًا لقبح ذلك الفعل، والزيادة في فبشرهم زاد الفاء إيذانًا بأن الموصول ضمن معنى الشرط(1).

أقسام الإطناب:

1 . ذكر الخاص بعد العام:

يوضح الإمام الفائدة من الإطناب في الآية الكريمة: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]: بقوله: "{حافِظُوا} الآيتان عارضتان في أثناء الأحكام للأزواج من حيث التّلاوة والكتابة، واتّصالهما بما قبلهما من حيث قوله: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 110] إذ هو يقتضي المحافظة على الصلاة وغيرها. والمحافظة محافظة الأحوال على إقامتها، وهي مفاعلة من الحفظ، وهو ضدّ التّضييع، وقيل: المحافظة المواظبة، فلذلك عدّاها بـ (على)، وقيل: صلاة الوسطى غير داخلة في {الصَّلَواتِ} لأنّها عطف عليها، وقيل: دخلت فيها إلا أنه ذكرها ثانيًا تشريفًا لها"(2).

2 . ذكر العام بعد الخاص:

يقول الحق سبحانه: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: 28] وفي قوله سبحانه أيضًا: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 29] " إن كل ما يضمره العبد ويخفيه أو يظهره ويبديه فهو معلوم لله سبحانه لا يخفى عليه منه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة ويعلم ما في السموات وما في الأرض مما هو أعم من الأمور التي يخفونها أو يبدونها فلا يخفى عليه ما هو أخص من ذلك {والله على كل شيء قدير} فيكون قادرًا على عقوبتكم"(3)، ويقول سبحانه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 151] ، "وقوله: {وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} بعد قوله: {وَيُعَلِّمُكُمُ الكتاب والحكمة} مِنْ بابِ ذكرِ العامِّ بعد

---

(1) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج3/ 79)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 335)

(3) القِنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج2/ 217)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصِّ وهو قليلٌ بخلافِ عكسِه"[1]، يقول الإمام: "أي: ما لا تعلمون، يعني: علم الأوّلين وشرائع الدّين، وقد تضمّنه قوله: {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} إلا أنّه أتى بلفظين مختلفين تأكيدًا"[2].

3 . الإيضاح بعد الإبهام:

يبين أهل البيان: إذا أردت أن تبهم ثم توضح فإنك تطنب؛ وفائدته إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام والإيضاح أو لتمكن المعنى في النفس تمكنا زائدًا لوقوعه بعد الطلب فإنه أعز من المنساق بلا تعب أو لتكمل لذة العلم به فإن الشيء إذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتألمت فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة، ومن أمثلته: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} **[طه: 25]** فإن {اشرح} يفيد طلب شرح شيء ما و{صدري} يفيد تفسيره وبيانه وكذلك {ويسر لي أمري} والمقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي الشدائد وكذلك: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} **[الشرح: 1]** فإن المقام يقتضي التأكيد؛ لأنه مقام امتنان وتفخيم وكذلك: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} **[الحجر: 66]** ، يقول الإمام: "{وَقَضَيْنا} أوحينا، {ذلِكَ الْأَمْرَ} الشأن والقصة،{أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ} برحمة للأمر المقضيّ، {مُصْبِحِينَ} أي: حالة إصباحهم"[3].

"وفي قوله سبحانه: {وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين} موضع (أن) نصب، وهو بدل من قوله: {وقضينا إليه ذلك الأمر} ثم فسر ما الأمر، فالمعنى وقضينا إليه {أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين}، (مصبحين) منصوب على الحال"[4].

4 . التكرير (التكرار):

يقول ابن الأثير: "وأما التكرير فإنه: دلالة على المعنى مردّدًا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع؛ فإن المعنى مردّد واللفظ واحد، وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مرددًا فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة؛ فأما الذي يأتي لفائدة، فإنه جزء من الإطناب وهو أخص

---

(1) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج2/ 184)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 320)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 176)

(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 182)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه؛ فيقال حينئذ: إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب وليس كل إطناب تكريرًا يأتي لفائدة"[1].

وهو ذكر الجملة أو الكلمة مرّتين أو ثلاث مرّات فصاعدًا، لأغراض:

أ – **للتأكيد**: كقوله سبحانه: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} **[التكاثر: 3= 4]**، يقول الحق سبحانه: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} **[البقرة: 47]** {يا بَنِي إِسْرائِيلَ اُذْكُرُوا} يقول الإمام: "للإطناب والتأكيد"[2] **فإن قيل: فلم كرر** {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} **[الرحمن: 13- 77]**، و {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} **[القمر: 16]** والجواب أن مذهب العرب: التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم: الاختصار للتخفيف[3].

ب – **للاستيعاب**: يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} **[النساء: 1]** يذكر الإمام:"{وَاتَّقُوا اللهَ} للتّكرار، كما في قوله: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} **[المدّثر:19 - 20]**، وقوله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى۝ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} **[القيامة:34 - 35]**"[4].

ج – **لزيادة الترغيب في شيء**: كالعفو في قوله سبحانه: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } **[التغابن: 14]**، يذكر الإمام خبرًا مرويًا عن ابن عباس في تفسير الآية الكريمة: "عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أنّ رجلًا سأله عن قوله: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ} قال: هؤلاء رجال من أهل مكّة أرادوا أن يأتوا النّبيّ عليه السّلام، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا أتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأوا النّاس قد فقهوا في الدّين، فهمّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله الآية"[5].

د – **لاستمالة المخاطب**: كقوله سبحانه: { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ۝ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} **[غافر: 38- 39]** بتكرير (يا قوم)،

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج2/ 120)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 148)
(3) ينظر: القيسي االقيرواني، الهداية الى بلوغ النهاية (ج4/2462– 2463)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 462)
(5) المصدر السابق (ج2/ 641)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الحق سبحانه: {قل يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون: 1 - 6] يقول الإمام: "التّكرار يجوز على ما سبق، ويجوز أن يكون بعضها نفي العزيمة، وبعضها نفي الحال، وبعضها الحكم بالنّفي في المستقبل من الزّمان، عن فروة بن نوفل، عن أبيه: أنّ النّبيّ عليه السّلام قال لنوفل: "اقرأ {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ} إلى خاتمتها، فإنّها براءة من الشّرك، وعن عبد الرّحمن بن نوفل، عن أبيه قال: قلت لرسول الله: إنّي حديث [عهد] بشرك، فما يبرّئني من الشّرك؟ قال: {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ} قال: فما أخطأها ليلة حتى مات"[1].

هـ – **للتمهيد** :إن التكرار الوارد في سورة " الرحمن " هو أكثر صور التكرار الوارد في القرآن على الإطلاق، والتكرار في هذا الموضع قد مهد له تمهيدًا رائعًا، حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل، وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة " الميزان " ثلاث مرات متتابعة دونما نبو أو ملل: يقول الحق سبحانه: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن: 7 - 9] ، وهذا التمهيد قد أشاع لحنًا موسيقيًا عذبًا كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلاؤم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجومًا؛ لأن القرآن قد راعى في فواصل المقدمة التمهيدية وما انبنت عليه فواصل الآية المكررة[2]، يذكر الإمام: "عن جابر بن عبد الله: أنّ النّبيّ عليه السّلام خرج على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرّحمن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: "لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ، فكانوا أحسن مردودًا منكم، كلّما أتيت على قوله: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} [الرحمن:73 وغيرها]، قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب، فلك الحمد"[3].

و – **للحث والإنذار**: يبين الإمام فائدة التكرار في قوله:{وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [البقرة:93] بقوله: "وفائدة التّكرار تجديد الحثّ والإنذار"[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1630)

ينظر الحديث: الترمذي في السنن (ج5/474/3403)

(2) ينظر: المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج1/ 329)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 611)

والحديث أخرجه الترمذي في السنن (ج5/399/3291)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 199)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ز – **للتهويل بالتكرير**: كقوله سبحانه: {**الْحَاقَّةُ۝ مَا الْحَاقَّةُ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ** } **[الحاقة: 1 -4]** ويتحدث الإمام عما أسماه تكرار المعنى المزعج كما في سورة هود: "تكرار لفظة (بعد) أي: هلك، وفي سورة الواقعة: تكرار (أنتم) ، أو(نحن)، وفي سورة المرسلات: تكرار لفظة (ويل)، وفي سورة عمّ يتساءلون: تكرار لفظة (وكان)، و (كانت)، وفي سورة التكوير: تكرار لفظة (إذا) على سبيل الوعيد"[1].

يورد الإمام أمثلة متتالية لنظائر التكرار بقوله: "ونظائر التّكرار قوله في الرحمن: {**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**} **[الرحمن:13]** وقوله في القمر: {**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**} **[القمر:17]**، وقوله في المرسلات: {**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**}**[المرسلات:15]**، وقوله: {**أَوْلى لَكَ فَأَوْلى۝ ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى**} **[القيامة:34 - 35]**، وقوله: {**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**} **[الشرح:5 - 6]**۝ وقوله: {**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**} **[التكاثر:3 - 4]** **وقوله: {لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ} [الكافرون:2]**" [2].

5 – الاعتراض:

سماه قدامة التفاتًا وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام كقوله: {**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**} **[النحل: 57]** فقوله: {سبحانه} اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها وقوله: {**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**} **[الفتح: 27]** فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك[3]، وتأتي{سبحانه} للتنزيه كما يبين الإمام: "{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ} عن ابن عباس: أنّ بني خزاعة وبني كنانة، كانوا يزعمون أنّ الملائكة إناث، فإنهم بنات الله، تعالى عما يقولون" [4]. فالاعتراض بأن يؤتى في أثناء الكلام بجملة لبيان غرض من الأغراض، يقول الحق سبحانه: {**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**} **[البقرة: 24]** يقول الإمام: "{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} شرط، وجوابه {فَاتَّقُوا،} وقوله: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} عارض دخل بين الشرط والجواب، و (لم) حرف نفي في الماضي جازم، و(لن) نفي في المستقبل ناصب، معناه: إن لم تأتوا بمثله ولن تأتوا أبدا فاتّقوا النار التي تحذرون عنها بترك

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 95)

(2) المصدر السابق (ج1/ 148– 149)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 253– 254)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 187)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موجبها وهو الرّيب والتكذيب على ما سبق"[1]، وللمبالغة في التأكيد قوله سبحانه: {وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} **[لقمان: 14]**، يوضح الإمام:" {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ} نزلت في شأن سعد بن أبي وقّاص، وحسن كونه عارضًا في أثناء الكلام من ثلاثة أوجه: أحدها: اعتبار ما يجري بين لقمان الوالد وولده، والثاني: اعتبار النهي عن الشكّ، والثالث: الأمر بالشكر الذي هو حكمة لقمان، وإنّما لم يكن للوالدين إلا حق المصاحبة في الدنيا بمعروف؛ لأنّ الولد ليس يفزع للوالدين إلا على حكم المشاهدة فأمّا في المعقول: فكلّ مخلوق مفرد بالإنشاء، يقول الله تعالى:{فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ} **[المؤمنون:101]**"[2]، في الآية تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما، فاعترض بقوله: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ وبين {ووصّينا}، وبين الموصي به، وذلك لتذكير الولد بما كابدته أمه من المشقة، في حمله وفصاله، فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم، لتحملها من المشاق في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد[3].

6- الايغال:

سمي به لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد يقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل كقوله سبحانه: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} **[المائدة: 50]** فإن الكلام تم بقوله: {ومن أحسن من الله حكمًا} ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنًى زائدًا[4]، فهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ورد بأنه وقع في القرآن من ذلك قوله: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ۝ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} **[يس: 20- 21]** فقوله: {وهم مهتدون} لأنه يتم المعنى بدونه إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه"[5]، فالإيغال حيث يختم الكلام بما يفيد نكتة يتم بدونها المعنى، كقوله سبحانه:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 122)

(2) المصدر السابق (ج2/441- 442)

(3) ينظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج3/ 27)

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج1/ 96)

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/249- 250)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: 212]، يفسر الإمام بغير حساب بإيراد احتمالات: "بغير مناقشة في حسابه مثل نعمة سليمان وقيل: بغير أن يكون عليه حساب، يعني: نعيم الآخرة. وقيل: ما لا يحصيه كلّ أحد لكثرته، يعني: نعيم الآخرة أيضًا"[1]، ويقول الإمام أيضًا: "فصنف يدخلون الجنّة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيرًا، وصنف تصيبهم شدائد وزلازل وأهوال، ثمّ يصيرون إلى الجنّة"[2]، ويذكر الإمام في موضع آخر: " عن أسماء بنت يزيد[3]، عنه عليه السّلام قال: "يحشر الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ثمّ يقوم مناد ينادي: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، فيقولون: أين الذين يحمدون الله في السرّاء والضرّاء؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ يقوم فينادى: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ ينادى: أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون، وهم قليل، فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ يؤمر بسائر الناس فيحاسبون"[4].

7 . التذييل:

الذيل: آخر كل شيء. وذيل الثوب والإزار: ما جر منه إذا أسبل. والذيل: ذيل الإزار من الرداء، وهو ما أسبل منه فأصاب الأرض، وذيل المرأة لكل ثوب تلبسه إذا جرته على الأرض من خلفها[5]، و"مصدر [ذيل] للمبالغة وهي لغة جعل الشيء ذيلا للآخر. واصطلاحًا أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه"[6]، وهو تفعيل من قولهم ذيّل كلامه إذا عقّبه بكلام بعد كمال غرضه منه، فأما معناه في اصطلاح علماء البلاغة فهو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه فهذان وجهان، الوجه الأول أن يكون سوقه من أجل تأكيد منطوق الكلام، ومثاله قوله سبحانه: **{ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 310)

(2) المصدر السابق (ج2/ 492)

(3) أمّ سلمة أسماء بنت يزيد بن السّكن الأشهلية الأنصارية، بايعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشهدت اليرموك، وعاشت بعد ذلك دهرًا، ينظر: القضاعي، تهذيب الكمال (35/ 128)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 446)

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج11/ 260)

(6) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 68)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ}[سبأ: 17] ؛ لأن حاصل قوله سبحانه: {ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا} ظاهره وصريحه يدلان على أن الوجه في استحقاقهم لما استحقوه من نزول العذاب، إنما كان من أجل كفرهم لأن قوله: {بِما كَفَرُوا} تعليل للجزاء من أجل الكفر، فقوله بعده {وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ} تقرير وتأكيد لما سبق من الجملة الأولى وتحقيق لها، لأنه دال عليها ومحقق لفائدتها (1).

يقول الحق سبحانه: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118] في التذييل في الآية الكريمة {فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} تمكين المعنى المسوق إليه، فإن قوله سبحانه: { وإن تغفر لهم} يوهم أن الفاصلة { الغفور الرحيم} لكنها جاءت كذلك؛ لأن الله سبحانه لا يغفر لمن يستحق العذاب، لأن العزيز في صفات الله هو الغالب، يبين الإمام: "{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ} قول عيسى عليه السّلام، إرجاء منه الأمر إلى الله، وترك للتّحكّم والتّألّي عليه كما قال نوح: {وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ} الآية [هود:31]، وقال إبراهيم: {فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى} [إبراهيم:36]، وإنّما قال: {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ليبيّن أنّ مغفرته لم تقع عن جهل ولا عجز، ولكنّه يغفر مع القدرة على الانتقام، حكيم فيما فعل، وقيل: إنّما وصف بالعزيز الحكيم دون الغفور الرّحيم ليبيّن أنّه غير متشفّع لهم" (2).

8- الاحتراس:

أن يكون الكلام محتملًا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال، كقوله سبحانه: {اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } [القصص: 32] ، فاحترس سبحانه بقوله: {من غير سوء} عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص، وقوله سبحانه: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِ} [المائدة: 54] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل: {أعزة على الكافرين} علم أنها منهم تواضع ولهذا عدي الذل بعلى لتضمنه معنى العطف، وكذلك قوله سبحانه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29] وقوله سبحانه: {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 18]، فقوله {وهم لا يشعرون} احتراس بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا بها(3).

---

(1) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 61)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 596- 597)
(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/64- 65)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يأتي الإمام عبد القاهر الجرجاني على مسميات البلاغة ومصطلحاتها التي حددت لاحقًا، لكنه يقترب بتفسيره وتوضيحه كثيرًا، أو يكاد يشرحها، وحتى في اختياره الآية فهي تناسب الوجه البلاغي والدلالة الإعجازية، يقول: "{وادِ النَّمْلِ} كان معروفًا في ذلك الزمان، أو ذكره معروفًا فيما بين العرب؛ لأنّ الله تعالى سلّط النمل على كثير من الأمم، فجلاهم عن ديارهم، وإنّما خاطبت خطاب [العقلاء] لتكليفها إياهن تكليف العقلاء.(مساكنهم): قراهنّ وحجرهنّ، {لا يَحْطِمَنَّكُمْ} لا يكسّرنّكم، {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} تمهيد لعذر سليمان وجنوده، أو تحقيق للإنذار كي لا تقول واحدة: لا تظلمنا، وهو نهر، أو تقبيح لتركهنّ الحذر" [1].

9 . التتميم:

أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازًا أو احتياطًا وقيل هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحًا كقوله سبحانه: **{يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } [الإنسان: 8]** ، فالتتميم في قوله: {على حبه} جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه. ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا فربما يتوهم متوهم لو لم تكن هذه الكلمة موجودة أنهم يطعمون مما لا يحبون لأنهم يطعمون مع حبهم واشتهائهم لهذا الطعام، وهذا عندهم يسمى أيضًا الاحتراس والاحتياط، فتمم بقوله" على حبه" [2]. وكذلك قوله: **{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} [البقرة: 177]**، يقول الحق سبحانه: **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه: 112]** ، ومثله قوله سبحانه: **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا } [النساء: 124]**، وقوله سبحانه :{وهو مؤمن} في الآيتين تتميم في غاية الحسن[3]، يذكر الإمام أن: "اشتراط الإيمان يدلّ على أنّ غير المؤمن قد يعمل صالحًا، وذلك ما يحمد في العقل كالسّخاء والوفاء وصلة الأرحام والصّدق، وإنّما شرط الإيمان؛ لأنّ الجنّة حرام على غير المؤمن، وقد أحبط عمله بكفره وابتغائه غير وجه الله ومنّه على من أنعم عليه"[4]، والذي ذكره الإمام يدلل على أن الكلام لم يتم معناه إلا بعباره {وهو مؤمن} على اعتبار أنها شرط لدخول الجنة.

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/402– 403)

(2) ينظر: القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن (ج2/ 242)

(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 70)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 634)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- الاستقصاء:

يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالًا كقوله سبحانه: {**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**} [**البقرة: 266**] فإنه سبحانه لو اقتصر على قوله "جنة" لكان كافيًا فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها: {من نخيل وأعناب} فإن مصاب صاحبها بها أعظم ثم زاد: {تجري من تحتها الأنهار} متممًا لوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال: {له فيها من كل الثمرات} فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها ثم قال في وصف صاحبها: {وأصابه الكبر} ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر {وله ذرية} ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت حيث قال: {فأصابها إعصار} ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل سرعة الهلاك فقال: {فيه نار} ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله: {فاحترقت} فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله(1)، ويستقصي الإمام موجزًا بقوله: "{فَأَصَابَهَا} عطف على قوله: {أَنْ تَكُونَ} لأنّه بمنزلة: لو كانت، يقال: وددت أن يكون كذا، وودت أن لو كان كذا،(الإعصار) من النكباء، وفي المثل: إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا، يضرب لمن يعتقد قدرة في نفسه فيبتلى بمن فوقه"(2).

إن الفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم والتكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصي لوازمه وعوارضه، وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لأحد فيه مساغ(3).

---

(1) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/252- 253)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 362)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 253)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11- التعليل:

فائدته التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وحروفه اللام وإن وأن وإذ والباء وكي ومن ولعل وقد مضت أمثلتها في نوع الأدوات ومما يقتضي التعليل لفظ "الحكمة" كقوله: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} [القمر: 5] وذكر الغاية من الخلق نحو قوله: {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [البقرة: 22] {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: 6-7] [(1)]، وذكر الإمام التعليل في أكثر من موضع: "{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [آل عمران: 24] {بِأَنَّهُمْ قَالُوا} تعليل لجرأتهم بقولهم الذي اختلفوا فيه ثمّ اعتقدوه، {وَغَرَّهُمْ} خدعهم"[(2)]، وفي قوله سبحانه:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39] "{بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} تعليل وتسبيب للإباحة، وذلك لأنّ أهل مكة كانوا يستضعفون المؤمنين، وينالون منهم، وهم يستأذنون في القتال"[(3)]، وقوله سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} [الممتحنة: 1] "{أَنْ تُؤْمِنُوا} تعليل لإخراجهم"[(4)].

أما في قوله سبحانه: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [يوسف: 37]، {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} وهو كلام مستأنف يتضمن التعليل لما قبله والمراد بالترك هو عدم التلبس بذلك من الأصل وعدم الالتفات إليه بالكلية لا أنه قد كان تلبس به ثم تركه كما يدل عليه قوله: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ} [يوسف: 38] ثم وصف هؤلاء القوم بما يدل على تصلبهم في الكفر وتهالكهم عليه فقال: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} أي هم يختصون بذلك دون غيرهم لإفراطهم في الكفر بالله[(5)].

---

(1) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 255)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 474)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 340)

(4) المصدر السابق (ج2/ 633)

(5) ينظر: القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج6/ 336)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- المساواة:

المساواة في اللغة:

هي أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى بحيث لا يزيد منه ولا ينقص عنه(1).

المساواة في الاصطلاح:

التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساو له لفائدة، بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر، حتى لو نقص اللفظ تطرق الخرم إلى المعنى بمقدار ذلك النقصان، وهي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليها يشير القائل كأن ألفاظه قوالب معانيه، كقوله سبحانه: **{فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} [فاطر: 39]**، **{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: 21]** ، وكقوله سبحانه: **{مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 236]** **[البقرة: 236]** (2)، يساوي ويوازن الإمام ما بين الألفاظ ودلالاتها في تفسيره فيقول:"{الْمُوسِعِ} ذو السّعة. والسّعة في المعيشة، و{الْمُقْتِرِ} الذي ضاقت معيشته، والقدر والقدر لغتان، وهو الحدّ، فقدر الشيء: تقديره، إمّا حدّ ذاته وإمّا حدّ شأنه وإمّا حدّ ما يستحقّه من الذّكر، ويقتضي نوع تدبّر ممّن يحدّ.{مَتاعًا} نصب على المصدر، أي: متّعوهنّ متاعًا. و{حَقًّا} نصب على إضمار: حكمنا، أو قلنا، أو أخبرنا حكمًا أو قولًا أو خبرًا حقًّا، قاله الفرّاء ، وقال: الحقّ والباطل في الأحكام دون الأسماء، وإنّما خصّ {الْمُحْسِنِينَ} تشريفًا لهم، كقوله: **{وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}** **[البقرة:66]** " (3).

المساواة هي إحدى الطرق الثلاث التي يلجأ إليها البليغ للتعبير عن كل ما يجول بنفسه من خواطر وأفكار، فالبليغ على حسب مقتضيات الأحوال والمقامات قد يسلك في أداء معانيه تارة طريق الإيجاز، وتارة طريق الإطناب، وتارة طريقًا وسطًا هو طريق المساواة، وإذا كان الإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح، وإذا كان الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فإن المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، فالمساواة، كما يقول أبو هلال العسكري، هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه؛

---

(1) ينظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص856-857)

(2) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 190)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 334)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي لا يزيد بعضها على بعض(1). " المساواة جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسًا عليه ولنسمه متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم"(2)، فقد وجب القطع بأن المساواة لا تقع في الكلام البليغ، إن تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له؛ بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها عن بعض ولا ينقص، وقد اتخذوا من متعارف الأوساط مقياسًا يقيسون عليه الكلام، فالكلام إذا قل عن متعارف الأوساط كان إيجازًا، وإذا زاد عنه كان إطنابًا، وإذا جاء على حد متعارف الأوساط فهو المساواة، وهو في باب البلاغة لا يُحمد ولا يُذم، واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا وهي داخلة في قسم الإيجاز، فالسكاكي وجماعة على الأول لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقًا بالبسط وابن الأثير وجماعة على الثاني فقالوا الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والإطناب بلفظ أزيد، وقال القزويني: الأقرب أن يقال إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله إما بلفظ مساو للأصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة والأول المساواة والثاني الإيجاز والثالث الإطناب(3)، وهو أن المساواة لا تكاد توجد خصوصًا في القرآن وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى: {ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله} وفي الإيضاح بقوله: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا } [الأنعام: 68]** واعلم أن قوله سبحانه: **{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43]** قد جعل في علم المعاني مثالًا للكلام الجاري على أسلوب المساواة دون إيجاز ولا إطناب(4)، المساواة هي الأصل في تأدية المعنى المراد، فلا تحتاج إلى علّة، واللازم الإتيان بها حيث لا توجد دواعي للايجاز والإطناب، وهي على قسمين:

1 ـ **المساواة مع رعاية الاختصار**: وذلك بتأدية المراد في ألفاظ قليلة الأحرف كثيرة المعنى، نحو قوله تعالى: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]**.

2 ـ **المساواة من دون اختصار**: وذلك بتأدية المعنى المراد بلا رعاية الاختصار، نحو قوله سبحانه: **{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } [الطور: 21]** وقوله سبحانه: **{مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ**

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ص 202)

(2) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 276)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 179)

(4) المصدر السابق (ج3/ 180)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 110]، يقول الإمام: "تقديم الشيء جعله قبل الآخر، والمراد به إسلاف الخير والشرّ قبل الموت والانتقال إلى حكم الآخرة، {تَجِدُوهُ} أي: تجدوا ثوابه {عِنْدَ اللهِ}"(1). وأما أمثلة المساواة قول زهير:

ومَهمَا يَكُنْ عندَ امرئٍ من خليقةٍ ولو خالَها تُخفى على الناسِ تعلم(2)

فالمساواة عبارة عن تأدية المقصود بمقدار معناه من غير زيادة فيه ولا نقصان عنه، ثم إنها جارية على وجهين، أحدهما أن يكون مساواة مع الاختصار، وهذا نحو أن يتحرى البليغ في تأدية معنى كلامه أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف، والكثيرة المعاني، التي يتعسر تحصيلها على من دونه في البلاغة، ومن هذا قوله تعالى: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]** وقوله تعالى: **{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: 17]** فهذه أحرف قليلة تحتها فوائد غزيرة، ونكت كثيرة، فهذا نوع من المساواة(3)، فهي بأن تكون الألفاظ بإزاء المعاني في القلة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض، وقد مثل له العسكريّ بقوله تعالى: **{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: 72]** وقوله: **{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]** (4)، يقول الإمام:"{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} أي: يحبّون أن تكفّ عن ذكر آلهتهم وكفرهم، فيكفّوا عنك"(5)، فهي أن يؤدى المعنى المراد بعبارة مساوية له، لا تنقص عنه، ولا تزيد – حذوك النعل بالنعل– ويعرف ذلك: بأن تكون العبارة على الحد الذي جرى به عرف أوساط الناس في محاوراتهم، وهم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلاغة، ولم ينحطوا إلى درجة الفهامة، فهؤلاء هم الذين يؤدون المعنى بعبارة، يدل كل جزء منها على معناه بالمطابقة، كما في قوله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} ، وكقوله تعالى: **{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: 68]** (6).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 270)
(2) ينظر: الخفاجي، سر الفصاحة (ص 218)
(3) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 179)
(4) ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (ج2/ 361)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 655)
(6) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة (ج2/ 130)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع: الفصل والوصل

الفصل والوصل في اللغة والاصطلاح:

إن "مدلول الفصل والوصل وجد في علم الخط العربي والنحو وعلم القراءات بالإضافة إلى وجوده في البلاغة، وقد تختلف المسميات ولكنها في النهاية تعني بالفصل: القطع سواء في رسم اللفظ أو في المعنى، وتعني بالوصل: الربط سواء بين حروف اللفظ أو بين الألفاظ أو بين معنى ومعنى آخر"[1]، وهذه المعاني تكتسب وجودها من السياق ومقتضى الحال لا من دلالة اللفظ المعجمية؛ وإنما يكون معنى الحروف بالوظيفة التي تقوم بها، ومن هنا كانت عمليّة العدول بين هذه الأحرف ذات دلالة بالغة، وكذلك عمليّة التناوب بينها.يعدّ (الفصل و الوصل) من مظاهر اتّساق النصّ و انسجامه في اعتماده على الأدوات الرابطة التي يطلق عليها (حروف المعاني)، والتي تجاوز بها البلاغيون الوظيفة النحويّة إلى ما وراء ذلك فاتصلت بالمقام والسياق ومقتضى الحال؛ وذلك من خلال الربط بين الجمل والمفردات، ولم يقتصر الأمر على حروف العطف وحدها، بل إنّ ابن الأثير والعلوي قد مدّا هذا المبحث إلى الحروف الجارّة باعتبار قدرتها على وصل الكلام وأنّ لها معان تخرج بها عن عملها النحوي، "والوصل، وهو دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعًا له، ومفتقرًا إليه، وقاعدته العظمى حروف العطف، وينعطف عليها حروف الجر، وتكون تابعة لها "[2].

يقول القزويني: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر، صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكنهه، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه؛ لأن الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وأن أحدًا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه"[3].

---

(1) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم (ص 13)

(2) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/ 20)

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 97)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنى البلاغيون بالحديث عن الواو، التي تذكر فتصل الجملة بأختها، أو تترك فتدع الجملتين منفصلتين، وغالوا في تقدير معرفة الموضع الذى تصلح فيه الواو، والموضع الذى لا تصلح فيه، حتى قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل والوصل، "ومما ينخرط في سلك هذا الفن أنهم ربما أجابوا المستخبر عن الشيء بلا النافية ثم عقبوها بالدعاء له، فيستحيل الكلام إلى الدعاء عليه، كما روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى رجلًا بيده ثوب، فقال له: أتبيع هذا الثوب فقال: لا عافاك الله، فقال: لقد علمتم لو تتعلمون هلا قلت: لا وعافاك الله"(1). يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز:" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل"، ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة"(2).

أنواع العطف:

العطف على نوعين، عطف مفرد على مفرد، وعطف جملة على جملة، فأما عطف المفرد على المفرد فيستفاد منه مشاركة الثاني للأول في الإعراب في رفعه ونصبه وجره، بالفاعلية، أو بالمفعولية، أو بالإضافة وحروف الجر، فأما الصفات فالأكثر أنه لا يعطف بعضها على بعض كقولك: مررت بزيد الكريم العاقل الفاضل، وإنما قل العطف فيها؛ لأن الصفة جارية مجرى الموصوف، ولهذا فإنه يمتنع عطفها على موصوفها فلا يجوز أن تقول: جاءني زيد والكريم، على أن الكريم هو زيد، لاستحالة عطف الشيء على نفسه، ويجوز عطف بعضها على بعض باعتبار المعاني الدالة عليها، فلهذا تقول: مررت بزيد الكريم، والعاقل، والعالم، فأما الأوصاف الجارية على الله تعالى فقلما يأتي فيها العطف، وما ذاك إلا لأنها أسماء دالة على الذات باعتبار هذه الخصائص لها، ووافقت الذات في عدم الأولية لها، فلأجل هذا جرت مجرى الأسماء المترادفة كقوله تعالى: **{هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ}[الحشر: 22]** ثم قال: **{الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} [الحشر: 23] {الْخالِقُ الْبارِئُ**

---

(1) أبو محمد الحريري البصري، درة الغواص في أوهام الخواص (ص 30)

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 222)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمُصَوِّرُ}[الحشر: 24] وقال: {غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ}[غافر: 3] فجاء بها على جهة التعديد من دون الواو، وإنما جاءت معطوفة في قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: 3] ؛ لأنها متضادة المعاني في أصل موضوعها، فلهذا جاءت الواو رافعة لتوهم من يستبعد ذلك في ذات واحدة[1].

إن أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها؛ أما حروف العطف في القرآن الكريم في مواضعها فنحو قوله تعالى: {وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ۝ وَالَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء: 79 - 81] فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع، وتقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم، ثم عطف الثاني بالفاء؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثم عطف الثالث بثم؛ لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان، ولهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي، ولو قال قائل في موضع هذه الآية الذي يطعمني ويسقين ويمرضني ويشفين ويميتني ويحيين لكان للكلام معنى تام إلا أنه لا يكون كمعنى الآية؛ إذ كل شيء منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه. ومما جاء قوله سبحانه: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ۝ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ۝ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ } [عبس: 17 - 21].

أما في قول الحق سبحانه: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم: 22- 23] يقول ابن الأثير: "وفي هذه الآية دليل على أنه حملها به ووضعها إياه كانا متقاربين؛ لأنه عطف الحمل والانتباذ إلى المكان الذي مضت إليه والمخاض الذي هو الطّلق بالفاء، وهي للفور، ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة، ألا ترى أنه قد جاء في قوله: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ۝ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ } [عبس: 17 - 20] فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه منه مدّة متراخية عطف ذلك بثم، وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام، فإنها عطفت بالفاء"[2].

إن من خَصَائِص لُغَة الْعَرَب إِلْحَاق الْوَاو فِي الثَّامِن من الْعدَد، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآن: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 112] وكما في قوله سُبْحَانَهُ: {سيَقُولُونَ

---

(1) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/20– 21)

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج2/46– 47)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف: 22]، وفي قوله سبحانه أيضًا: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [التحريم: 5]، وَمن ذَلِك أَنه جلّ اسْمه لما ذكر أَبْوَاب جَهَنَّم ذكرهَا بِغَيْر وَاو، لِأَنَّهَا سَبْعَة، فَقَالَ: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 71] ، وَلما ذكر أَبْوَاب الْجنَّة ألحق بهَا الْوَاو لكَونهَا ثَمَانِيَة، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] وَتسَمى هَذِه الْوَاو وَاو الثَّمَانِية[(1)]،"وذلك من عادة قريش أنهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية، فإذا بلغوا السبعة قالوا وثمانية" [(2)].

رد ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: "وَاو الثَّمَانِية ذكرهَا جمَاعَة من الأدباء كالحريري وَمن النَّحْويين الضُّعَفَاء كَابْن خالويه وَمن الْمُفَسّرين كالثَّعْلَبِيِّ وَزَعَمُوا أَن الْعَرَب إِذا عدوا قَالُوا سِتَّة سَبْعَة وَثَمَانِية إيذانًا بِأَن السَّبْعَة عدد تَامّ وَأَن مَا بعْدهَا عدد مُسْتَأْنف وَاسْتَدَلُّوا على ذَلِك بآيَات، إِحْدَاهَا {سيقولون ثَلَاثَة رابعهم كلبهم} إِلَى قَوْله سُبْحَانَهُ {سَبْعَة وثامنهم كلبهم}، وَقيل هِيَ فِي ذَلِك لعطف جملَة على جملَة إِذْ التَّقْدِير هم سَبْعَة ثمَّ قيل الْجَمِيع كَلَامهم وَقيل الْعَطف من كَلَام الله تَعَالَى وَالْمعْنَى نعم هم سَبْعَة وثامنهم كلبهم وَإِن هَذَا تَصْدِيق لهَذِهِ الْمقَالة كَمَا أَن {رجمًا بِالْغَيْبِ} تَكْذِيب لتِلْك الْمقَالة"[(3)]. "وزعموا أن الواو في قوله: {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] واو الثمانية، وهو الدليل على أن أبواب الجنة ثمانية، ولهذا الكلام وجه، وإن كان ضعيفًا[(4)].

---

(1) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج6/ 178) السَّفَاقُسِي، أبو إسحاق، برهان الدين، المجيد في إعراب القرآن المجيد(ص 44)، ابن هشام، مغني اللبيب(ج1/ 473)

والواو المقحمة: هي الواو العاطفة الزائدة لغير معنى التي اختلف فيها بين الكوفيين والبصريين، فالكوفيون يجوّزون زيادتها، محتجين بقول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام:75] وأما البصريون فذهبوا إلى أنها ليست زائدة في شيء من ذلك، ولا تجوز زيادتها لأن الحروف وضعت للمعاني، فذكرها بدون معناها يقتضي مخالفة الوضع ويورث اللبس. ينظر: ابن جني، الخصائص (ج2/ 462) العلائي، الفصول المفيدة (ص 146) ابن هشام، مغني اللبيب (ج1/ 473)

(2) القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن (ج15/ 285)

(3) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص 474-475)

(4) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (ج1/ 467)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يذكر الإمام مصطلح واو الثمانية عند تفسيره بل ذكر الواو مقحمة في أكثر من موضع: "الواو في قوله: {وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} **[هود: 66]** مقحمة، كما في قوله: {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73]"[1]، "{وَأَوْحَيْنَا} [يوسف: 15] واو مقحمة، كما في قوله: **{وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] وقوله: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات:103]**""[2]، إن الذي تركه عبد القاهر الجرجاني من مصنفات بلاغية ونحوية وتصريفية وغيرها يدرك دونما شك أنه علم من أعلام التراث العربي، فحين يقول مقحمة في: {وفتحت أبوابها} يذهب مذهب الذين رفضوا تسميتها واو الثمانية، بل هي زائدة عند قوم وعاطفة عند آخرين وقيل هي واو الحال أي جاؤوها مفتحة أبوابها وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكرامًا لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم.

منزلة الواو بين أدوات الوصل:

للواو مكانة دون غيرها من حروف العطف، كما يفصل الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ "لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أن "الفاء" توجب الترتيب من غير تراخ، و"ثم" توجبه مع تراخ، و"أو" تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه" . "وليس "للواو" معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت فيه الثاني الأول. فإذا قلت: "جاءني زيد وعمرو" لم تقد بالواو شيئًا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد، والجمع بينه وبينه، ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه" [3]؛ لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة اليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودِقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلاَّ مُجردَ الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم نحو: مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل، وقُم واسعَ في الخير بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ) وهكذا باقي الحروف فإذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع الاشتباه في الاستعمال [4].

يصف الإمام عبد القاهر الجرجاني الواو في تفسير درج الدرر بقوله: "وإنّما جمع بين حرفي العطف لأنّ الواو أمّ حروف العطف فجاز إدخالها على حرف عطف لقوّتها"[5]، ويبين

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 107)
(2) المصدر السابق (ج2/ 123)
(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 224)
(4) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 180)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 111)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإمام أن الواو تأتي للجمع والاشتراك دون الترتيب وأنها لا توجب الترتيب وهي في الأصل للجمع والاشتراك، يقول الحق سبحانه: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران: 43]، بقوله:" وتقديم السّجود لا يوجب تقديمه على الرّكوع؛ لأنّ الواو للجمع والاشتراك دون التّرتيب؛ لأنّ الواو في الاسمين المختلفين كالنّسبة في المتّفقين، يقول الحق سبحانه: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } [البقرة: 158] وإنّما بدئ بالصّفا لقوله: ابدؤوا بما بدأ الله به"[1]، ومثله قوله سبحانه: {وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } [النساء: 163]: يقول الإمام: "{وَيُونُسَ} عليه السّلام، هو يونس بن متّى أحد عبّاد بني إسرائيل وزهّادهم، بعثه الله بعد إلياس واليسع إلى أهل نينوى، وهو ذو النّون، وإنّما قدّمه على هارون وداود وسليمان؛ لأنّ الواو لا توجب التّرتيب"[2]. يبين الإمام: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ } [مريم: 54] قيل: أراد به أشمول بن هلفانا الذي قال لبني إسرائيل: {إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً} [البقرة:247]؛ لأنّه ذكر بعد موسى وهارون. ؛ لأنّه قد ذكر بعد يحيى وعيسى وإدريس بعد هؤلاء أجمعين، لأنّ الواو للجمع لا للترتيب[3].

خروج الواو لمعاني حروف أخرى(تناوب الحروف):

تبنّى الإمام رحمه الله رأي الكوفيين في مسألة ما يخرج الحرف إلى معنى حرف آخر، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا في تفسيره:

1 – تناوب (أو): تكون بمعنى (الواو)، كما في قوله سبحانه: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة:74]، فجعلها هو بمعنى (الواو)، ونقل قول غيره بأنها بمعنى (بل)، وسوّغ قوله: إنها بمعنى (الواو) بقوله: "إلا أنه في مثل هذا الموضع لاستدراك الصواب بالأصوب"[4]. يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [المائدة: 108] "ثمّ بيّن وجه الاحتياط: الحبس للاستحلاف بعد الصّلاة {أَنْ يَأْتُوا} بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها والثّاني: للخوف من أن تبطل أيمانهم بأيمان غيرهم إذا عثر على خيانتهم. وقيل: {أَوْ} بمعنى الواو، أي: الاحتياط

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 396)
(2) المصدر السابق (ج1/ 540)
(3) المصدر نفسه (ج2/ 272)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 591)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحد المعنيين"[1]، وفي قول الحق سبحانه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: 37]، يقول الإمام: "{أَوْ}: بمعنى الواو، أي: لمن كان له قلب وألقى السّمع وهو شهيد. وقيل: أراد بذي القلب من استتارت أعشار قلبه، فلم يبق فيه لغير الله حظ، وبمن ألقى السّمع وهو شهيد"[2].

2 – تناوب (ثم): فقد جعلها بمعنى (الواو)، وذلك في قوله سبحانه: {ثُمَّ أَفِيضُوا} [البقرة:199]، يبين الإمام: "و(ثمّ) بمعنى الواو كما في قوله: {ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ} [يونس:46]"[3].

3– الفاء بمعنى الواو، يقول الحق سبحانه:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: 4] ، يذكر الإمام: "{فَجاءَها بَأْسُنا} الفاء بمعنى الواو، كقولك: أعطيتني فأحسنت إليّ"[4].

4– وفي قوله سبحانه: {فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً} [البقرة:200]، جعل (أو) بمعنى (بل)، وذكر بأنها بمعنى (الواو)، أي: عكس سابقتها، بقول الإمام:" {أَوْ أَشَدَّ} "بل أشدّ"، وقيل: (أو) بمعنى الواو"[5]، وفي قوله سبحانه: {لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ. } [النساء: 12] يقول الإمام:" ولفظة (أو) تطلق ويراد بها الواو، ويحتمل أنّه لإباحة تقديم أيّهما كان على الميراث"[6].

مواضع الوصل:

الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظًا ومعنى أو معنى فقط ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى، فمثال الخبريتين قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: 13- 14]، ومثل قولنا: أكرم أخاك

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 181)
(2) المصدر السابق (ج2/ 590)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 302)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 641)
(5) المصدر نفسه (ج1/ 303)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 471)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تعقه، اتحدت الجملتان في نوع الإنشاء إذ هما من الإنشاء الطلبي، ولكنهما اختلفا بأن الأولى من الأمر والثانية من النهي [1].

يقول الحق سبحانه: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} **[البقرة: 3]** "فلم يأت العطف كما يأت في عطف النقيض على نقيضه إذ لم يقصد اقتران الحديثين من أول بل على وجه يبنى فيه بعض الكلام على بعض"[2]، ويقول الحق سبحانه أيضًا: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} **[الأعراف: 169]** يبين الإمام: "{وَدَرَسُوا ما فِيهِ} قيل: مستأنف، والواو لعطف جملة على جملة، كقوله:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى} **[الضحى:6]**، أي: وجدك يتيمًا وضالًا وعائلًا فآوى وهدى وأغنى"[3]، وفي قوله سبحانه: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} **[البقرة: 42]** فيها عطف جملة نهي على جملة نهي، يوضح الإمام: "{وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} معطوف على النهي مجزوم، وإن شئت جعلته منصوبًا على الصّرف، "و(الكتمان): الإخفاء".{وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} تحريفه وكتمانه"[4].

الثاني: دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهم خلاف المقصود، كما تقول مجيبًا لشخص بالنفي لا شفاه الله، لمن يسألك: هل برئ عليٌّ من المرض؟ فترك الواو يُوهم السّامع الدُّعاء عليه، وهو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له؛ ولهذا (وجب أيضًا الوصلُ)، وعطف (الجملة الثانية) الدُعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبرية المصوَّرة بلفظ (لا) لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الإعراب[5]، وأما عطف الجملة الخبرية على الإنشائية وأن يكون بين الجملتين تباين تام، بأن يختلفا خبرًا وإنشاء؛ كقوله سبحانه:{وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} **[الصف: 13]**، وقد تتفقان معنىً لا لفظًا في مثل قوله سبحانه: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} **[البقرة: 83]**، {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} جملة خبرية لفظًا

---

(1) ينظر: عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي (ص 119)

(2) صباح عبيد دراز، في البلاغة القرآنية، أسرار الفصل والوصل (ص14)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 810)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 145)

(5) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 182)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنشائية في المعنى؛ لأنها تقدر (وأحسنوا بالوالدين)[1]، ويشير الإمام إلى ما ذكر بتوضيحه:"{وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً} أي: أمرناهم وأوصيناهم"[2]. يقول الحق سبحانه: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: 31]** يقول الإمام: {وَنَبْلُوَا} عطف على قوله: {حَتّى} نَعْلَمَ، وإنّما حسن العطف عليه لكون البلاء الأوّل مسندًا إلى الله في اللّفظ والمعنى، والبلاء الثّاني مسند إلى الله في اللّفظ وإلى أوليائه في المعنى، أو المراد بالأوّل: الإصابة بالبلايا والمكاره، والثاني: الاختيار[3]. وفيما يقال في الوصل المعنوي والوصل اللفظي أيضًا قول الحق سبحانه: **{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } [الرحمن: 5 - 6]** ففي هاتين الآيتين اكتفى بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي، إذ معلوم أن الحسبان هو حسبانه، وأن السجود له لا لغيره، فكأنه قيل: بحسبانه ويسجدان له. ولما أوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم، رد الكلام إلى العطف في وصل ما يناسب وصله، والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر، لأن الشمس والقمر علويان، والنجم والشجر سفليان"[4]، فكيف اتصلت الجملتان بـ (الرحمن)؟ استغني فيها عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا غيره، كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له. والربط المعنوي يكون في اتصال المعنى وتسلسل الأفكار، فتسلم الأولى مقادها للثانية . حتى تستوفي الفكرة حقها في المعنى فتتحقق بنية متماسكة على المستوى المعنوي، ويقويها الترابط اللفظي المتمثل في العلاقات النحوية . أو) وبعض التراكيب المركبة التي تفيد الوصل بين الجمل نحو: (بيد أن) و(حيثما)[5]، ويقترب الإمام مما ذكر بقوله:{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ} "أي: مسيرهما وبقاؤهما بحساب معلوم لا يجاوز، {وَالنَّجْمُ} ما نجم من الأرض من اليقطين، أو نجوم السّماء، والتّثنية للجنسين"[6].

الثالث: إذا كان (للجملة الأولى) محلٌ من الاعراب، وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الإعراب حيث لا مانعَ، كما في مثل قوله: **{وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245]**، لكن جرت العادة في الحديث عن الفصل والوصل تجاوز عطف المفردات وعطف

---

(1) ينظر: محمد علوان– نعمان علوان، من بلاغة القرآن الكريم (ص132)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 219)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 572)
(4) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج10/ 56)
(5) ينظر: محمود عكاشة، الربط في اللفظ والمعنى (ص320)
(6) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 606)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجمل التي لها محل من الإعراب؛ ذلك بأن عطف المفردات وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب هين ويسير؛ إذ لا يقصد به سوى مجرد التشريك في الحكم الإعرابي، أما دقة الفصل والوصل فتظهر في الجمل التي لا محل لها من الإعراب: كالابتدائية، والصلة، والاعتراضية، والتفسيرية، وجواب القسم، جملة جواب الشرط غير الجازم مطلقًا، أو جواب الشرط الجازم وهي غير مقترنة بالفاء أو إذا .[(1)].

يقول الحق سبحانه: {**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**} **[البقرة: 24]** يقول الإمام: "{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} شرط، وجوابه {فَاتَّقُوا،} وقوله: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} عارض دخل بين الشرط والجواب، و(لم) حرف نفي في الماضي جازم، و(لن) نفي في المستقبل ناصب. معناه: إن لم تأتوا بمثله ولن تأتوا أبدا فاتّقوا النار التي تحذرون عنها بترك موجبها وهو الرّيب والتكذيب على ما سبق.{وَقُودُهَا النّاسُ} ولم يقل الكفّار لئلا يأمن العصاة من أهل الإيمان"[(2)].

أحوال الواو:

الواو تجمع بين المتشابهات:

يقول الحق سبحانه: {**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**} **[الأحزاب: 35]**، وهذا العطف، عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع، فكأن معناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، يذكر الإمام حديث أم سلمة – رضى الله عنها– في هذا "قالت: قلت: يا رسول الله، تذكر الرّجال في كلّ شيء، ولا نُذكر، فأنزل الله: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ. . .}" [(3)]، ويوضح الإمام "وإنما أحبّت أمّ سلمة إفراد النّساء بالذّكر على سبيل الإتباع والإجمال ليتشرفن بذلك ويتبركن؛ لأنّ ظاهر الخطاب لا يتناولهنّ، فإنّ طريقة العرب مشهورة أنّهم إذا جمعوا بين مذكّر ومؤنّث، وعاقل وغير عاقل، ومفرد ومضاف أن يغلّبوا المذكّر والمؤنّث والعاقل والمفرد"[(4)].

---

(1) ينظر: علي الجارم، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية (ج2/ 485)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 122)

(3) ينظر: أحمد بن حنبل، المسند (ج6/ 305) والطبراني، الكبير (ج23/ 554)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 461)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواوات المتداخلة:

في قول الحق سبحانه: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3] يقول الزمخشري في الكشاف: "أي: أنه تعالى الأول: القديم الذي كان قبل كل شيء، والآخر: الذي يبقى بعد هلاك كل شيء، والظاهر: بالأدلة الدالة عليه، والباطن: لكونه مدرك بالحواس. أما هذه الواوات، فالواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخريين فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك"[1]، يبين الإمام أن دلالة كل لفظة تختلف عن الآخر: "{هُوَ الْأَوَّلُ} لمستقرّ الأحوال، {وَالْآخِرُ} لقوية الآجال، {وَالظَّاهِرُ} بالقدرة والجلال، {وَالْبَاطِنُ} بأن لا ينال، وهو معنا أينما كنّا من غير حلول في المحالّ، ولا انتقال، ولا ارتحال"[2].

واو الحال:

هي واو العطف استعيرت للوصل، وفي قوله تعالى: {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ} [البقرة: 247] الواو الأولى للحال، والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالًا، وأن واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية وهي مغنية عن ضمير صاحبها كقوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ} [آل عمران: 154] وقوله: {لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف: 14] وقوله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: 5] وقد يجتمعان نحو: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22] {وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} [البقرة: 44] [3]، يقول الإمام موجزًا في إشارته للحال في الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: 43] "{وَأَنْتُمْ سُكارى} الواو للحال[4]. ويقول في موضع آخر "واليتيم من البهائم ما لا أمّ له، ومن الناس من لا أب له {وَالْمَساكِينِ} جمع مسكين، وهو ذو المسكنة، والمسكنة حالة

(1) الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/ 472)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1597)

(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج4/ 437)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 490)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تؤدّي إلى السّكون والقعود عن التّجارة والكسب. وإنّما جمع بين التّولّي والإعراض؛ لأنّ المراد بالتّولّي ما سبق، وبالإعراض إعراضهم في الحال إذ الواو للحال. ويحتمل أنّه للتّوكيد، وعرض الشيء ناحيته، فكأنّ الإعراض هو التنحّي"[1]. ويذكر:"{إِلاَّ اِسْتَمَعُوهُ} وكان استماعهم على سبيل التعنّت والإنكار، لا التثبّت والاعتبار.{وَهُمْ} الواو للحال"[2]. "{وَكُنْتُمْ} الواو [فيه] للحال، و (قد) فيه مضمرة" [3]، ويقول الإمام تأتي الواو مضمرة للحال بقوله: "المراد بالإهلاك مشيئة الإهلاك، وبمجيء البأس إمضاء الحكم وإتمامه، فلذلك عقب. وفي قوله: أَوْ {هُمْ قائِلُونَ}: واو مضمرة للحال، أي: وهم قائلون "[4].

الواو لتوكيد معنى النفي:

يصف الإمام عبد القاهر الجرجاني الواو في تفسيره الآية الكريمة:**{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 13]**: "{وَلكِنْ} حرف عطف خصّت لاستدراك بعد نفي"، أو ترك جملة إلى جملة"[5].

واو الاستئناف:

واو الاستثناء وتسمى واو القطع والابتداء وهي التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة في الإعراب ويكون بعدها الجملتان، فالاسمية كقوله تعالى: **{ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} [الأنعام: 2]** والفعلية كقوله: **{لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ} [الحج: 5] {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا۝ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ} [مريم: 65- 66]**. والظاهر أنها الواو العاطفة لكنها تعطف للجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها [6]، يذكر الإمام واو الاستئناف كثيرًا في تفسيره درج الدرر: "{وَلَهُمْ} الواو للاستئناف"[7]، ويقول: "أن تجعل الواو للاستئناف، وتجعل في التقدير: **{وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} [البقرة: 96]**، كأنّه وقع العدول من

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 190)
(2) المصدر السابق(ج2/ 300)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 127)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 642)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 107)
(6) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج4/ 437)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 125)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قصّة إلى قصّة ليتبيّن أنّ من الناس من يودّ عمر ألف سنة ومع ذلك فإنّ اليهود أحرص منهم، ويجوز حذف (من) إذا ذكر قبله (من)، قال الله تعالى:**{وَمَا مِنَّا إِلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصافّات:164]**، أي: إلا من له، وقال: **{مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} [النساء:46]**"[1]، ويقول أيضًا: "**{وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} [البقرة: 139]** الواو للاستئناف، وإخلاصنا هو الإخلاص بالتّوحيد لله تعالى، بحيث لم ندّع له ولدًا ولا شبيها، ولم نثبت لله حالًا ولا محلاً، ولا كون العالم شيئًا قبل تكوين الله إيّاه"[2]، ويذكر الإمام: "{وَإِلهُكُمْ} الواو للاستئناف، واتّصالها بما قبلها أنّه لمّا ذكر للأمّة الحنيفة فروع الدّين من الصّبر والصّلاة والسّعي بين الصّفا والمروة أتى بذكر الأصل ليزيدهم مسارعة إليها. وقيل: لمّا ذمّ الكفر أعقبه ما فيه الخلاص من الكفر، لتنبيه من قدّر له التنبيه، ورفع الضمير المستثنى لأنّه على المبتدأ الأوّل وهو قوله: {وَإِلهُكُمْ}، ولمّا ابتدأ فقال: {لا إِلهَ إِلاّ هُوَ} لم يجز في الاستثناء إلا الرّفع؛ لأنّ المستثنى إمّا ينتصب على الفصل تشبيهًا"[3].

الفصل:

يعني بالفصل: القطع سواء في رسم اللفظ أو في المعنى. والتمييز بين الشيئين. وقيل للكلام البين: فصل، بمعنى المفصول، لأنهم قالوا: كلام ملتبس، وفي كلامه لبس. والملتبس: المختلط، فقيل في نقيضه: فصل، أي مفصول بعضه من بعض، فمعنى فصل الخطاب: البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه. ومن فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: 4]** إلا موصولًا بما بعده، ولا كقوله: **{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]** حتى يصله بقوله: {لَا تَعْلَمُونَ}، ونحو ذلك، وكذلك مظان العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل، كالصوم والزور، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 203)

(2) المصدر السابق (ج1/ 255)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 269)

(4) ينظر: منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم (ص:90)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدوات الفصل:

الفصل بالواو:

الواو تقع بين الجملتين لتفصل بين معنييهما، فتكون كل واحدة ذات معنى مستقل عن الآخر ومتميز عنه، فإذا تكررت الجملتان في مقام آخر وسقطت هذه "الواو"، كان الكلام واحدًا، يقرر بعضه بعضًا، ففي قوله تعالى: **{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ۞ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء: 153- 154]** فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو هنا وتركها:**{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ۞ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } [الشعراء: 185- 186]** قلت: إذا أدخلت "الواو" فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم، التسحير والبشرية، كقوله سبحانه: **{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة: 53]** [(1)]، وكما يقول الإمام :"يعني: التوراة، عن مجاهد، ذكرها باسمين كما يقال: سحقًا وبعدًا ويقال: الكتاب: التوراة، والفرقان: نعته، والواو زائدة، قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء:48]** وقيل: الفرقان: النصرة على فرعون"[(2)].

الفصل بضمير الفصل:

ضمير الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة وبأنه عند البصريين "فصل"، وعند الكوفيين "عماد"، وأن فائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، ويفيد التوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، ومن الآيات التي فصلت بضمير الفصل من مثل: **{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} [آل عمران: 62] {وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40] {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود: 19] {وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} [الأعراف: 115] {الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ } [سبأ: 6]** وغيرها. ينتقي الإمام عبد القاهر الجرجاني من مذهبي البصرة والكوفة ما يجده صوابًا فيسمي ضمير الفصل عماد كما يسميه الكوفيون فيقول في تفسيره الآية الكريمة: **{وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ } [البقرة: 85]** ، "{وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ} {وَهُوَ}: عماد جاءت لتعذّر صلة هذه الواو، وإنّما هو فعل

---

(1) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 333)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 155)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في التقدير ألا ترى لو أسقطت (هو) لم يقل: ومحرم عليكم إخراجهم، ولقلت: وقد حرّمنا عليكم إخراجهم. وقيل: (هو) كاسم مبهم، و(إخراجهم) بيانه "[1].

الفصل بالجملة الاعتراضية:

تقع الجملة أو الجمل المعترضة في أثناء الكلام فتكون بين المبتدأ وخبره، كما في قوله سبحانه: {**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } [**الأعراف: 42**]. يبين الإمام: "{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب الثواب بفعل الأعمال الصالحات، يقول الإمام في هذا: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَها} فائدة العارض بين المبتدأ والخبر هو الأمن من التّكليف بما فوق الطّاقة من الأعمال الصّالحات ووقوف الثّواب عليه"[2].

الفصل بالاستثناء المنقطع:

في قوله سبحانه: {**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**} [**البقرة: 78**]. يقول الإمام: "{إِلاّ أَمانِيَّ} جمع أمنيّة، قال الله تعالى: {**إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**} [**الحج: 52**] ونصب (الأمانيّ)؛ لأنّه مستثنى عن منصوب، كقولك: ما رأيت زيدًا إلا وجهه. {وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ} أي: وما هم إلا ظانّين، قال الله تعالى: {**إِنْ أَنْتَ إِلاّ نَذِيرٌ**} [**فاطر:23**]"[3] ، فأراد الإمام إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم . {إِلَّا أَمَانِيَّ} من الاستثناء المنقطع.

الفصل بـ "بل":

تكون للإضراب وللاستدراك: أما الإضراب، فلا يتوقف على إلغاء الصفة وإثبات أخرى مثل ما في الآية الكريمة: {**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**} [**النمل: 36**] فلما نكر عليهم الإمداد، وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه" بل يكون الإضراب بإلغاء الصفة الجديدة التي أثبتت، بصفة أخرى أقوى منها وأشد، ويقول الحق سبحانه: {**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ** } [**الأعراف: 81**] يوضح الإمام:"{بَلْ أَنْتُمْ} إنّكم صرفتم بشهوتكم إلى الرّجال

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 192)
(2) المصدر السابق (ج1/ 653)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 185-186)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون النّساء على سبيل الإلجاء والاضطرار بل أنتم مسرفون فيه باختياركم وقدرتكم، وقيل: جواب كلامهم: نحن نريد بذلك حفظ الأموال وخفّة العيال، فقال: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ } مُسْرِفُونَ في هذه الفعلة وفي سائر الخصال"(1)، والله سبحانه بهذا أضرب عليهم علتهم وما أرادوا بأن ذلك لحفظ الأموال وخفة العيال فهم مسرفون بما يفعلون وفي سائر خصالهم، وفي قوله سبحانه: **{يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [الفتح: 15]** فالإضراب الأول معناه: رد أن يكون حكم الله أن يتبعوهم وإثبات الحسد، والثاني: إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (2)، أما الاستدراك: ففي قوله سبحانه: **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: 55- 56]** وبل استدراك لقوله أيحسبون يعنى: بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور، حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك(3).

الفصل بـ "أم" المنقطعة:

سميت المنقطعة، لوقوعها بين جملتين مستقلتين، ولا يفارقها حينئذ معنى الإضراب، وفي قوله سبحانه: **{. وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ.} [البقرة: 213- 214]** أم حسبتم "أم" منقطعة، ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده، يقول الإمام:"{أَمْ حَسِبْتُمْ} قد سبق الكلام في (أم)، إذا كانت متّصلة بنيت على استفهام سابق، وإذا كانت منقطعة بنيت على كلام سابق وهو ذكر استهزاء الكفرة بالمؤمنين وما يصيب المؤمنين من ذلك من الحزن"(4).

الفصل لتثبيت المعنى وتوكيده ويكون:

الفصل بعطف البيان: "وعطف البيان هو: التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله"(5)؛ وهو أن تجري الأسماء الجامدة مجرى المشتقة في الإيضاح إذا كان الثاني أعرف من الأول كقولك مررت بزيد أبي عبد الله إذا كان بالكنية أعرف، وبأبي عبد الله زيد إذا كان

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 677)
(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/ 338)
(3) المصدر السابق (ج3/ 191)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 311)
(5) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ج3/ 218)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاسم أعرف وليس هو ههنا ببدل، فالبدل هو المقصود بالحكم وأُتي بالمتبوع قبله تمهيدًا لذكر البدل، على حين عطف البيان متبوعه هو المقصود وإنما أُتي بعطف البيان للتوضيح فهو كالصفة. ففي قوله تعالى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ} **[الشعراء: 10-11]**، سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين، ثم عطفهم عليهم عطف البيان، كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد: إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين، وإن شاء عبر بقوم فرعون [(1)] ، يقول الحق سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } **[الأعراف: 172]**، يوجز الإمام بقوله:"{مِنْ ظُهُورِهِمْ} بدل {مِنْ بَنِي آدَمَ}، وهو عطف البيان"[(2)].

الفصل بالبدل: فائدة البدلية هنا التوكيد، ففي قوله سبحانه: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} **[الفاتحة: 6-7]**: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} بدل من {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل: "اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم"، كما قال سبحانه: {لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ} **[الأعراف: 75]**، وفائدة البدل هنا، التوكيد والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه، وفي هذا يوضح الإمام: "{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} أي: أرشدنا الطريق الواضح الذي لا ينثني ولا يضطرب، ويؤدّيك إلى مقصدك وهو شريعة نوح، وملّة إبراهيم، وعلومهما عليهما السّلام. والمراد بهذا السؤال التثبّت والاستدامة دون الاستئناف، كقولك للقائم: قم حتى أرجع، {صِرَاطَ} بدل عن الصراط الأول، {الَّذِينَ} اسم ناقص يحتاج إلى الصلة"[(3)].

الفصل بتقدير السؤال يقتضيه الحال: الفصل عبارة عن ترك الواو العاطفة بين الجملتين، فلا تحتاج إلى واصل هو الواو، فلأجل هذا كان ما ورد من غير واو بين الجملتين أحق بلقب الفصل، وهذا يرد في التنزيل ومنها أن تكون الجملة واردة على تقدير سؤال يقتضيه الحال، فلأجل هذا وردت هذه الجملة مجردة عن الواو، جوابًا له، ومثاله قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} **[الشعراء: 23]** ، ثم قال موسى: {قَالَ

---

(1) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 301)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 708)

(3) المصدر السابق (ج1/ 102)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} [الشعراء: 24] وإنما جاءت من غير واو لأنها على تقدير سؤال[1]، يبين الإمام بقوله:"إلا أنّه أسقط حرف العطف لاستقامة الجواب بذاته كما في قوله: {قالَ فِرْعَوْنُ} {وَما رَبُّ الْعالَمِينَ، قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}"[2].

الفصل للتفصيل بعد الإجمال: في آية الحث على الحج: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} [آل عمران:97]** في الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته، ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلًا، وفيه إيضاح بعد الإبهام وتفصيل بعد الإجمال[3]، يقول الحق سبحانه: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 126]**، يبين الإمام التفصيل بعد الإجمال:" والمراد بالأمن ما اقتضاه الحرم من الأحكام المخصوصة به، {مِنَ الثَّمَراتِ} أي: شيئًا من الثمرات، عند الأخفش، وقال غيره: (من) قائم مقام الاسم في كلام العرب كما هو ههنا، وكذلك في قوله: **{وَما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} [الصافّات:164]**. {مَنْ آمَنَ} إبدال البعض من الكلّ، مثاله قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} [آل عمران:97]**"[4]، يقول الإمام في توضيح التفصيل في الآية الكريمة في قوله سبحانه: **{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44]"{لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل:44]**، ثم ترتب عليه تفصيل آخر فيه التعرف بصفات الفعل"[5]. ومثله قوله سبحانه: **{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ۞ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الشعراء: 132 - 134]** في الآية مبالغة في التنبيه على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدًا بعلمهم [6].

(1) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 169)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 175)
(3) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 390)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 241)
(5) المصدر السابق(ج2/ 188)
(6) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 326)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The Islamic University– Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of ARTS
PHD of ARABIC LANGUAGE

الجامعـــــــــة الإســـــلاميــة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــة الآداب
دكتـوراه لـغـة عـربيـــة

الوجوه البلاغية والدلالية
في تفسير دَرْجِ الدُرَرِ للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)

Rhetorical and Semantic Aspects in the Interpretation of
Darj Ad-Dorr by Abd Al-Qaher Al-Jirjani

إِعدَادُ البَاحِثِ
فؤاد عمر علي البابلي

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
نعمان شعبان علوان

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الدكتوراه
فِي اللغة العربية فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

سبتمبر/2017 م – محرم/1439هـ

الجزء الثاني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:
التاريخ: 2017/9/23م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **فؤاد عمر علي البابلي** لنيل درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية**، وموضوعها:

الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 03 محرم 1439هـ، الموافق 2017/9/23م الساعة العاشرة صباحاً في قاعة مبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. نعمان شعبان علوان	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. محمد شعبان علوان	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. يوسف شحدة الكحلوت	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة	مناقشاً خارجياً	....
أ.د. سعيد محمد الفيومي	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/قسم اللغة العربية.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

فهرس محتويات الجزء الثاني

الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير دَرْجِ الدُرَرِ للإمام عبد القاهر الجرجاني الجزء الثاني..................أ

فهرس محتويات الجزء الثاني .... ب

الفصل الرابع 1

البنية التعبيرية والوظيفية 1

المبحث الأول: فصاحة اللفظ المفرد والمُؤلَف(المركب) 2

الفصاحة في اللغة والاصطلاح: 2

الفصاحة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني:...3

المحكم والمتشابه في اللغة:..7

المحكم والمتشابه في الاصطلاح وعلاقته بالفصاحة: 7

فصاحة اللفظ المفرد:..8

فصاحة اللفظ المُؤلَف (المركب): 9

المبحث الثاني: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.. **17**

الالتفات: 17

الالتفات في اللغة: 18

الالتفات في الاصطلاح: 19

أقسام الالتفات: 19

فوائد الالتفات:...21

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي: 22

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل: 23

وضع الظاهر موضع المضمر: 27

أغراض وضع الظاهر موضع المضمر: 27

وضع المضمر موضع الظاهر: 31

أغراض وضع المضمر موضع الظاهر: 31

وضع المفرد موضع الجمع: 34

وضع الجمع موضع المفرد: 36

وضع المفرد موضع المثنى...38

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضع المثنى موضع المفرد: 39
وضع المثنى موضع الجمع: 40
وضع الجمع موضع المثنى: 40
المبحث الثالث: التغليب 42
التغليب في اللغة والاصطلاح: 42
أنواع التغليب: 43
الفصل الخامس 49
النكت البيانية وطرق إيراد المعنى 49
التمهيد: 50
المبحث الأول: التشبيه والتمثيل 52
التشبيه والتمثيل في اللغة: 52
التشبيه في الاصطلاح: 52
التشبيه والتمثيل في تفسير درج الدرر 56
تشبيه المفرد بالمفرد: 56
تشبيه المفرد بالمركب: 57
تشبيه المحسوس بالمحسوس: 58
تشبيه المعقول بالمعقول: 59
تشبيه المعقول بالمحسوس: 62
التشبيه الضمني: 64
التشبيه البليغ: 65
التشبيه التمثيلي: 66
التشبيه المقلوب: 71
التشبيه المجمل: 73
المبحث الثاني: المجاز 76
المجاز في اللغة: 76
المجاز في الاصطلاح: 76
أقسام المجاز: 77

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة والمجاز في تفسير درج الدرر: 77
المجاز العقلي 86
1- مجاز عقلي علاقته السببية:.. 86
2- مجاز عقلي علاقته الفاعلية:.. 88
3- مجاز عقلي علاقته المفعولية:.. 88
4- مجاز عقلي علاقته الزمانية:.. 89
5- مجاز عقلي علاقته المكانية:.. 92
علاقات المجاز المرسل 93
1- مجاز مرسل علاقته السببية:.. 93
2- مجاز مرسل علاقته المسببية:.. 93
3- مجاز مرسل علاقته الجزئية:.. 96
4- مجاز مرسل علاقته الكلية:.. 97
5- مجاز مرسل باعتبار ما كان:.. 98
6- مجاز مرسل باعتبار ما يكون:.. 99
7- مجاز مرسل علاقته الحالية:.. 100
8- مجاز مرسل علاقه المحلية:.. 100
9- مجاز مرسل علاقه الآلية:.. 101
10- مجاز مرسل علاقته المجاورة:.. 102
المبحث الثالث: الاستعارة وبيانُ أنواعها.. 104
الاستعارة في اللغة:.. 105
الاستعارة في الاصطلاح:.. 105
أركان الاستعارةِ:.. 106
قرينةُ الاستعارةِ:.. 106
الفرق بين الاستعارة التصريحية المكنية:.. 106
الاستعارة في تفسير درج الدرر:.. 107
1- الاستعارة المكنية:.. 107
2- الاستعارة التصريحية:.. 112

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعارة العنادية (الاستعارة التهكمية): 114
الاستعارة التمثيلية:.. 116
الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار: 120
1- الاستعارة الأصلية: 120
2- الاستعارة التبعية:.. 122
الاستعارة باعتبار ما يتَّصل بها من الملائمات، وعدمِ اتصالها.. 123
1- الاستعارة المرشحة:.. 123
2- الاستعارة المجردة:.. 124
3- الاستعارة المطلقة:.. 125
المبحث الرابع: الكناية وأنواعها **126**
الكناية في اللغة:... 126
الكناية في الاصطلاح:... 126
أنواع الكناية: 128
1- الكناية عن صفة: 128
2- الكناية عن موصوف:.. 129
3- الكناية عن نسبة:... 130
الكناية في تفسير درج الدرر: 131
المبحث الخامس: التعريض **141**
التعريض في اللغة: 141
التعريض في الاصطلاح: 141
التعريض في تفسير درج الدرر: 143
الفصل السادس... **151**
جمال البديع ووجوه تحسين الكلام.. **151**
التمهيد:... **152**
البديع في اللغة: 152
البديع في الاصطلاح: 153
المبحث الأول: الطباق والمقابلة.. **155**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا : الطباق 155
الطباق في اللغة: 155
الطباق في الاصطلاح: 155
الفرق بين المطابقة والتكافؤ: 159
أنواع الطباق: 159
ثانيًا: طباق السلب 160
ثالثًا: الطباق الخفي والمعنوي 161
بلاغة الطباق: 163
ثانيًا: المقابلة 165
المقابلة في اللغة والاصطلاح: 165
الفرق بين المطابقة والمقابلة: 166
أنواع المقابلة: 167
المبحث الثاني: المشاكلة **169**
المشاكلة في اللغة: 169
المشاكلة في الاصطلاح: 169
أقسام المشاكلة: 170
1- المشاكلة التحقيقية: 170
2- المشاكلة التقديرية: 171
أصالة المشاكلة في القرآن: 171
المبحث الثالث : التورية **175**
التورية في اللغة: 175
التورية في الاصطلاح: 175
دواعي التورية: 177
أنواع التورية: 178
مسميات التورية: 178
المبحث الرابع: اللف والنشر **180**
اللف والنشر في اللغة: 180

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللف والنشر في الاصطلاح: 180

أقسام اللف والنشر: 180

المبحث الخامس: التجريد **184**

التجريد في اللغة: 184

التجريد في الاصطلاح: 184

بلاغة التجريد: 185

أساليب التجريد: 185

لمبحث السادس: (المبالغة– الإغراق – الغلو) **187**

المبالغة في اللغة: 188

المبالغة في الاصطلاح: 189

أقسام المبالغة: 192

مسميات أخرى للمبالغة: 195

تباين الآراء حول المبالغة: 196

المبحث السابع: تأكيد المدح بما يشبه الذم **198**

تأكيد المدح بما يشبه الذم في اللغة والاصطلاح: 198

أساليب تأكيد المدح بما يشبه الذم: 198

المبحث الثامن: الجناس **201**

الجناس في اللغة: 201

الجناس الاصطلاح: 201

أقسام الجناس: 203

الجناس التام: 203

الجناس التام غير المركب: 203

الجناس التام المستوفَي (بفتح الفاء): 204

الجناس غير التام 204

أولًا: الجناس الناقص 204

ثانيًا: الاختلاف في هيئة الحروف 205

ثالثًا: الاختلاف في أنواع الحروف 206

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

رابعًا: الاختلاف في التركيب أو الترتيب 206
جناس الاشتقاق: 207
المبحث التاسع: رد العجز على الصدر 208
رد العجز على الصدر في اللغة والاصطلاح: 208
أقسام رد العجز على الصدر: 210
تقسيمات أخرى: 211
المبحث العاشر: السجع (فواصل الآيات) 212
السجع في اللغة: 212
السجع في الاصطلاح: 212
بناء السجع وشروط حسنه: 212
قضية السجع في القرآن الكريم: 213
دلالة الفاصلة القرآنية: 215
المبحث الحادي عشر: تجاهل العارف 219
تجاهل العارف في اللغة والاصطلاح: 219
تجاهل العارف في تفسير درج الدرر: 220
المبحث الثاني عشر: أسلوب الحكيم 223
أسلوب الحكيم في اللغة والاصطلاح: 223
أنواع أسلوب الحكيم: 224
أسلوب الحكيم في تفسير درج الدرر: 225
النتائج والتوصيات 229
أولًا: النتائج 229
ثانيًا: التوصيات 232
المصادر والمراجع 235
المصادر والمراجع 236

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

البنية التعبيرية والوظيفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: فصاحة اللفظ المفرد والمُؤلَف(المركب)

الفصاحة في اللغة والاصطلاح:

الفصاحة هي: الظهور والبيان، فهي من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره، والدليل على ذلك قول العرب: أفصح الصبح إذا ظهر وأضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر، وأفصح الأعجمي إذا أبان، وفصح اللحّان، أي كثير اللحن والخطأ، إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ[1]، "وفصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح؛ قال سيبويه: وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح. تقول: رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق. وأفصح الرجل القول" [2]. يقول الباقلاني:" وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[3]، ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر"[4]. وقال أيضًا: "كيف يكون القرآن معجزًا وهو غير خارج عن حروف المعجم التي يتكلم بها الخلق من أهل الفصاحة والعي واللكنة. قيل لهم ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها"[5].

أفرد القاضي عبد الجبار الهمذاني من كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل" الجزءَ السادس عشر لإعجاز القرآن، واتضح فكره البلاغي حين تحدث عن الفصاحة[6]، ووضّح مجالاتها، وبيّن أن الكلام يكون فصيحًا بجزالة لفظه وحسن معناه[7]، ثم قال: "واعلم أن

---

(1) ينظر: العسكري الصناعتين: الكتابة والشعر (ص 7)

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج2/ 544)

(3) الباقلاني، إعجاز القرآن (ص 35)

(4) المصدر السابق (ص36)

(5) الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (ص177- 188)

(6) "الفصاحة التي أشار إليها القاضي ليست هي الفصاحة التي استقر عليها علماء البلاغة المتأخرون، وهي التي تكون وصفًا للكلمة أو الكلام، وذلك بخلوّه من العيوب كالغرابة والثقل ومخالفة قواعد اللغة، إنما الفصاحة التي عناها القاضي تشمل في مفهومنا نظم الكلمات بعضها مع بعض، وهي ملحوظة قيّمة، وخطوة ذات شأن خطاها في إبراز نظرية النظم". ينظر: فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص62)

(7) عبد الجبار الهمذاني، المغني في أبواب التوحيد (ج16/ 197)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، ولا بدّ مع الضمّ أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضمّ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع "[1].

الفصاحة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني:

تأثر الإمام عبد القاهر الجرجاني بالقاضي عبد الجبار وإن لم يشر بما جاء به، ففي مواطن كثيرة ينعته بأنه ممن يقولون بأن مزية الفصاحة في الكلام تعود إلى اللفظ، وكأنه لا يعترف بأن عبد الجبار لا يسقط المعاني جملة [2]، ومهما يكن من شيء فقد أبقى القاضي عبد الجبار للإمام عبد القاهر الجرجاني شرح النظرية وتقريرها، وتصويرها، والتدليل عليها والدفاع عنها وإطلاق اسم النظم عليها والبرهنة على ذلك[3]، فالقاضي المعتزلي قد أتى على جميع الوجوه التي تؤدي إلى ما يريده من محاولته كشف الإبهام عن البلاغة، ولكن الذي أطال فيه، لا يكاد يغني شيئًا، بل جاء فيه بآفات كثيرة البلايا، لأنه كان يتحرك في ميدان (علم الكلام) المحدود بحدود مذهب الاعتزال الذي ينتمي إليه، ومع ذلك فالظن أن عبد القاهر قد استفاد من تخليط قاضي القضاة فائدة لا تقدر؛ لأنه بتذوقه للبيان وتمكنه من النحو الذي وقف على خفاياه قد استطاع أن يكتشف زيف أكثر كلام قاضي القضاة"[4]." وقد تكون النظرية إنتاج مجموعة عقول أو جيل واحد من العقول، وقد تكون أيضًا إنتاج مجموعة عقول تنتمي لعدد من الأجيال"[5]، إلا أن عبد القاهر الجرجاني هو أول من عكف على تطوير نظرية لغوية شاملة حيث حدد مجموعة القوانين والقواعد التي ينبني عليها موضوع النظم والتعليق.

وضع الجاحظ معايير للفظ المفرد، من تخير وسهولة بالمخرج وكثرة ماء وصحة طبع وجودة سبك وبعد عن التنافر، والخفاجي يجعل الفصاحة وصفًا مقصورًا على الألفاظ بقوله:" الفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفًا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها إنها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغًا كالذي يقع فيه

(1) عبد الجبار الهمذاني، المغني في أبواب التوحيد (ج16/ 199)
(2) ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ (ص118)
(3) ينظر: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية (ص429)
(4) محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن (ص109)
(5) عبدالعزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية (ص 198)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسهاب في غير موضعه"[1]، فالفصاحة حيث يقول الإمام:" نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير، وإنما كان كذلك، لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح"[2]، فإن الفصاحة صفة للكلام من أجل مزية باللفظ ذاته مجردة عن المعنى، وهي أمور لا تخفى على من يملك المعرفة ومقدرة التمييز للأشياء، لأن المعاني الحاصلة من مجموع الكلام هي أدلة على الأغراض والمقاصد، ويوضح الإمام في (تفسير درج الدرر) أن معاني القرآن الكريم المنظومة تكتسي بألفاظ عربية موسومة لتكون أبين للمخاطبين ففي قوله سبحانه: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: 193 - 196]** فهي "دليل على أنّ القرآن هو هذا المعنى المنظوم المكتسي بلفظ موسوم، سواء كان عربيًّا أو غير عربيّ، معجزًا أو غير معجز، وإنّما أنزله الله في ألفاظ عربيّة، ليكون أبين للمخاطبين في عصر النزول، وإنّما جعله معجزًا ليكون برهانًا كاليد والعصا، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى" [3]. أما في حديثه عن الفصاحة في(دلال الإعجاز) فيقول:" نرى الناس قاطبة يقولون: "هذا لفظ فصيح، وهذه ألفاظ فصيحة"، ولا نرى عاقلًا يقول: "هذا معنى فصيح، وهذه معان فصاح". ولو كانت "الفصاحة" تكون في المعنى، لكان ينبغي أن يقال ذلك. إن غرضنا من قولنا: إن الفصاحة تكون في المعنى"، أن المزية التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنه "فصيح"، هي في المعنى دون اللفظ" [4]، ويذكر الإمام في درج الدرر: "وحدّ الإعجاز هو الإتيان بناقض العادة، الخارج عن طوق من هو مثل صاحب المعجزة في الخلقة، وذلك الشيء يزينه ولا يشينه، ويكون برهانًا على صحّة دعوى النبوّة، وإنّما وقع التحدّي ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرًا وسحرًا، ولا يكون كذلك" [5].

أنكر الإمام عبد القاهر تلك المميزات في فصاحة اللفظ عائدة للمعنى، بل للنظم العجيب البديع المتضمن معنى صحيحًا، فالفصاحة لا تظهر إلا بعد أن نعد جملة من القول لإبراز تلك الدقائق والأسرار و بأننا لا يمكن بحال من الأحوال أن نقدم اللفظ على المعنى من

(1) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص59)
(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص401)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 397-398)
(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص400)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 124)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث فصاحة لفظه "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظ مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي فيه، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها"[1]، ذلك أن الفصاحة- وهى قمة الدلالة عنده- لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم (أي القاضي عبد الجبار والخطابي وابن سنان وغيرهم) بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما " [2]، وليس أدل على اهتمام عبد القاهر بالمعنى من تكرار إثبات المزية للمعنى لا للفظ في عشرات المواقع في كتابه دلائل الإعجاز يقول: "وجملة الأمر أنه لا بد لقولنا (الفصاحة) من معنى يعرف فإن كان ذلك المعنى وصفًا في ألفاظ الكلمات المفردة فينبغي أن يشار لنا إليه، وتوضع اليد عليه، ومن أبين ما يدل على قلة نظرهم أنه لا شبهة على من نظر في كتاب تذكر فيه الفصاحة أن الاستعارة عنوان ما يجعل به اللفظ فصيحًا وأن المجاز جملته والإيجاز من معظم ما يوجب للفظ الفصاحة، وأنت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدون ثم يذهب عنهم أن إيجابهم الفصاحة للفظ بهذه المعاني اعتراف بصحة ما نحن ندعوهم إلى القول به من أنه يكون فصيحًا لمعناه"[3].

إن منهج الإمام عبد القاهر هو حلّ إشكالية الجمع بين حديث الخالق سبحانه، ولغة الخلق، أي بين أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وعجز العرب عن مجاراته، ذلك أن القرآن معجز بنظمه، وإن كان بلغة العرب ووفق قواعدهم ومواصفاتهم، أي وفق إبداعات الناس، فيقول في درج الدرر: " ومن سنّة الله تعالى أن يجعل آيات أنبيائه أشياء تلتبس بالغالب من دعاوى أهل العصر لتكون الحجّة ألزم، فبعث موسى عليه السّلام في عصر التّمويهات، وعيسى عليه السّلام في زمن الطّبّ، ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم في عصر الفصاحة والكهانة"[4] .

يلخص الإمام القول ويصف النظم القرآني بالسهل الممتنع بقوله :"ما كان غاية في إفادة الصدق والعجب، الباعث على مكارم الأخلاق، الزاجر عن اللوم، بنظم سهل ممتنع، وهو القرآن، لتضمّنه أقاصيص الأنبياء والأولياء، وذكر عاقبة المتقين، وقصارى عمل المفسدين"[5]. وإذا كان هناك من أشار قبل عبد القاهر إلى أنَّ القرآن معجز في نظمه وحسن تأليفه، فإنَّ أحدًا لم يستطع أن يكشف لنا عن وجه هذا الإعجاز مثلما كشفه عبد القاهر، لذا عدَّ عبد القاهر رائدًا

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 402)

(2) المصدر السابق (ص 394)

(3) المصدر نفسه (ص459- 460)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 689)

(5) المصدر السابق (ج2/ 119)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذا المجال، بعد أن شغلته فكرة (الإعجاز) وقرن بين التنظير والتطبيق، فحلل النصوص، وقد أعانته نظرية النظم وإدراكه لما في اللغة من قدرات، حتى عدَّ واضع أسس المنهج التحليلي في الدراسات النقدية(1)، ويتحدث السكاكي عن نوعين من الفصاحة (معنوية ولفظية): "وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكرة في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق على المرتاد، بل إذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق على أذنك إلا ومعناها أسبق على قلبك، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات، سليسة على الإسلاسات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة"(2).

يقول الإمام في درج الدرر: "والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين" (3). ويوضح أنه كما بلغنا أنّ بعض أهل الإلحاد تصوّر له أنّه يحاكي القرآن بهذيان، فلمّا انتهى إلى قوله: **{وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي} [هود:44]** انشقّت مرارته"(4)، لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني إلى هذا الأمر، عندما رفض المفاضلة بين المفردات، وهو في ذلك يتميز عن غيره من النقاد العرب، رغم أن منهم من يرى أن بعض المفردات أفصح من البعض الآخر، وذلك في معزل عن أي سياق أو تركيب، وقد عبر المرزوقي عن هذه الوجهة في قوله: " اللفظة تستكرم بانفرادها، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينًا" (5).

---

(1) ينظر: أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، (ص 100)
(2) السكاكي، مفتاح العلوم (ص421)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 148)
(4) المصدر السابق (ج2/ 94)
(5) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام (ص 9)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحكم والمتشابه في اللغة:

الإحكام: المنع، وأحكم الأمر أي أتقنه ومنعه من الفساد[1]، "والمتشابه: من شبه، وهو "أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا. والمشبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه أمران إذا أشكلا"[2].

المحكم والمتشابه في الاصطلاح وعلاقته بالفصاحة:

المحكم: ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل أوجهًا[3]. ولعلاقة المحكم والمتشابه بالفصاحة والنظم سواء في الألفاظ أو في المعاني يجب الإشارة إلى رأي الإمام في ذلك حيث جاء القرآن الكريم بما يدل على أنه محكم كله كما في قوله سبحانه: {كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ} [هود:1]، وجاء ما يدل على أنه كله متشابه، إذ يقول الحق سبحانه: {اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتابًا مُتَشابِهًا} [الزمر:23] وفيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه، في قوله سبحانه: {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ} [آل عمران:7] فإن من القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الحق سبحانه منه، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم، فالأول هو المحكم، والثاني هو المتشابه. يقول الإمام: "قوله: {أُحْكِمَتْ} بمعنى: الخصوص، وهو إحكام التلاوة، وتهذيبها ممّا يلقي الشّيطان في الأمنيّة. {ثُمَّ فُصِّلَتْ} من عنده بلا وساطة، أو التفصيل: هو تفسير رسول الله مجملات الآي"[4]. ويقسم الإمام عبد القاهر الجرجاني آيات القرآن الكريم إلى نوعين هما: المحكم والمتشابه، وذلك في تفسيره قوله سبحانه: {يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ} [البقرة:20] إذ يقول: "مثل المنافقين من أصحاب الصّيّب من حيث إنّ القرآن نازل عليهم من نحو السماء كالصيّب، وفيه متشابهات ومحكمات"[5]، ويشير إلى نظرية النظم في حديثه عن فائدة المتشابه بقوله: "من المتشابه؟ قلنا: يجوز أن يعلم بالتّوقيف لا من جهة نفسه كما علم

---

(1) ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 91) والأزهري، معجم تهذيب اللغة (ج1/ 886 – 887)

(2) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج3/ 243) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم (ج4/ 193)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(ج 2/ 5 – 6) أبو البقاء الكفوي، الكليات(ص 845) الزُّرْقاني، مناهل العرفان(ج 2/ 196)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 95)

(5) المصدر السابق (ج1/ 118)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشياء من الغيب، فإن قيل: هل يجب الإيمان بغير المعلوم؟ قلنا: نعم للإعجاز الحاصل بالنّظم المعلوم ووقوع بأن معناه موافق للمحكم المعلوم وفي معناه"[1].

فصاحة اللفظ المفرد:

إن فصاحة الكلمة تكمن فيها منفردة ومؤلفة ولكل منها أبوابه، فالفصاحة عند ابن سنان الخفاجي نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ،، وتلك الشروط تنقسم قسمين فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه والقسم الثاني: يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض، وشروط فصاحة الألفاظ المفردة كالتالي:

الأول: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وعلة هذا واضحة وهي أن الحروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة. ولن نتمكن من فهم فصاحة اللفظ المُؤلَّف قبل أن ندرك طبيعة شروط الفصاحة في اللفظ المؤلف كما انتهى إليها القدماء. **والثاني:** أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنًا ومزية عل غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسنًا يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه. و**الثالث:** غير متوعرة وحشية. **والرابع:** أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية. **والخامس:** أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة[2]. **والسادس:** أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره فإذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وأن كملت فيها الصفات التي بيناها [3].**والسابع:** مما قدمناه أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف **والثامن:** أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك. فإني أراها تحسن به[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 380)

(2) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 63- 77)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ص 85)

(4) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 87- 89)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصاحة اللفظ المؤلَف (المركب):

مهما قيل في فصاحة اللفظ المفرد مما يبين خصائص الكلمة وجماليتها في حال الإفراد فإن أثرها الذي يقع في النفس موقع القبول ويتسق مع دلالته الوضعية يظل دون ما يكون في التأليف. فالوفاء بالمعنى والإمتاع الجمالي شرطان أساسيان يعبران بصدق عن عواطف القائل وأفكاره. وحينما يراعي المتكلم الحال والمقام والمخاطب والدقة في الاستعمال؛ فإن كل كلمة تبقى فصيحة في موضعها على الشروط التي مرت وتكتمل بخمسة أشياء على الرغم من أنهم خلطوا بين مفهوم الفصاحة والبلاغة والبيان والجمال كما نراه في قول ابن الأثير: "شيئان لا نهاية لهما، هما البيان والجمال" (1)، وهذا كله لا يكتمل إلا بمعرفة فصاحة اللفظ في التأليف.

إن التأليف يؤدي إلى سياق، والسياق يوحي بأشياء كثيرة في فصاحة الكلمة وتأثيرها. وهذا يشكل وعيًا جماليًا بالكلمة في نطقها وفي استعمالها.

يصبح الجمال الفني قائمًا على معايير الانسجام والتلاحم الدقيق في المعنى والتركيب والتناسب بينهما، مع مراعاة الحالة النفسية. وقد تجتمع الفصاحة بشروطها الثمانية في اللفظ المفرد لكن التأليف المختار في التركيب وفي موقعه الإيقاعي، واتساقه المعنوي، واتساع دلالته أو ضيقه يقلل من فَصَاحته؛ إن لم يستهجن.

وقد تكون الكلمة ثقيلة في اللفظ أو أن مخارجها متقاربة ولكنها في التركيب تستدعيك فلا يؤخذ غيرها؛ فتمد لك الآفاق في التصور، وتجري من الإيقاع مجرى التأثير المتصاعد، كما في قوله سبحانه: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} **[التكوير: 17، 18]**، يقول الإمام في تفسيره: "{وَاللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ} أقبل. وقيل: أدبر. من الأضداد، وعسعست السّحابة إذا دنت من الأرض باللّيل"(2)، فتقارب مخارج (عسعس) في ذاتها لم يُحِلْ دون استعمالها في تركيب تأليفي يشعر ببديعِ التصوير وعظمة التأثير.

أما في حديث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الإعجاز في القرآن الكريم، يبين الإمام:" {قُلْ لَـئِنِ اجْتَمَعَـتِ الْإِنْـسُ وَالْجِنُّ } **[الإسراء: 88]** قال الفراء: لئن بلا مرفوع؛ لأنّه كاليمين وقد جزم بعض القرّاء، {ظَهِيرًا} معينًا. وفيها دلالة على أنّ ما ألقى الشيطان في سورة

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج1/ 28)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 692)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النجم. وهو قوله: تلك الغرانيق[1] العلى، منهنّ شفاعة ترتجى، لم يكن بمثل القرآن على ما فيه من الفصاحة والجزالة والجريان على لسان ذي الرسالة، والتباسه بالقرآن عند أهل المقالة إلى أن نسخه الله تعالى بقوله: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى◉ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} **[النجم:21 - 22]** فاتّصل هذا الناسخ بالإنكار السابق، وهو قوله: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى◉ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** **[النجم:19 – 20]**، اتصالًا يتبيّن فيه صدر الكلام إليه، وانفتح عوار إجارة الشيطان لديه، واستقامت دعوى الإعجاز من بعد ما كادت تميل"[2]. وفي قوله سبحانه: **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى◉ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}** **[النجم: 21، 22]** فإن كلمة (ضِيْزى) في قوله تعالى: {تلك إذاً قِسمة ضِيْزى} فلو استخدم مكانها أي لفظ لما وقع موقعها؛ ولهذا فمراعاة شروط الفصاحة في اللفظ المفرد كما أثبتها البلاغيون، فتقتضي هذه المراعاة أن ينظر إليها متكاملة في بلاغة التأليف والفصاحة والإعجاز.

أعاد ابن سنان الخفاجي الأقسام الثمانية في اللفظة المفردة حين تحدث عن فصاحة التأليف في الكلام إلى التأليف ذاته. فكلمة (ضِيْزى)؛ غريبة في إفرادها، ولكنها تدل أعظم دلالة على الفصاحة في تأليفها، فلا يشك أحد حين يردد لفظ (عسعس) و(أثاقلتم) فإنه سيجد ثقلاً على اللسان وضغطًا على الحروف، إما لتقاربها، وإما لتكرارها. ويثور السؤال في الذهن، أيُّ الألفاظ يمكن أن تقوم مقامها في سياقها؟ فيأتي الجواب بأن المرء لا يمكن أن يجد أفصح منها في تأدية الوظيفة التي حملتها، في سياقها. وبهذا تكمن فصاحتها، على تقارب مخارج حروفها.

إن استخلاص أبعاد الجمال البلاغية في اللفظ تعود لمنهج علمي يعبر عنه سياقه من معانٍ نفسية وفكرية. فالألفاظ تشاكل دلالتها وإيحاءاتها سواء كانت غريبة أم مألوفة، واللفظ الغريب إذا استعمل في سياقه الدقيق، يصبح فصيحًا كما في كلمة (ضيزى) المضروبة مثلاً للغرابة. ولكنها في حالة استعمال القرآن لها وهي حالة وحيدة لم يقع في موقعها أفصح منها، فكلمة (ضيزى) تدل على التعسف في القسمة، فهي غيْر عادلة(جَائِرَة– عَوْجَاءُ)، و(أغطش)

---

(1) الغرانيق جمع غرنوق وهو طائر أسود من طير الماء طويل العنق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج10/ 287) هذا في الحديث الموضوع عن النبي عليه السّلام، في قصة إلقاء الشيطان الكلام على لسان النبي عليه السّلام، في سورة النجم، بعد قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَالْعُزّى وَمَنَاةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرَى} **[النجم:19 - 20]** حاصلُها أن الشيطان ألقى في أثناء قراءته كلماتٍ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيها الثناء على آلهتهم، وإثبات الشفاعة لها عند الله ، ينظر: ابن كثير، التفسير (ج3/ 308 – 310) وقد ألف الشيخ ناصر الدين الألباني كتابًا رد فيه هذه القصة من أصلها، سماه (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق).

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 227)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدل على تقريع المعاندين المنكرين للبعث. فلو اختير غيْرهما للدلالة المقصودة لما وقعنا على هذا الإيحاء الخاص الرائع في جمال الأسلوب وشدة اقتضاء اللفظ لمعناه ودقته. فلفظ (أغطش)، على غرابته أعظم فصاحة في الدلالة على شدة الظلمة في موقعه من كلمة (أظلم)، التي تعد مألوفة عند البلاغيين وأكثر فصاحة، ولا شكّ أن مما يزيد جمالية مفردات القرآن الكريم أن هذا الانتقاء الصّوتي لا يراعي ظاهرة تجسيم المعاني فحسب، بل هناك ترابط للأفكار، وتمكّن المفردة من المعنى المرتجى [1]، ويعبر الإمام عما أسماه المعاني المستفخمة العظيمة من الشرائع والسنن وقواعد الدين، فيقول في تفسير الآية الكريمة: **{وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم: 46]** "أراد المعاني العامّة المستفخمة العظيمة من الشرائع، والسنن، وقواعد الدين"[2].

وقسم ابن سنان(فصاحة اللفظ المؤلف) كما في اللفظ المفرد إلى ثمانية أقسام:

الأول: تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج:

يوضح ابن سنان مفهومه فيقول": وبيانه أن يجتنب الناظم تكدر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، كما أَمرناه بتجنب ذلك في اللفظة المفردة بل هذا في التأليف أقبح"[3]، ولهذا كله قال الرماني: "التأليف على ثلاثة أضرب: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا... ثم أرجعها ابن سنان إلى اثنين: متنافر ومتلائم، وحكي عن الخليل بن أحمد أن التنافر هو تباعد مخارج الحروف بعدًا شديدًا حتى يكون بمنزلة الطَّفْر، فإذا قربت قربًا شديدًا كانت بمنزلة مشي المقيد، فكلاهما صعب على اللسان والسهولة في الاعتدال [4].

الثاني: التأليف المختار الحسن مع تباعد الحروف تباعداً مناسبًا:

للألفاظ المختارة في النظم وضم الكلم في السمع حسنًا ومزية على غيرها وتجد لها مؤلفة في النفس وقعًا ويكون في التأليف إذا ترادفت الكلمات المختارة، فيوجد الحسن فيه أكثر، وتزيد طلاوته، فالتأليف المتواتر والمترادف يثير جمالاً قويًا، والقبح في الإفراد أكثر مما هو في التأليف، ففي قوله سبحانه: **{قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 250]** يبين الإمام النظم القرآني في السياق{أَفْرِغْ عَلَيْنا} أي: صبّه علينا صبًّا

---

(1) ينظر: أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية (ص 234)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 166)

(3) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 97)

(4) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 99) والرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص 95)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يغمرنا كما يغمر الماء الإنسان، {وَثَبِّتْ أَقْدامَنا} أي: شجّعنا فلا ننهزم"[1]، معنى أفرغ علينا صبرًا أنزل علينا صبرًا يشملنا كنزول الماء، فإن جمال أَفْرِغْ في قوله سبحانه: {قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} وما يثيره في نفسك من الطمأنينة التي يحس بها من هدأ جسمه بماء يلقى عليه، وهذه الراحة تشبهها تلك الراحة النفسية، ينالها من منح هبة الصبر الجميل، ومن الدقة القرآنية في استخدام الألفاظ المستعارة أنه استخدم أَفْرِغْ وهى توحى باللين والرفق وعند حديثه عن الصبر، وهو من رحمته، فإذا جاء إلى العذاب استخدم كلمة (صب) فقال: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر: 13] وهى مؤذنة بالشدة والقوة معًا[2].

الثالث والرابع: من فصاحة الألفاظ ما يتعلق بالتوعر والعامية:

هذان الضربان يقبحان في التأليف إذا كثرا فيه كإيراد الكلام الوحشي، أو العامي المبتذل يذهب بهاء التأليف، يقول القزويني: "وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد مستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريمًا فليتمس له لفظًا كريمًا، فإن حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالًا منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما"[3].

الخامس: أن تكون الكلمة جارية على العُرْف العربي الصحيح وأصوله:

يقول الإمام في دلائل الإعجاز: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه" [4]؛ لأن إعراب اللفظة تبع لتأليفها في الكلام، وعلى الموضع الذي وردت فيه ومعاني ودلالات موقع اللفظة في الآية الكريمة. ونجد الأمثلة كثيرة عند الإمام وذلك في توضيح موقع الإعراب ودلالته على المعنى حيث يقف طويلًا عند بعض الألفاظ مثل: (حتى) فيقول: "{حَتّى تَتَّبِعَ} (حتى) تدخل في الكلام لثلاثة معان: الغاية نحو (إلى)، والتعليل نحو (كي)، والعطف بمعنى المبالغة، فالغاية تدخل على الأسماء والأفعال جميعًا، والتعليل مختصّة بالأفعال، والعطف بالأسماء. وإذا وليها فعل مضارع فهو مرفوع أو منصوب، وفي ذلك وجهان: متى رأيت قبلها فعلًا يطول أو يكثر منفيًّا أو

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 424)

(2) ينظر: أحمد البدوي، من بلاغة القرآن (ص 168)

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 173)

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 81)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثبتًا، وبعدها فعل مضارع حكمه حكم الفعل الأوّل في الماضي والاستقبال فانصبه بتقدير (أن)، قال الله تعالى: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} وقال: **{وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ} [البقرة:214]**، **وقال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة:193]**. ويقول الإمام أيضًا: "و{الْقَرْيَةِ} مكّة، و{الظَّالِمِ} صفة {أَهْلُها} ثمّ الصّفة والموصوف جملة صفة للقرية فلذلك انجرّ (الظّالم). وإنّما لم يقل: الظّالمين؛ لأنّها صفة تشبه الفعل من حيث تقدّمت على الاسم، فكأنّه قيل: من هذه القرية التي ظلم أهلها، و(أهلها): ابتداء في اللّفظ وفاعل في المعنى. قال الفرّاء: (كانت ظالمة)"[(1)].

يوضح الإمام: "كلا وكلتا: اسمان موحّدان في اللّفظ، ومعناهما التّثنية، وألفهما كألف على وإلى، ويكون خبرهما منفردًا ، والمعنى: كلّ واحد، أو كلّ واحدة منهما كذا وكذا"[(2)]. ويقول في موضع آخر موضحًا:"{وَقُلْنا يا آدَمُ} نداء مفرد مبنيّ على الضمّ لمشابهته (قبل) و(بعد)، {اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} أي: انزلها واتّخذها مسكنا وأقم بها، كقوله: **{وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ} [الإسراء: 104]**، **{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} [الأعراف:161]** "وحقيقة السكون ما يضادّ الحركة و(أنت) للتأكيد، كقوله: **{اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ} [طه:42]**، وقوله: **{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} [المؤمنون:28]**، وإنّما اقتضى هذا التّوكيد عطف الظّاهر المرفوع على الضّمير المرفوع في الفعل"[(3)]. ويكون الاعتبار عند الإمام اعتبار المعنى:"{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ} الشرط والجزاء على لفظ الاستقبال، والمنسوخ على لفظ الماضي لاعتبار المعنى، إذ المعنى واحد في نحو قولك: إن أكرمتني أكرمك" [(4)].

السادس: كراهة وضع لفظ لمعنى آخر قبيح مكروه:

يبين الإمام معبرًا بأن هناك ألفاظًا يكره استخدامها في تأليف معين فيستشهد بقوله سبحانه: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا} [النور: 63]** موضحًا: "اتّصالها من حيث اعتبار توقير رسول الله. قيل: هو النداء من وراء الحجرات، وقيل: التصريح بمجرّد اسمه من غير ذكر الرسالة والنبوّة. وقيل: هو التسوية بينه وبين سائر الناس بالدعاء له،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 506)

(2) المصدر السابق (ج2/ 247)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 135)

(4) المصدر نفسه (ج2/ 392)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: لا ينبغي الصلاة على أحد إلا على النبيّ عليه السّلام، ولذلك كرهنا إطلاق لفظة الصلاة على سبيل الابتداء في دعاء غير الأنبياء" [1] .

السابع: اجتناب الكلمة الكثيرة الحروف:

يرى ابن سنان أن كثرة الحروف تعيب اللفظ المفرد؛ فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة وإنما يظهر قبحه في التأليف إذا تكرر [2].

الثامن: تصغير الألفاظ:

مما أورده الإمام عن التصغير قوله في توضيح كلمة أناسي في قوله سبحانه: **{لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} [الفرقان: 49]** قال الفرّاء: أصل إنسان إنسيان؛ لأنّ تصغيره أنيسيان، فالأناسيّ في الأصل أناسين أبدلوا من النون ياء كزبرقان وزباريق وقيل: جمع إنسان كقرطاس وقراطيس، وقيل: جمع إنسيّ على النسبة ككرسيّ وكراسيّ"[3].

إن مرجع ما ذكره ابن سنان الخفاجي ما ورد عند معاصره الإمام عبد القاهر الجرجاني بما عرف (نظرية النظم) فقد ركز اهتمامه في التأليف. فهناك ألفاظ حلوة الجرس في موضع ثقيلة في موضع آخر على فَصاحتها في حال الإفراد. "لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح مزية تحدث بعد أن لا تكون وتظهر في العلم من بعد أن يدخلها النظم"[4]. والأديب لا يطلب اللفظ المفرد؛ فـ"الكلام الفصيح ينقسم قسمين، قسم تعزى المزية فيه إلى اللفظ، وقسم تعزى فيه إلى النظم وإنما يطلب المعنى في اللفظ المؤلف"[5]، فالإمام بهذا لم ينكر فصَاحة اللفظ المفرد.

أما حازم القرطاجني (ت684هـ)، فقد تأثر بالإمام عبد القاهر الجرجاني وبما ذكره عن المعاني الأُوَل والثواني، وبين فكرته بما سماه (التناسب) فيقول: "ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلامِ بالنظر إلى ائتلافِ

(1) عبد القاهر الجرجاني درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 377)
(2) ينظر: الخفاجي، سر الفصاحة (ص 88)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1314)
(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 401)
(5) المصدر السابق (ج1/ 451)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض حروف الكلمة مع بعضها، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما، ومنها ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال، فتكون الواحدة في نهاية الاعتدال والأخرى في نهاية الحوشية وقلة الاستعمال"(1)، ويوضح القرطاجني فكرته في التناسب بقوله: "ولا بد مع ذلك من الذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب وما يصح وما لا يصح. وللأفكار تفاوت في تصرفها في ضروب المعاني وضروب تركيبها من جميع هذه الجهات التي ذكرت. ويتقوى على ذلك بالطبع الفائق والفكر النافذ الرائق، وبالمعرفة بجميع ما يحتاج إلى معرفته في هذه الصناعة من حفظ الكلام والقوانين البلاغية "(2). فالعناصر الجمالية في الكلام المؤلف يكون بانسجام الدلالة و الشكل وقدرته على الإمتاع والتأثير دون تنافر أو تعقيد أو تعمية وإبهام يسقط من جمالية الكلام، وضبط القزويني بدقة صفة الكلام الخالي من التعقيد؛ بقوله: "ما كان الانتقال من معناه الأول، إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرًا حتى يخيل إلى السامع أنه فهمه من حاقِّ اللفظ. وقيل فصاحة الكلام هو خلوصه مما ذكر ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات"(3).

جمالية الكلمة وفصاحتها لا يكمن في ذاتها، بل في موقعها المناسب مع أخواتها، أي في سياقها الذي لا يكون غيره . ففي قول الحق سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 104]** يقول الإمام: "نزلت في النهي عن لفظة كان المسلمون يتلفّظون بها، ويلحن فيها اليهود ليًّا بألسنتهم يريدون الشتم، وهي لفظة (راعنا)، قال ابن عرفة: هو من المراعاة ، والعرب تقول: راعني، أي: تعهّدني، وافهم عنّي وأفهمني، وقال الأزهري: ظاهرها: أرعنا سمعك، وكانت اليهود تذهب بها إلى الرعونة، والأرعن: الأحمق، وقيل: كانوا يقولون: راعينا، يعنون راعي السائمة. فنسخ الله تعالى تلك الكلمة بقوله: {أنْظُرْنا} أي: انتظر وارتقب ما يكون منّا من سؤال أو نحوه"(4)، وكما قال الإمام نقلًا عن الأزهري:" (راعنا) كلمة كانت تجري مجرى الهزء فنهي المسلمون أن يلفظوا بها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود لعنهم الله كانوا اغتنموها فكانوا يسبون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوسهم، ويتسترون من ذلك بظاهر المراعاة منها، فأمروا أن يخاطبوه

---

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ص198- 199)
(2) المصدر السابق (ص 32)
(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 36)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 216)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتعزير والتوقير"[1]. فالأصل في جمالية الكلمة ما قام عليه الاستعمال ليدل بدقةٍ متناهية على الوظيفة التي يؤديها..

إن من الملامح الجمالية في انتقاء الألفاظ في قوله سبحانه: {**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ** } **[هـود: 78]** يوضح الإمام أن ذلك: "إشارة إلى نسائهم، وإنّما دعاهنّ بنات على سبيل التلطف في الخطاب، إذ النّبيّ من أمته بمنزلة الأب من أولاده"[2]، ويتابع الإمام: {**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ**} **[النساء: 46]** "غير صاغر ولا مجبر على الاستماع، كان المؤمنون يريدون بهذا اللّفظ هذا المعنى. وقيل: "اسمع لا سمعت"، وقيل: اسمع غير ممكّن من الاستماع، وكان المنافقون واليهود يريدون بهذا اللّفظ أحد هذين المعنيين.{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} على أنّه مفعول له، أو على التفسير، و(الطّعن في الدّين): هو الطّعن عليه وعيبه، وقوله: {سَمِعْنا} وما بعده يدلّ على ما في قلبه"[3].

ليست البلاغة إلا حق النظم وحسنه كما يفهم من قول للمبرد: "فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام؛ وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقري بها البعيد، ويحذف منها الفضول، "[4] و" لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[5] ، وعن هذا الكلام صدر ابن طباطبا في (عيار الشعر) لمفهوم اللفظ والمعنى [6] وابن رشيق في (العمدة)[7]، تلك هي ملامح جمالية الكلمة في المفهوم وما تتصف به في حال الإفراد والتركيب من جهة الفصاحة والبلاغة. وقد عُنِيَ القدماء بإظهار خصائصها؛ فكانوا روادًا عظماء في الحديث عن كثير مما تعرفه البلاغة الآن.

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة (ج2/ 206)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 110)
(3) المصدر السابق (ج1/ 493)
(4) المبرد، البلاغة، تحقيق رمضان عبد التواب (ص 81)
(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 55)
(6) ابن طباطبا، عيار الشعر (ص 11)
(7) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج1/ 124)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

درس علماء البلاغة ضمن تتبُّعِهم لموضوعات علم المعاني ظاهرةَ الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداعٍ من الدواعي البلاغيّة ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فَنّيَّةٍ إبداعيّة تتضمَّن دلالاتٍ فكرية، أو تعبيراتٍ جماليّة، أو إلماحات ذكيّة، وظهر لهم من التتبُّع الأنواع التسعة التالية: الالتفات– أسلوبُ الحكيم– الإضمار في مقام الإظهار، والإظهار في مقام الإضمار– التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي– التغليب– وضع الخبر موضع الإنشاء ووضع الإنشاء موضع الخبر، الانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس– تجاهُل العارف– القلبُ بإجراء التبادل بين جزئَيْنِ يُمْكن إجراء التبادل بينهما من أجزاء الجملة[1].

الالتفات:

يعد الالتفات من أجل علوم البلاغة، ومن الأساليب البلاغية المهمة، وقد تناوله علماء التفسير والبلاغة منذ القدم، ونبهوا عليه منذ عهد بعيد، وما ذلك إلا لأهمية هذا الأسلوب في إيصال تلك المعاني العظيمة بأوضح صورة إلى ذهن السامع والقارئ، فالالتفات من المواضيع التي تناولها علماء اللغة في كتبهم ، وأولوه مزيد اهتمام لما له من أهمية في البلاغة العربية عمومًا والبلاغة القرآنية خصوصًا، فالالتفات تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضْعٍ آخر، وفي التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم – والخطاب – والغيبة"، مثل قوله سبحانه في: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 30]** ، ومنه خطاب الله رسوله بقوله: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى۝ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: 1- 2]** ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "وإذ قلت للملائكة . " وأن يقول لرسوله: "عبست وتوليت أن جاءك الأعمى". يعد الالتفات ومعه الكثير من الألوان البلاغية من الظواهر التعبيرية التي يعنى علم الأسلوب برصدها وتحليلها ويتداخل ميدان هذا العلم الناشئ في أحضان علم اللغة مع علم البلاغة، فيلتقيان من حيث التوجه أو الغاية؛ إذ إن وظيفة كليهما التقاط التحولات التعبيرية في لغة الأدب للكشف عن شحناتها التأثيرية[2]، فالالتفات سمى بذلك أخذًا له من التفات الإنسان يمينًا وشمالًا، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا

(1) ينظر: الميداني الدمشقي، البلاغة العربية (ص 478– 479)

(2) ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات(ص33)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النوع من علم المعاني، فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات، وقد يلقب بشجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك، هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعًا فإنه يرد الموارد الصعبة، ولا يقتحمها سواه، ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها، ومعناه في مصطلح علماء البلاغة، هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، ومنه العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور، على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون على عكس ذلك[1].

أورد ابن جني في الخصائص بابًا أسماه شجاعة العربية وذكر موضوعات مختلفة تندرج تحت ما سماه: (باب في شجاعة العربية) فيقول:" اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"[2]. ومن المناسب التوقف إزاء مصطلح شجاعة العربية الذي وضعه ابن جني ونقله البلاغيون للدلالة على ظاهرة الالتفات، حيث تفردت اللغة العربية بتلك الظاهرة، أو مخصوص باللغة العربية، والقول بتميز اللغة العربية بظاهرة الالتفات إنما هي مجرد دعوى فالشجاعة وصف للغة العربية وليست لظاهرة الالتفات[3]، إن الشجاعة هنا إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل؛ لأنها تعبير بأسلوب الخطاب في سياق الغيبة، وذكر الغيبة في سياق الخطاب، وهكذا، والمعتمد عليه في ذلك سياق الكلام وشفافية الدلالة، وهذا ضرب من الشجاعة، واقتحام سبيل غير السبيل المألوف، وبهذا التفسير تعد الكثير من فنون التعبير من شجاعة العربية[4].

الالتفات في اللغة:

الالتفات مأخوذ من الفعل " لفت" وهو يدلُ على صرف الشيء عن جهته المستقيمة، ولفتَ وجهه عن القوم صرفه، والتفت التفاتًا والتلفت أكثر منه، وتلفتَ إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، والتفت عنه أعرض[5]، قال ابن فارس: "ومنه لفت الشيء لويته، ولفت فلانًا

(1) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/ 71)
(2) ابن جني، الخصائص (ج2/ 362)
(3) ينظر: حسن طبيل، الالتفات(ص44)
(4) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص 250)
(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة لفت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن رأيه صرفته، وامرأة لفوت لها زوج ولها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها"[1]. وقال الفراء في قوله سبحانه: "{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يونس: 78] وقوله سبحانه: {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ } [هود: 81] اللفت: الصرف، يقال: ما لفتك عن فلان؟ أي ما صرفك عنه"[2]، وقال الزبيدي: "تلفت الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه"[3]، وسمي الالتفات بذلك لأن حقيقته "مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه يتنقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر"[4]. "وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عن الالتفات في الصلاة ، فقال: "هو اختلاسٌ يختلسهُ الشيطان من صلاة العبد"[5]، فالالتفات بتراكيبه واستعمالاته المختلفة يدلُ على معنى الصرف عن الجهة المستقيمة والطبيعية وأكثر ذلك في الماديات.

الالتفات في الاصطلاح:

الالتفات هو: "التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة – أعني المتكلم والمخاطب والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، فهذا التعريف تعريف المتقدمين والمتأخرين من العلماء، وهو تعريفٌ جامعٌ مانعٌ، وإنه في اصطلاح جمهرة البلاغيين:" التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث التي هي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه ويترقبه السامع"[6].

أقسام الالتفات:

ينقسم الالتفات من الناحية العقلية إلى ستة أقسام هي: الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة– الالتفات من الغيبة إلى الخطاب– الالتفات من التكلم إلى الخطاب–

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج 258/5)
(2) الفراء، معاني القرآن (ج475/1)
(3) الزبيدي، تاج العروس، باب لفت (ج78/5)
(4) ابن الأثير، المثل السائر(ج3/2)
(5) البخاري، صحيح البخاري (ج150/1/ 751)
(6) العاكوب، الكافي في علوم البلاغة العربية (ص150)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الالتفات من الخطاب إلى التكلم- الالتفات من الغيبة إلى التكلم- الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وهذه الأقسام موجودة في الشعر العربي سواء كان شعرًا إسلاميًا أو شعرًا جاهليًا مع التفاوت بينهما من جهة الكثرة والقلة في الشعر عمومًا، كما أن هذه الأقسام الستة للالتفات موجودة في القرآن الكريم على رأي جمهور العلماء ؛ إذ نفى الإمام السيوطي – رحمه الله – في "الإتقان " وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلّم في القرآن(1)، ومن أمثلة الالتفات قوله سبحانه: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 2 - 7] حيثُ التفتَ من أسلوب الغيبة بقوله: { الحمدُ للهِ ربِّ العالمين } إلى أسلوب الخطاب بقوله {إيّاكَ نعبُدُ وإيّاك نسْتعين}، ويذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني:"{إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ} تقديره: نعبدك ونستعينك، فلمّا قدّم الضمير لكون ذكره أهمّ من ذكر العبادة قيل كذلك، مثاله قولهم: [إيّاه] ضربت، وإنّما حسن العدول عن المغايبة إلى المخاطبة لدلالة الحال أنّ المعنى واحد، كقوله: {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} [النحل: 56]" (2) ومن أمثلة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قوله سبحانه:{ هو الذى يُسيّركم فى البرّ والبحر حتى إذا كنتمْ فى الفلْكِ وجريْنَ بهم بريح طيّبةٍ وفرحوا بها جاءَتـهمْ ريحٌ عاصِفٌ} [يونس :22] حيث خاطبهم الله سبحانه بقوله: { كنتم }، وتغيّر الأسلوب إلى الغيبة {وجرين بهم} ولكل موضعٍ سره بل أسراره التي هي حريّة بالدراسة والتأمّل.

يذكر الإمام عبد القاهر الالتفات بما يسميه العدول كما في تفسيره الآيات من سورة البقرة: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: 53، 54] وهو يريد الالتفات من المخاطب إلى الغائب، فيقول: "ثمّ عدل إلى المغايبة فقال: {وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ} بني إسرائيل، والقوم: اسم للجماعة لا واحد له من لفظه، يطلق على العقلاء خاصّة"(3).

يقول الحق سبحانه: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } [السجدة: 2- 3]، وفي قوله سبحانه: {افْتَرَاهُ} عدول من الخطاب إلى الغيبة، إذ كان قوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (ج 85/2)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج102/1)
(3) المصدر السابق(ج 156/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ} خطابًا للنبي؛ لأن القرآن كله خطاب من ربه إليه، ثم ما جاء بعد ذلك في قوله تعالى: {لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} يقضى بأن يكون مقام النبي هنا مقام حضور، لا مقام غيبة. ولما كان الافتراء، مما لا يليق بمقام النبوة، ولا يصح أن يطوف بحماها، فقد كان إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، وإحسانه إليه، ورفعه لقدره، أن عزل سمعه عن أن يواجه بهذا المكروه من القول الذي يقوله المشركون فيه، وحتى أنهم وإن أرادوا النبي به، فإنما هو مصروف عنه إلى غيره، ممن يصح أن يكون منه افتراء، وهذا- فوق أنه تكريم للنبي، وإعلاء لقدره- هو أدب سماوي، وإعجاز قرآني، في تصوير الوقع، وضبطه على أحكم ميزان، وأعدله، وأقومه[1].

أسلوب الالتفات من أساليب القرآن الكريم الذي حاز على اهتمام المفسرين وعلماء البلاغة في مجال التنظير ومجال التطبيق، وقد اهتم بعض المفسرين اهتمامًا خاصًا في تجليته من خلال التفسير كما فعل الزمخشري في تفسيره الكشاف والقاضي أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم، والألوسي في تفسيره روح المعاني والطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وغيرهم. يقول الحق سبحانه: **{ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور: 64]**، يشير الإمام إلى أسلوب الالتفات في تفسيره الآيات من سورة النور بأسوب موجز وبكلمات محددة دالة دون تطويل ممل وشروحات مكررة، فيقول:"{أَلا إِنَّ لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ} قد بينّا الكلام في العدول عن المغايبة إلى المخاطبة"[2] .

فوائد الالتفات:

للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع[3]، "ومنها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة"[4]، "وأما الفوائد الخاصة فتختلف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم"[5]، يقول

(1) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج11/ 600 – 601)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1301)
(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/325– 326)
(4) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (ج2/ 229)
(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/326)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السيوطي: "ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله"[1]، ومن هذه الفوائد الخاصة: قصد تعظيم شأن المخاطب، ومن هذا قوله سبحانه: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا } [الإسراء: 111] فإن التأدب في الغيبة دون الخطاب أعظم. والتنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردًا عليه كقوله سبحانه: { وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: 22] [2].

يشترط في الالتفات أن يكون الضمير المتنقل إليه عائدًا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وليس هذا شرطًا لازمًا؛ لأن مطلق التنقل بين التكلم والخطاب والغيبة له التأثير نفسه، وله خصائصه الفنية البيانية البليغة، إذا استوفى عناصره الجمالية المؤثرة، وأدى بعض فوائده وأغراضه البلاغية.

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

إن اختلاف الصيغ بين الأفعال فن بديع فالتعبير عن بعض المعاني بلفظ المستقبل وعن البعض الآخر بلفظ الماضي لا يخلو عن نكتة وغاية، والبالغ في أفانين سحر البلاغة يعرف غايتها وأغراضها، وأثره في روعة الأسلوب وحسن الأداء من خلال الشواهد البلاغية من كتاب الله العزيز أو الحديث الشريف أو مأثور العرب شعرًا ونثرًا[3]، ومن خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر (التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي)، وذلك لأغراض بلاغية ونكت بديعة، وذلك نحو (فَزِعَ) ، من قوله سبحانه: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ} [النمل: 87] فإنّ مقتضى الظاهر فـ : (يفزع)؛ لأنه مما سيقع، فعبّر عنه بلفظ الماضي؛ تنبيهًا على أنه في تحقّق الوقوع ، كشيء وقع في الزمان الماضي، ففي هذه الآية عبر عن المستقبل بصيغة الماضي فقال: "ففزع" بلفظ الماضي بعد قوله "ينفخ" وهو مضارع لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته، وفائدته: أن الفعل الماضي إذا أخذ به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده[4]، وفي قول الحق سبحانه: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

---

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (ج2/229)

(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/326-330)

(3) ينظر: العلوي، الطراز (ج2/ 137 – 140) وعبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن (ج256 – 259)

(4) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر(ج2/15)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} **[الأنعام: 43]** يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني ذلك: " لمّا عاينوا من البأس {تَضَرَّعُوا} أي: الأنبياء عليهم السّلام، وهم لم يفعلوا إلاّ الفزع إلى الخالق جبلة، وأمّا فرعون وقومه فإنّهم كانوا يخادعون موسى عليه السّلام ولا يتضرّعون حقيقة، والمراد بالحثّ المستقبلون وإن كان اللّفظ في الماضين"(1)، فالسرّ في التعبير عن المستقبل "أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعًا بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال"(2)، ومنه قوله سبحانه : **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } [الزمر: 68]** وقوله سبحانه : **{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف: 48]**. أما في قوله سبحانه: **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل: 1]**. فيذكر الإمام: "{أَتى أَمْرُ اللهِ} ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية: **{إقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ.}[الأنبياء:1]**، ثمّ نزلت: **{إقْتَرَبَتِ السّاعَةُ} [القمر:1]**، ثم أمهلت، قالت كفّار قريش: يا محمد، تزعم أنّه قد اقترب للناس حسابهم، والله ما نرى ممّا تقول شيئًا، قال: فنزلت {أَتى أَمْرُ اللهِ،} فوثب رسول الله عليه السّلام لا يشك أنّ العذاب قد أتاهم حتى قال له جبريل عليه السّلام:{فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ،} فجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"(3). وقوله سبحانه: **{وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ } [الشورى: 44]**، ومن النكت في التعبير بالماضي عن المستقبل (مقاربة الوقوع) ؛ كقوله سبحانه : **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]** ، أي: لو شارفوا أنْ يتركوا، يقول الإمام: "وإنّما أمروا بالخشية لئلاّ يسرفوا في الوصيّة إذا تركوا ذرّيّة ضعافًا يخافون الفقر عليهم، وكأنّهم كانوا يخافون الفقر على ذراريهم ومع ذلك يكثرون الوصيّة غلوًّا ورياءً، فنهوا عن ذلك وأمروا بالخشية والاتّقاء"(4).

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

وهو التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، وذلك لأغراض بلاغية، حيث استحضار الصورة الماضية، ومنه عندما يكون الموضوع في فِعْلٍ له خصوصية تستغرب، أو تهم المخاطب، أو

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 608)
(2) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/ 178)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/181– 182)
(4) المصدر السابق (ج1/ 469)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غيره؛ كقوله سبحانه : {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31] ، فإنه عَدَل فيه، عن لفظ الماضي، إلى لفظ المستقبل؛ لاستحضار صورة تخطُّف الطير إياه، وهوي الريح به. أما في قول الحق سبحانه:{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 102] يوضح الإمام: " (واتّبعوا): افتعال من تبع يتبع،(ما تتلو): مستقبل بمعنى الماضي"(1)، كقوله سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: 87] في الآية الكريمة لون جميل من الالتفات وهو التعبير عن الحديث الذي قد مضى بصيغة المضارع، ففي المقطع الأخير من الآية: {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} عبر عن القتل بصيغة المضارع وأن تراد الحال الماضية؛ لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس، وتصويره في القلوب ، ويقول الإمام:" {وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} مثل زكريّا ويحيى عليهما السّلام، (تقتلون): مستقبل بمعنى الماضي، كقوله: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران:59]" (2)، ويوضح الإمام:"{تَقْتُلُونَ} مستقبل بمعنى الماضي بدلالة قوله: {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ} [آل عمران:183]" (3).

يعبر بالمضارع عن الماضي (لإرادة الاستمرار) وذلك ما أشار إليه العلماء في حديثهم عن قوله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج: 63] ، حيث إن التعبير بلفظ المضارع في (فتصبح)؛ لأن المضارع هنا للاستمرار التجددي الشامل لجميع الأزمنة الثلاثة ، بخلاف الماضي؛ فإنه نص في المتعرِّض السابق، فهو كما تقول : أنعم عليَّ فلان عام كذا ؛ فأروح وأغدو شاكرًا له؛ ولو قلت: فرحت، وغدوت لم يقع ذلك الموقع لقصوره عن إفادة معنى الاستمرار الذي عيّنته بالأسلوب الأول (4)، وقد نصّ على هذه النكتة جمع من المفسرين(5)، يوضح الإمام: "{فَتُصْبِحُ} رفع؛ لأنّه خبر

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 212)
(2) المصدر السابق (ج1/ 195)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 198)
(4) ينظر : العلوي، الطراز (ج 3/ 137 – 138)
(5) ينظر : الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(ج 3/ 168)
وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج7/ 531)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منفصل عمّا قبله، أو جواب شرط مضمر تقديره: أنّ الله أنزل الماء من السماء فتصبح الأرض مخضرّة، وكذلك التقدير في قوله: **{فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ} [الحج:31]**"[1].

أما في قوله سبحانه : **{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة: 54]**، يقول الإمام: " {وَما مَنَعَهُمْ} أي: ما منعهم شيء عن مساواة غيرهم في قبول الصّدقات إلاّ كفرهم، {وَلا يَأْتُونَ} {وَلا يُنْفِقُونَ} يحتمل بمعنى الماضي، ويحتمل على ظاهره"[2].

ورد في القرآن الكريم في سياق الحديث عن خلق عيسى عليه السلام، قوله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: 59]**، والتعبير بأسلوب: {كن فيكون} ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، يقول الإمام: "ضرب الله تعالى هذا المثل وقال: {إِنَّ مَثَلَ عِيسى} شبّهه بآدم في الوجود من غير أب فقط ، كما شبّه الهلال بالعرجون والكفّار بالأنعام، و{آدَمَ} معرفة، {خَلَقَهُ} كلام مستأنف ليس بصفة ولا حال، {فَيَكُونُ} تقديره: فصار ؛ تكوّن شيئًا بعد شيء على التدريج، وكأنّه لم يكن حيًّا دفعة واحدة وذلك سنّة الله في خلق الأشياء للتّمكين من الاعتبار. وقيل: تمّ الكلام عند قوله: {كُنْ} ثمّ ابتدأ فقال: {فَيَكُونُ} أي: يكون كلّ مأمور بأمر"[3]، إن الآية جاءت بصيغة الحاضر بدلاً من صيغة الماضي، جريًا على عادة العرب في الاستعمال؛ حيث يستعملون صيغة المضارع تعبيرًا عن الماضي؛ لاستحضار صورة الحدث، وكأنه يقع الآن، إن مجيء الآية على هذا الأسلوب من ورائه غرض بلاغي؛ وذلك أن التعبير بصيغة الماضي يفيد الانقطاع والانتهاء، وهذا غير مراد في الآية، حيث جاءت لتبين الكيفية التي خلق الله فيها آدم؛ لأنه لو قيل: (كن فكان) لصدق هذا التعبير على وجود آدم لحظة واحدة من الزمن، ولو كان قد مات لحظة خلقه، أما التعبير بصيغة المضارع: {كن فيكون} فيفيد الدوام والاستمرار ؛ وهذا يدل على أن آدم وجد، واستمر وجوده حتى أنجب ذكورًا وإناثًا؛ لأن دلالة المضارع تبدأ من الحال، وتستمر في الاستقبال.

يقول ابن هشام في "مغني اللبيب": " إنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصدًا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار نحو: **{وَإِنَّ رَبَّكَ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 342)

(2) المصدر السابق (ج1/ 774 – 775)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 404)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 124] لأن لام الابتداء للحال ونحو قوله سبحانه: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص 15] إذ ليس المراد تقريب الرجلين من النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول هذا كتابك فخذه وإنما الاشارة كانت اليهما في ذلك الوقت هكذا فحكيت ومثله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: 9] قصد بقوله سبحانه وتعالى فتثير إحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة"[1]، فلم يقل سبحانه: (فأثارت) بصيغة الماضي، وإنما قال: {فتثير} بصيغة الحاضر؛ لاستحضار تلك الصورة من إثارة السحاب، وكأنها تحدث الآن، حيث تبدو أولًا قطعًا متناثرة، ثم تأتلف وتتداخل فيما بينها، إلى أن تصير ركامًا، ويتشكل منها الماء.

التعبير بالمضارع أوكد وأشد؛ لأن فيه استحضار الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى الفاعل في حال وجود الفعل، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلًا قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه، يقول الحق سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء: 85] يقول الإمام: "{مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً} أراد تشفيع العمل، وهو أن يقرن بين فعل الماضي وبين فعل الحال، فيضم الحسنة إلى حسنه أو سيّئة إلى سيّئه، وعن الضّحّاك ومحمّد بن جرير أنّ الشّفاعة الحسنة موالاة المؤمنين بتشفيع وتوهم، والشّفاعة السّيّئة موالاة الكفّار بتشفيع وتوهم"[2]، وفي قوله سبحانه :﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27] يبين الإمام: "{يَنْزِعُ عَنْهُما} للحال، أو مستقبل بمعنى الماضي، وإبليس لم يفعل ولكن أسند الفعل إليه لحصوله بسببه"[3].

أما قول الحق سبحانه: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2]، ورُبَما فيها كافة عن العمل، وخرجت بها عن مذهب الحرف لأن (رب) حرف جر، وحرف الجر يلزم للأسماء، فلما دخلت رُبَما عليها، جاز أن يقع بعدها الفعل، وصارت بمنزلة (طالما وقلّما) . ولا يدخل بعد رُبَما إلا الماضي، وإنما جاء هاهنا المضارع بعدها، على سبيل الحكاية، ولما كان إخبار الحق تعالى متحققًا، لا شك في وجوده لتحققه، نزّل المستقبل منزلة الماضي الذي وقع

(1) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص 905)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 618)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 648)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووجد[1]، يقول الإمام:"{رُبَمَا} [ربّ] حرف جارّ ولا يدخل إلا على الأسماء المنكورة، فإن صرف إلى فعل كفّ عن العمل بما الكافّة، ولا يدخل إلا على فعل ماض أو حال، وإنما دخل هاهنا على الفعل المستقبل لأنه واجب لا محالة، فكأنه ماض، ألا ترى أنّ أكثر أحوال القيامة مذكور في القرآن على لفظ الماضي"[2].

وضع الظاهر موضع المضمر:

وضع علماء العربية قواعد ضبطوا من خلالها أصول البيان، ووزنوا على وفقها أسلوب الكلام، وقرروا أن الخروج عن هذه القواعد لا ينبغي أن يكون إلا لداع يستدعي هذا الخروج. ومن القواعد التي قرروها: أن الاسم إذا ذُكر أولاً، فلا يعاد ثانية، وإنما يُذكر مضمرًا، غير أنهم سوغوا إعادة الاسم الظاهر ثانية لمعنى ما، وعبروا عن هذا الأسلوب بقولهم: وضع الظاهر موضع المضمر، أو إظهار ما حقه الإضمار، أو التعبير بالظاهر عن المضمر، فالأصل في الكلام الإظهار والإضمار أمر يتعلق بالأسماء، والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأنه إذا ذُكر الاسم ثانيًا أن يُذكر مضمرًا؛ للاستغناء عنه بالظاهر السابق. فأنت تقول: كان الجو لطيفًا، إنه لم يكن حارًا ولا باردًا، فأضمرت (الاسم) في قولك: (إنه)؛ لأنه ليس من السائغ لغة، أن تعيده ثانية، فتقول: إن الجو.هذا هو الأصل في الكلام، فالأصل ألا يعاد ذكر الاسم ثانية، إلا إذا كان هناك غرض وفائدة في هذه الإعادة، فيُعدل عن هذا الأصل. وقد ذكر أهل العلم بالعربية أسبابًا تستدعي هذا العدول.

أغراض وضع الظاهر موضع المضمر:

- **زيادة التقرير والتمكين:** مثاله قوله سبحانه: **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الإسراء: 105]** أصل الكلام: {وبالحق أنزلناه وبه نزل}، لكن كرر الاسم ثانية زيادة في تقرير حقيقة نزول القرآن بالحق، وتمكينًا لهذه الحقيقة في النفوس، يذكر الإمام: "{وَبِالْحَقِّ} الصدق والصواب، {أَنْزَلْنَاهُ} الضمير عائد إلى الهدى في قوله: **{وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى} [الإسراء:94]**. وقيل: المراد به: الوحي، {وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} توكيد" [3]،

---

(1) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج14/ 8)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1046)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 233)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى هذا النحو جاء قوله سبحانه: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ} [آل عمران: 78].

– **قصد التعظيم**: والأمثلة عليه كثيرة، منها قوله سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [العنكبوت: 19]، ثم قال: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: 20]، فقد صرح باسم {الله} ثانية في قوله: {ثم الله ينشئ النشأة الآخرة}، ومقتضى القواعد أن يقول: (كيف يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة)، لكن أعاد الاسم ثانية؛ للدلالة والتنبيه على عِظَمِ هذا الأمر.

–**إزالة اللَّبس**: حيث يوهم الضمير أنه غير المراد، كقوله سبحانه: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح: 6]، لو قال: (عليهم دائرته) لالتبس بأن يكون الضمير عائدًا إلى الله تعالى، فأعاد الاسم ثانية؛ دفعًا لهذا اللَّبس. وهنا يؤكد الإمام عبد القاهر الجرجاني أن: "{ظَنَّ السَّوْءِ} ظنّ أسد وغطفان أنّه: {لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} [الفتح:12] سالمين"[1]، ونظيره قوله عز وجل: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]، فلو قال: (إنه كان مشهودًا) لأوهم عود الضمير إلى (الفجر).

– **قصد تربية المهابة وإدخال الروع**: على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك، مثاله قوله سبحانه: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ} [غافر: 49] لم يقل: (لخزنتها) مع أنه الأصل؛ وذلك للتخويف من أمرها، وبيان خطرها[2].

– **قصد التوسل بالظاهر إلى الوصف**: نحو قوله سبحانه: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158]، بعد قوله في صدر الآية: {إني رسول الله إليكم جميعًا}، فلم يقل: (فآمنوا بالله وبي)؛ ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي الأمي، الذي يؤمن بالله، فإنه لو قال: (وبي) لم يتمكن من ذلك؛ لأن (الضمير) لا يوصف؛ ليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له، هو من وُصِفَ بهذه الصفات.

– **التنبيه على علة الحكم**: من ذلك قوله سبحانه: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [البقرة: 59] فلم يقل: (عليهم)؛ لأنه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 575)

(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 491)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس في (الضمير) ما في قوله: {الذين ظلموا} من ذِكْر (الظلم) المستحَقّ به العذاب. ونظيره قوله سبحانه: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: 89] ، الأصل: (فلعنة الله عليهم)، لكن أظهر الاسم؛ للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم(1).

– **قصد العموم**: من ذلك قوله سبحانه: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: 53] ، فإنه لو قيل: (إنها لأمارة بالسوء) لاقتضى تخصيص ذلك بيوسف عليه السلام فحسب، فأتى بالاسم الظاهر؛ ليدل على أن المراد التعميم، ويقول الإمام: "أراد التنبيه على توفيق الله وعصمته، ونفي الرياء والعجب،{إلاّ ما رَحِمَ رَبِّي} استثناء منقطع، أي: لكن من رحم ربّي، فهو المعصوم. وقيل: استثناء متصل تقديره: إلا رحمة من ربي وقيل: هو كلام المرأة برّأت يوسف ولم تبرّئ نفسها"(2)، ونظير هذا قوله سبحانه: {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} [الشورى: 48]، فلم يقل: (فإنه كفور)؛ مبالغة في إثبات أن هذا الجنس شأنه كفران النعم.

– **قصد الذم**: وهو كثير، ومنه قوله سبحانه: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } [النبأ: 40] والكافر: ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم، وثمة أسباب أُخر يُخرج بها عن مقتضى قاعدة الإضمار إلى الإظهار، وفي قوله سبحانه: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 37]، وضع الظاهر (الكافرين) موضع المضمر؛ إشعاراً بأن مَنْ هذا شأنه، فهو كافر لنعمة الله، ومَنْ كان كافرًا لنعمة الله، فله عذاب يهينه، كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء، يقول الإمام: "{وَأَعْتَدْنا} يقتضي مضمرًا، فكأنّه قال: هم كافرون وأعتدنا للكافرين. وإنّما جاز وصفهم بالكفر؛ لأنّ من اعتقد أنّ البخل حسن محمود ورضيه وأوصى به غيره فقد كذب الله ورسول الله فكان كافراً"(3).

– **قصد التشريف**: يقول الحق سبحانه: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص 5] يقول الإمام في توضيح أن الظاهر يقع للتشريف: "{إنَّ هذا لَشَيْءٌ} فالإشارة واقعة إلى الضّمير على الآلهة، أي: هو شيء يرضاه الله، ويجوز أن تكون الإشارة على قوله واقعة إلى خلاف

---

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 493)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 135)
(3) المصدر السابق (ج1/ 488)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أي: هو شيء يتمناه كلّ أحد ليذكر، وليتشرّف به على غيره"[1].

– **قصد التخصيص** وفي قوله سبحانه: {**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** } **[الأنعام: 55]** ، وضع الظاهر {المجرمين} موضع المضمر؛ للتنصيص على أنهم المراد؛ ولإجراء وصف (الإجرام) عليهم، يبين الإمام : "وَكَذَلِكَ الواو للاستئناف، والإشارة إلى ما تقدّم، {وَلِتَسْتَبِينَ} الواو للعطف على مضمر تقديره: لنفصّل الآيات ولتستبين، أو ليتوقّف عليها ولتستبين،(الإجرام): ارتكاب الجريمة، والجريمة: الجناية"[2]، وهو بهذا وضح أنهم المراد وإجراء وصف الإجرام عليهم أو ارتكاب الجريمة والجناية. إن وَضْع الظاهر موضع المضمر حقه أن يكون في الجملة الواحدة، نحو: {**الْحَاقَّةُ۝ مَا الْحَاقَّةُ** } **[الحاقة: 1- 2]** فأما إذا وقع في جملتين فأمره سهل، وهو أفصح من وقوعه في الجملة الواحدة؛ لأن الكلام جملتان؛ فحَسُنَ فيها ما لا يَحْسُن في الجملة الواحدة. وأما مثاله في الجملتين، فقوله سبحانه: {**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} **[البقرة: 282]** ، وقوله سبحانه: {**إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**} **[العنكبوت: 31]** [3]، فإنه متى طال الكلام حسُن إيقاع الظاهر موضع المضمر؛ كيلا يبقى الذهن متشاغلًا بسبب ما يعود عليه اللفظ، فيفوته ما شُرع فيه، كقوله سبحانه: {**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} **[النور: 35]**، فلما طال الكلام، أعاد لفظ الجلالة {الله} ثانية[4]، يقول الحق سبحانه: {**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** } **[البقرة: 48]** يبين الإمام: " وإنّما لم يقل: {لا تجزي فيه نفس}؛ لأنّ اليوم إذا أضيف إلى الفعل حذف منه {فيه} كقوله: {**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ**} {**وَلا بَنُونَ**} **[الشعراء:88]**، {**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**} **[الفرقان:27]** وقوله: {**يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ**} **[إبراهيم:41]** فتقديره: واتّقوا يومًا لا تجزيه نفس، ثمّ أسقط الضمير"[5].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 520)

(2) المصدر السابق (ج1/ 610– 611)

(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 501)

(4) المصدر السابق (ج2/ 502)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 150)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضع المضمر موضع الظاهر:

يُوضع الضمير في موضع الاسم الظاهر؛ لأغراض بلاغية، تكلَّم عنها أرباب المعاني، وتناولوها في مصنَّفاتهم، وأوردوا عليها العديد من الشواهد.

أغراض وضع المضمر موضع الظاهر:

- **الاشتهار ووضوح الأمر:**

من الأغراض أن يكون وضع المضمر موضعَ الظاهر؛ لاشتهاره ووضوح أمره ، كقوله سبحانه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} **[القدر: 1- 2]**، أي : القرآن، وفي مثله قوله سبحانه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} **[يوسف: 2]** يقول الإمام:"{إِنّا أَنْزَلْناهُ} الضمير عائد إلى الكتاب، {قُرْآنًا} اسم من القراءة، أو مصدر، {عَرَبِيًّا} بلغة العرب، قال عليه السّلام: "إنّ العربية ليست باب والد، ولكن كل من تكلم بالعربية فهو عربيّ"(1). أو لكون المضمر متعيّن الذكر تعيّنًا يغني عن التصريح به، وهذا ما جاء في قوله سبحانه: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} **[ق: 1- 2]**، حيث إن إضمار ذكر الكافرين في { بل عجبوا} و{ جاءهم } و{ منهم} مع أنهم لم يجرِ ذكرهم قبله للإشعار بأنهم متعينون بهذا المقال وهو قولهم {هذا شيء عجيب} قصدًا به إنكار الرسالة وإنكار البعث، والحياة الثانية في النشأة الآخرة ؛ فلكونهم متعينين بهذا القول استغنى عن التصريح بذكرهم، وقد أشار إلى هذه النكتة بعض المفسرين(2).

- **تعظيم الشأن:**

لتعظيم الشأن نحو قوله سبحانه : {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } **[غافر: 65]** أو لادّعاء أنّ الذهن لا يلتفت إلى غيره؛ كقول المعري في مطلع قصيدة:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 989) ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج2/ 325) قال عنه ابن تيمية في "الاقتضاء": هذا حديث ضعيف، وكأنه مركب. وقال الألباني: ضعيف جدًا.

(2) ينظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (ج8/ 125)

وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج26 / 278)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زارتْ عليهْـــــــــا للظـــــــــلامِ رِواقُ   ومِـــن النجـــومِ قَلائـــدٌ ونِطَـــاقُ[1]

يقول الحق سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم: 27] يبين الإمام التعبير أو العدول بالضمير عن الاسم الظاهر للتعظيم بقوله:"{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} أي: هيّن عليه، قال الشاعر[2]:

[من الطويل]

تمنّــى رجــالٌ أن أمــوتَ وإن أمــتْ   فتلــكَ ســبيلٌ لســت فيهــا بأوحــدِ

والضمير عائد إلى الأبد أو الإعادة جميعًا، وقيل: إلى الإعادة أهون عليه، أي: أيسر من البداءة في خواطركم وأوهامكم، وإن كلا الأمرين عنده واحد، وقيل: الضمير عائد إلى الخلق الذي هو المخلوق، وأهون من الهوان. أي: المخلوق أهون على الله من أن يعتديه في صفاته العلى، ويتعرّف به إلى من قدّر له الهدى"[3]، أما قوله سبحانه: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الشورى: 4- 5]، أي تكاد السماوات ينفطرن من فوقهن لعظمة الله؛ لأنه لما قال: (وهو العلي العظيم)[4]، وقيل: يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة، وقيل: يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته، ويدل عليه مجيئه بعد قوله (العلي العظيم)[5] ، يقول الإمام: {يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} أي: وجود ابتداء حالة الانفطار من جهاتهنّ اللّواتي هي من فوقهنّ لثقل ما فوقهن من العرش، أو ممّا شاء الله، أو لهيبة الله تعالى فوقهنّ لتصدّع الجبال من خشية الله. وقيل: الضّمير في {فَوْقِهِنَّ} عائد إلى الأنفس المعبودات من دون الله على ظنّ أنّه بنات الله، تعالى الله عمّا يقولون، فالسّماوات تكاد يتفطّرن من فوقهن، أي: من فوق هؤلاء الأنفس لعظم قول المشركين فيهنّ، هؤلاء الأنفس إنّما هنّ الأرواح الخبيثة من الشّياطين دون الملائكة الذين: {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي

(1) البيت من الكامل ، ينظر : أبو العلاء المعري، ديوان سقط الزند (ص 210)

(2) الشافعي، الديوان (ص 64)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 437)

(4) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 394)

(5) ينظر: القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج12/ 274)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى: 5][1]، وفي قوله سبحانه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: 8- 9] يقول الإمام:"{وَتُسَبِّحُوهُ} الضّمير عائد إلى الله تعالى" [2]، عني: الإجلال {وَتُوَقِّرُوهُ} يعني: التعظيم. قال ابن جرير: ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال، هذه الكنايات راجعة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وها هنا وقف {وَتُسَبِّحُوهُ}، أي: تسبحوا الله يريد تصلّوا له {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} بالغداة والعشي[3].

- **التأكيد:**

يأتي للتأكيد حين يعطف الظاهر المرفوع على الضمير المرفوع كما يوضح الإمام: "و(أنت) للتّأكيد، كقوله: {اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ} [طه:42]، وقوله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} [المؤمنون:28] وإنّما اقتضى هذا التّوكيد عطف الظّاهر المرفوع على الضّمير المرفوع في الفعل، إذ ليس يجوز ذلك عند البصريين إلا بالتّأكيد بضمير مرفوع منفصل، أو بنوع فاصل كقوله: {لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا} [الأنعام:148]، ولم يقل: وآباؤنا"[4].

وردت كلمة { افْتَرَاهُ} في القرآن الكريم سبع مرات وفيها ضمير يعود إلى القرآن الكريم، يقول الحق سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود: 13] وقوله سبحانه:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [يونس: 38] وقوله سبحانه:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ } [هود: 35]، وقوله سبحانه: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} [الأنبياء: 5] وقوله سبحانه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان: 4] وقوله سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: 3] وقوله سبحانه أيضًا:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الأحقاف: 8] يقول الإمام : {افْتَرَاهُ} الضّمير عائد إلى القرآن والتّحدّي بعشر

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 549 – 550)

(2) المصدر السابق (ج2/ 575)

(3) ينظر: النجدي، توفيق الرحمن في دروس القرآن (ج4/ 109)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 135)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سور، وقيل: التّحدّي بسورة، وبحديث "[1]، "فالضمير في قوله: افتراه عائد إلى ما سبق من قوله: يوحى إليك أي إن قالوا إن هذا الذي يوحى إليك مفترى فقل لهم حتى يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقوله مثله بمعنى أمثاله حملًا على كل واحد من تلك السور ولا يبعد أيضًا أن يكون المراد هو المجموع، لأن مجموع السور العشرة شيء واحد"[2]، (افْتَرَاهُ) الضمير لما يوحى، {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} أي: يكون كل واحد مثل القرآن في البلاغة والغرض إلزامهم، والدليل على أنه معجز من عند الله والعجز عن الإتيان بمثل الكل والبعض أعم من أن يكون عشر سور أو سورة واحدة دليل عليهم مع أن سورة البقرة متأخرة في النزول عن هود، والأصح أن يونس أيضًا متأخرة فتحداهم أولاً بعشر سور ثم عجزوا فتحداهم بسورة واحدة[3]، ويقول الإمام في هذا أيضًا :" وإنّما وقع التحدّي ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرًا وسحرًا، ولا يكون كذلك ، ونظائره: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} **[النجم:34]**، وقوله: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} **[هود:13]** وقوله: {لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ} **[الإسراء:88]**[4].

- التقرير:

يأتي للتقرير وفي مثله قول الحق سبحانه: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} **[الأعراف: 46]**، يقول الإمام أن الضّمير في قوله: "{لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [عائد على] أصحاب الأعراف، وقال عليّ رضي الله عنه: نحن الأعراف، يعني بني هاشم، نعرف كلاّ بسيماهم، كأنّ الضّمير على تأويل [عائد على] أصحاب الجنّة، ويجوز إطلاق أصحاب الجنّة قبل الدّخول فيها"[5].

وضع المفرد موضع الجمع:

مِن شواهد وضع المفرد موضع الجمع، قوله سبحانه: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } **[مريم: 81، 82]** ، ففي

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 97)
(2) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج17/ 324)
(3) ينظر: الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن (ج2/ 166)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 121)
(5) المصدر السابق (ج1/ 655)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية جاء اسمُ يكون العائد على الآلهة ضميرَ جمع، ثم جاء الخبر عنه مفردًا {ضدًّا}، عدولاً عن "أضدادًا" التي يقتضيها ظاهرُ السياق، يقول الزمخشري: "فإن قلت: لِمَ وحَّد؟ قلت: وحَّد توحيد قوله – عليه الصلاة والسلام: (وهم يدٌ على مَن سواهم)؛ لاتفاق كلمتهم، وأنهم كشيء واحد لفَرْط تضامِّهم وتوافقهم"[1]، وفي مثلها يقول الحق سبحانه: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 20] يقول الإمام: "{لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ} إنّما وحّد السمع اكتفاء بجمع المضاف إليه من جمع المضاف، أو أراد الجنس، كقوله: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} [الحاقّة:17] وقوله: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} [النور:31]"[2]. وفي قوله سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } [آل عمران: 7]، يوضح الإمام بقوله: "وإنّما قال: {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} ولم يقل: أمّهات الكتاب؛ لأنّه اعتبر المعنى وهو الأصل، فجعل الآيات شيئًا واحدًا ثمّ وحّد، وقريب منه قوله: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون:50]"[3]، ومن الجمع إلى الواحد، كقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 87] وقد سبق حكمته. ومن نظائره قول بعضهم في قوله سبحانه: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38] {قلنا اهبطوا منها جميعًا} ثم قال: {فإما يأتينكم مني هدى} ، ولم يقل [منا] مع أنه للجمع أو للواحد المعظم نفسه وحكمته المناسبة للواقع فالهدى لا يكون إلا من الله فناسب الخاص للخاص[4]، وفي هذه الآية التفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع أو المعظم نفسه – في قوله: {قلنا} إلى الضمير الخاص بالمتكلم المفرد – في قوله: "مني" وحكمه هذا الانتقال هنا أن الهدى لا يكون إلا منه وحده تعالى فناسب الضمير الخاص كونه لا هادي إلا هو تعالى فأعطى الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذي لا يحتمل غيره [5]. وفي قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا } [النساء: 43]، ويبين الإمام أن هناك ألفاظًا تصح أن تكون للإفراد وللجمع فيوضح:" {وَلا جُنُباً} أي: ولا مجنبين، و(الجنب) واحد وجمع إذا كان نعتًا لاسم، يقال:

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ج2/523)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 118)

(3) المصدر السابق (ج1/ 379)

(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 335)

(5) ينظر: أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط(ج1/321) والزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/335)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رجل جنب، وامرأة جنب، وقوم جنب، وإن أقمته مقام الاسم ثنّيت وجمعت، وإنّما استثنى (عابري سبيل) للضّرورة، قال إبراهيم: هو أن لا يجد طريقًا غيره، وقيل: هو أن لا يصل إلى الماء إلاّ به فيتيمّم ويدخل" [(1)].

يبين الإمام قول الحق سبحانه:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 8] بقوله: "{وَمِنَ النّاسِ} نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبيّ بن سلول وجدّ بن قيس ومعتب ابن قشير ومن تابعهم، وسمّي الإنس إنسًا لظهورهم، وهم ضدّ الجنّ، وأنست السر، بغير مد إذا أظهرته، وإنّما وحّد الفعل في أول الآية وجمع الضمير في آخرها؛ لأنّ (من) لفظه لفظ الوحدان، ولإبهامه يصلح أن يكون اسما للمذكّر والمؤنّث والاثنين والجماعة، يعدل تارة إلى اللفظ وتارة إلى المعنى، كقوله: {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً} [الأحزاب:31]"[(2)]. وفي قول الحق سبحانه:{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: 39] يقول الإمام: {بِكَلِمَةٍ} عيسى عليه السّلام، أو الإنجيل، أو وحي اختص يحيى عليه السّلام بتصديقه من قبل أبيه أو من قبل نفسه"[(3)]، فقوله سبحانه {بكلمة من الله} معناه كتاب الله الإنجيل كما ذكر الإمام، فوضع المفرد موضع الجمع، ويؤيد الزمخشري هذا بقوله:" مصدقًا بكلمة من الله، مؤمنًا بكتاب منه. وسمى الكتاب كلمة"[(4)].

وضع الجمع موضع المفرد:

العدول عن المفرد إلى الجمع، نحو قوله سبحانه: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [إبراهيم: 31] عَدَل عن المفرد "خُلة" إلى الجمع "خِلال"، ولعلَّ وجه إيثار الجمع في إبراهيم عليه السلام على المفرد كما في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 254] أنّه لَمَّا لم يذكر شفاعة في إبراهيم – كما ذكرت في البقرة – ذكر الجمع ليتناولَ نفيَ الخلة، وكلِّ ما يشابهها، أو يرتبط بها كالشفاعة وغيرها، ولا يغيب عنَّا ما بين الخلة والشفاعة مِن ارتباط، ويؤيد هذا قول الألوسي في

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 491)

(2) المصدر السابق (ج1/ 108– 109)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 394)

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 360)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصود بالإفراد أو الجمع بأنَّ: "المراد واحدٌ وهو نفي أن يكون هناك خليلٌ ينتفع به بأن يشفع له أو يسامحه بما يفتدي به"(1)، وفي عبارة الألوسي نفي الخلة، وكلَّ ما يشابهها، أو يتعلَّق بها، كالشفاعة أو المسامحة، يذكر الإمام أن: "{ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ } ولا خلال شفاعة"(2). ومنه قول الحق سبحانه:{**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 114]**، يقول الإمام: "وإنّما وحّد الفعل بـ (من)، وقال: {أُولئِكَ} لما سبق القول في مثله" (3)، ومن خطاب الواحد إلى خطاب الجمع: قوله سبحانه :{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق: 1]** (4)، "إذ ابتدأ خطابَ النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جعل الفعل للجميع، إذ كان أمر الله نبيه بأمرٍ، أمرًا منه لجميع أمته، كما يقال للرجل يُفْرَد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته"(5)، إنما رجع الجواب من التوحيد إلى الجمع؛ لأن ما خوطب به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقد خوطبت به أمته، فاكتفى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية، ومثل هذا قوله تعالى: {**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**}(6). وفي قوله سبحانه: {**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [النحل: 73]**، يبين الإمام أن الحق وحد الفعل{يملك} وجمع {يستطيعون} بقوله:" و{رِزْقًا}: مصدر نصب بالملك. {شَيْئًا} اسم نصب بالرزق، وإنما وحّد الفعل في أول الآية، وجمع في آخرها لإبهام {ما} كالذي"(7)، يقول الفراء: "وقوله: {وَلا يَسْتَطِيعُونَ} وقال فِي أول الكلام {يَمْلِكُ} وَذَلِكَ أَنَّ (ما) جمع لآلهتم التي يَعبدون، فوُحِّد {يَمْلِكُ} عَلَى لفظ (ما) وتوحيدها، وجُمع فِي (يَسْتَطِيعُونَ) عَلَى المعنى"(8).

(1) الألوسي، روح المعاني (ج13/22).
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 164)
(3) المصدر السابق (ج1/ 229)
(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 334)
(5) الطبري، جامع البيان ت شاكر (ج12/ 298)
(6) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج1/ 100)
(7) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 191)
(8) الفراء، معاني القرآن (ج2/ 110)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضع المفرد موضع المثنى:

مِن شواهد عدول عن المثنى إلى المفرد قوله سبحانه: {**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**} [طه: 117] ومِن شواهد العدول عن التثنية إلى الإفراد كذلك قوله سبحانه: {**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} [الشعراء: 16]، حيث وردتْ لفظةُ "رسول" مفردةً، مع أنَّ ظاهر السياق يقتضي تثنيتَها {فقولاَ إنَّا}، ويذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني الالتفات من المثنى إلى المفرد في قول الحق: {**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**} [ق: 17] " كقول موسى: {إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ} ، ويجوز أن يكون واحدًا اكتفي به عن صاحبه، أي: قعيدان، كقوله:

نحـــنُ بِمـــا عنْـــدنا وأنـــتَ بمـــا عنْـــدكَ راضٍ والـــرَّأيُ مختلـــف"[1]

أما سرِّ إفرادها هنا، وتثنيتها في سِياق آخر: { **فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**} [طه: 47] وقد أجاب بعضُ المفسِّرين عن هذا التساؤل بأنَّ لفظة "رسول" من الألفاظ أو الأوصاف المشتركة؛ فهي تعني المرسَلَ أو متحمِّلَ القول حينًا، والرسالةَ أو القولَ المتحمَّل حينًا آخر، فهي بالمعنى الأول في سورة طه، وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء، ومِن ثَمَّ ثُنِّيت في الأولى؛ لأنَّهما رسولان، وأفردتْ في الثانية؛ لأنَّها رسالة واحدة[2]، لكن لفظة "رسول" في كلٍّ من الآيتين الكريمتين لا تعني سوى الشخص المرسل، أما تثنيتها في آية طه وإفرادها في آية الشعراء، فإنَّه يرجع إلى اختلاف السِّياق في كلٍّ من السورتين عنه في الأخرى، فكلٌّ من الآيتين الكريمتين قد سُبقت في سياقها بإعلان الخوْف من بطش فرعون وطغيانه، غير أنَّ هذا الإعلان قد ورد في سورة طه على لسان الرسولين – موسى وهارون – عليهما السلام – ومِن ثَمَّ جاءت لفظة "رسول" مُثنَّاه لبعث الطمأنينة والثِّقة في قلبيهما، واقتلاع جذور الخَوْف من نفسيهما معًا. ومنه أيضًا قوله سبحانه: {**قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**} [طه: 117] ففي العدول إسنادُ فعْل الشقاء إلى الضمير المفرد في "فتشقى" العائد على آدم – عليه السلام – عن إسناده إلى ضميرِ التثنية الذي يقتضيه ظاهرُ السياق في "يخرجنكما"، ففي ضمن

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 588)

(2) ينظر: الكرماني تاج القراء، أسرار التكرار في القرآن (ص 140)، الفيروز آبادى، بصائر ذوي التمييز (ج69/3– 70)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شقاء الرجل – وهو قيِّم أهله وأميرهم – شقاءَهم، كما أنَّ في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصَّ الكلام بإسناده إليه دونها، مع المحافظة على رعاية الفاصلة، قال الفرَّاء: "ولم يقل: "فتشقيَا"؛ لأنَّ آدم هو المخاطَب، وفي فعله اكتفاءٌ مِن فعل المرأة، والثاني: أنَّ المراد بالشقاء التعب في طَلَب القُوت، وذلك على الرجل دون المرأة"(1)، ولم يقل: "فتشقيَا"؛ فآدم هو المخاطَب، وهو المقصود، وأيضًا لَمَّا كان هو الكادَّ عليها، والكاسب لها، كان بالشقاء أخصّ. ومِن ذلك يعلم أنَّ نفقة الزوجة على الزوج، وأنَّ النفقة التي تجب للمرأة على زوْجها هذه الأربعة: الطعام والشراب، والكسوة والمسكن"(2)، ومنه أيضًا قوله سبحانه: **{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون: 50].**

وضع المثنى موضع المفرد:

الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين، كقوله سبحانه: **{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يونس: 78]**، ومثله قوله سبحانه:**{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: 22]** ، فقال: منهما يريد النهر والبحر، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من أحدهما، وهو البحر دون النهر، ونظيره قوله سبحانه: **{وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر: 12]** ، وحملوا على هذا قول الحق سبحانه: **{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: 31]** ، يقول أبو علي الفارس: "ظاهر اللفظ يقتضي أن يكون من مكة والطائف جميعًا، ولما لم يمكن أن يكون منهما، دل المعنى على تقدير: رجل من إحدى القريتين" (3)، وفي هذا يبين الإمام:" نزل في الوليد بن المغيرة حيث قال: لولا أنزل هذا القرآن عليّ بمكة أو على أبي مسعود الثقفيّ بالطائف "(4)، وكذلك قوله سبحانه :**{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} [ق: 24]** ، هو من باب خطاب الواحد بلفظ التثنية، والمخاطب هنا المَلَك، يقول الإمام: "{أَلْقِيا} أمر للملكين، وقيل: لملك واحد، أي: ألقين بنون خفيفة،{كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ} كليهما إيّاه وقرينه"(5)، وصيغة المثنى في

---

(1) الفراء، معاني القرآن (ج2/19).

(2) ينظر تفسير القرطبي (ج11/168)، ويُنظر: الزمخشري، الكشاف (ج2/555، 556) وتفسير أبي السعود (ج6/45)، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج6/184).

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 334)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 556)

(5) المصدر السابق (ج2/ 589)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله: ألقيا تجوز أن تكون مستعملة في أصلها فيكون الخطاب للسائق والشهيد، ويجوز أن تكون مستعملة في خطاب الواحد وهو الملك الموكل بجهنم وخوطب بصيغة المثنى جريًا على طريقتهم في الخطاب جرت على ألسنتهم لأنهم يكثر فيهم أن يرافق السائر رفيقان، وهي مشهورة كقول امرؤ القيس: **قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل**. وقولهم: يا خليلي، و يا صاحبي[1] .

وضع المثنى موضع الجمع:

إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع، وضع المثنى موضع الجمع من ذلك قوله سبحانه: **{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4]** ، قال: {كرتين} أي: كرة بعد كرة، فإنه وإن كان لفظه لفظ التثنية، فهو جمع، والمعنى كرَّات؛ لأن البصر لا يُحْسَرُ إلا بالجمع. يقول الألوسي: "استعمال المثنى في هذا المعنى أكثر؛ لأنه أول مراتب التكرار"[2]، ومن هذه القبيل قوله تعالى: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38]** الأيدي جمع، والمراد هنا الأيمان، ونظير هذا قوله سبحانه: **{وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} [الأعراف: 193]**، قال: {سواء عليكم}، أي: الأمران سواء عليكم في عدم النفع؛ إذ كل لا يدفع العذاب، ولا يخففه. فـ {سواء} خبر مبتدأ محذوف تقديره (الأمران)، وصح الإخبار به عن المثنى؛ لأنه مصدر في الأصل[3]، ومنه أيضًا قوله سبحانه: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن: 33]**، ويشير الإمام:{الثَّقَلانِ} الجنّ والإنس، سمّيا بذلك لكونهما محمولين في السّفر، فالسّفر سفر القيامة، وحاملهما أمر الله المنتهى بهم، وفحوى قوله: {لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ} أن تنفذوا منهما من له سلطان، و(السلطان): إذن الله لمن شاء من أوليائه"[4].

وضع الجمع موضع المثنى:

إطلاق صيغة الجمع وإرادة التثنية ومن الاثنين إلى الجمع، كقوله سبحانه: **{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }**

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج26/ 311)

(2) الألوسي، روح المعاني (ج7/ 321)

(3) ينظر: الألوسي، روح المعاني (ج14/ 31)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 609)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[يـونس: 87] ، وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد فإنه ثنى ثم جمع ثم وحد توسعًا في الكلام، وفي قوله سبحانه: {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} فيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد، فإنه ثنى ثم جمع ثم وحد توسعًا في الكلام، وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ويحكمان في الشريعة فخصهما بذلك ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة لأن الجميع مأمورون بها ثم قال لموسى وحده: {وبشر المؤمنين} لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار [(1)]، ومنه قوله سبحانه: { وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه: 130]، "فقال: {أطراف}، والنهار له طرفان، بدليل قوله سبحانه: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود: 114]؛ وعليه يكون الجمع في قوله: {وأطراف النهار} من إطلاق اسم الجمع على المثنى، " فالجمع في قوله وأطراف النهار من إطلاق اسم الجمع على المثنى، وهو متسع فيه في العربية عند أمن اللبس"[(2)]، ومنه أيضًا قوله سبحانه: {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} [النمل: 45] ، يقول الإمام: "{فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ} المؤمنون والكافرون، {يَخْتَصِمُونَ} يختلفون في أمر صالح عليه السّلام"[(3)]. وأورد الإمام أن الفريقين هما المؤمنون والكافرون، فيقول الحق سبحانه: {يختصمون}، ولم يقل: (يختصمان) على المثنى، وهو {فريقان}، قالوا: ذلك باعتبار اشتمال الفريقين على عدد كثير، ونحوه قوله سبحانه: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: 9] ، فقال: {اقتتلوا}، ولم يقل: اقتتلتا، مع أن الكلام عن طائفتين، ومن هذا القبيل أيضًا، قوله سبحانه: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } [ص 21] ، فقال: {تسوروا}، ولم يقل: (تسورا) على التثنية، كما قال بعد: {فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ} [ص 22] ؛ يقول الإمام: " لكن كنّى بلفظ الجماعة لاعتبار وجود معنى الجمع والضمّ، قال الله تعالى: {إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ} ثم قال: {وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ} [الأنبياء:78]، وقال لآدم وحواء: {اهْبِطُوا} [البقرة:38]، وكون الاثنتين والأختين كما فوقهما في الميراث، {خَصْمانِ} أي: نحن خصمان"[(4)]، وعليه يكون ضمير الجمع {تسوروا} مرادًا به المثنى، والمعنى: إذ تسورا المحراب.

---

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 335)

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/ 339)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 413)

(4) المصدر السابق (ج2/ 522)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التغليب

إن التغليب ظاهرة بلاغية عرفها العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وأجروها في كلامهم شعره ونثره، ليصلوا أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة بأقل الألفاظ، وكان نزول الكتاب العزيز بلسانهم وعلى سنن كلامهم فأعطى التغليب كغيره من الظواهر اللغوية مكانة فريدة في الإعجاز اللغوي مما دفع علماء البلاغة إلى رصد أبعاده وأنواعه ونكته المعنوية.

التغليب في اللغة والاصطلاح:

التغليب لغة إيراد اللفظ الغالب: وهو "إيثَار أحد اللَّفْظَيْنِ على الآخر فِي الْأَحْكَام الْعَرَبيَّة إِذا كَانَ بَين مدلوليهما علاقَة أَو اخْتِلَاط كَمَا فِي الْأَبَوَيْنِ الْأَب وَالأُم والمشرقين الْمشرق وَالْمغْرب والعمرين أبي بكر وَعمر"[1]، "هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما"[2]، أي "إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"[3].

أما التغليب عرفًا: هو أن يغلب على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط، كالأبوين في الأب والأم، والمشرقين والمغربين والخافقين في المشرق والمغرب، والقمرين في الشمس والقمر، والعمرين في أبي بكر وعمر، والمروتين في الصفا والمروة ولأجل الاختلاط أطلقت كلمة (من) على ما لا يعقل في نحو قوله سبحانه: **{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور: 45]**، يقول الإمام: "والذي يعوم في الماء داخل في جملة من يمشي على بطنه، والطير داخلة في جملة من يمشي على رجلين، والذي يزحف على أرجل كثيرة داخل في جملة من يمشي على أربع، وإنّما قيل: من ومنهم لتغليب العقلاء" [4]. فمن باب الإخراج لا على مقتضى الظاهر بتنزيلها منزلة أصولها بوساطة جهة البلاغة، قال تعالى: **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34]** **{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } [النساء: 157]** والملائكة على إبليس حتى استثني {فسجدوا إلا إبليس} بناء على التغليب فيهما، وقوله سبحانه: **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا**

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج2/ 658)

(2) الشريف الجرجاني، التعريفات (ص 63)

(3) الفاروقي الحنفي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج1/ 489)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 369)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بَنُون۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88- 89] بتقدير حذف المضاف، وهو إلا سلامة من أتى الله مدلولًا عليه بقرائن الكلام منزلة [1].، ومنهم الزركشي الذي جمع جملة صالحة مما تفرق منه وبين أنواعه، وذكره في باب التغليب بقوله: "وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظة عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"[2].

أنواع التغليب:

تغليب المذكر على المؤنث:

يقول الإمام في تفسير: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [البقرة: 83] "أي: أمرناهم وأوصيناهم، والوالدان: الأب والأمّ، غلّب المذكّر على المؤنّث كقولهم: أبوان، وحقيقة الولادة إثمار الجوهر، وهو استحالة جزء منه بصفة معهودة ، والتّوليد: التّثمير، والحسن ضدّ السّوء"[3]، ويقول الحق سبحانه أيضًا: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [آل عمران: 43]، "مع الراكعين، دون الراكعات؛ لأن هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب، ولمناسبة أواخر الآيات قبل وبعد، ولأن الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا إنها مأمورة بصلاة الجماعة"[4]. أما في قول الحق سبحانه: {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [القيامة: 9] غلب المذكر؛ لأن الواو جامعة لأن لفظ الفعل مقتص ولو أردت العطف امتنع، وقوله: {وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم: 12]. والأصل من (القانتات) وقوله: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف: 83] والاصل من الغابرات) فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب. فقوله سبحانه: {من القانتين} ولم يقل: من "القانتات" إيذانًا بأن وضعها في العباد جدًا واجتهادًا وعلمًا وتبصرًا ورفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم [5]، ويقول الحق سبحانه: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف: 29] "وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبًا للذكور على الإناث"[6].

---

(1) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 508)
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 302)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 189)
(4) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج3/ 149)
(5) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج 3/ 302)
(6) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج2/ 461)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب:

يقال: أنا وزيد فعلنا وأنت وزيد تفعلان ومنه قوله سبحانه: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل: 55] بتاء الخطاب غلب جانب [أنتم] على جانب [قوم] والقياس أن يجيء بالياء لأنه وصف القوم وقوم اسم غيبة ولكن حسن آخر الخطاب وصفًا لقوم لوقوعه خبرًا عن ضمير المخاطبين، قال: [تجهلون] حملا على المعنى [1]، يقول الحق سبحانه: {قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا } [الإسراء: 63] ، فأعاد الضمير بصيغة الخطاب وإن كان {من تبعك} يقتضى الغيبة: وذلك تغليبًا لحال المخاطب: وجعل الغائب تبعًا له: وكما كان تبعًا له في المعصية والعقوبة، فحسن بذلك أن يُجعل تبعا له في اللفظ أيضًا، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى[2]، وكقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21] فإن الخطاب في [لعلكم] متعلق بقوله [خلقكم] لا بقوله [اعبدوا] حتى يختص بالناس المخاطبين إذ لا معنى لقوله [اعبدوا لعلكم تتقون]؛ لذلك عبر الإمام بقوله:" {الَّذِي خَلَقَكُمْ} ابتدأ تقديركم، وقيل: الخلق هو الإيجاد مقدرًا.{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لكي تتقوا مخالفة الخالق"[3].

تغليب العاقل على غيره:

أن يتقدم لفظ يعم من يعقل ومن لا يعقل فيطلق اللفظ المختص بالعاقل على الجميع كما تقول: "خلق الله الناس والأنعام ورزقهم"، فإن لفظ [هم] مختص بالعقلاء ،ومنه قوله سبحانه: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور: 45] لما تقدم لفظ الدابة والمراد بها عموم من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل فقال: {فمنهم من يمشي} ، فإن قيل: هذا صحيح في {فمنهم} لأنه لمن يعقل وهو راجع إلى الجميع فلم قال: [من] وهو لا يقع على العام بل خاص بالعاقل؟. قلت: [من] هنا بعض [هم] وهو ضمير من يعقل. فإن قلت: فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل؟. قلت: من هنا قال أبو عثمان: إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم فهو بمنزلة من يقول رأيت ثلاثة زيدًا وعمرًا وحمارًا، وقال ابن الصائغ: [هم] لا تقع إلا على من يعقل فلما أعاد الضمير على كل دابة غلب من يعقل فقال: [هم] ومن بعض

---

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 303)

(2) ينظر: المصدر السابق (ج3/ 304)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 119)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الضمير وهو للعاقل فلزم أن يقول [من] فلما قال: بوقوع التغليب في الضمير صار ما يقع عليه حكمه حكم العاقلين فتمم ذلك بأن أوقع [من] ، وقوله تعالى حاكيًا عن السماء والأرض:{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11] ، إنما جمعهما جمع العقلاء [1]، يقول الإمام في تفسير الآية الكريمة: "وإنّما جُمع جمعَ العقلاء لتغليب العقلاء على غيرهم، كقوله: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} ، وهذه الآية تعليمٌ مِنَ الله عباده كيف يدعونه. وقالوا: مُقدَّرٌ في الابتداء، لما أشرنا إليه"[2]، ويقول الإمام في تفسير الآية من سورة يوسف:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: 4] "وإنّما جمع جمع العقلاء لاعتبار فعل العقلاء، وهو السّجود، أو لأنّ تأويله: أبواه وإخوته"[3]، يقول الحق سبحانه:{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 31] يبين الإمام:"{ثُمَّ عَرَضَهُمْ} يعني أصحاب الأسماء، ولم يقل: عرضها، لتغليب العقلاء، كالعالمين"[4]. وفي قوله سبحانه":{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } [الشعراء: 4] يقول الإمام:"{فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ} وجوههم وأشرافهم، عن مجاهد، وقال الفرّاء: الطوائف العصائب، من قولهم: رأيت الناس إلا فلانًا عنقًا، وقال الكسائي: هي الأعضاء التي عليها الرؤوس، وإنّما جمعت بخاضعين لاعتبار الأعناق، أو لمّا وصفت العقلاء وهو الخضوع للآيات، جمعت جمع العقلاء"[5].

باب التغليب باب واسع يجري في كل فن، يقول الحق سبحانه: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف: 83] وفى موضع آخر{وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم: 12] عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب ومن هذا الباب قوله سبحانه: { بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [النمل: 55] بتاء الخطاب غلب جانب أنتم على جانب قوم وكذا {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: 123] فيمن قرأ بتاء الخطاب أي أنت يا محمد وجميع المكلفين وغيرهم وكذا {يذرؤكم} في قوله سبحانه: {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ}

---

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج 3/ 305)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 101)
(3) المصدر السابق (ج2/ 120)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 131)
(5) المصدر نفسه (ج2/ 392– 393)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الشورى: 11] خطابًا شاملًا للعقلاء والأنعام مغلبًا فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء على ما لا يعقل.

تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به:

يقول الحق سبحانه: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} **[البقرة: 23]** "قيل: غلب غير المرتابين على المرتابين واعترض بقوله تعالى: {وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين} وهذا خطاب للكفار فقط قطعًا فهم المخاطبون أولًا بذلك ثم إن كنتم صادقين لا يتميز فيها التغليب ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص"(1). يبين الإمام:"{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} استعينوا بآلهتكم، وإنّما سمّوا شهداء لزعمهم أنّهم يشهدون ما قدر لهم من الخير والشر فيقدرون على تغييره، أو يشهدونهم عند احتياجهم إليهم فينصرونهم، كقوله: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ} **[القصص:62]** على زعمهم {إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ} في زعمكم أنّ القرآن ليس من عند الله" (2).

تغليب الأكثر على الأقل:

ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر كقوله سبحانه: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } **[الأعراف: 88]** "أدخل شعيب عليه السلام في قوله: {لتعودن} بحكم التغليب، إذ لم يكن في ملتهم أصلًا حتى يعود إليها ومثله قوله: {إن عدنا في ملتكم}، واعترض بأن عاد بمعنى صار لغة معروفة"(3)، يعدد الإمام الاحتمالات في الآية الكريمة:"{لَتَعُودُنَّ} يحتمل ثلاثة معان: أحدها: أنّ شعيبًا وقومه كانوا على ملّة واحدة من الإيمان والتّوحيد، فلمّا أبدعوا بدعًا نبّأ الله شعيبًا وأحدث له ما شاء من أمره، وأمره بدعوة قومه كما أمر عيسى بدعوة اليهود، فلذلك دعوا شعيبًا إلى العود، والثّاني: أنّ ملّتهم كانت كفرًا، ولم يكن شعيب في ملّتهم قطّ ولكن أدخلوه في حكم سائر المخاطبين من قومه المؤمنين على سبيل المجاز، والثّالث: أنّهم ادّعوا الكفر عليه وموافقته إيّاهم من قبل ظنّا منهم، أو وقاحة وبهتًا، كما قالت قريش: صبأ محمّد، أي: كان على

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 308)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 122)

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن(ج 3/ 309- 310)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديننا فصبأ، فقال شعيب عليه السّلام: أتكلّفوننا العود ولو كنّا كرهين، ينبّههم على أنّ العود لا يصحّ مع الإكراه"(1).

تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس:

ذلك بأن يطلق اسم الجنس على الجميع كقوله: {**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**} **[الحجر: 30، 31]** "وأنه عد منهم مع أنه كان من الجن تغليبًا لكونه جنيًا واحدًا فيما بينهم ولأن حمل الاستثناء على الاتصال هو الأصل، ويدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه: " خلقت الملائكة من نور والجن من النار "(2)، يبين الإمام: "أنّ إبليس كان منهم في الخلقة ومن الملائكة في الرتبة"(3)، {فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ} قيل: استثناء منقطع؛ لأنّ إبليس لم يكن من الملائكة لقوله تعالى: {**كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ**} **[الكهف:50]**، ولأنّه مخلوق من النار وله نسل وذرّيّة"(4).

تغليب الموجود على ما لم يوجد:

يقول الحق سبحانه: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**} **[النساء: 1]** يوضح الإمام أن: "هذه السّورة تشتمل على أحكام كثيرة، وإنّما ابتدئت بالموعظة ليكون الكلام بعده أوقع في الأسماع، وأنجع في القلوب، {خَلَقَكُمْ} من غير تفصيل بين الشهود والغيب للإيجاز، وهو قريب من تغليب المفرد على المضاف، والمذكّر على المؤنّث، والأعمّ وجودًا على الأعزّ وجودًا"(5). فالموجود من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وعلى ما لا يوجد خلق منها زوجها وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وفي قوله سبحانه:{**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} **[البقرة: 4]**، ففي قوله بما أنزل إليك عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، وإن لم يكن ذلك منزلًا وقت إيمانهم، فكيف قيل أنزل بلفظ المضي؟ وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 681)
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج 3/ 310)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 139)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 134)
(5) المصدر السابق (ج1/ 461)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب. قلت: المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبًا، تغليبًا للموجود على ما لم يوجد[1].

تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه:

يقول الحق سبحانه: {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} **[آل عمران: 182]** ذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال، وفي قوله سبحانه: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} **[الغاشية: 6]**، يقول الإمام موضحًا أن طعام أهل النار وهو الضريع مغلب بوجه مخصوص على الأطعمة الأخرى: "{ضَرِيعٍ} هو الشّبرق إذا يبس في الدّنيا، وهذا طعام قوم مخصوصين من أهل النّار سوى الذين طعامهم من غسلين، أو طعام أهل النّار في زمان مخصوص، أو هو يضمّ إلى الزّقوم والغسلين ليكون الجميع طعامًا واحدًا "[2].

التغليب أحد أساليب البلاغة التي عرفتها الدراسات العربية القديمة والحديثة، فقد أدلى علماء البلاغة القدامى بدلوهم في هذا المعترك العلمي، وحاول كل منهم أن يمحص بشيء من الدقة وسعة النظر في هذا المبحث البلاغي.

---

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 42)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 707)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

النكت البيانية وطرق إيراد المعنى

www.manaraa.com

التمهيد:

استقر تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة، علم "المعاني"، وعلم "البيان"، وعلم "البديع"، بعد أن وضع السكاكي (المتوفي عام 626هـ) كتابه "مفتاح العلوم" وبعده وضع القزويني (المتوفي 739هـ) كتابيه "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح في علوم البلاغة"، وبهذا أصبح من المتعارف عليه تقسيم البلاغة العربية إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: البيان والمعاني والبديع. علم البيان يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه(1).

إنّ علم البلاغة من العلوم التي بسطها لنا القدماء بسطًا وافيًا وتوسعوا في بيانها، لأنها خرجت من رحم الاهتمام بكتاب الله المحكم السبك، الدقيق العبارة، الرصين الأسلوب، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، فمن خلالها نعرف إعجاز ذلك الكتاب الذي تحدى أساطين الفصاحة وأعجز جهابذتهم وفحولهم بأن يأتوا بسورة على شاكلته تسترق الأسماع، وتستعبد الإفهام، كان عبد القاهر يؤمن بأن مصطلح البيان مرادفًا لمصطلح البلاغة هو الاستخدام اللائق به، ومن ثم أخذ يعيب على السابقين عليه توسعهم في معنى البيان، وإدخال الدلالات غير الفنية بل غير اللغوية أصلًا في حوزته؛ إذ إن ذلك قد أضر بمعنى البيان، وأدى إلى كثير من الخلط والاضطراب(2)، يقول الإمام: " ثم إنك لا ترى علمًا هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعًا، وأحلى جنى، وأعذب وردًا، وأكرم نتاجًا، وأنور سراجًا، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانًا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من التمر . ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء، إلا أنك لن ترى على ذلك نوعًا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه، ومني من الحيف بما مُني به، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون ردية، وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش"(3).

بلغت البلاغة أوج عظمتها في عهد من أربى على الأكفاء، وتميز عن النظراء، العالم الإمام عبد القاهر الجرجاني (المتوفى 471هـ) شيخ العربية والذي " نظر يمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفًا مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع فشمر عن ساعد الجد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من

---

(1) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 329)

(2) ينظر: حسن طبل، الصورة البيانية في الموروث البلاغي (ص 11)

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 5- 6)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القواعد ما شاء الله أن يملي في كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على اليفاع، وقرن فيهما بين العلم والعمل، إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حق التمثل، ولا تنجلي حقيقتها تمام الانجلاء" (1).

لعل هذه الأمثلة التي تخلق نوع من التجانس والألفة بين الفنون والشواهد تبين مدى فحولة هذا القطب في التفكير فالطريقة التي ابتدعها لم يتم ترويضها أو استئناسها من قبل وما خلفه من تراث علمي، ونتاج أدبي يدل على سعة ثقافته وخصوبة فكره. ولقد استمد الجرجاني فكره من التراث الإسلامي، و"استعان في دراسته البلاغية بما كتب في النقد والبلاغة والإعجاز قبله، يمده بالجديد فيها ذوق مثقف، وحس لغوي دقيق، وقد قرأ الكثير من دواوين الشعر، وعكف على التراث الثقافي قبله، وهضمه وتمثله، وانعكس ذلك واضحاً على ما كتبه." (2)، "كما تأثر عبد القاهر في بعض نواحي تفكيره البلاغي والنقدي بالثقافة الإغريقية ولا سيما بحوث أرسطو"(3). ويعتبر كتاب عبد القاهر الجرجاني (أسرار البلاغة) أول محاولة جادة ترمي للتمييز بين أقسام البلاغة وفروعها فهو بحث خالص في موضوعات علم البيان، لقد شهدت تطورًا ملحوظًا على يد عبد القاهر إلا أنّ تقسيم البلاغة إلي علوم ثلاثة: المعاني والبيان والبديع لم يكن قد استقر حتى عصر عبد القاهر، وقد أشار في مقدمة كتابه إلي البيان الذي ميز الله به الإنسان من سائر الحيوان وهو قوله تعالى:**{الرحمن◉ علّم القرآن خلق الإنسان◉ علمّه البيان} [الرحمن:1-4]** وأن حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة مميزًا بين حد كل منها والفروق التي تميز بين معاني هذه الألوان البيانية، وعن الحقيقة والمجاز بنوعيه: اللغوي والعقلي ومحاولته للتمييز بين مفهوم كل نوع منهما، إلي حديث مختصر عن السرقات الشعرية (4).

---

(1) المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع (ص 8)

(2) عبد العاطي غريب على علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين الجرجاني وابن سنان الخفّاجي (ص 30)

(3) المصدر السابق (ص31)

(4) ينظر: سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية (ص160-177-208)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: التشبيه والتمثيل

التشبيه والتمثيل في اللغة:

نجد أن علماء اللغة قد اجتمعت كلمتهم، واتحدت وجهتهم على أن التشبيه والتمثيل هما وجهان لعملة واحدة وأن " شبه: الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله. وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم" [1].

التشبيه في الاصطلاح:

"أما علماء البيان: فقد اتفقت كلمتهم على أن التشبيه أعمّ من التمثيل فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً"[2]، ويجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء لم يفرقوا بين المفهومين، ومن أولئك ابن الأثير صاحب المثل السائر فقد قرر أن لا فرق بين التشبيه والتمثيل[3]، ويعرف قدامة بن جعفر التشبيه بقوله: "التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها"[4].

عرف السكاكي التشبيه بقوله: "لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهًا ومشبهًا به واشتراكًا بينهما من وجه وافتراقًا من آخر"[5]، ويذهب إلى "أن التشبيه متى كان وجهه وصفًا وغير حقيقي، وكان منتزعًا من عدة أمور خُص باسم التمثيل "[6]، فالتمثيل عنده ما توفر له أمران؛ الأول : أن يكون وجه الشبه أمرًا عقليًا تصوريًا لا وصفًا حقيقيًا، والثاني: أن يكون وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، وقد وسع الخطيب القزويني دائرة

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة شبه (ج13/ 503)

(2) ينظر: عبد العاطي غريب على علام ، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين الجرجاني وابن سنان الخفّاجي (ص155)

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج1 /388)

(4) قدامة بن جعفر، نقد الشعر (ص 37)

(5) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 332)

(6) المصدر السابق (ص 164)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمثيل ؛ فلم يقصر التمثيل على وجه الشبه العقلي التصويري، بل رأى أن ثمة صورًا حسية بديعة لوجه الشبه حري أن يزين بها التمثيل، ولكنه التزم بضرورة أن يكون وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد "والمركب هو ما انتزع وجه الشبه فيه من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه"[1]. وهذا الذي ذهب إليه الخطيب القزويني هو ما استقر عليه البلاغيون فيما بعد، وتابعهم فيه كثير من المحدثين[2].

عني الإمام عبد القاهر الجرجاني بالقيمة البلاغية أو بالأثر الذي يحدثه التمثيل في المعاني المعقولة، عندما يجسدها في حيز محسوس، وأظهر قيمة ذلك في الأداء الأدبي، ورصد أسباب التأثير، ولماذا كان التمثيل مما يشرف به الكلام وينبل[3]، يقول الجرجاني في أسرار البلاغة "اعلم أن الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر أن يكون الشبه محصّلًا بضرب من التأوّل، فمثال الأول: تشبيهُ الشيّ بالشيء من جهة الصُّورة والشكل، نحو أن يشبَّه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللّون، كتشبيه الخدود بالورد، والشَعر بالليل، والوجه بالنهار، وتشبيه سِقْط النار بعين الديك، وما جرى في هذا الطريق، أو جمع الصُّورة واللون معاً، كتشبيه الثُّريّا بعنقود الكَرْم المنوَّر، والنرجس بمَدَاهن دُرٍّ حشْوهن عقيق، وكذلك التشبيه من جهة الهيئة نحو: أنه مستوٍ منتصبٌ مديدٌ، كتشبيه قامة الرَّجل بالرمح، والقَدِّ اللطيفِ بالغصن، ويدخل في الهيئةِ حالُ الحركات في أجسامها، كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسَّهم السديد"[4].

إن طرفي التشبيه في هذه الأمثلة حسيان، مما يلزم أن يكون وجه الشبه حسيًا وهو بذلك أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول، وأي تأول يجري في مشابهة الورد للخد في الحمرة وأنت تراها في الطرفين ظاهرة للعيان إلا أنها في المشبه أقوى وأمثل منها في المشبه، ونلحظ في هذه الأمثلة أن طرفي التشبيه حسيان مما يلزم أن يكون وجه الشبه حسيًا، وهو بذلك أمر بين لا يحتاج فيه الى تأول، وأي تأول يجري في مشابهة الورد للخد في الحمرة وأنت تراها في الطرفين ظاهرة للعيان!. إلا أنها في المشبه به أقوى وأمثل منها في المشبه.

---

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج4/40)

(2) ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (ص 63)

(3) ينظر: محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني (ص194)

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص90)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويندرج تحت الأمر البين أن نشبه المعقول(ما يدرك بالعقل) بمعقول مثله، كأن تشبه الرجل بالأسد في الشجاعة، فالشجاعة ليست من الأمور المحسوسة إنما هي أمر عقلي، وهي موجودة في المشبه والمشبه به، يدركها العقل دونما حاجة إلى تأول، فكل ما جاء على هذه الشاكلة هو من باب التشبيه ولا يدخل في باب التمثيل ؛لأنه لا تأول فيه، بمعنى أن مثل هذه الأمثلة لا تستحث مخيلة المتلقي، فتجعله يتمثل وجه الشبه شاخصًا أمام ناظريه، بل تكتفي منه بتقريب أمر الى أمر لوجود المشابهة بينهما ؛ لذلك لم يستحق اسم (تمثيل)[1] .

أما الضرب الثاني وهو الوجه الذي يتحصل بضرب من التأول، فيمثل له بتشبيه الحجة بالشمس في الظهور، وبتشبيه الألفاظ بالماء السلاسة، وبالنسيم في الرقة، وبالعسل في الحلاوة ، فلا شك هنا أن وجه الشبه (الظهور والسلاسة والرقة والحلاوة) أمر حسي في هذا الضرب من التشبيه، ولكن ترى هل الحلاوة في العسل مثلًا كما هي في الكلام ؟ إن الحلاوة في العسل وصف حقيقي للعسل، أما في الكلام فلا يوصف بها إلا بعد ضرب من التأول، فالجرجاني جعل التشبيه ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلي تأول. والآخر: أن يكون الشبه محصلًا بضرب من التأول، فيجعل التشبيه ضربين: تشبيه غير تمثيلي وتشبيه تمثيلي فالتشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه أمرًا بينًا بنفسه لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر؛ لأن المشبه فيه مشارك للمشبه به في صفته، وذلك إذا كان وجه الشبه حسيًا أو عقليًا حقيقيًا أي ثابتًا متقررًا في ذات الموصوف أما الضرب الثاني وهو التشبيه التمثيلي وهو ما لا يكون وجهه أمرًا بينًا بنفسه بل يحتاج تحصيله إلى ضرب من التأول، وصرف عن الظاهر؛ لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية[2]. الضرب الأول هو التشبيه غير التمثيلي الذي لا يحوج النفس إلي إعمال للذهن وكدّ للفكر لأنه واضحٌ وبينٌ فالمشبه يشارك المشبه به في الصفات والسكنات سواء كان وجه الشبه حسيًا أو عقليًا، التشبيه الحسي يكون "نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر. وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد، والشعر بالليل، والوجه بالنهار. وتشبيه سقط النار بعين الديك، وما جرى في هذا الطريق" وإذ قد عرفتَ الفَرْقَ بينن الضَّربين، فاعلم أن التشبيه عامٌّ والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كلّ تشبيهٍ تمثيلاً، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم:

(1) ينظر: محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني (ص 192)

(2) ينظر: البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين الجرجاني وابن سنان الخفّاجي (ص 156- 157)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد لاَحَ في الصُّبح الثريَّا لمن رأَى   كَعُنْقُودِ مُلاَّحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرا

إنه تشبيه حسن، ولا تقول: هو تمثيل، وكذلك تقول: ابنُ المعتزّ حَسَنُ التشبيهات بديعُها، لأنك تعني تشبيهه المبصَرات بعضَهَا ببعض، وكلّ ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأوّل، كقوله:

كأنَّ عُيونَ النَّرْجِسِ الغضّ حَوْلها   مَداهِنُ دُرٍّ حَشْوُهنَّ عقيقُ(1)

ومن هنا سمي النوع الثاني تمثيلاً؛ لأنه يمثل الأمور المعقولة ويشخصها ويجعلها ماثلة في أمر محسوس، أي تمثيل فكرة عقلية أو نفسية أو انفعالية أو ما شابه ذلك مما يدرك العقل وتجسيدها في صور حسية فتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة يعد تمثيلاً؛ لأن جمال الكلام وهو مدرك عقلي، أصبح عسلاً يذوق اللسان حلاوته، وتشبيه الحجة بالشمس في الظهور يعد تمثيلًا؛ إذ أصبح بيان الحجة شمسًا ترى العين جلاءها(2) . أما التشبيه العقلي فهو التشبيه الذي ينعقد من جهة الغريزة والطباع "كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة والذئب في المكر، والأخلاق كلها تدخل في الغريزة والطبع نحو السخاء والكرم واللؤم. وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بها. يقول الإمام عبد القاهر في أسرار البلاغة: المغزى من قوله:

فأصبحتُ من ليلى الغداةُ كقابضٍ   على الماءِ خانتْه فروجُ الأصابع

أنه قد خاب في ظنه أنه يتمتع بها ويسعد بوصلها. وإذا ثبت أن المعاني تكون على هذين الضربين، فإن فائدة التمثيل وسبب الأنس في الضرب الأول بين لائح وأما الضرب الثاني فإن التمثيل وإن كان لا يفيد فيه هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمرًا آخر يجري مجراه وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه (3)، لقد عني الإمام بالقيمة البلاغية أو بالأثر الذي يحدثه التمثيل في المعاني المعقولة، عندما يجسدها في حيز محسوس.

---

(1) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ص95)

(2) ينظر: عبد العاطي غريب على علام ، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني (ص193)

(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص124- 125)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشبيه المفرد بالمفرد:

يقول الإمام في تفسيره قول الحق سبحانه: {**وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** } **[الفرقان: 47]** ": "{اللَّيْلَ لِباسًا} التشبيه من حيث وقوع التّستّر به.{سُباتًا} استراحة في استرخاء،{نُشُورًا} أي: وقت نشور وانتشار"[1] ، لباسًا، أي تسكنون فيه، وهو مشتمل عليكم. أما السبات فيراد به: الانقطاع عن الناس والحركة والعمل، والسبت: الراحة وابتداء النوم. والنشر من: نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة. وجعل النهار نشورًا، أي: جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق، وأنشره الله أي أحياه[2]، وبهذا فقد جسّم (الليل)، إذ شبّهه باللباس الساتر؛ لأنَّ الناس يستترون به مثلما يستترون بالثياب التي يلبسونها، ومن ثَمَّ يخلدون إلى النوم الذي جعله سباتًا، وهو ضربٌ من الموت، إذ يسبت أو ينقطع فيه الناس عن الحركة والعمل، ثمَّ يأتي النهار فتدبُّ الحياة، إذ ينتشر فيه الناس. فالليل سكون وراحة والنهار حركة وعمل. وهذا التقابل بين الليل والنوم من جهة والنهار والحركة من جهة أخرى يدلُّ على الموت والحياة، إذ يُحيي الله عزَّ وجل الناس ويبعثهم بعد موتهم ففي الآية الكريمة تشبيه باعتبار الإفراد حيث شبه الليل باللباس (جامع الستر) وذاك أنه يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربًا من عدو، أو ثباتًا لعدو أو إخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره. فالطرفان الليل واللباس مفردان. ومثله قوله : {**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**}**[النبأ: 10]** فشبه الليل باللباس، وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم[3]، وكذلك قوله سبحانه: {**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَ**}**[البقرة: 187]**، فشبه المرأة باللباس للرجل، وشبه الرجل باللباس للمرأة، فالصورة الأولى واردة في تشبيه المفرد بالمفرد ومثاله قولنا: زيد الأسد، وزيد البحر، ومن هذا قوله تعالى: {**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**} **[البقرة: 223]**[4].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 387)

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لبس) و(سبت) و(نشر) (ج6/ 203) (ج2/ 37) (ج206/5)

(3) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (ج2/ 106)

(4) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 164)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشبيه المفرد بالمركب:

يقول الحق سبحانه: {**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [**النور: 35**] يبين الإمام: "{كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} تشبيه التشبيه، وتمثيل التمثيل، كقولك: مثل زيد مثل زينب العذراء التي كأنّها الشمس في بيوت مطروفة، {الزُّجاجَةُ} والمشكاة، أو {يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ} أو {نُورٌ عَلى نُورٍ} أو {يُسَبِّحُ لَهُ}[(1)]، ينفرد الإمام بهذه التسمية (تشبيه التشبيه، وتمثيل التمثيل) وحين يوضحها يبسط فيها القول ويوجز بقوله: "مثل زيد مثل زينب العذراء التي كأنّها الشمس في بيوت مطروفة"، وسمي عند أكثر البلاغيين تشبيه المفرد بالمركب فهذه الأمور المعدودة كلها أشباه لنور الله، إما على أن المراد به ذات الله تعالى، أو يراد به الرسول صلى الله عليه وسلم، وكقوله تعالى: {**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ**} [**إبراهيم: 18**] ، كما قال البحتري في وصف السيف:

وكأنما سودَ النمالِ وحمرِها ... دبتْ بأيدٍ في قراه وأرجلِ

فشبه فرند السيف بدبيب النمل، حمرها وسودها، وهذا مما يشهد له فيه بالإجادة في البلاغة والزيادة. "اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ نُورُ من إطلاق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة، أي منوّر كل شيء، كأنه عين نوره. ومن فسر ذلك بأنه هادي أهل السموات والأرض ببراهينه وبيانه، فهو استعارة، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ تشبيه تمثيلي، شبه نور الله الذي جعله في قلب المؤمن بالمصباح في كوة (طاقة) داخل زجاجة، تشبه الكوكب الدري في الصفاء والحسن، سمي تمثيليًا لأن وجه الشبه منتزع من متعدد"[(2)].

تعود فائدة التشبيه في القرآن إلى المشبه تصويرًا له وتوضيحًا، ولهذا كان المشبه به دائما أقوى من المشبه وأشد وضوحًا، فقد يبدو للنظرة العجلى أن المشبه وهو نور الله أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن نظرة إلى الآية الكريمة ترى أن النور المراد هنا هو النور الذى

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 367)
(2) الزحيلي، تفسير المنير (ج18/ 242)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يغمر القلب، ويشرق على الضمير، فيهدى إلى سواء السبيل، أو لا ترى أن القلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح، يلقى عليه ضوءه، فيهتدى إلى الحق، وأقوم السبل، في اختيار هذا التشبيه إيحاء بحالة القلب وقد لفه ظلام الشك، فهو متردد قلق خائف، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه، فيجد الراحة والأمن والاستقرار، فهو كسارى الليل يخبط في الظلام على غير هدى، حتى إذا أوى إلى بيته فوجد هذا المصباح في المشكاة، وجد الأمن سبيله إلى قلبه، واستقرت الطمأنينة في نفسه، وشعر بالسرور يغمر فؤاده، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة، تجعله يتلألأ كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فمن شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب، فصفا لذلك زيتها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، من خصائص هذا التشبيه في القرآن أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلوده، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة، يؤثر فيهم ويدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم(1).

تشبيه المحسوس بالمحسوس:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى قسمين: المحسوس والمعقول والإفراد والتثنية والجمع، ففي قول الحق سبحانه: **{وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}** **[الصافات: 48- 49]** تشبيه المحسوس بالمحسوس فشبهت نساء أهل الجنة ببيض النعام " والبيض المكنون: هو بيض النعام، والنعام يكن بيضه في حفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، وتسمى تلك الحفر: الأداحي، واحدتها أدحية بوزن أثقية. فيكون البيض شديد لمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة، وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديمًا شبهوا الحسان ببيض النعام، قال امرؤ القيس:

وبيضـــةُ خـــدرٍ لا يـــرامُ خِباؤُهَـــا تمتعـتُ مـنْ لهـوٍ بهـا غيـرَ معجـلِ (2)

وفي قوله سبحانه: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} في المراد بالبيض ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من أهل اللغة: والعرب تُشَبِّه المرأةَ الحسناءَ في بياضها وحُسْن

---

(1) ينظر: أحمد البدوي، من بلاغة القرآن (ص150- 151)

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج23/ 114- 115)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لونها بِبَيْضَة النَّعامة، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاءَ مُشَرَّبَةٍ صُفْرَةً. والثالث: أنه البَيْض حين يُقْشَر قبل أن تَمَسَّه الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير، فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صَدَفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنون بريش النَّعام، وعلى الثالث: هو مكنون بقشره[1].

يرتبط التشبيه عند الإمام عامة بالسياق العام للآيات الكريمة وبمجمل النظم وكليته، مع إشاراته الكثيرة لعلماء التفسير والإعجاز وذكره لآرائهم، يقول الإمام: "{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} جمع بيضة، وهي التي فيها فرخ الطائر، و(المكنون): الذي في رحم الأنثى بعد، وإنّما شبّه بالبيض، إن شاء الله، لبياض لونه، وملابسته، وكونه غير مثقوب، وطيب مذاقه، وقرّبه من طباع الحيوان، وبالمكنون لرقّة قشره ولطافته. وقال الكلبيّ: المراد بالمكنون المصون عن الحرّ والبرد؛ لئلا يفسد، ولا يتغيّر، وعن ابن مسعود: أنّ المرأة من نساء أهل الجنّة من الحور العين لتكون عليها سبعون حلّة، وإنّه ليرى مخ ساقها من فوق عظمها ولحمها وثيابها، كما يبدو الشّراب الأحمر من الزّجاجة البيضاء" [2]، وكما يقول الإمام: وإنّما شبّه بالبيض لبياض لونه، وملابسته، وكونه غير مثقوب، وطيب مذاقه، وقرّبه من طباع الحيوان، وبالمكنون لرقّة قشره ولطافته، والمراد بالمكنون المصون عن الحرّ والبرد؛ لئلا يفسد، ولا يتغيّر وكلها حسية فيها تشبيه محسوس بالمحسوس، لقد جرت عادة العرب على تشبيه النساء ببيض النعام المكنون، وتسميتهن بيضات الخدور، فالمشبه نساء الجنة على ما هنّ عليه من جمال ورقة، والمشبه به هو صورة بيض النعام المستور المصان عن أيدي الناس.

تشبيه المعقول بالمعقول:

يوظف الإمام القصص القرآني لتوضيح دلالات الكلمات ووجوه البلاغة والإعجاز، ففي قول الحق سبحانه: **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 122]** يذكر الإمام قصة إسلام حمزة وكفر أبي جهل في تفسير الآية من سورة الأنعام: "{نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ} حمزة وأصحابه، ومن {مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ} أبو جهل وأصحابه. روي أنّ أبا جهل رمى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالفرث وهو يصلّي وذلك قبل إسلام حمزة، فسمع حمزة ذلك فغضب لابن أخيه تعصّبًا، وأقبل على أبي جهل يضربه بقوسه، وأبو جهل يتضرّع ويعتذر بأنّه

(1) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج3/ 541)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 511)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سفّه أحلامهم وعاب آلهتهم، فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة؟ ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله"[1]، ويوضح الإمام استكمالًا:" وروي أنها عامّة. والإحياء إحياء في الرّحم، والنّور نور الإيمان. وقيل: الإحياء بروح القرآن أو الإيمان، والنّور نور أحدهما.{مَثَلُهُ} أي: هو، وقيل: إنّ صفته {فِي الظُّلُماتِ} لا يوصف إلاّ بها ولا يتّصف إلاّ بها"[2]. ويشبه الإحياء بروح القرآن وبنور الإيمان والموت بالظلمات والكفر، فالموت حقيقة معنوية معقولة معها الكفر والظلمات والحياة حقيقة معنوية معقولة معها روح القرآن ونور الإيمان وبهذا يشبه المعقول بالمعقول، فيقول في موضع آخر: "{لِما يُحْيِيكُمْ} إحياء القلوب للتّفكّر والاعتبار بروح الإلهام والقرآن، وإحياء الشّهداء للثّواب قبل يوم البعث"[3]، فإن هذا النوع من تشبيه المعقول بالمعقول في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات. وأحسن ما فيه قول أبي الطيب المتنبي:

كأنَّ الهمَّ مشغوفٌ بقلبي ... فساعةُ هجرِها يجدُ الوصالا [4]

وتشبيه المعقول بالمعقول: كتشبيه الجهل مثلًا بالموت، والعلم بالحياة، وتشبيه العشق بالموت، كما يقول الشاعر:

العشقُ كالموتِ يأتي لا مردَ لهُ ... ما فيه للعاشقِ المسكينِ تدبيرُ

فوجه الشبه بين العشق والموت عدم القدرة على دفعه ورده أو يدخل في هذا تشبيه السفر بالعذاب، كما في الحديث السفر قطعة من العذاب، وكذلك تشبيه الضلال عن الحق بالعمى، وتشبيه الاهتداء إلى الحق بالإبصار، فجاءت الكثير من الآيات تتحدث عن مثل هذا، من ذلك قوله سبحانه: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} (فصلت: **17**)، {هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} (الأنعام: **50**)،{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ} [هود: **24**]، {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} (الرعد: **16**)، {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: **19**]، وقوله كذلك:

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 628)
(2) المصدر السابق (ج1/ 629)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 729)
(4) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 401)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} [فاطر: 19] وقوله: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِى الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} [النمل: 81]، فكل هذه التشبيهات أمور عقلية قُصد منها المبالغة، ولم يقصد بها العمى حقيقية؛ بل عمى البصيرة. ومنه أيضًا قول الحق سبحانه: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] وفي تفسيره الآية الكريمة يقول الإمام: "{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: 35] وصفه بها من المتشابهات التي لا ينبغي تأويلها بعد الاعتقاد بأنّه وما في معناهما لقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11]"(1)، وفي ما قاله الإمام عبد القاهر نفي المِثل لله سبحانه وتعالى فهو متعال عن مجانسة الشمس والقمر، والمراد أن الله لو كان له مثل لكان هذا المثل هو الله سبحانه وتعالى، ولكن ليس له مثل و(مثله) ذاته، كما في قولهم: مثلك لا يكذب، ومثلك لا يبخل، على قصد المبالغة في نفي الكذب والبخل عنه، قالوا: لأن نفيه عمن يماثله ويناسبه يدل على أنه منفي عنه من باب أولى، أن الكاف جاءت لتنفي الند المكافئ عن الله سبحانه وتعالى، و(مثل) جاءت لتنفي الشبيه حتى في اسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته العليا، أي ليس كصفته شيء. وفي قوله: "{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدًا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام"(2)، وقيل المعنى: مثل ما أنار الله من الحق بهذا التنزيل كمشكاة على هذه الصفة، فالهاء في نوره تعود على الله جل ذكره أي مثل هداه في قلب المؤمن وهو القرآن، والتقدير: الله هادي أهل السماوات بآياته البينات، مثل هداه وآياته التي هدى الله بها خلقه في قلوب المؤمنين، كنور هذا المصباح الموصوف بهذه الصفات(3)، المراد من (مثله): ذاته، والشيء: عبارة عن الموجود. قال ابن عباس: ليس له نظير، فالتوحيد: إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظِ اللفظَ(4)، يقول الإمام: "وقيل: العرب تذكر المِثل مجازًا، وتريد به النّفس حقيقة، كقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11]، ويقال: أمثلك يقول لمثلي، فيكون تقدير الآية

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 365)

(2) ينظر: الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج21/508- 509)

(3) ينظر: القيسي القيرواني، الهداية الى بلوغ النهاية (ج8/ 5093)

(4) ينظر: مجبر الدين المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن (المقدمة/ 31)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على هذا: فإن آمنوا بما آمنتم به"[1]؛ وليس كمثله شيء أظهر للسامع وضرب لنظم الكلام نحو: {أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: 1] تقديره أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا[2]، ويفسر الإمام آيات القرآن بالقرآن: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 4] لم يكن له شبيه ولا عدل و {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11]"[3].

تشبيه المعقول بالمحسوس:

يقول الحق سبحانه: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 74] يوضح الإمام :"{قَسَتْ} جفت وصلبت، وهي صلابة مذمومة ، يقال: درهم قسيّ على وزن شقيّ، وهو الرديء والمغشوش، وذلك لأنّه أشدّ صلابة من الفضّة المحضة، {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} أي: مثل الحجارة"[4]، وصف سبحانه قلوب بني إسرائيل بالغلظة وذهاب اللين والرقة حيث جفت وصلبت منها فكانت أشد من الحجارة، ويأتي الإمام بقصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى:" في ما يروى بأن يضعوا أيديهم على بقرة مذبوحة، ثمّ يحلفوا بالله الذي لا إله إلا هو إله بني إسرائيل ما قتلناه وما علمنا قاتله، فلمّا وقعت هذه الواقعة أبوا إلا تعيين القاتل، ولم يدفنوا المقتول أيّامًا، وآل بهم الأمر إلى الاختلاف والاقتتال، فلمّا طال الشرّ شكوا إلى موسى عليه السّلام، فوعدهم الله تعالى إحياء المقتول على شريطة ذكرها في هذه الآي لتبيين القاتل، ويكون ذلك آية على البعث والنّشور، فاتّهموا نبيّ الله، وغلوا في دين الله، وما كادوا يأتون بالشريطة لكثرة تمرّدهم وتردّدهم، ثمّ قست قلوبهم من بعد مشاهدة الآية، أو وقوع العلم بها، فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة، على ما وصفه الله تعالى"[5]، التشبيه في الآية الكريمة تشبيه عقلي بحسي فحين يصف الحق سبحانه القلوب القاسية بأنها جفت وصلبت، ووصفت بالغلظة وذهاب اللين والرقة منها فهي كالحجارة أو أشد صلابة، والحجارة أمر محسوس؛ والقلب قسوته أمر معقول؛ إذ إنه ليس المعنى أن القلب الذي هو

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 253)
(2) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 12)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 745)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 207)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 175)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المضغة الحسية التي تقسو؛ لكن المراد: أنه يقسو قسوة معنوية بإعراضه عن الحق، واستكباره عليه؛ فهو أمر معنوي عقلي شبهه بالأمر الحسي. ويرى الزركشي أن التشبيه عقلي بعقلي(1). والسيوطي يرى أنه حسي بحسي فيقول:" كذا مُثل به في البرهان وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة"(2).

أما في قوله سبحانه : **{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 74]**، {ثم قست قلوبكم} وصف القلوب بالصلابة والغلظة، أي عدم تأثرها بالمواعظ والنصائح، فالقسوة عبارة عن الغلظة والجفاء والصلابة كما في الحجر، فقلوبهم تنبو عن التأثر بالعظات، والتشبيه يسمى مرسلًا مجملاً لأن أداة التشبيه مذكورة وهي الكاف، ووجه الشبه محذوف وهو الصلابة والقسوة. أما قول الحق سبحانه: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: 39]** يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني:"{كَسَرابٍ} شعاع منعكس من وجه الأرض يتلألأ كالماء.{الظَّمْآنُ} كالعطشان من العطش، وإنّما تكون أعمالهم كذلك لاعتمادهم عليها دون فضل الله ورحمته" (3)، وفي الآية الكريمة تشبيه المعقول بالمحسوس أو كما ذكر الإمام وإنّما تكون أعمالهم كذلك لاعتمادهم عليها دون فضل الله ورحمته فهي كالسراب ذلك الشعاع المنعكس من وجه الأرض يتلألأ كالماء فيحسبه الظمآن من العطش ماء، فأعمالهم التي يظنون أنها ستنفعهم كسراب لا حقيقة لها، فالصورة الأولى عقلية شبهها بصورة حسية حتى يتضح المراد وتتجلى الصورة، فتشبيه المعقول بالمحسوس إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، فتشبيه أعمال الكفار بالسراب، من أبلغ التشابيه وأبدعها، ومثله قوله تعالى: **{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم: 18]** ومن النظم قول أبي علي ابن سينا:

إنمـــا الـــنفسُ كالزجاجـــةِ والعلـــ ـــمُ ســـراجٌ وحكمـــةُ اللهِ زيـــتُ(4)

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 420)

(2) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/143)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 367)

(4) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 401)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التشبيه الضمني:

هو تشبيهٌ لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائمًا برهانًا على إمكان ما أسند إلى المشبه [(1)]، ومنه قول الحق سبحانه: **{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: 31]** يأتي الإمام على ذكر القصص القرآني ويبين تفاصيلها في تفسيره الآيات الكريمة لتوضيح وتبيان الوجوه البلاغية والدلالية:"{اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} أمرته؛ لأنّه كان لا يجد من الخدمة والائتمار بأمرها بدًا.{أَكْبَرْنَهُ} أعظمنه من أن يكون بشرًا.{كَرِيمٌ} في حسن الصورة، وصفاء الخلقة. وإنّما عرضت المحبوب على صواحباتها لكون المحبوب مصونًا مأمونًا، أو لرجاء العون والإعانة"[(2)]. حين رأت صواحباتها يوسف عليه السلام أعظمنه من أن يكون بشرًا بل هو ملك كريم في حسن صورته وصفاء خلقته المتخيلة: **وفي قوله سبحانه:{مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: 31]** وهذا تشبيه تخييلي[(3)]، وقولهن: ما هذا بشرًا مبالغة في فوته محاسن البشر، فمعناه التفضيل في محاسن البشر، وهو ضد معنى التشابه في باب التشبيه، ثم شبهنه بواحد من الملائكة بطريقة حصره في جنس الملائكة تشبيهًا بليغًا مؤكدًا[(4)]، جاء التشبيه مفهومًا من السياق ولم يصرح به تصريحًا، أي أنه تشبيه ضمني إذ هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من المعنى، ويكون التشبيه برهانًا على إمكان ما أسند إلى المشبه، فالتشبيه خال من الأداة ووجه الشبه، وهذا في قوله على لسان النسوة اللواتي أكبرنه بقولهن {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} وكما أشار الإمام: أعظمنه من أن يكون بشرًا، فلا ترى في الآية الكريمة أي ركن من أركان التشبيه، فالأداة لا وجود لها و وجه الشبه مختفٍ والمشبه والمشبه به متداخل، فالتركيب يحمل في طياته تشبيهًا لم يصرح به، بل هو واقع ضمن الكلام، فلما رأينه انبهرن بجماله ووقاره وحسن أخلاقه فشبهناه بالملك الكريم ولم يصرحن بذلك فالمشبه هو المشبه به تقوية للصفة المشترك بها، "فالتشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، وهذا

---

(1) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 239)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 130)

(3) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج15/ 86)

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج12/ 263)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن، وبيان ذلك أن الكاتب أو الشاعر قد يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحي بالتشبيه من غير أن يصرّح به في صورة من صوره المعروفة، ومن بواعث ذلك التفنّن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه، لأنه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس"(1)، ومن التشبيه الضمنّي البديع قول أبي تمّام:

وإذا أرادَ اللهُ نشــــرَ فضـــيلةٍ طويــتْ أتــاحَ لهــا لســانَ حســودِ

لــولا اشــتعالُ النــارِ فيمــا جــاورتْ مــا كــانَ يعـرفُ طيـبُ عـرفِ العـودِ(2)

التشبيه البليغ:

التشبيه إذا ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه فهو التشبيه البليغ وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة، لما فيه من ادّعاء أن المشبّه هو عين المشبه به، ولما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معا، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب، ويوحي لها بصور شتى من وجوه التشبيه، كقول أبي فراس:

إذا نلــت منــك الــودّ فالكــل هــينٌ وكــل الــذي فــوق التــراب تــراب(3)

يتضح التشبيه البليغ في قول الحق سبحانه: **{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ}** **[الدخان: 24]**، يقول الإمام: "{رَهْواً} سكونًا، أو متتابعًا، تقديره: اترك البحر ساكنًا على حالته وعلى حالة الانفلاق غير مضطرب ولا ملتطم، أو اترك البحر متتابعة أمواجه في الهواء كلّ فرق كالطود العظيم"(4)، وهو تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه وهو أعلى مراتب التشبيه "والرهو: الفجوة الواسعة، وأصله مصدر (رها)، إذا فتح بين رجليه، فسميت الفجوة رهوًا تسمية

(1) عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص 101- 102)
(2) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 212)
(3) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص 105)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 86)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمصدر، وانتصب رهوًا على الحال من البحر على التشبيه البليغ، أي مثل رهو"(1)، لا يحدد الإمام في تفسيره تصنيفات أو مسميات بلاغية بتخصيص ولكنه إلى التعميم أقرب، ففي حديثه عن التشبيه لا يذكر إلا كلمتي التشبيه والتمثيل ومشتقاتهما مما يستدعي التأمل بدقة أكثر فيما يذكر للتعرف على ما يريد توضيحه من دلالات ووجوه بلاغية.

التشبيه التمثيلي:

ذلك النوع من التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعًا من متعدد، أي صورة منتزعة من عدة، صور متشابهة وصفات مشتركة، فالتشبيه التمثيلي هو نوع من التشبيه يكون وجه الشبه فيه حالة مركبة من جملة صفات، أي وجهه وصف منتزع من متعدد من أمرين أو أمور، وقيده السكاكي بكونه غير حقيقي[2]، ومن أسباب بعده وغرابته أن يكون وجه التشبيه أمورًا كثيرة كما في تشبيه سقط النار بعين الديك أو تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور، أو أن يكون المشبه به بعيد التشبيه عن المشبه أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئًا وهميًا أو مركبًا عقليًا كما في قوله سبحانه: {**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ**} **[يونس: 24]** ولا يفوت السكاكي أن يبدي رأيه في التشبيه التمثيلي مقررًا أنّ وجه الشبه فيه ينبغي أن يكون مركبًا، أي صورة منتزعة من متعدد وأن يكون وهميًا اعتباريًا، وهو في ذلك يخالف عبد القاهر الذي يشترط أن يكون وجه الشبه في التشبيه التمثيلي مركبا وأن يكون عقليا، والعقلي عنده يشمل الوهمي[3]. يقول الإمام في أسرار البلاغة: "اعلم أن الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر أن يكون الشبه محصّلاً بضرب من التأوّل"[4]، فالإمام عبد القاهر يرى أن التشبيه التمثيلي ما لا يكون الوجه فيه أمرًا بينًا بنفسه؛ بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأول والصرف عن الظاهر؛ لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية، يتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه عقليًا غير حقيقي. إذن نخلص من كل هذا إلى أن مدار الحكم على الصورة بأنها من قبيل التمثيل، أو من قبيل التشبيه التمثيلي متوقف على وجه الشبه، فإن كان وجه الشبه مركبًا، عقليًا غير حقيقي، فهو تمثيل بالإجماع، وإن كان وجه الشبه مركبًا حسيًا

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/ 301)

(2) ينظر: الإيضاح، القزويني، شرح خفاجي (مج/2 ، 44/1) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 128) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج7/ 41)

(3) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص251- 352) وعلم البيان (ص 34)

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 90)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير حقيقي؛ فهو تمثيل عند الخطيب، وجمهور البلاغيين – وإن كان وجه الشبه مركبًا عقليًا غير حقيقي– فهو تمثيل عند السكاكي، وإن كان وجه الشبه مفردًا عقليًا غير حقيقي فهو تمثيل عند الإمام عبد القاهر، وإن كان وجه الشبه حسيًّا غير حقيقي مفردًا طبعًا فهو تشبيه عند كل البلاغيين. أما الزمخشري فلا يفرق بين هذا وذاك، تلك هي أقسام وجه الشبه باعتبار الحسية والعقلية، والإفراد والتركيب والتعدد [1].

تناول الإمام التشبيه والتمثيل في درج الدرر دون الإشارة لمسمياتها الاصطلاحية، ودون التفريق بين التشبيه والتمثيل، ففي قوله سبحانه: {**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** } [**الأنفال: 6**] يعبر الإمام بقوله:"{فِي الْحَقِّ} شأن الجهاد.{بَعْدَ ما تَبَيَّنَ} أي: بعد ما ظهر أنّه أمر الله، أو من بعد ما ظهر أمر الله، أو من بعد ما ظهر أنّه لهم لا عليهم، وإنّما كان ظهر ذلك لهم بوعد الله، {كَأَنَّما يُساقُونَ} تشبيه لحالة خوفهم، أي: يخبتون عن الموهوم كأنّهم يحشرون، أي: يشاهدون فيه الهلاك والموت لا محالة"[2]، يختلف الإمام عن غيره بقدرته على عرض المسائل البيانية بإيجاز يختصر الوجه البلاغي بكلمات معدودة دون شروحات مطولة مملة وتقنين يفرض للوجه البلاغي فروعًا وأغصانًا مما يؤدي لاختلاف الرؤى في التفسير ويتطلب قدرًا من الاجتهاد، لكنه يعرض الكثير من الاحتمالات المطروحة لمسائل التفسير المختلفة في علوم اللغة المتنوعة وقضايا الإعجاز وعلى قمتها وجوه المعاني والبيان والبديع. وهذا يستدعي النظر والتأمل أكثر مما يجعلك تمر على الكلمات مرًا سريعًا، "فالحق هو الجهاد الذي يجادلون الرسول الكريم فيه و{كأنما يساقون} تشبيه لحال خوفهم وما يتوهمون كأنهم يحشرون أي يشاهدون فيه الهلاك والموت، وهذا" تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ يعني قريش أو عيرهم"[3]، "والصورة التي قام عليها التشبيه هنا، هي تشبيه حال بحال. فالحال التي كان عليها المؤمنون، من اضطراب واختلاف، عندما وقعت لأيديهم غنائم بدر، هي كالحال التي كانوا عليها حين خرجوا مع النبي لملاقاة قريش، وقد وعدهم الله إحدى الطائفتين: إما العير التي كان يقودها أبو سفيان وفيها أموال قريش وتجارتها المقبلة من الشام، وإما النفير، وهو الجيش الذي قاده أبو جهل لينقذ به العير من يد النبي وأصحابه، وليثأر لكرامة قريش"[4]، "وهو تشبيه كراهية بعض المؤمنين للقتال بالسوق إلى

(1) ينظر: جامعة المدينة البلاغة 1 – البيان والبديع – (ص 71 – 72)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 723)

(3) ابن جزي، تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (ج1/ 321)

(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج5/ 563)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموت"[1]، فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيه بعض أجزاء الهيئة المشبهة ببعض أجزاء الهيئة المشبه بها، أي أن ما كرهتموه من قسمة الأنفال على خلاف مشتهاكم سيكون فيه خير عظيم لكم، وقد دل على ما في الكلام من معنى مخالفة مشتهاهم قوله: **{فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين} [الأنفال: 1]**، مع قوله في هذه الجملة وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون[2].

اهتم الإمام بالتشبيه والتمثيل حيث وردت أمثلة كثيرة في تفسيره درج الدرر فيوضح التمثيل في الآية الكريمة:" **{ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم: 18]** أي: هذا مثل الذين كفروا على سبيل ترجمة، والفصل في الكتاب، كقوله: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} [الرعد:35]**. {كَرَمادٍ} ما تفتّت بالاحتراق، والمراد بالتشبيه حبوط الأعمال"[3] ، يوضح الإمام بإيجاز أن أعمالهم الحسنة التي وقعت لا لوجه الله كرماد أي ما تفتت بالاحتراق والمراد حبوط الأعمال، في الآية الكريمة : "حاصل التمثيل: تشبيه أعمالهم، في حبوطها وذهابها هباء منثورًا لابتغائها على غير أساس من معرفته بالله تعالى والايمان به وكونها لوجهه، برماد طيرته الريح العاصف وفرقته، فالمشبه مركب وهم الذين كفروا وأعمالهم، والمشبه به الرماد، ووجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه، كما أن الكفر يحبط الأعمال"[4]، "فتزيد الصورة حركة وحياة، بحركة الريح في يوم عاصف، تذرو الرماد وتذهب به بددًا، إلى حيث لا يتجمع أبدًا" [5]، يتخيل القارئ الرماد المتراكم الذي تذروه الريح في يوم عاصف، وتكاد كل لفظة في الآية تساعد على اكتمال التخييل الحسي في الصورة المرسومة، وقد يتخذ التخييل الحسي ألوانًا من التشخيص والتجسيم أو الحركات السريعة المتوقعة[6]، فالصورة في هذا المثل القرآني تجسّم أعمال الكافرين بالرماد المتجمّع بعضه فوق بعض، وفيها تصوير لأعمال الكافرين الضائعة تأتيه الريح الشديدة في يوم عاصف، فتذروه في يوم عاصف وتبدد ذرّاته في كل اتجاه فلا يبقى منه شيء، فأعمالهم ضائعة لا تفيدهم يوم القيامة كالرماد المتناثر؛ لأنها غير قائمة على إيمان

(1) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج2/ 269)
(2) ينظر: ابن عبد ربه، التحرير والتنوير (ج9/ 264)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/160-161)
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج13/ 174)
(5) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن (ص 39)
(6) ينظر: عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص 50)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقوى يمنح الأعمال قيمة وفائدة. وبين التشبيه الضمني والتشبيه التمثيلي فروق: فالأداة ووجه الشّبه محذوفان وجوبًا في التشبيه الضمني لكنّهما محذوفان جوازًا في التشبيه التمثيلي، والمشبّه والمشبّه به معنى مركّب في كليهما من عدّة أجزاء، وتربط المشبّه بالمشبّه به علاقة نحوية أو إعرابية في التشبيه التمثيلي، ولا يرتبطان في التشبيه الضمني بأية علاقة نحوية، بل تكون جملة المشبّه به استئنافية لا محلّ لها من الإعراب غالبًا[1].

أما في قول الحق سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} **[البقرة: 261]** يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ}: "نزلت في الحث على النفقة من فرض ونفل. واتّصالها بقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ} **[البقرة:245]**، وما بينهما من القصص عارض، وفي الآية مضاف مضمر تقديره: مثل نفقة، أو{كَمَثَلِ} زارع {حَبَّةٍ}، والحبّة ثمرة السّنبل، والسّنبلة من الزّرع كالعنقود من الكرم والنّخل، وفيها تشريف عدد السبع. قيل: الدخن ينبت {سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّة} وقيل: هذا شيء متصوّر وإن لم يوجد، وذلك يكفي في التّمثيل"[2]. ففي الآية الكريمة تشبيه مركب وهو تشبيه تمثيلي فيه تشبيه صورة بصورة ووجه الشبه فيه صورة منتزعة من أشياء متعددة، فشبه الله سبحانه وتعالى هيئة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته ويعطفون على الفقراء والمساكين بهيئة الحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله سبحانه وتعالى يضاعف لمن يشاء، وكما يشير الإمام نزلت في الحثّ على النفقة من فرض ونفل، وفي توضيحه للتمثيل يشير بأنه شيء متصوّر وإن لم يوجد، وذلك يكفي في التّمثيل، {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله} تشبيه حال جزائهم وبركتهم، والصلة مؤذنة بأن المراد خصوص حال إنفاقهم بتقدير مثل نفقة الدين، وقد شبه حال إعطاء النفقة ومصادفتها موقعها وما أعطي من الثواب لهم بحال حبة أنبتت سبع سنابل، أي زرعت في أرض نقية وتراب طيب وأصابها الغيث فأنبتت سبع سنابل. وحذف ذلك كله إيجازًا لظهور أن الحبة لا تنبت ذلك إلا كذلك، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس والمشبه به هيأة معلومة، وجعل أصل التمثيل في التضعيف حبة لأن تضعيفها من ذاتها لا بشيء يزاد عليها، وقد شاع تشبيه المعروف بالزرع وتشبيه الساعي بالزارع[3]، وتشبيه التمثيل: أبلغ من غيرهن لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني:

---

(1) ينظر: المراغي، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) (ص 175)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 359)

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج3/ 41)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فان كان مدحاً كان أوقع، أو ذمّا كان أوجع، أو بُرهانا كان أسطع، ومن ثم يحتاجُ أُلى كدّ الذهن في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعدِّدة، حسية كانت أو غير حسية، لتكون وجه الشبه، كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآة تبر بدت في كفِّ مرتعش(1)

وفي قول الحق سبحانه: {**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} **[يونس: 24]** يقف الإمام عند التمثيل في الآية الكريمة بإيجاز: "إنّما وقع تمثيل الحياة الدّنيا بالنّبات الحصيد بعد الاكتهال (2)، لسرعة زوالها عند الكمال، والمراد من التّمثيل التّزهيد والتّنبيه، {أَتاها أَمْرُنا} قضاؤنا وحكمنا بهلاكها ويبسها وجدبه"(3)، فالمشبه في الآية الكريمة حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، والمشبه به: حال النبات في جفافه واكتهاله وذهابه حُطامًا بعدما التف وتكاثف وزيّن الأرض بخضرته، ووجه الشبه: صورة شيء مبهج يبعث الأمل في النفوس في أوّل أمره ثم لا يلبث أن يظهر في حال تدعو إلى اليأس والقنوط، والمراد من التمثيل كما قال الإمام التّزهيد والتّنبيه أي النظر إلى الدنيا بزهد دون أن تكون أكبر همه ومبلغ أمله، والتنبيه إلى الثواب والعقاب الذي ينتظر الإنسان. هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطامًا بعد ما التف وزين الأرض بخضرته فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضًا أخذت الأرض زخرفها وازينت جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، فأتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم، فجعلنا زرعها حصيدًا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم يغن

---

(1) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 236)

(2) وأتم النبت: اكتهل، وليس بعد اكتهال النبت إلا التولي، وبلغ الرجل أشده إذا اكتهل. وقال الزجاج: هو من نحو سبع عشرة إلى الأربعين، وقال مرة: هو ما بين الثلاثين والأربعين، وتفيل النبات: اكتهل؛ عن ثعلب. وفال رأيه يفيل فيلولة: أخطأ وضعف.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج11/ 601) (ج12/ 68) (ج3/ 235) (ج11/ 534)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 818)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زرعها، أي لم ينبت[1]، ولما كان سبب البغي في الأرض وإفساد العمران، هو الإفراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزينة واللذات، ضرب لها مثلًا بليغًا يصرف العاقل عن الغرور بها، ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها، واجتناب التوسل إليها بالبغي والظلم، وحب العلو والفساد في الأرض، وهو عبارة عن تشبيه زينتها ونعيمها في افتتان الناس بهما وسرعة زوالهما بعد تمكنهم من الاستمتاع بها، بحال الأرض يسوق الله إليها المطر فتنبت أنواع النبات الذي يسر الناظرين ببهجته، فلا يلبث أن تنزل به جائحة تحسه وتستأصله قبيل بدو صلاحه والانتفاع به[2]، يقول السيوطي: "فإنَّ فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضّيها، وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها – بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب، وزين بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلَّمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس، وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران: أحدهما: أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تغررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به، فكذلك الدنيا. والثاني: أن الماء إذا أطبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء فكذلك الدنيا"[3].

التشبيه المقلوب:

التشبيه المقلوب هو جعل المشبه مشبهًا به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وأبو الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص يسمي هذا النوع من التشبيه (غلبة الفروع على الأصول) ويقول: "هذا فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الأعراب"[4]، ولا تكاد تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة. ويسمى التشبيه المعكوس، فيجعل المشبه مشبهًا به، وبالعكس، فتعود فائدته إلى المشبه به، لادعاء أنَّ المشبه أتم وأكمل وأظهر واشهر من المشبه به في وجه الشبه، والمقصود من هذا القلب في التشبيه المبالغة وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ، ففي قول الحق سبحانه: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى

---

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج2/ 340- 341)

(2) ينظر: القلموني، تفسير المنار (ج11/ 284)

(3) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (ج1/ 205)

(4) ينظر: ابن جني، الخصائص (ج1/ 301)، عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص 95)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} **[البقرة: 275]** وهذا ما عبر عنه الإمام بقوله: "وذلك إشارة إلى قيامهم {قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} قاسُوا أن الزيادة في آخر العقد بالإنساء كما هي في أول العقد ، فردَّ الله عليهم قياسهم وعاقبهم على ذلك وقال: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}"[1]، "قصد الإمام بالإنساء"[2] التبديل والتغيير، والنسيء زيادة في الكفر، كانوا يبدلون بعض الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر، فيحرمونها بدلها، ويحلون ما أرادوا تحليله من الأشهر الحرم، وقال: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} **[التوبة: 37]** وهو التأخير[3]، في قول الإمام قاسُوا أن الزيادة في آخر العقد بالإنساء كما هي في أول العقد، فردَّ الله عليهم قياسهم وعاقبهم على ذلك، فالإمام يريد التشبيه المقلوب وإن لم يشر إلى ذلك بالتصريح، أي أنهم يريدون أن الربا مثل البيع ليصلوا إلى غرضهم، فعكسوا الكلام وبدلوه للمبالغة فأصبح المشبه به قائمًا مقام المشبه وتابعًا له، وهذا معروف في كلام العرب، قد يُعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبهًا به وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به، لادّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه – ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب) [4] أو المعكوس نحو: كأن ضوء النهار جبينُه – ونحو: كأن نشر الروض حسن سيرته – ونحو: كأن الماء في الصفاء طباعه – وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصباحُ كأن غرّتَه وجهُ الخليفةِ حين يُمتدحُ [5]

{إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} الأصل أن يقال: الرّبا مثل البيع، ولكنهم قلبوا التّشبيه، فجعلوا المشبّه مكان المشبّه به"[6]، "وهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا إلى غرضهم، وهو تحليل ما حرّمه الله، فعكسوا الكلام للمبالغة، وهو في البلاغة مرتبة عليا يصبح المشبّه به قائمًا بالمشبّه

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 445)

(2) لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم، لا يغيرون فيها لأن معاشهم كان من الغارة، فيحل لهم المحرم، فذلك الإنساء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج1/ 167)

(3) ينظر: الأخفش، معانى القرآن (ج1/ 357)

(4) ويسمى المنعكس، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ينظر: حاشية جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 239)

(5) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 239–240)

(6) الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي (ج3/ 83)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتابعًا له"[1]، "شبهوا البيع الذي هو مُجمع على حلّه بالربا الذي هو محرم، ولم يعكسوا تنزيلًا لهذا الذي يفعلونه من الربا منزلة الأصل المماثل له البيع، وهذا من عكس التشبيه"[2]، ونتيجة لهذا الذي ارتكبوه من فعل محرم يذكر الإمام أن الله ردَّ عليهم قياسهم وعاقبهم على ذلك بقوله سبحانه: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}.

التشبيه المجمل:

هو التشبيه باعتبار وجه الشبه "والمجمل ما لم يذكر وجهه؛ فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة؛ كقولنا: "زيد أسد"؛ إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها، ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة"[3]، ففي قول الحق سبحانه:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} **[البقرة: 183]** يشير الإمام إلى التشبيه باعتبار وجه الشبه(التشبيه المجمل): "{كَمَا كُتِبَ} تشبيه بمجرّد الصّيام دون الصفات كلّها، إذ التشبيه لا يوجب كون المشبّه كالمشبّه به من جميع الوجوه، قال الله تعالى: {**إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ**} **[آل عمران:59]**، وقال: {**إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ**} **[الفرقان:44]**، وقال: {**حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**} **[يس:39]**. ويحتمل تشبيه الوجوب بالوجوب، و{الصِّيامُ} في اللغة عبارة عن الإمساك عن الطعام، قال الشاعر: [من البسيط]

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ تحتَ العجاجِ وأخرى تعلك اللّجمَا

وعن السكون في البيت، يقال: صامت الرّيح، إذا سكنت، وعن السكوت، قال الله تعالى حكاية عن مريم: {**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً**} **[مريم:26]**،وفي الشرع: عبارة عن الإمساك عن المفطرات مع النيّة [4]، يشير الإمام في تفسيره الآية الكريمة إلى التشبيه باعتبار وجه الشبه، فوجه الشبه هو الصفة الجامعة التي يشترك بها المشبه والمشبه به باعتبار الإفراد والتعدد والتركيب أو باعتبار الذكر والحذف أو باعتبار القريب والبعيد. ولم يكن صيامنا مماثلًا لصيام الأمم السابقة

---

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج1/ 429)
(2) محمد الأمين العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج4/ 119)
(3) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج3/ 432)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 284)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمام المماثلة ، فقوله : {كما كتب على الذين من قبلكم} تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم في الكيفيات، والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة، وهو وجه الشبه المراد في القصد، فهذه فائدة التشبيه لأهل الهمم من المسلمين إذ ألحقهم الله بصالح الأمم في الشرائع العائدة بخير الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: 26]، وفي التشبيه بالسابقين تهوينًا على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم، وفي مثله قوله سبحانه: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [المنافقون: 4]، يقول الإمام: "{خُشُبٌ} جمع خشبة، وهو ما صلب من نبات الأرض، والمراد به الأصنام المنحوتة من الخشب ،{مُسَنَّدَةٌ} مردودة إلى الجدار ليعتمد عليها، فلا تخرّ، وفائدة التّشبيه إثبات صورة حسنة لا خير فيها"[(1)]، فوجه الشبه صورة حسنة لا خير فيها ولا منفعة ووجه الشبه منتزع من صفات متعددة جمعت حتى شكلت صورة غاية في الجمال، وفي مثله قوله سبحانه: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ۝ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ } [القلم: 19 - 21] ، يقول الإمام: "والصّرام الحصاد، فأرسل الله على أموالهم باللّيل آفة، {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم:20]، وهو الحصيد" [(2)]، وفي قوله سبحانه: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ۝ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } [المرسلات: 32 - 34] يقول الإمام: "{بِشَرَرٍ} وهو ما ينتقض من النار، واحدتها شررة {كَالْقَصْرِ} شبهه لاشتباكه كاشتباك بروج القصر وشرفه، وقيل: القصر اسم جنس والمراد به القصور المتلاصقة كأنه – أي كأن القصر– من قصور مياه العرب، وشبه القصر أو القصور بالجمالات الصفر لأن تخيل الأبنية في الأقضية كالسائمة للمتأمل من بعيد، لا سيما القيظ عند تلألؤ الرمال وتغير الظلال، وقيل: التشبيهين جميعًا تشبيه دون القصر على سبيل إبدال أحد التشبيهين من الآخر"[(3)]، قرأ (جمالات) وجمالات، – بضم الجيم وكسرها – يعنى أن الشرر كالجمال السود، يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صفر، فمن قرأ (جمالات) بالكسر فهو جمع جمال، كما تقول بيوت وبيوتات وهو الجمع، ومن قرأ (جمالات) بالضم فهو جمع جمالة. وهو القلس من قلوس سفن البحر، ويقال كالقلس من قلوس الجسر. ويجوز أن يكون جمع جمل وجمال وجمالات، كما قيل رجال جمع رجل، وقرئت (جمالة صفر) على جمع جمل وجمالة كما قيل حجر وحجارة، {كأنه جمالة صفر} فإنه بمنزلة قوله

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 639)

(2) المصدر السابق (ج2/ 656)

(3) عبد القاهر الجرجاني، د رج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1688)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كبيت أحمر، وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهًا من جهتين: من جهة العظم، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات: الطول والعظم والصفرة ، وكان قد قال قبل ذلك بقليل: شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه، ألا ترى أنهم يشبهون الإبل بالأفدان والأفدان: القصور [1]، شبّه الشرر بالجمال الصفر، وهي الإبل السود، والعرب تسمي السود من الإبل صفرًا. قال الشاعر: [الخفيف]

تِلْكَ خَيْلِي منهُ وتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أولادُهَا كالزَّبِيبِ

أي: هنّ سود، وإنما سميت السود من الإبل صفرًا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة[2]، والتشبيه في الآية الكريمة دقيق خفي يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمل، وعندئذٍ يجب أن يذكر في العبارة ما يومئ إلى وجه شبه المحذوف، ويدل عليه، لكن طالما حذف وجه الشبه يحتاج إلى فكر وتأمل، والإمام في توضيحه للتشبيه في الآية الكريمة يشير إلى وجه الشبه المدرك للمتأمل من بعيد وبعد تأول، فالمتخيل للأبنية في الأقضية كالسائمة، ولا سيما القيظ عند تلألؤ الرمال وتغير الظلال، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية وبالتالي فوجه الشبه المدرك مما يحدثه الشرر العظيم فالشرر جمع شررة وهى ما تطاير من النار، أو كما قال الإمام وهو ما ينتفض من النار، وشبهه لاشتباكه كاشتباك بروج القصر وشرفه، فينطلق المكذبون إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر من جهة العظم، ومن جهة الطّول في الهواء والصفرة أراد السواد.

---

(1) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 268)

(2) ينظر: النعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج20/ 82)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: المجاز

المجاز في اللغة:

اسم المكان الذي يجوز فيه، يقال جزت الطريق، وجاز الموضع جوازًا، وجاز به وجاوزه، وأجاز غيره، مأخوذ من جاز، يجوز، جوزًا، وجوازًا، يقال جاز المكان، إذا سار فيه، وأجازه: قطعه، يقال جاز البحر: إذا سلكه وسار فيه، حتى قطعه، وتعداه .ويقال: أجاز الشيء: أي أنفذه، ومنه إجازة العقد: إذا جعل جائزًا، نافذًا ماضيًا على الصحة، وجاوزت الشيء وتجاوزته: تعديته، وتجاوزت عن الشيء: عفوت عنه وصفحت. والمَجازُ والمَجازَةُ: الْمَوْضِعُ. الأَصمعي: جُزْت الْمَوْضِعَ سِرْتُ فِيهِ، وأَجَزْته خَلَّفْته وَقَطَعْتُهُ، وأَجَزْتُه أَنْفَذْته جزت الموضع: سرت فيه، وأجزته: خلفته، وقطعته، وأجزته: نفذته[1].

المجاز في الاصطلاح:

هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي؛ ولعلاقة بين المعنى الأول والثاني، إن حقيقة المعنى الاصطلاحي للمجاز مستمدة من الأصل اللغوي، فالعلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق لفظ المجاز واضحة، وهذا يعني وجود علاقة متينة بين التعريف للمجاز لغة واصطلاحًا لتقارب المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي، وانبثاق الحد الاصطلاحي من المعنى اللغوي، فالاجتياز هو الأصل للمعنيين، فكما يجتاز الإنسان من موضع إلى موضع، كذلك تجتاز الكلمة موقعها الأصلي وتتخطاه إلى موقع جديد، "ومجاز القرآن في الذروة من البيان العربي، وقد كان إعجازه البياني موردًا متأصلًا من موارد إعجازه الكلي، وتفوقه البلاغي، وقد وقف العرب عاجزين أمام حسه المجازي، وبعده التشبيهي، ورصده الاستعاري، وتهذيبه الكنائي، وأعجبوا أيما إعجاب بوضع ألفاظه من المعنى المراد، والإرادة الاستعمالية المثلى، تأنقًا في العبارة وتحيزًا للمعاني"[2]، المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع، سمي مجازًا لجهة التناسب لأن المجاز من جاز المكان يجوزه إذا تعداه والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوع له وهو ما تدل عليه بنفسها فقد تعدت موضعها الأصلي[3].

---

(1) ينظر: ابن منظور المصري، لسان العرب، ، مادة جوز (ج5/326)

(2) محمد حسين الصغير، مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية (ص61)

(3) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 360)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاز فن أصيل في لغة العرب، له مقاييسه الفنية، ومعاييره القولية عند العرب بخاصة؛ لأنه يعنى بإرادة المعاني المختلفة، وهو يعنى بتقليب وجوه اللفظ الواحد لا في الأشياء والنظائر بل في المعاني الثانية، فينتقل باللفظ من وضعه الأصلي المحدد له مركزيًا إلى وضع جديد طارئ عليه تجدده العلاقات الفنية، وهذا من أهم الخصائص التي يمتاز بها المجاز ويؤهله للتوسع في اللغة [1].

أقسام المجاز:

المجاز العقلي: ويكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي ولا يكون إلا في التركيب.

المجاز اللغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له، **والمجاز اللغوي نوعان: الاستعارة:** وهي مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة.

المجاز المرسل: وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة وسمى مرسلًا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى [2].

الحقيقة والمجاز في تفسير درج الدرر:

يقول الإمام: " وأمّا المجاز فكلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وَضْع واضعها لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل، فهي مجاز وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُزْتَ بها ما وقعتْ به في وَضْع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا، لملاحظةٍ بين ما تُجُوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعتْ له في وضع واضعها، فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن، إلا أنّ هذا الاستنادَ يَقْوَى ويَضْعُف، بَيَانُه ما مضى من أنّك إذا قلت: رأيت أسدًا، تريد رجلًا شبيهًا بالأسد"[3]، لا شك أن الإمام عبد القاهر قد قعّد علم البلاغة، لقد حاز الإمام عبد القاهر على قصب السبق في تقريره للكثير من قواعدها، إضافة لوضعه نظرية النظم في النقد العربي من خلال كتابيه (أسرار البلاغة

(1) ينظر: محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية (ص 86-87)
(2) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص142- 143)
(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص350- 352)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و(دلائل الإعجاز). فيقول الإمام في ذلك:" وذاك أن العادة قد جرت بأن يقال في الفرق بين "الحقيقة" و"المجاز": إن "الحقيقة"، أن يقر اللفظ على أصله في اللغة، و"المجاز"، أن يزال عن موضعه، ويستعمل في غير ما وضع له، فيقال: "أسد" ويراد "شجاع"، و"بحر" ويراد جواد، وذاك أنا إذا حققنا، لم نجد لفظ "أسد" قد استعمل على القطع والبت في غير ما وضع له. ذاك لأنه لم يجعل في معنى "شجاع" على الإطلاق، ولكن جعل الرجل بشجاعته أسدًا، فالتجوز في أن ادعيت للرجل أنه في معنى الأسد، وأنه كأنه هو في قوة قلبه وشدة بطشه، وفي أن الخوف لا يخامره، والذعر لا يعرض له. وهذا إن أنت حصلت، تجوز منك في معنى اللفظ لا اللفظ، وإنما يكون اللفظ مزالًا بالحقيقة عن موضعه، ومنقولًا عما وضع له"[(1)].

إن في المجاز انتقال بذهن السامع إلى آفاق جديدة وصور رائعة ومشاهد متناسقة لا تأتي بالاستعمال الحقيقي، فالمجاز في قيمته الفنية والبلاغية يعني عملية متجددة من توالد المعاني فالدلالة المجازية تحمل معها عنصر الابتكار والدهشة والمفاجأة، الذي يأخذ بمشاعر المتلقي ويستولي عليها، حتى يتمكن من إثارة الانفعال المناسب[(2)]. "وأما المجاز في القرآن الكريم فاختلف في وقوعه، وكانت شبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو مستحيل على الله سبحانه، وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"[(3)]، فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: {**وَجَاءَ رَبُّكَ**} [**الفجر:22**]، على مذهب المانعين للمجاز مجيء الله حقيقة، ليس فيه مجاز؛ لا عقلي، ولا لغوي، ورأي الذين يقولون بالمجاز: فيه مجاز عقلي؛ لأن المجيء عقلًا عندهم لا يسند إلى الرب، فهو ممتنع عقلًا.

إن مجاز القرآن ذروة البيان العربي، وقد كان إعجازه البياني موردًا متأصلًا من موارد إعجازه الكلي، وتفوقه البلاغي حقيقة ناصعة وقف العرب عاجزين أمامها، فلا غرابة أن يكون القرآن مصدرًا للثروة البلاغية، والمجاز عقدها الفريد، لقد ثبت وقوع المجاز في القرآن دون أدنى شك في كثير من ألفاظه، وقد رد عبد القاهر القول بحمل اللفظ على ظاهره في كل من قوله سبحانه: {**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**} [البقرة: **210**]، {**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**} [**الفجر: 22**] ،{**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 366-367)

(2) ينظر: مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية(ص 208)

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 255)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسْـتَوَى} [طـه: 5]، فإذا قيل لهم: الإتيان والمجيء انتقال من مكان إلى مكان، وصفةٌ من صفات الأجسام، وأن الاستواء إن حُمل على ظاهره لم يصحّ إلاّ في جسم يشغَل حيِّزًا ويأخذُ مكانًا، واللَّه عز وجل خالق الأماكن والأزمنة، ومنشئ كل ما تصحّ عليه الحركة والنُّقلة، والتمكن والسكون، والانفصال والاتصال، والمماسَّة والمحاذَاة [1]. والإمام عبد القاهر صاحب نظرية النظم وإمام البلاغيين يرى: "أن الحقيقة ما لا إشكال في وجهه، ولم يصرف عن ظاهره، والمجاز ما توسّع الناس فيه لفظًا، واصطلحوا عليه، واستجازوه إمّا ضرورة كتسمية الرجل كلبًا أو أسدًا، وإمّا اختيارًا للتخفيف والعادة كقولهم: طلع الفجر، وأظلم الليل، ونبت الشجر، والإطناب كقولنا في المصائب: انكسر الصّلب، وفي العشق: تقطّع القلب، وفي السرور: قرّت العين، والتفاؤل كتسمية الغلام يمنًا وسعدًا. وهو من البلاغة في الرسائل والخطب والقصائد إذا عري عن التأكيد وعرف منه مراد المريد"[2].

يتابع الإمام في معرض تفسيره لآيات القرآن: "أن من البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون. والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين"[3]، وكلام الإمام السابق لا يدع مجالًا للشك بأن كتاب درج الدرر ليس منسوبًا للإمام بل هو من مداد فكره ومعين نظمه المعلوم لعلماء البلاغة السابقين واللاحقين. والمجاز عند الإمام نوعان : "مجاز عن طريق اللغة، وهو المجاز اللغوي، ومضماره الاستعارة والكلمة المفردة، ومجاز عن طريق المعنى والمعقول، وهو المجاز الحكمي، وتوصف به الجمل في التأليف والإسناد"[4]. وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعًا مصنوعًا، وأن يضعه بعيد المرام، قريبًا من الأفهام. وحد المجاز الحكمي " أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأويل فهي مجاز "[5]. وقد فرّق بين المجاز العقلي واللغوي في الحدود والاستعمال والإرادة ، وقال : "

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 392).

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/147-148)

(3) المصدر السابق (ج1/148)

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 376)

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 356)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه إذا وقع في الإثبات فهو متلقى من العقل، وإذا عرض في المثبت فهو متلقى من اللغة"(1)، وكل من المجازين اللغوي، والعقلي لا يدرك إلا في التركيب، ووراء كل منهما معان غير ما يفهم من تكوين الجملة النحوي في الإيحاءات النفسية التي يستند إليها التصوير القرآني(2).

يتناول الإمام عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر قضية الحقيقة والمجاز: ففي قوله سبحانه: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164] فيقول: "وإنّما قال: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً} لينوّه بذكره تعويضًا عن تقديمه، أو عامّة للحجّة بما أتي من الكلام المعجز وإن لم يكن مكتوبًا من السّماء. وأكّد بالمصدر ليعلم أنّ الله كلّمه حقيقة وخاطبه خطابًا، وليحسم توهّم المجاز، ونحوه قولك: مال برأسه، وقال بيده، و(التّكليم) صفة لله تعالى حقيقة من غير كيفيّة" (3)، "تَكْلِيمًا مصدر كلّم، وفي ذكر هذا المصدر تأكيد للفعل ودليل على أنه كلمه حقيقة لا مجازًا لأن الفعل المجازي لا يؤكد بالمصدر" (4)، وهذا ما أكد عليه الإمام حين قال وأكّد بالمصدر ليعلم أنّ الله كلّمه حقيقة وخاطبه خطابًا، وليحسم توهّم المجاز، وفي موضع آخر يرجح أنهم قالوا ذلك على سبيل المجاز فيقول: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة: 64] "نزلت في فنحاص بن عازور اليهوديّ، كانوا مخاصيب الرجال فلمّا كفروا بنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم ابتلاهم الله تعالى بالقحط، وقدر عليهم الرّزق، وأذهب بركة أموالهم، فضاقت صدورهم فقالوا ذلك جرأة، وإنّما قالوا على سبيل المجاز والتّشبيه كقوله: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً} [الإسراء:29] {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} يحتمل الدّعاء، ويحتمل الإخبار، ولذلك قالوا أبخل النّاس. (بسط اليد): نفاذ التّصرّف، آمنّا بما أخبر الله من غير تأويل" (5). ويتضح مما ذكره الإمام في الآيتين الكريمتين بأن الله كلم موسى حقيقة وخاطبه خطابًا حقيقيًا وليحسم توهم المجاز عند من قال بذلك، لكنه يقر بالمجاز ويرجح أنهم قالوا ذلك على سبيل المجاز في قوله: {وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ}. في التعبير القرآني بعامة قد يرد الظاهر، وهو ما لا يحتاج إلى كبير جهد، فإن تطلب فمعالم اللغة تيسره، ومصادر الأثر تفسره، وقرائن الأحوال تكشفه. وقد يرد فيه من الإيحاء والتلويح ما يتخطى حدود الظاهر الى ما وراء الظاهر ضمن إشارات دقيقة، فيد الله سبحانه ، وعينه ، ووجهه ، وعرشه ، وكرسيه، واستواؤه ،

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 344)
(2) ينظر: فتحي أحمد عامر فكرة النظم بين وجوه الإعجاز (ص 123)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج540/1)
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج6/ 30)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج574/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومجيئه ، تعبيرات ذات ألوان وخطوط متعددة تضج بالحركة، وتشعر بالتمثيل، ولكنها تحمل أكثر من معناها الأولي دون ريب، وهذا الحمل يتطلب الكشف والإيضاح، ولقد شغل المفسرون بهذه الألفاظ وتوجيهها وذهبوا كل مذهب فيها، ولو أنهم اتجهوا نحو المجاز لوجدوا مهمة المجاز العقلية كفيلة بدرء الشبهات والوصول بهم الى ميناء سليم بما تسخره من طاقات كاشفة وتهيؤه من خصائص ثرة تستلهم هذا المناخ ، وتسير الى بيان هذا الاتجاه[1].

أما في قول الحق سبحانه وتعالى:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا** } **[النساء: 144]**، يوضح الإمام المجاز في الآية الكريمة: "{أَتُرِيدُونَ} على وجه الإنكار.{أَنْ تَجْعَلُوا} أي: تقيموا، {سُلْطاناً} أي: حجّة. وهذا على المجاز، وحقيقته أتريدون أن تكونوا من الذين لله عليهم سلطان بيّن بالإعذار والإنذار"[2]، والظاهر أن المراد بالكافرين هنا مشركو مكة وأهل الكتاب من أهل المدينة، لأن المنافقين كانوا في الأكثر موالين لأهل الكتاب وقوله: {أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا} استئناف بياني، وفيه عن اتخاذ الكافرين أولياء مما يبعث الناس على معرفة جزاء هذا الفعل من قصد التشهير بهؤلاء المنافقين ، ففي استمراركم بموالاة الكافرين جعلتم لله عليكم سلطانًا مبينًا، أي حجة واضحة على فساد إيمانكم. وكذلك في قول الحق سبحانه: {**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**} **[سبأ**: 19] يأتي الإمام على معنى الحقيقة والمجاز بقوله:"{فَجَعَلْناهُمْ } أَحادِيثَ: له معنيان على سبيل المجاز: أحدهما: أنّ الله عز وجل جعل أخبارهم مستفيضة يتحدّث النّاس على سبيل الاعتبار. والثاني: أنّ الله تعالى خرّب ديارهم ومحا آثارهم وأبقى أخبارهم، فكأنّهم صاروا أحاديث، يعني: على الحقيقة، وهو تقليب الجوهر عرضًا، وبقاء العرب من سبيل هؤلاء، ليس يخالف الآية؛ لأنّ الله تعالى إذا أهلك قوما أنشأ من ذرّيّتهم قوما آخرين، هذه سنّة الله في عباده"[3]، أما في قوله سبحانه: {**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**} **[البقرة: 45]** فيبين الإمام عبد القاهر الجرجاني: "{وَاسْتَعِينُوا} واسألوا الله التوفيق والإعانة على أداء الفرائض {بِالصَّبْرِ} على كفّ المعاصي بأداء الفرائض، وكثرة الصلوات على تمحيص الذنوب.{وَإِنَّها} يعني: الاستعانة ، وقيل: الصلاة.{لَكَبِيرَةٌ} لثقيلة ، كقوله: {**إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ**

---

(1) ينظر: محمد حسين الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية (ص105)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 536)

(3) المصدر السابق (ج2/482)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَقامِى} [يونس:71]، وقال: {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى:13]،{إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ} المتواضعين.(الاستعانة): طلب العون، ولا بدّ من مستعين ومستعان به ومستعان عليه، و(الصبر): الحبس على المكاره، أو عن الشهوات. والحقيقة ما لا إشكال في وجهه، ولم يصرف عن ظاهره. والمجاز ما توسّع الناس فيه" [1]، والمراد بالكبيرة هنا الصعبة التي تشق على النفوس، وإطلاق الكبر على الأمر الصعب والشاق مجاز مشهور في كلام العرب لأن المشقة من لوازم الأمر الكبير في حمله أو تحصيله، يقول سبحانه: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة: 143] وقال: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ } [الأنعام: 35]. وقال: {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } [الشورى: 13] وقوله {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: 45] أي الذين اتصفوا بالخشوع ، والخشوع لغة هو الانزواء والانخفاض

أما قوله سبحانه : {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: 77] يذكر الإمام: " {أَهْلَ قَرْيَةٍ} أنطاكيّة. {فِيها جِداراً} بناء على القواعد. {يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} من مجاز الكلام، أي: يكاد الله أن يسقطه. والانقضاض: سقوط في انكسار"[2]، والمجاز علاقته السببية: حين يذكر الإمام: أنه من مجاز الكلام، أي: يكاد الله يسقطه، وهنا يقرر بما ذكره من المعنى أن إسناد الفعل إلى غير فاعله، فيكون هذا مجازًا عقليًا بعلاقة تسبب إرادة السقوط لقربه، وقد جعله بعضهم استعارة مكنية وتخييلية، وهذا ما قرره الإمام رحمه الله في موضع آخر حينما قال في تفسيره لقول الله تعالى: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ} [آل عمران:122]: "{همت} كادت، على سبيل الاستعارة، كقوله تعالى: {يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} [الكهف:77]"[3]. وكذلك في قوله سبحانه: "{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البقرة:25] يقول: "وإنما أسند إلى الأنهار مجازًا، كقوله: {فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ} [البقرة:16]" [4].

يذكر الإمام عبد القادر الجرجاني قوله سبحانه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: 18- 19]: "{وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها}

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 160)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج254/2)

(3) المصدر السابق (ج427/1)

(4) المصدر نفسه (ج124/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنّما شرط في إرادة الآخرة السعيّ؛ لأنّ الشرط في العاجلة شرط مجازيّ غير موجب، قصد فيه التنبيه على قبحه وفساده، فلم يكن لتأكيده معنى، وشرط الآخرة شرط حقيقيّ موجب قصد منه تعليق الحكم به على التحقيق"(1)، أما في قوله سبحانه: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 74]، يشير الإمام في تفسيره للآية السابقة إلى أن المعاني تعدل عن الحقيقة لمعاني أخرى، فيقول:"{يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ} أي: ماء الأنهار، كقولهم: سال الميزاب أو الوادي.{يَشَّقَّقُ} يتشقّق وينفلق فيخرج منه بلل وماء لا يبلغ الأنهار. وهذا يدلّ على جواز التضمين والتوليد.{مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} أي: من سبب رهبة الله. وهذا يدلّ على أنّ الجوهر محلّ للمعاني من الإرادة والتمييز والخشية والنطق والألم واللذّة إن أوجد الله فيه، سواء كانت فيه الحياة والقدرة أو لم تكن، ولأنّه لا تعلّق لهذه المعاني بالحياة والقدرة كالظهور والخفاء والقيام والبقاء، بخلاف الكسب والاختيار لأنّهما مختصّان بالحياة"(2).

يقول الحق سبحانه: " {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام: 93] يدلل الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسيره بذكر أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام فيبين: "{وَمَنْ أَظْلَمُ} قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذّاب والأسود العنسيّ. وعن عكرمة أنّها في مسيلمة الكذّاب، وكان ابن أبي سرح كاتبًا للوحي حتى نزل قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ} الآية [المؤمنون:12]، فجرى على لسانه: {فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ} [المؤمنون:14]، فقال صلّى الله عليه وسلّم: اكتب ما جرى على لسانك، فكتب، وكان ذلك سبب كفره، فارتدّ ولحق بمكّة فقال: إن أنزل إلى محمّد قرآنًا فقد أنزل إليّ كذلك وإلا فقد أتيت بمثله.{افْتَرى} افتعال من الفري، وهو القطع، والمفتري يقطع من موهومه شيئًا فيتقوّله، {سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ} ظنّ منه وغرور، وإسناد الإنزال إلى نفسه مجاز، كقولهم:{حَتّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ} [الإسراء:93]"(3). ويقال: إن سيدنا معاذ بن جبل نطق بها أيضًا، وكما نطق عبد الله بن سعد بن أبي السرح، مع اختلاف في نتيجة هذا النطق: لما نطق بها عمر ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما كان استحسانًا وتعجبًا ينتهي

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 208)
(2) المصدر السابق (ج182/1)
(3) المصدر نفسه (ج622/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الله، ويُقِرّ له سبحانه بالقدرة وبديع الصُنْع. أما ابن أبي السرح فقد قالها كذلك تعجبًا، لكن لما وافق قولُه قولَ القرآن أُعْجِب بنفسه، وادعى أنه يُوحَى إليه كما يُوحَى إلى محمد، ولم لا وهو يقول كما يقول القرآن، ومع ذلك هو ما يزال مؤدبًا يدَّعي مجرد أنه يوحى إليه، لكن زاد تعاليه وجَرَّه غرور إلى أنْ قال: سأنزل مثلما أنزل الله، فارتدّ والعياذ بالله بسببها، وفيه نزل قول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ الله} [الأنعام: 93][1]. ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أي: ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول، وهذا كقوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأنفال: 31] أي ومن أنكر إعجاز القرآن حتى قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، مع أنه قد عرف إعجازه، فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله، ولا يجترئ على هذه الوجوه من الظلم من يؤمن بالآخرة.

الإمام في تفسير درج الدرر يميل إلى الاختصار في عرضه النكت البيانية ففي قوله سبحانه: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 14] يذكر الآيات الكريمة: {وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [الأعراف: 87] و{خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران:150]، و{أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف:151]، و{أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون:14] كلّه على سبيل المجاز واعتبار التّسمية واللّفظ دون المعنى، تعالى الله أن يجانس شيئًا من خلقه علوًّا كبيرًا" [2]، {فتبارك الله أحسن الخالقين } وهو الخالق حقًا وغيره خالق مجازًا وفي قوله تعالى: {فتبارك الله أحسن الخالقين} ، فعند من كان عاقلًا فإن المعنى هو أن الله هو الخلاق العليم الأوحد وإن من قدرته المطلقة على الخلق أنه خلق من خلقه خلقًا يخلقون بإذنه ما يشاء ولكنه أحسنهم أي متفوق عليهم وحاشا لله رب العالمين .

أما قوله سبحانه: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: 72] {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان: 28] {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة: 31] وقد قال أكثر أهل اللغة إن الويل كلمة تقال لكل من وقع في هلكة وعذاب، والفرق بين ويح وويل أن ويلًا تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا

(1) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر) (ج16/ 9982)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/680-681)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يترحم عليه، وويح تقال لكل من وقع في بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها، ألا ترى أن الويل في القرآن لمستحقي العذاب بجرائمهم: ويل لكل همزة ويل للذين لا يؤتون الزكاة ويل للمطففين وما أشبهها؟ ما جاء ويل إلا لأهل الجرائم(1)، يقول الإمام: "{يا وَيْلَتى} الدعاء بالويل حقيقة عند شدة الأمر، وخوف الهلاك، إلا أنّه كثر استعمالها، تلفظوا بها عند كل تعجب توسّعا ومجازًا. ويحتمل: أنّه توهّمت أنّها تهلك، ثم تنشأ ثانيًا للولادة؛ فلذلك دعت بالويل"(2).

يبين الإمام موضحًا المجاز في الآية الكريمة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: 87]** "أن أصل الاعتداء ههنا مجاوزة القتال في سبيل الله إلى القتال في غير سبيله، وقيل: هو قتال من لم يبلغه الدّعوة، وهي غير منسوخة على هذين أيضًا. وقيل: هي مجاوزة القتال على وجه المجازاة إلى القتال على سبيل الابتداء، والآية منسوخة على هذا بآية السيف، والمقاتلة مفاعلة من القتال. والقتال الحرب ومعاطاة القتل، والاعتداء افتعال من العدو. وقوله: **{إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** دلالة أنّ إطلاق المحبّة في موضع الإرادة مجازًا لانتفائه مرّة وثبوته أخرى لإجماعنا أنّ المعتدين مرادون لله تعالى وإن خالفونا في الاعتداء هل هو مراد أم لا"(3)، "وإطلاق المحبة وصفًا لله تعالى، في هذه الآية ونحوها، إطلاق مجازي مراد بها لازم معنى المحبة، بناء على أن حقيقة المحبة انفعال نفساني، أريد به لازم المحبة، أي في المحبوب والمحب، فيلزمها اتصاف المحبوب بما يرضي المحب لتنشأ المحبة التي أصلها الاستحسان، ويلزمها رضى المحب عن محبوبه "(4).

---

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج2/ 639)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم(ج108/2)

(3) المصدر السابق (ج294/1)

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (8 ب/172)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاز العقلي

المجاز العقلي: ويكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي ولا يكون إلا في التركيب.

1- مجاز عقلي علاقته السببية:

ويسند الفعل إلى السبب الذي أدى إليه، نحو قول الحق سبحانه: **{ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [آل عمران: 182]** وقوله تعالى: **{ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الأنفال: 51]** يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسيره الآية الكريمة :"{ذَلِكَ} إشارة إلى كتابة قولهم وقتلهم، وإلى القول لهم: ذوقوا. وإنّما أسند الفعل إلى (اليد)؛ لأنّ أكثر العمل إنّما يكون بها.{وَأَنَّ اللهَ} {بأنّ الله}. وإنّما جعله سببًا؛ لأنّ كتابة قتل الأنبياء بغير حقّ عدل منه، ولو لم يكتب ذلك لكان ظلمًا على الأنبياء، تعالى الله عن ذلك، وإبدال المؤمنين عنهم، والله {لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ} فبقوا في النار غير معذبين، أو لأنّه بتعذيبهم غير ظالم فلذلك يعذّبهم، ولو كان تعذيبهم ظلما لما عذّبهم"(1). في قوله: {بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} تقديم الأيدي مجاز عن الكسب والفعل، أي ذلك واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي، والعلاقة السببية لأن اليد آلة النعمة كما استعملت مجازًا بمعنى النعمة، تأَمَّلْ تجدْ أَنَّ اليَدَ الحقيقيّةَ هِيَ الَّتي تَمنحُ النِّعَمَ، فهيَ سببٌ فِيهَا، فالعلاقة إذاً السببيةُ، وهَذَا كَثيرٌ شائعٌ فِي لُغَةِ العرَبِ (2). أما قوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} عدل عن ظالم الى ظلّام، وقد كان ظاهر الكلام يقضي بنفي الأدنى لأنه أبلغ من نفي الأعلى، لأن نفي الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى، وبالعكس، ولكنه عدل عن ذلك لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلامًا بليغ الظلم. {سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} فيه مجاز يسمى المجاز العقلي أي ستكتب ملائكتنا ولما كان الله لا يكتب وإنما يأمر بالكتابة أسند الفعل إليه مجازًا، {ذلك بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} فيه مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل وذكر الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال نُزوال بهن(3).

أما في قول الحق سبحانه: **{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 145]**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/453)

(2) ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (ص 97)

(3) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 229)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبين الإمام أوجهًا متنوعة في توضيحه معاني الآية الكريمة : " و(الإذن): يتناول معاني كثيرة: أحدها: إباحة المطلوب ، قال الله تعالى: **{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي} [التوبة:49]**، وقال: **{حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ} [النور:28]**. والثاني: التّمكين، قال الله تعالى: **{وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ} [البقرة:102]**، وقال: **{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ} [البقرة:255]**. والثالث: المشيئة ، قال الله تعالى: **{وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ} [آل عمران:145]**، وقال: **{أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ} [يونس:100]**" [(1)]، والتعبير بالإذن عن المشيئة، لأن الغالب أن الإذن في الشيء لا يقع إلا بمشيئة الإذن واختياره، والملازمة الغالبة مصححة للمجاز، ومن ذلك قوله تعالى: {وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله }. أي بمشيئة الله، ويجوز في هذا أن يراد بالأذن أمر التكوين، والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله موتي. وهذا من المجاز العقلي، وعلاقته السببية كما هو واضح، أو أنه من المجاز المرسل باعتبار الإذن تعبيرًا عن المشيئة وعلاقته السببية أيضًا[(2)].

يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني ما قاله ابن عباس وغيره ويجمل في النهاية القول بذكره رأيه : **"{وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ} [النساء: 5]** قال ابن عبّاس: لا تعمل إلى ما خوّلك الله من المال وجعله معيشة لك فتعطيه أولادك وتنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسكه وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم. وقيل: الخطاب للأوصياء، وإنّما قال: {أَمْوالَكُمُ} على سبيل المجاز، كقولك: استرق بأموالنا، إذا استرق أموال أقربائك وجيرانك"[(3)]، والمال سبب، سُمِّيَ الشيء بنتائجِهِ، قد تقول: رعَينا الغيث، أنت ترعى الكلأ، سُقْت غنمك فرعَت الكلأ، أنت ماذا قلت: رعيْت الغيث، سمَّيْت الشيء بِسَببه، هذا الكلأ سببه المطر، رعينا الغيث سمَّيت هذا الشيء بسببه، يقول الرازي: " أما هذا المال فلا تأكلوا أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا، أي جعلها الله قيامًا لكم، سمَّينا الشيء بِنتائجه، هذا من المجاز العقلي في البلاغة، أن تُسمِّيَ الشيء بنَتيجته، أو أن تُسمِّيَ الشيء بسَببِهِ، أو أن تسمِّيَ الشيء بمكانه، قوله: (أموالكم) على الحقيقة والمجاز جميعًا، ويمكن أن يجاب عنه بأن قوله : (أموالكم) يفيد كون تلك الأموال مختصة بهم اختصاصًا يمكنه التصرف فيها، ثم إن الاختصاص حاصل في المال الذي يكون مملوكا له ، وفي المال الذي يكون مملوكا للصبي، إلا أنه يجب تصرفه، فهذا التفاوت واقع في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج205/1)

(2) ينظر: محمد الصغير، مجاز القرآن (ص 73)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج465/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم خارج من المفهوم المستفاد من قولـه: (أموالكم) وإذا كان كذلك لم يبعد حمل اللفظ عليهما من حيث إن اللفظ أفاد معنى واحدا مشتركًا بينهما [(1)]، وفي الآية مجاز عقلي علاقته السببية، والمال سبب، حيث سُمِّيَ الشيء بنتائجِهِ كما يقول الإمام، والمجاز الذي يذكر فيه السبب ليدل على المسبب هو مجاز مرسل علاقته السببية .

2- مجاز عقلي علاقته الفاعلية:

ويسند الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل ، أي يسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول، والمراد اسم الفاعل، يوجز الإمام توضيحه المجاز في قول الحق سبحانه: **{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [الإسراء: 45]** بقوله: "{مَسْتُوراً} ساترًا. كقوله: **{وَماءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة:31]** ساكب، و{يا موسى} **{مَسْحُوراً} [الإسراء:101]**: ساحرًا، وقيل: معناه حجاب لطيف لا يشاهد"[(2)]، والمجاز علاقته الفاعلية، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: **{حِجاباً مَسْتُوراً} [الإسراء:45]**، إذ يقول: "(ساترًا) كقوله: **{وَماءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة:31]**: ساكب. **{مَسْحُوراً} [الإسراء:101]**: ساحرًا، وقيل: معناه حجاب لطيف لا يشاهد. والحِجَابُ فِي أَصلِهِ سَاتِرٌ، وليسَ مَستُورًا، وبهذا أُسنِدَ الوَصْفُ المبنيُّ للمَفعولِ إِلَى الفَاعِلِ، وكان حقّه أن يُسْنَدَ الى المفعول: لأن اسم المفعول يطلب نائب فاعل أي: مفعولاً، لا فاعلاً، فإذا أُسند إلى الفاعل كانَ هَذَا مَجَازاً عَقليّاً عَلاقَتُهُ "الفاعليَّةُ". ومثلُ قوله: **{إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} [مريم: 61]** حيث يقول الإمام في موضع آخر: {وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} هو القول المفعول. وقيل: أراد الآتي"[(3)].

3- مجاز عقلي علاقته المفعولية:

ويسند ما بني للفاعل إلى المفعول، وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمراد اسم المفعول نحو قوله سبحانه: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ۝ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } [الحاقة: 19 - 21]** يقول الإمام: "جاء في قوله تعالى: {عِيشَةٍ راضِيَةٍ} أي: مرضيّة"[(4)]، وهو من المجاز العقلي الذي فيه إسناد ما بني للفاعل

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج9/495)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/215)

(3) المصدر السابق (ج2/277)

(4) المصدر نفسه (ج2/659)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى المفعول نحو: { عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } [الحاقة: 21]، فقوله: راضية: يعني: مرضية، فأتى باسم الفاعل، ويراد به اسم المفعول، فقد أسند الرضا إلى العيشة، والعيشة لا تَرضَى، وإنما العيشة تُرضَى، فأسند ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له على وجه المجاز العقلي، ويقول الإمام في موضع آخر: "{لا عاصِمَ الْيَوْمَ} لا معصوم، كقوله: {مِنْ ماءٍ دافِقٍ} [الطارق:6] و {عِيشَةٍ راضِيَةٍ} [الحاقة:21]، وتقدير: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا لمن رحم"(1)، والمجاز فيما ذكر مجاز عقلي علاقته المفعولية. ويقول القزويني في الإيضاح: "باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل، تقول سر كاتم أي مكتوم، وفي القرآن لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا معصوم، ومن ماء دافق، وعيشة راضية أي مرضي بها، وحرمًا آمنًا أي مأمونًا فيه. قيل ويأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله: {إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} . أي آتيا"(2).

يبين الإمام في تفسيره الآية الكريمة من سورة الإسراء: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ}[الإسراء: 59] قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله عليه السّلام أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحّي الجبال ليزرعوا فيها، فقيل: إن شئت أن تستأني بهم لعلّنا نتخيّر منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن [كفروا] أهلكوا كما أهلك من قبلهم، فقال عليه السّلام: (بل استأني بهم)، فأنزل مقاتل: أنّ عبد الله بن أبي أميّة والحارث بن هشام سألا رسول الله أن يريهما آية مثل آيات الأنبياء قبله، فأنزل، واللفظ مجاز وحقيقة، ما منع آياتنا أن تكون مرسلة من عندنا إلا تكذيب الأولين. وفائدة اللفظ ابتلاء المخاطبين ليتميّز العالمون من غيرهم"(3). والإرسال يجوز أن يكون حقيقة والتقدير: أن نرسل رسولنا، وإسناد المنع إلى تكذيب الأولين بالآيات مجاز عقلي؛ لأن التكذيب سبب الصرف ومجاز الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين ، والله تعالى لا يكون ممنوعًا عن شيء؛ فالمعنى المبالغة في أنه لا يفعل، فكأنه قد منع عنه ثم بين ما فعل بمن سأل الآيات فلم يؤمن بها (4).

4- مجاز عقلي علاقته الزمانية:

أما المجاز العقلي وعلاقته الزمانية فيسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، في مثل قول الحق سبحانه: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } [المزمل: 17]

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/102)
(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 110)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 218)
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج10/ 281)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الحق سبحانه : {أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} [هود: 26] يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني: "{بِهِ} بأمر الله، أو باليوم الذي يجعل الولدان شيبًا، وهو من أمر الله تعالى"[1]. ويقول في موضع آخر: {أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} [هود: 26] عذابه، وهو يوم الطّوفان، أو يوم القيامة"[2]. من علاقات المجاز العقلي الإسناد إلى الزمان كأن تقول (دارت بنا الأيام) فالأيام في حقيقة الأمر لا تدور بل أنت تدور في تلك الأيام فنسبة الدوران إلى الأيام مجاز علاقته (الزمانية) الزمانيّة: فيها يُسند الفعل إلى الزّمان الذي وقع فيه، ومثالها قوله تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } [المزمل: 17] فقد أسند الفعل (تتّقون) إلى (اليوم)، وهو إسنادٌ غير حقيقي، لأنَّ ما يحدث من أهوال في (يوم القيامة) هو الذي يجعل الولدان شيبًا وليس اليوم ذاته، أي أنَّ الحقيقية تقتضي أن يقال: فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل هولُه الولدان شيبًا[3] فأَسندت الآيةُ الفعلَ إلى اليوم (يومًا)، وهو مسند إليه غير حقيقي، والمسند إليه الحقيقي هو الأهوال التي تحصل في هذا اليوم، وبما أن اليوم هو الظرف الزّماني للأهوال أُسند الفعل إليه، فالعلاقة زمانيّة والقرينة حالية. وفي قوله سبحانه: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف: 48] يتضح ميل الإمام إلى الاختصار في تفسيره وإيضاحه وبيانه يقول: "{يأْكُلْنَ} أسند الأكل إلى السنين على طريق المجاز، كقولك: ليل نائم، وسيوف قائمة.{قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} ادخاره لأجله لأجلهن. {إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحْصِنُونَ} على سبيل التدرج تحرزون"[4]. سَبْعٌ شِدادٌ أى: سبع سنين صعاب على الناس، لما فيهن من الجدب والقحط، يأكلن ما قدمتم لهن، أى: يأكل أهل تلك السنين الشداد، كل ما ادخروه في السنوات السبع المتقدمة من حبوب في سنابلها، وأسند الأكل إلى السنين على سبيل المجاز العقلي، من إسناد الشيء إلى زمانه [5]. والشداد: وصف لسني الجدب، لأن الجدب حاصل فيها، فوصفها بالشدة على طريقة المجاز العقلي. وأطلق الأكل في قوله: يأكلن على الإفناء، كالذي في قوله: {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم} [سورة النساء: 2] ، وإسناده بهذا الإطلاق إلى السنين إسناد مجاز عقلي، لأنهن زمن وقوع

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/671)

(2) المصدر السابق (ج2/100)

(3) ينظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، والزركشي، البرهان (ج2/257) والسيوطي، الإتقان (ج3/110)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/134)

(5) ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج7/ 371)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفناء[1]. والمجاز في الآية الكريمة علاقته الزمانية: فعند تفسيره قول الله تعالى: **{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ} [يوسف:48]**، يقول: "أسند الأكل إلى السنين على طريق المجاز، كقولك: ليل نائم، وسيوف قائمة" [2]، وأسند الأكل الى السنين على سبيل المجاز العقلي من إسناد الشيء إلى زمانه وقوله إلا قليلًا مما تحصنون أي أن تلك السنين المجدبة ستأكلون فيها ما ادخرتموه في السنوات السابقة إلا شيئًا قليلًا منه يبقى محرزًا لتنتفعوا به في زراعتكم لأرضكم. يقول القرطبي: " فيه مسألتان: الأولى قوله تعالى: (سبع شداد) يعني السنين المجدبات. (يأكلن) مجاز، والمعنى يأكل أهلهن. (ما قدمتم لهن) أي ما ادخرتم لأجلهن، ونحوه قول القائل:

نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومُ والردىْ لكَ لازمُ

والنهار لا يسهو، والليل لا ينام، وإنما يسهى في النهار، وينام في الليل" [3]. وفي قوله سبحانه: **{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم: 18]** يبين الإمام: وقوله: {أَعْمالُهُمْ} خبره بإضمار أنّ أعمالهم الحسنة التي وقعت لا لوجه الله، {كَرَمادٍ} ما تفتّت بالاحتراق، والمراد بالتشبيه حبوط الأعمال، وإنما يوصف اليوم بأنّه عاصف؛ لأنّ اليوم يوصف بما يحدث فيه على سبيل المجاز[4]، "فالمجاز العقلي في إسناد العصف لليوم في قوله تعالى {في يوم عاصف} العصف اشتداد الريح، وصف به زمان هبوبها على الاسناد المجازي، كنهاره صائم وليله قائم للمبالغة"[5]، فالإمام أشار إلى حبوط الأعمال في يوم اشتدت فيه الريح فهو عاصف، فكل عمل طيب يصدر عن الكافر من صدقة، وصلة رحم، وفك أسير، وإقراء ضيف، وبر والد، في عدم الانتفاع به، كرماد اشتدت به الريح، فلم تبق له عينًا ولا أثرًا، فهم لا يجدون لهذا العمل ثوابًا عند الله تعالى لفقد شرطه، وهو الإيمان الصحيح، وقال تعالى: **{وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً} [الفرقان: 23]**، يعني قصدنا إلى أعمالهم التي عملوها من مكارم

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج12/ 287)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج134/2)

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج204/9)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج160/2-161)

(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج13/ 175)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخلاق، كالجود، وإغاثة الملهوف، ونحو ذلك، فَجَعَلْناهُ، لكونها لم تؤسس على الإيمان، هَباءً وهو ما يرى من شعاع الشمس الداخل من كوة مما يشبه الغبار (1).

5- مجاز عقلي علاقته المكانية:

أما المجاز العقلي وعلاقته المكانية فيسند الفعل فيها إلى المكان الذي وقع فيه الفعل نحو قوله سبحانه: {**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } **[البقرة: 25]** يقول الإمام: "{الْأَنْهارُ} الأخدود الذي يجري فيه الماء، وإنّما أسند إلى الأنهار مجازًا، كقوله: {**فَما**} **رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ [البقرة:16]**، وكما في قصّة فرعون: {**وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**} **[الزخرف:51]**"(2)، وهذا النوع ينسب ابتكاره إلى الإمام عبد القاهر رحمه الله، فقد قال صاحب الطراز: "واعلم أن ما ذكرناه في المجاز الإسناد العقلي هو ما قرره الشيخ النحرير عبد القاهر الجرجاني، واستخرجه بفكرته الصافية، وتابعه على ذلك الجهابذة من أهل الصناعة كالزمخشري وابن الخطيب الرازي وغيرهما"(3)، وفي الآية الكريمة إسناد الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل فأسند الجري للأنهار، وهو مكان الماء إسنادًا مجازيًا للمكانية؛ لأن الأنهار لا تجري إنما يجري ماء الأنهار.

---

(1) ينظر: الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن (ص 127)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج124/1)

(3) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 257)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علاقات المجاز المرسل

المجاز المرسل: وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة وسمى مرسلًا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو أن لأن له علاقات شتى.

1- مجاز مرسل علاقته السببية:

وهو أن يطلق السبب ويراد المسبب، ويتمثل في قوله سبحانه: {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**} [**يونس: 2**] يقول الإمام: "بأنّ {لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ}: منزلة رفيعة. عن القتبيّ: ما قدّموه من عمل صالح، وعن أبي سعيد الخدريّ: محمّد شفيع صدق لهم يوم القيامة، وعن زيد بن أسلم أنّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم لقوله صلّى الله عليه وسلّم: (أنا فرطكم على الحوض)" [1]، "(قدم)، لفظ يدلّ على العضو المعروف، وهو هنا مستعار لكلّ سابق في خير "[2]، قدم صدق دلالة في الخير، وقدم الصدق المنزلة الرفيعة والسابقة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير، وفيها مجاز مرسل: في قوله تعالى: (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ) أي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم. وإنما عبر عنها بها إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة، كما يعبر عن النعمة باليد، لأن العطاء يكون بها، فالعلاقة هنا السببية والمجاز هنا لا يكون مطردًا، فلا يصح أن يقال قدم سوء، وهذه خاصة عجيبة من خصائص المجاز يكاد الحكم فيها أن يكون مرده الى الذوق.

2- مجاز مرسل علاقته المسببية:

وهو أن يطلق المسبب ويراد السبب نحو قول الحق سبحانه:{**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**} [**آل عمران: 133**]: يبين الإمام "{وَسارِعُوا} المسارعة إلى الجنّة، وهي مسابقة بعض الناس بعضًا. أو مسابقتهم انقضاء الأجل إلى عمل يوجب الجنّة، فقيل: إنّه التّوبة، وقيل: الغزو، وقيل: الهجرة، وقيل: الوقوف على قضيّة الأمر والنهي، وقيل: الجمعة والجماعات، وعن سعيد بن جبير: الطاعة، وعن أنس بن مالك: التّكبيرة الأولى، وعن عثمان: الإخلاص في العمل، وعن عليّ: الفرائض.{عَرْضُهَا السَّماواتُ} أي: كعرض السموات. وإنّما حذف لعدم الإيهام كقوله صلّى الله عليه وسلّم: (الضّبع

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/812)

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدم) (ج12/ 466)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعجة سمينة). وذكر العرض دليل على الطّول أنّه زائد، والطّول لا يدلّ على العرض، قيل: جاء يهوديّ إلى عمر بن الخطّاب فقال: أرأيت قوله: {وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ} ، فقال عمر لأصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم: أجيبوه، ولم يكن عندهم فيها شيء، فقال: أرأيت النهار إذا جاء يملأ السموات والأرض، قال: بلى، قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنّار حيث شاء الله، فقال اليهوديّ: والذي نفسك بيده يا أمير المؤمنين إنّها لفي كتاب الله"[1]، ومثله قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} **[الأنفال: 60]** يقول الإمام : "مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ: عامّ في كلّ ما يتقوّى به على الأعداء من سلاح وكراع"[2]، والمجاز المرسل بعلاقته المسببية أن يذكر المسبب ويراد السبب، بأن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مسببًا عن المعنى المراد، فيطلق اسم المسبب على السبب والمجاز في الآيتين الكريمتين مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث ذكر المغفرة وأراد التوبة وذكر القوة وأراد السلاح. وفي قوله سبحانه: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} **[البقرة: 220]** يوضح الإمام في معرض تفسيره: "{ويسألونك عَنِ الْيَتامى} سأل عبد الله بن رواحة، وعن مقاتل أنّ السائل عنهم ثابت بن رفاعة، والسبب في ذلك أنّه لمّا نزل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً} **[النساء:10]** تحرّج الناس، وتركوا أموال اليتامى، فكان يفسد اللبن وينتن اللحم ولا يتعرّض أحد، فشقّ ذلك عليهم، فسألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مخالطتهم. وعن الشّعبيّ والضّحّاك أنّهم كانوا يتورّعون عن أموال اليتامى، ويتشاءمون بمخالطتهم على العادة الجاهليّة. قوله: (عن اليتامى): أي: عن أموالهم.{قُلْ إِصْلاحٌ} الرّعاية والحفظ {خَيْرٌ} من الإضاعة {وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ:} بالأموال، فتأكلوا معًا وتشربوا معًا من غير تمييز فهم إخوانكم، وقد قال الله: {وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} **[النّور:61]** {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} **[البقرة: 220]** أي: الذي يخالطهم ليرزأ من الذي يخالطهم ليصلح أموالهم" [3]، إن الحق يبدأ هذه الآية بقوله: {فِي الدنيا والآخرة} وكأنه يقول لنا: إياك أن تعتقدوا أن كل تكليف من الله جزاؤه في الآخرة فقط، أبدا إن الجزاء سيصيبكم في الدنيا أيضًا، فالعلاقة المسببية: كما في قولك: "أمطرت السماء نباتًا"، فليس المراد "بالنبات" معناه الحقيقي، بقرينة قوله: "أمطرت"، إذ أن النبات لا يمطر، وإنما المراد به "الغيث"، فالنبات إذن مجاز

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/432)
(2) المصدر السابق (ج1/740)
(3) المصدر نفسه (ج1/317)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرسل، علاقته المسببية. وفي قول الحق سبحانه: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: 221] ويوجز الإمام تفسيره بقوله: "و(النّكاح) في اللغة عبارة عن الوطء حقيقة لقوله: {الزّانِي لا يَنْكِحُ إِلاّ زانِيَةً} [النور:3]، ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: (ملعون من نكح يده) ، وعبارة عن العقد الذي وضع لاستباحة الوطء مجازًا" [1].

يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب: 49] يريد الله تعالى في قوله في الآية السابقة عقد الزواج لقوله {مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ} وبالتالي فلفظة النكاح تُحمل على الحقيقة والمجاز؛ ولهذا استخدم القرآن لفظ النكاح الذي يدل على الزواج، لأن كل زواج بين رجل وامرأة لابد أن يقوم على النكاح، لكن ليس كل نكاح فيه معنى الزواج، ويشير القرآن إلى الزواج بلفظ النكاح في جميع آياته فيقول سبحانه: {وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} [البقرة235]، ويقول أيضًا: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [النور:33] ويقول أيضًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ} [الأحزاب:49]، أما كلمة النكاح في اللغة فهي مجاز وهي ليس بمعنى الوطء، ولم يستخدم القرآن كلمة الوطء للدلالة على الزواج، إنما استخدم معنى مجازيًا غير موضوع للوطء أصلًا، وهو النكاح، فالنكاح في اللغة معناه المخالطة بين شيئين قد يحدث بينهما انفصال، وهو مأخوذة من قولهم: "نَكَحَهُ الدَّوَاءُ إذَا خَامَرَهُ وَغَلَبَهُ، أَوْ مِنْ تَنَاكَحَتْ الْأَشْجَارُ، إذَا انْضَمَّ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، أَوْ مِنْ نَكَحَ الْمَطَرُ الْأَرْضَ إذَا اخْتَلَطَ بِثَرَاهَا.. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ النِّكَاحُ مَجَازًا فِي الْعَقْدِ وَالْوَطْءِ جَمِيعًا لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ غَيْرِهِ"[2]، {وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حتى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ . } [النور: 33] .أُطْلِقَ "النكاح" والمرادُ مؤونَتُه من مَهْرٍ ونَفَقةٍ وما لا بُدَّ مِنْهُ لطالب النكاح، وهذا من إطلاق المسبَّب وإرادة سببَه، وفي هذا المجاز إيجاز في التعبير، مع الإشارة إلى أنّ الرجال هم المسؤولون عن نفقات النكاح"[3].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج318/1)

(2) أبو العباس الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج2/ 624)

(3) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 287)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- مجاز مرسل علاقته الجزئية:

وهو أن يطلق الجزء ويراد به الكل نحو قوله سبحانه: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} **[الإسراء: 13- 14]** يذكر الإمام أن: "{أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ} ردّ على القدرية؛ لأنّ إلزام الطائر قبل وجود الفعل، فلا معنى للطائر بعد وجود الفعل، وقد سبق القول في التطيّر والطائر في سورة الأعراف، وقيل: أصل الكلمة تقال، وذكر العنق على سبيل المجاز؛ لأنّه موضع ما يلزم الإنسان من قلادة أو طوق أو غلّ أو نحوه"[1]، فالمجاز علاقته الجزئية حين ذكر العنق على سبيل المجاز؛ لأنه موضع ما يلزم الإنسان من قلادة أو طوق، أو غل أو نحوه. وكان العرب يتفاءلون بالطير ويسمونه زجرًا، فإذا سافروا ومر بهم طير زجروه، فإن مر بهم سائحًا، بأن مر من جهة اليسار إلى اليمين، تيمنوا وإن مر بارحًا، بأن مر من جهة اليمين إلى الشمال، تشاءموا. ولذا سمي تطيرًا. فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر أستعير استعارة تصريحية لما يشبهها من قدر الله تعالى وعمل العبد، لأنه سبب للخير والشر. ومنه طائر الله تعالى لا طائرك، أي قدر الله جلّ شأنه الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن، والطائر هنا كناية أو مجاز عن العمل، فالمعنى وكل إنسان ألزمناه عمله الذي عمله وطوقنا به عنقه، بحيث لَا يمكن الخلاص منه، كما يطوق العنق بأي شيء لا يمكنه الفكاك، بل يلازمه ملازمة الطوق للعنق، وقد شبهت ملازمة العمل للنفس حتى تنال جزاءها خيرًا أو شرًا بملازمة الفوق للعنق حلية أو قيدًا [2]، ومن أمثلته قوله : {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ } **[البلد: 12- 13]** فالعلاقة الجزئية في المجاز لكي تؤدي غرضًا بيانيًا لا بد من شروط فليس كل جزء يمكن أن يعبر به عن الكل، ألا ترى أن الرقبة التي عبر بها عن الإنسان هي من الأمور التي لا حياة بدونها؟ فانتفاء الجزء يستدعي انتفاء الكل، فإذا أردت أن تعبر عن فصاحة فلان من الناس تعبيرًا مجازيًا، تقول: لساننا الناطق، لأن اللسان هو السبب في الكلام[3].

أما في قوله سبحانه : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} **[البقرة: 43]** يقول الإمام: "{وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} أي: صلّوا الصلوات الخمس مع محمّد وأصحابه في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/207)

(2) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج8/ 4347)

(3) ينظر: حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(ج2/ 155)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجماعات، والركوع في اللغة: الانحناء، وفي الشرع: انحناء معهود في الصلاة" [1]، والمجاز في الآية الكريمة مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث الراكعين وأراد الصلاة، وهذا ويشترط في الجزء الذي يُراد به الكل أن يكون مما جرى العرف على استعماله في الكل، أو يكون لهذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى المراد، وقد وجدنا القرآن الكريم، يُسمي الصلاة قيامًا أو سجودًا؛ لأنهما ركنان أساسيان من أركانها، كما يسميها ذكرًا أو ركوعًا.

يوضح الإمام المجاز وعلاقته الجزئية في تفسيره الآية الكريمة: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]** بقوله: "{فَثَبِّتُوا} تثبيت الملائكة المؤمنين إنّما كان على سبيل التّشجيع دون القتال. وقيل: تثبيتهم إيّاهم مشاركتهم في القتال تشريفًا لهم، ولو شاء الله لأهلكهم بملك واحد منهم.{فَوْقَ الْأَعْناقِ} ما فوق الأعناق وهو الرّأس. وقيل: (فوق) زيادة وصلة مثل(على) ، تقول: ضربت الشّيء، وضربت عليه بمعنى. و(العنق): الرّقبة، وهو المتوسّط بين الرّأس والذّفرى. {بَنانٍ} أطراف من الأيدي والأرجل ، واحدتها: بنانة، فإن كان الأمر للمؤمنين فالمراد ضربهم بالسّيوف والمقارع، والمراد إباحة القتل من كلّ وجه، وإن كان الأمر للملائكة فالمراد بالضّرب ضربهم بما شاء الله من سلاح أو جناح على سبيل القتل والتسويم أو الرّدّ والطّرد" [2]، وفي الآية الكريمة عبر بالجزء وأراد الكل موضحًا المراد ببيان هذه المواضع إباحة القتل من كلّ وجه. فالإمام لا يصرح بالمجاز أحيانًا وإنما يكون في تفسيره المراد بالأذقان الوجوه إطلاقًا للجزء على الكل مجازًا، ففي قول الحق سبحانه: **{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء: 107]**، يوضح الإمام: "{وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ} يقعون على الأذقان سجودًا، واحده ذقن، والمراد بالأذقان: الوجوه؛ لأنّ الإنسان يعتمد عليه من وجهه. ويحتمل: أنّه كان من أعضاء السجود، ثم نسخ بالجبهة والأنف" [3].

4- مجاز مرسل علاقته الكلية:

وهو أن يطلق الكل ويراد به الجزء حيث يبين الإمام في تفسيره قول الله سبحانه: **{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ**

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج145/1)
(2) المصدر السابق (ج724/1-725)
(3) المصدر نفسه (ج235/2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} [البقرة: 19] "{يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ} ويصيّرون بنانهم في العضو المختصّ بالسمع، والصاعقة صوت فيه نار لا تأتي على شيء إلا أحرقته وقيل: اسم للعذاب على أيّ وجه كان؛ لأنّ عادا أهلكت بالريح، وثمود بالرجفة، ومع ذلك قال الله تعالى: {أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ} [فصلت:13]. والمراد بالصواعق ههنا شدّة الظلمة، وشدّة صوت الرعد، وشدّة لمعان البرق، إذ كلّ واحد منها هائل.{حَذَرَ الْمَوْتِ} أي: لحذر الموت، كقولك: زرتك طمعا في برّك، وقال حاتم الطائيّ"(1): [من الطويل]

وأَغْفُرُ عَوراءَ الكَريمِ ادّخارَهُ وأعْرِضُ عَنْ شتمِ اللئيمِ تكرُّمَا(2)

والمجاز في الآية الكريمة علاقته الكلية وذلك عندما نعبر بالكل ونريد الجزء، والمجاز المرسل لا يعتمد إطلاقًا على التشبيه بل يرسل لغاية تعميق الأثر وتقوية المعنى ولا علاقة مشابهة فيه، لأن ذكر المولى سبحانه الكل يعبر عن مدى تأذي المشركين من القرآن وحقدهم عليه، وهو مجاز مرسل حيث اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة تمنع إيراد المعنى الأصلي للفظ، وسمي المجاز بالمجاز المرسل ؛ لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة، فعلاقاته كثيرة.

5- مجاز مرسل باعتبار ما كان:

وفيه يسمى الشيء باعتبار ما كان نحو قوله سبحانه: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } [النساء: 2]: يوضح الإمام عبد القاهر في بيان المجاز المرسل وعلاقة باعتبار ما كان بقوله موجزًا: "{وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ} نزلت في رجل من غطفان، وكان لابن أخ له عنده مال، فلمّا بلغ امتنع عن ردّه، فشكا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فنزلت، فردّ عليه المال، وسمّى اليتامى بالحالة الماضية"(3)، فالبالغ الراشد لا يسمى يتيمًا، فاليتيم ما كان في الماضي، والمجاز في الآية الكريمة مرسل باعتبار ما كان وتسليم الأموال لا يتم إلا بعد بلوغ اليتيم سن الرشد والبلوغ، "يعني بذلك تعالى ذكره أوصياءَ اليتامى، يقول لهم: وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى: [اليتامى] أموالهم إذا هم

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/116)
(2) ينظر: الطائي، الديوان (ص 81) والسيوطي، شرح شواهد المغني(ج2/ 952)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/462)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بلغوا الحلم، وأونس منهم الرشد"[1]، فالمجاز في كلمة : اليتامى ، فهي في غير معناها الأصلي؛ لأن اليتيم من فقد والده قبل الرشد لا يأخذ ماله، وإنما يأخذ المال عندما يتجاوز سن اليُتْم ويبلغ سن الرشد، فاستعملت كلمة يتامى وأريد بها الذين كانوا يتامى، بالنظر إلى حالتهم السابقة.

6- مجاز مرسل باعتبار ما يكون:

وفيه يسمى الشيء باعتبار ما يؤول إليه، لا يرجح الإمام في مواضع كثيرة الرأي بل يطلق الأمر غير مقيد يحمل على وجوه كثيرة، ففي تفسيره قوله سبحانه: **{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل: 20، 21]** يذكر بقوله: "{أَمْواتٌ} أي: الذين تدعونهم من دون الله، وهم الشيطان والفراعنة أموات بقلوبهم، ليست لهم حياة الإيمان. ويحتمل: أنّ المدعين قوم درجوا وانقرضوا من هؤلاء الشياطين والفراعنة، ويحتمل: الأصنام على سبيل الحقيقة عند من يجعل الموت والجمود شيئًا واحدًا، وعلى سبيل المجاز عند من يجعل الموت معنى تعقب الموت"[2]. قوله: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) .أي الأصنام، أَمْوَاتٌ، قوله: (غَيْرُ أَحْيَاءٍ) تأكيد وقطع مجاز يستعمل في الحي، سماهم ميتين باسم ما يؤول إليه[3]، والمجاز مرسل باعتبار ما يكون، ومعنى أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك، أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير، وهم لا يقدرون على نحو ذلك، فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها [4].

أما في قوله سبحانه: **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: 30]** وقوله سبحانه: **{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 36]** يذكر الإمام: "{إِنَّكَ مَيِّتٌ} أطلق اسم المآل على الحال، كقوله: {أَعْصِرُ خَمْراً} ، قال: أنا ميّت، وعزّ من لا يموت، قد تيقّنت أنّي سأموت، وعلى هذا حمل الفرّاء قوله: **{بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الحجر:53]**. ويجوز أن يكون

---

(1) الطبري ، جامع البيان ت شاكر (ج7/ 524)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج184/2)

(3) ينظر: تاج القراء الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (ج1/ 603)

(4) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج2/ 600)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليمًا في حال الصّغر"[1]. المجاز في كلمة : ميتٌ ، فهي في غير معناها الأصلي؛ لأن المخاطب بهذا هو النبي عليه السلام وقد خوطب بلفظ (ميت) وهو لا يزال حيًا بالنظر إلى ما سيصير إليه أي باعتبار ما سيكون، وقوله سبحانه (إنّي أراني أعصر خمرًا) أي عصيرًا سيتحول إلى الخمر، وفي الآيتين الكريمتين مجاز مرسل وهو باعتبار ما يؤول إليه أي عنبًا يؤول إلى الخمر[2]. وقد سمى العنب خمرًا لأنه يؤول إلى الخمر ويقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرًا وقيل: الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد وعمان، وعن المعتمر: لقيت أعرابيًا حاملًا عنبًا في وعاء فقلت ما تحمل؟ فقال خمرًا وعلى هذا يكون الكلام حقيقيًا لا مجازيًا والأول أرجح[3].

7- مجاز مرسل علاقته الحالية:

وفيه يذكر الحال ويراد المحل، يبين الإمام عبد القاهر في تفسيره الآية الكريمة: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} **[الأعراف: 31]** أن هذا "أمر بستر العورة عند الطّواف والصّلاة، عن ابن عبّاس وعطاء ومجاهد. ويجوز أن يكون حكم التّرجيل والتّطيّب ولبس الجديد والألبسة الحسنة في الجمع والأعياد مأخوذًا منها على وجه الاستحباب"[4]، والمراد بالزينة كما ورد عند الإمام الجديد والألبسة الحسنة فالزينة لا تؤخذ وبذلك عبر بالحال وأراد المحل فالحالية في المجاز المرسل ذكر الحال ويراد المحل كما في قوله: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} **[آل عمران: 107]** أي في جنة الله، وهي المحل التي تحل فيه الرحمة.

8- مجاز مرسل علاقه المحلية:

وفيه يذكر المحل ويراد ما يحل به نحو قول الحق سبحانه: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج535/2)

(2) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج1/ 238)

(3) ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج4/ 496)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج646/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 259] يوضح الإمام :"أن بأرض إيليا رفع له شخص بيت المقدس من بعيد ورأى خرابًا عظيمًا فهاله ذلك فخطر بباله {أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها} فتلفّظ به من غير إنكار، فابتلاه الله في الحال بما جعله معجزة له في ثاني الحال وقوله: (أو كالذي) معطوف على معنى (ألم تر إلى الذي حاجّ)، وقد ذكرنا أنّ معناه: هل رأيت كمثله ؟ وقيل: معناه: أو الذي، على طريقة من يعبّر عن يقين بمثله،{خاوِيَةٌ} خالية، ويعبر به عن الزّوال والسّقوط.{عُرُوشِها} والعرش: البناء من غير سقف أو ظلّ. وكان ابن عمر إذا نظر إلى عروش مكّة قطع التّلبية، وإحياء القرية عمارتها" [1]، وفي قوله تعالى: **{قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا } [البقرة: 259]** أي أنّى يحيي الله أهل هذه القرية ففيه مجاز كما في قوله تعالى:**{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } [يوسف: 82]** أي اسأل أهل القرية، والمجاز مرسل علاقته المحلية. وفي مثله قول الحق سبحانه: **{وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [الأنعام: 92]** يقول الإمام: "{مُصَدِّقُ}: أي: ليصدّق {الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} و {أُمَّ الْقُرى} مكّة؛ لأنّ مكّة فيها أوّل بيت وضع للنّاس، وقيل: لأنّها قبلة سائر القرى ومثابتها بإنذار أهلها.{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} يدلّ أنّ الكافر به كافر بالله وباليوم الآخر في الحقيقة، فإنّ الإيمان لا يتبعّض"[2]، ويتجلى المجاز في قوله: {وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى} بعلاقة المكانية، فقد أطلق هذا اللفظ وأريد به أهل المكان، أي لتنذر أهل أم القرى حيث يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ لأنّها قبلة سائر القرى ومثابتها بإنذار أهلها، وذلك إن الديار والأبنية لا تنذر، وإنما أهلها هم الذين ينذرون ويخوفون، وتكمن بلاغة هذا المجاز أن فيه دلالة على عظم هذا الإنذار.

9- مجاز مرسل علاقه الآلية:

هو أن يذكر الشيء باسم آلته التي يؤدي بها الفعل نحو قول الحق سبحانه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: 4]** يبين الإمام العلاقة: "{إِلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ} بعبارة قوم الرسول عامّة، مشاهدته ومخاطبته.{لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} بالإعجاز ما يترجمون عنه على سبيل التواتر.{فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ} أي: فبعد البيان وقيام الحجّة، يخذل الله من يشاء؛ ليصرّ على الضلالة.{وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ} ليعترف بالحقّ إن خرج ترجمة للوحي الذي في فحوى الإرسال، أو ترجمة الآيات، أو

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج365/1)

(2) المصدر السابق (ج621/2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول مضمر"[1]. وهنا يذكر الشيء باسم آلته التي يؤدي بها الفعل، أي بلغة قريش أو كما قال الإمام بعبارة قوم الرسول عامّة فذكر اللسان وهو الآلة، وأراد لغة أو لهجة قريش قوم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أو كما في قوله: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} **[الشعراء: 83]** أي الذكر الحسن والسيرة الطيبة.

أما في قوله سبحانه::{**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**} **[الأحزاب: 4]** يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني:"{ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} في إحالة مجاز القوم، وذلك لنقلهم أحكام الحقائق إلى المجاز، كمن يسمّي إنسانًا هابًا، ثم يعتقده أنّه نار، فيرفع إليه فتيلة مستوقدًا، ويعتقد [أنّ] الشّهاب الحقيقيّ إنسان ويأمره وينهاه، واتصالها من حيث {وَلا تُطِعِ} فإن النّفل كان من صنيعهم، وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: قام نبي الله عليه السّلام يوما يصلّي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الّذين يصلّون معه: ألا ترى له قلبين: قلبًا معكم، وقلبًا معهم، وأنزل، بمعنى قوله. وقال ابن جريج: هو رجل من بني فهر كان يقول: إنّ لي قلبين: أعقل بأحدهما ما يعقل محمد بقلبه، وكذّب" [2]، ويظهر من الآية بجملتها نفي أشياء كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت، وإعلام بحقيقة الأمر. وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة. والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار، وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز، والله أعلم[3].

10- مجاز مرسل علاقته المجاورة:

وفيه يعبر عن الشيء بما يجاوره نحو قوله سبحانه: {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**} **[الشعراء: 106]** {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ**} **[الشعراء: 124]** {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**} **[الشعراء: 142]** {**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ**} **[الشعراء: 161]** يقول الإمام: "{أَخُوهُمْ} للتنبيه، أو لطول المجاورة" [4]، وردت كلمة أخوكم في سورة الشعراء أربع مرات

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/158)
(2) المصدر السابق (ج2/450)
(3) ينظر: القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن(ج14/117)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/396)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متجاوزة معنى الأخوة الحقيقي لمعنى الأخوة المجازي أو كما قال الإمام للتنبيه وطول المجاورة وهو نوع من المجاز المرسل حيث يعبر عن الشيء بما يجاوره فالأنبياء رضوان الله عليهم : نوح- هود- صالح- لوط جاوروا أقوامهم وعاشوا معهم وهم منهم يدعونهم لاتباع أهل التقوى والصلاح لكن دون جدوى وكان مصيرهم الهلاك بعد تحذيرهم وتنبيههم.

يبين الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**} **[يوسف: 70]** بقوله: "وقد يُسْنَدُ فعلُ الواحد إلى الجماعة مجازًا، كقوله: {أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}"[1]، ويذكر: "{أَيَّتُهَا الْعِيرُ} الإبل والحمير التي يحمل عليها كقولك: يا خيل الله اركبي"[2]، كل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير لأنها تعير أي تذهب وتجيء[3] ، في قوله تعالى: {أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ} مجاز مرسل وعلاقته المجاورة، والمراد هنا أصحاب العير، كما في قوله صلّى اللّه عليه وسلّم: يا خيل الله اركبي. والإمام أشار إلى ذلك دون تحديد نوع المجاز وعلاقته، بقوله: يا خيل اللَّه اركبي، هذا على المجاز والتوسع أي أيتها القافلة وهنا مجاز مرسل إذ أطلقت، وأريد راكبوها، وفى وصفهم بالسرقة مع أنه لم تكن منهم سرقة، وما كان لنبي اللَّه يوسف أن يكذب، ولو لخير، وقد أجيب عن ذلك بأنه لم يكن هو الذي وصفهم بالسارقين، إنما الحارس المنوط به حراسة حاجة الملك هو الذي قال ذلك[4]، ما حدث اتهام مباشر لا تورية فيه بغرض تحقيق غاية، حيث ترتعب القافلة مما يدل على أن أصحاب العير كان في أنفسهم شك مما اتهموا به فأصيبوا بالرعب واتضحت حالتهم النفسية وفضحت أصحاب العير.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 143)

(2) المصدر السابق (ج3/ 1010)

(3) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (ج18/ 486)

(4) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج7/ 3843)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الاستعارة وبيانُ أنواعها

تمهيد:

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة "[1].

عرَّفها الجاحظ بأنها: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[2]. وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة: الاستعارة – التجنيس – المطابقة – رد للعجز على الصدر – المذهب الكلامي، ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول أنها كثيرة، ولا يرى حرجًا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع، وذكر من هذه المحاسن: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء [3]. والاستعارة هي الباب الأول في كتاب البديع، وعرَّفها ابن المعتز بأنها: استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها، وذكر كثيرًا من شواهدها ومثلًا لقبيحها[4].

يقول السكاكي في مفتاح العلوم: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعيًا أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر أو كما تقول إن المنية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئًا غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة" [5]. وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة والتشبيه بأداته الدالة عليه في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 30)

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 142)

(3) ابن المعتز، البديع (ص22)

(4) المصدر السابق (ص 24)

(5) السكاكي، مفتاح العلوم (ص369)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغة. وكل استعارة حسنة فهي توجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة"[1] فالاستعارة عندهم أقصى من المجاز، وهي أخص منه، إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، وموقعها في الأذواق السليمة أبلغ .

الاستعارة في اللغة:

"العارية منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعارة. تقول: أعرته الشيء أعيره إعارة وعارة، كما قالوا: أطعته إطاعة وطاعة وأجبته إجابة وجابة. واستعاره ثوبًا فأعاره إياه ومن قولهم، استعارَ المالَ: إذا طلبَه عاريةً" [2].

الاستعارة في الاصطلاح:

هي استعمالُ اللفظُ في غير ما وضعَ له لعلاقةِ (المشابهةِ) بين المعنَى المنقولِ عنه والمعنِى المستعملِ فيهِ، مع (قرينةٍ) صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليِّ ، والاستعارةُ ليست إلا تشبيهًا مختصرًا، لكنها أبلغُ منهُ كقولك: رأيتُ أسدًا في المدرسةِ، فأصلُ هذه الاستعارةِ رأيتُ رجلاً شجاعًا كالأسدِ في المدرسةِ فحذفتَ المشبهَّ لفظُ رجلٍ وحذفتَ الأداةَ الكاف – وحذفتَ وجهَ التشبيهِ الشجاعةَ وألحقتهُ بقرينةِ المدرسةِ لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعًا[3]، " فاعلم أن الاستعارة تنقسم على مصرح بها ومكني عنها، والمراد بالأول هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به، والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه"[4]. حدّ الرّماني الاستعارة فقال: "هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة على سبيل النقل للإبانة. وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه [5].

---

(1) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص85-86)

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4/ 619)

(3) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 258)

(4) السكاكي: مفتاح العلوم (ص373)

(5) ينظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن (85-86)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أركان الاستعارةِ:

أركان الاستعارة ثلاثة: مستعارٌ منه وهو المشبَّهُ بهِ – ومستعارٌ لهُ وهو المشبَّهُ ومستعارٌ وهو اللفظُ المنقول، فكلُّ مجازٍ يبنَى على التشبيهِ (يسمَّى استعارةً)، ولابدَّ فيها من عدم ذكر وجهِ الشبهِ، ولا أداة التشبيهِ، بل ولابدَّ تناسي التشبيهِ الذي من أجله وقعتِ الاستعارةُ فقط.

قرينةُ الاستعارةِ:

القرينة: هي الأمرُ الذي ينصِّبه المتكلمُ دليلاً على أنه أراد باللفظِ غيرَ معناهُ الحقيقيِّ.

وهي نوعانِ: لفظية وغير لفظية، فاللفظيةُ: هي ما دلّ عليها بلفظٍ يذكَر في الكلام ليصرفَه عن معناه الحقيقيِّ، ويوجهَهُ إلى معناهُ المجازيِّ المرادِ على أن يكونَ من ملائمات المشبَّه به في الاستعارة التصريحية، ومن ملائماتِ المشبّه في الاستعارةِ المكنيةِ، وأما غير اللفظيةِ: فهي التي دلَّ عليها بأمر خارجٍ عن اللفظِ ، لأنها أمرٌ عقليٌّ لا يدَلُّ عليه بلفظٍ من الكلامِ ، بل يدَلُّ عليه بالحالِ فاللفظية: هي التي يلفظ بها في التركيب – والحالية: هي التي تفهم من حال المتكلم، أو من الواقع [1].

الفرق بين الاستعارة التصريحية المكنية:

الاستعارةُ التصريحيةُ: هي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ. كقوله تعالى :{**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**} [**الفاتحة:6**] ، والصراطُ الطريقُ ، فقد شبَّه الدينَ بالصراطِ بجامعِ التوصيل إلى الهدفِ في كلٍّ منهما وحذفَ المشبَّه وهو الإسلامُ وأبقى المشبَّهَ بهِ. وقوله تعالى :{**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**} [**إبراهيم:1**]، فقد شبَّه الكفرَ بالظلماتِ والإيمانَ بالنورِ وحذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به، أما الاستعارةُ المكنيَّةُ : هي ما حُذِفَ فيها المشبَّهَ بهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازمه، ففي قول الحق سبحانه: {**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**} [**الإسراء:24**] ، فقد شبَّه الذلَّ بالطائرِ، وحذف المشبَّه به ولكنْ رمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ وهو الجناحُ ، فلم يذكر من أركانِ التشبيه إلا الذلَّ وهو المشبَّهُ . فإذا ذكرَ في الكلامِ لفظُ المشبَّهِ به فقط، فاستعارة تصريحية أو مصرّحةٌ نحو قول الشاعر [2]:

([1]) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 252)

(2) ينظر: الثعالبي، لباب الآداب (ج1 / 60)، الثعالبي، الإعجاز والإيجاز (ج1 / 37)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَمْطَـرَتْ لُؤْلُـؤاً مِـنْ نَـرْجِسٍ وَسَـقَتْ   وَرْداً وَعَضَّـتْ عَلَـى العُنَّـابِ بِـالبَرَدِ

فقد استعارَ: اللؤلؤَ، والنرجسَ و الوردَ، والعنابَ، والبرَدَ للدموعِ، والعيونَ، والخدودَ، والأناملَ، والأسنان، وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمهِ: المسمَّى تخييلاً فاستعارة مكنية أو بالكنايةِ، كقول أبي ذؤيب الهذلي (1):

وإذا المَنِيَّـةُ أَنْشَـبَتْ أَظْفارَهـا   أَلْفَيْـتَ كُـلَّ تَمِيمَـةٍ لا تَنْفَـعُ

فقد شبه المنية، بالسبع، بجامع الاغتيالِ في كل، واستعار السبع للمنية وحذفه، ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو (الأظفار) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها لفظة (أظفار).

الاستعارة في تفسير درج الدرر:

1- الاستعارة المكنية:

هي ما حذف فيها المشبه به ورُمز له بشيء من لوازمه، يقول الحق سبحانه:{**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [القصص 32]** يذكر الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {وَاُضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} يحتمل معنيين: التجمع والنقيض؛ لاستدراك القوة، وإزالة الرهبة من الحيّة، والثاني: التضاؤل والتواضع من رهب الله تعالى، ويحتمل قوله:{وَاُضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ} متصلا بقوله: {**أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} [القصص32]**، وقوله: {مِنَ الرَّهْبِ} عائد إلى قوله: {وَلّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ}" (2). فالمراد بالجناح: اليد، لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر. ويراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر، لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما. وجعل الرهب الذي كان يصيبه سببًا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه. والمعنى: واضمم إليك جناحك، وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين، وهذا ما أشار إليه الإمام يحتمل قوله:

---

(1) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب (ج1 / 146)
البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ينظر: ديوان الهذليين(ج3/1)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 421)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ} متصلًا بقوله: {اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} [القصص32]، أما في قوله سبحانه: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان: 29] يقول الإمام: "{فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ} أي: (أهل السماء وَالْأَرْضُ) أراد مبالغة وصفهم في الهوان، وسئل ابن عباس: أتبكي السّماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنّه ليس من الخلائق أحد إلا وله باب من السّماء أو في السّماء يصعد فيه عمله، وينزل رزقه، فإذا مات المؤمن بكت عليه معادنه من الأرض التي يذكر الله فيها، ويصلّي، وبكى بابه الذي يصعد منه، وأما قوم فرعون فلم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير، فلم تبك عليهم السّماء والأرض. وإنّما كان فرعون بدلا من العذاب المهين، لكون المراد ذا العذاب المهين، أو يكون فرعون نفسه عذابًا من الله على بني إسرائيل" (1).

يقترب الإمام من توضيح الحالة البلاغية في تفسيره الآية الكريمة بإيجاز موح غير مقنن بحدود التعريفات البلاغية التي عرفت لاحقًا، ويشير للاستعارة دون تحديد حين قال: {فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ} أي: أهل السماء والأرض أراد مبالغة وصفهم في الهوان ففي قوله سبحانه: {فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ} شبه حال موتهم، لشدته وعظمته، بحال من تبكي عليه السماء والأجرام العظام. وقيل: هي استعارة مكنية، بأن شبه السماء والأرض بالإنسان، وأسند إليهما البكاء. وكان إذا مات رجل ذو شأن قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح، ونحو ذلك، قال الشاعر، يرثي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:

الشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ   تبكي عليكَ نجومَ الليلِ والقمرا(2)

أما في الآيتين الكريمتين : {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذاريات: 41] يقول جل جلاله: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: 55] يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني: "(الرياح اللّواقح): التي تحمل النّدى والثرى؛ ليتكوّن غيومًا في أثنائها بإذن الله. وقيل: الملقّحات للغيوم والأشجار. وقيل: هي التي ينتفع بها؛ لما ضمّنها الله تعالى من النّفع، بخلاف العقيم" (3)، ويقول في تفسيره الآية الكريمة: {يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}:"{يَوْمٍ عَقِيمٍ} أيس من خيره، ويحتمل: يوم بدر في حقّ قريش، فإنّه

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/561- 562)
(2) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج25/ 128)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 171-172)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعقم نساءهم بقتل رجالهم. وقيل: المراد بالساعة انقراض الدنيا، وباليوم العقيم افتتاح الآخرة"[1].

والإمام يذكر الدلالة الجديدة للفظ بقوله: ويحتمل. ويريد دلالة اللفظ المستعار، فالمستعار العقم، وهو صفة المرأة التي لا تلد، والمستعار له الريح التي لا لواقح تحملها وليس فيها غيث فهي ريح عقيم واليوم الذي أيس الناس من خيره والجامع هو عدم النفع، وأصل العقم: اليبس المانع من قبول الأثر ومنه: عقمت مفاصله. يقول الرماني: " العقيم مستعار للريح، وحقيقته ريح لا يأتي بها سحاب غيث، والاستعارة أبلغ لأن حال العقيم أظهر من حال الريح التي لا تأتي بمطر، لأن مالا يقع من أجل حال منافية أوكد مما يقع من غير حال منافية وأظهر " [2]، أما في قوله سبحانه: { **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** } **[الكهف: 77]** يوضح الإمام: {أَهْلَ قَرْيَةٍ} أنطاكيّة، {فِيها جِدارًا} بناء على القواعد.{يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} من مجاز الكلام، أي: يكاد الله أن يسقطه. والانقضاض: سقوط في انكسار " [3]. ويقول في موضع آخر: "{هَمَّتْ} كادت على سبيل الاستعارة، كقوله: {**يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ**} **[الكهف:77]**"[4]. ومثلها:(أدركه الغرق) وكأن الغرق يلحق به و {**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** } **[الأعراف: 154]** تحس بالغضب هنا وكأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة ثم سكت وكف عن دفع موسى وتحريضه، وقوله سبحانه: (يريد أن ينقض)، فالاستعارة هي "نقل اللفظ من معناه الذي عُرف به ووُضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل فكل من (الإدراك) و(السكوت) و(الإرادة) من صفات العقلاء وأفعالهم، وحين تنسب لغير العقلاء أو للمعاني فهي استعارة واضحة، ويسميه أيضًا البلاغيون مجازًا لغويًا.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ):" وإنما هذا على المجاز كقول الله جل وعز: {فما ربحت تجارتهم} والتجارة لا تربح فلما كان الربح فيها نسب الفعل إليها ومثله {جدارًا يريد أن ينقض} ولا إرادة للجدار "[5]، ويقول ابن فارس (395هـ) :" ومن سُنن العرب إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلًا في الحقيقة، يقولون: "أراد الحائطُ أن يقعَ" وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: {جِدَارًا يُرِيدُ

(1)عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 341)

(2) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص 93)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج254/2)

(4) المصدر السابق(ج427/1)

(5) الخليل بن أحمد، الجمل في النحو (ص 72)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَنْ يَنْقَضَّ}"[1]، ويقول ابن رشيق القيرواني (463هـ):" وفي قول الله عز وجل: " فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، ولو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار؟ لم يجد بدًا من أن يقول: يهم أن ينقض، أو يكاد، أو يقارب، فإن فعل فقد جعله فاعلاً، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من ألسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ ، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز بابًا بعينه ؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه سبب، كما قال جرير ابن عطية:

إذا سقطَ السماءُ بأرض قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا [2]

ويقول القزويني (739هـ):"ومن الاستعارة إنطاق ما لا ينطق مثل: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ}[3]. وفي قول الحق سبحانه: **{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} [مريم: 4- 5]** يوجز الإمام مختصرًا بخمس كلمات الحديث حول الاستعارة في الآية الكريمة التي اشتهرت مثلًا على الاستعارة المكنية بقوله:{ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} شبّه بياض الشعر باشتعال الفتيلة، {بِدُعائِكَ} بعبادتك،{شَقِيًّا} وإنّما قال ذلك لأحد معان أربعة: "إما لنفي ما أصابه من وهن العظم، وشيب الرأس أن يكون أصابه لمقاساته شدّة العبادة، واحتماله أعباءها كما في نبيّنا عليه السّلام"[4] ، فالاستعارة مكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الاشتعال فطوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال .

أما في قول الحق سبحانه: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف: 96]** يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:"{بَرَكاتٍ} أبواب البركات والبركة: النّماء والسّعة وكثرة الخير، وأبوابها: مصادرها التي تتولّد منها كالأمطار النّافعة والرّياح لوقتها" [5] والفتح: إزالة حجز شيء حاجز

---

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص 160)
(2) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج1/ 266)
(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 108)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج263/2)
(5) المصدر السابق (ج683/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الدخول إلى مكان، يقال: فتح الباب وفتح البيت، وتعديته إلى البيت على طريقة التوسع، وأصله فتح للبيت، وتعدية فعل الفتح إلى البركات هنا استعارة مكنية بتشبيه البركات بالبيوت في الانتفاع بما تحتويه فالاستعارة مكنية، إنها صورة حسية متخيلة وهذه الصورة تعمل عملها في الخيال لتترك في نفس المتلقي تذوقًا تامًا لمعناها فالبيان القرآني استخدم سحر الاستعارة ليعبر عن إعطاء الخيرات لأهل الإيمان والتقوى فيشبه البركات بالبيوت التي تفتح أبوابها كما أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني موجزًا :البركات أبواب البركات، والبركة: النّماء والسّعة وكثرة الخير، وقرينة ذلك قوله (لَفَتَحْنَا) فتعدية فعل (فتح) إلى البركات هنا استعارة مكنية للانتفاع من بيوت البركة الممتلئة والزاخرة بالخير في السماء والأرض. وفي قول الحق سبحانه: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير: 17- 18] يشير الإمام موجزًا : "{وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ} انفلق، من قولهم: تنفّست القوس إذا انشقّت"[(1)]، {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} استعير في الآية الكريمة خروج النفس شيئًا فشيئًا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلًا قليلًا بمعنى النفس، تنفس بمعنى خرج النور من المشرق عند انشقاق الفجر. استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائنًا حيًا يتنفس، فالمستعار منه هو الإنسان، والمستعار له هو الصبح، ووجه الشبه هو حركة الإنسان وخروج النور، فكلاهما حركة دائبة مستمرة، وقد ذكر المشبه وهو الصبح، وحذف المشبه به وهو الإنسان، فعادت الاستعارة مكنية.

يقول الإمام في قول الحق سبحانه: " {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} [الأحزاب: 19] في حماليقهم، {كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} للدّهش والحيرة. {سَلَقُوكُمْ} سلخوكم، تقول: سلقته بالسّوط، وسلقت اللّحم عن العظم، ومنه السّلاق وهو يقشر جلد اللّسان، ولكنّه مستعار في الجهر بالقول السّيّئ ورفع الصّوت، ومنه خطيب مسلاق "[(2)]، ويقول في موضع آخر في تفسير الآية الكريمة: {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النحل: 47] " فالمتقدم حالة الأمن، فانعطف حالة الخوف عليها، وإن أراد الحالتين، فمعناه: بتخوف، وهو بأن يلقي الرعب في قلوبهم، فلا يزالون يتخوفون من كلّ شيء لا يطيب لهم"[(3)]. فالاستعارة مكنية في قوله تعالى: {سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} حيث

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج4/ 1704)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج456/2)

(3) المصدر السابق (ج2/ 186)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شبه اللسان بالسيف أو السوط ونحوه، على طريق الاستعارة المكنية، فحذف المشبه به، واستعار شيئًا من خصائصه وهو السلخ أو السلق أو الضرب أو كقول الإمام سلقت اللحم عن العظم، ومنه السّلاق وهو يقشر جلد اللّسان، ولكنّه مستعار في الجهر بالقول السّيّئ ورفع الصّوت وهذه الاستعارة تتأتى على تفسير السلق بالضرب.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسير قول الحق سبحانه: **{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} [فصلت: 5]** "{أَكِنَّةً}: جمع كنان، وهو الستر"[1]. وفي موضع آخر يذكر:" أنّ المشركين قالوا لرسول الله: قلوبنا في أكنّة ممّا تقول، وبيننا وبينك حجاب مستور فأنزل على زعمهم. فكأنّها مستقيمة، أي: أو جعلنا، ثم ردّ عليهم بقوله: **{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ} [الإسراء:47]**، وقال مجاهد: (الحجاب): صرف الله أسماعهم عن القرآن عند تلاوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقال كعب: الإخبار به خاصّ من القرآن. كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا قرأ توارى منهم عن ذلك، وصرفت أبصارهم عنه، وذكر آيات الحجاب: **{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الكهف:57]**، **{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ} [النحل:108]**، **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية:23]**"[2]. ويقول الإمام: "{قُلُوبُنَا غُلْفٌ} جمع أغلف كمرد وأمرد. والأغلف والأقلف لأنّ بعضه في غلاف وغطاء، وهذا كقول غيرهم: **{قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ} [فصلت:5]**، وإنّما أرادوا به الصّون والحفظ، وأرادوا بذلك إياس الناس عن إيمانهم"[3]، والأكنة: جمع كنان مثل: غطاء وأغطية وزنًا ومعنى، أثبتت لقلوبهم أغطية، فشبهت القلوب بالأشياء المغطاة على طريقة الاستعارة المكنية. ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون معرفة ما تحته.

2- الاستعارة التصريحية:

الاستعارةُ التصريحيةُ: هي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ، لا يأتي الإمام في تفسيره على ذكر الاستعارة صراحة بتحديد أركانها، لكنه يفسر التخييل والبيان في الآية الكريمة: **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ◉ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: 9- 10]**: "{يُخادِعُونَ اللهَ} يظنون أنهم يخادعون والمخادعة فعل الخدع من اثنين على وجه المقابلة وهو إظهار المحبوب مع إبطان

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 708)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج215/2)

(3) المصدر السابق (ج195/1)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكروه، {وَما يَشْعُرُونَ} بأنّ خداعهم راجع إلى أنفسهم، والشعور هو العلم الدقيق الذي يتولّد من الفطنة، وهو من شعار القلب، ومنه سمّي الشاعر شاعرًا، {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} والمرض في القلب ظلمة فيه، وقال ابن عرفة: مرض القلب فتوره عن الحق، وقيل: علّة فيه تمنعه عن الصواب.{فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} "على مرضهم". وإنّما نكّر الثاني لأنّه غير الأوّل.{أَلِيمٌ} مؤلم، وقال ابن عرفة: ذو الألم"[1]. فيها استعارة تصريحية حيث شبه الكفر بالمرض وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وسر جمال الصورة التوضيح والتجسيم فقد أستعير المرض في الآية الكريمة لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي – صلّى الله عليه وسلّم– وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي إلى الهلاك والتنكر لرسالة الحق سبحانه، ويأتي للدلالة على نوع مختلف غير ما عرفه الناس من الأمراض وهذا ما أشار له الإمام في البيان الموجز والمقتضب في تفسيره: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}: والمرض في القلب ظلمة فيه، مرض القلب فتوره عن الحق، وقيل: علّة فيه تمنعه عن الصواب.

أما في قوله سبحانه: **{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء: 13]** يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: "{أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ} ردّ على القدرية؛ لأنّ إلزام الطائر قبل وجود الفعل، فلا معنى للطائر بعد وجود الفعل، وقد سبق القول في التطيّر والطائر في سورة الأعراف. وقيل: أصل الكلمة تقال، وذكر العنق على سبيل المجاز؛ لأنّه موضع ما يلزم الإنسان من قلادة أو طوق أو غلّ أو نحوه" [2]. فالاستعارة تصريحية: في قوله تعالى: {وَكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ}. فقد كانوا يتفاءلون بالطير ويسمونه زجرًا، فإذا سافروا ومر بهم طير زجروه، فإن مر بهم سائحًا، بأن مر من جهة اليسار إلى اليمين، تيمنوا وإن مر بارحًا، بأن مر من جهة اليمين إلى الشمال، تشاءموا؛ ولذا سمي تطيرًا. فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر أستعير استعارة تصريحية لما يشبهها من قدر الله تعالى وعمل العبد، لأنه سبب للخير والشر.

يأتي الإمام على ذكر سبب النزول لتبيان الدلالات البلاغية ففي قول الحق سبحانه: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103]** يقول الإمام:"{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ} نزلت في الأوس والخزرج وتذكيرهم الضغائن واقتتال الطائفتين، قال ابن إسحق: كانت العداوة قائمة بينهم

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج109/1)

(2) المصدر السابق (ج207/2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مئة وعشرين سنة، فأزالها الله تعالى بجمعهم على الإسلام. وقال الحسن: نزلت في جميع القبائل وما كان بينهم من الطوائل، فرفعها الله بالإسلام. و (الحبل): العهد، وعهد الله القرآن والإسلام.{وَلَا تَفَرَّقُوا} أمر بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة؛ لأنّ ضدّ التّفرّق واحد وهو الإجماع، والنهي عن الشيء الذي له ضدّ واحد أمر بضدّه" [(1)]. {واعتصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعًا}؛ فقدِ استعيرتْ لفظةُ حبلٍ للدلالةِ على الدِّينِ؛ وذلكَ لأنَّ الحبلَ يربطُ شيئًا بشيءٍ، أو كما أشار الإمام هو عهد الله القرآن والإسلام والدين يصلُ الناسَ بالله تعالى ويربطهم به، وكمَا في قولِه: {لتخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النُّور} ؛ فقد استعيرتْ لفظةُ الظلماتِ للدلالةِ على الكفر، ولفظةُ النُّور للدلالة على الإيمان؛ لما بينهما من شبه واضح. وأيضًا في قوله سبحانه: **{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 101]** يقول الإمام: "{وَلَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ} نزلت في اليهود أيضًا، والعرب تقول لكلّ من أعرض عن شيء: نبذه وراء ظهره، و(الظهر): هو المتن. و(كأنّ): حرف التشبيه، وإنّما ينصب لأنّه يفيد التشبيه، والتشبيه: فعل واقع على المشبّه، ويستعمل عند الظنّ والحسبان أيضًا، وذلك لأنّ الظانّ يشبّه المحسوس بالموهوم"[(2)]، "فالنبذ يدل على احتقارهم وسخريتهم وغفلتهم المتعمدة التي فيها استغناء وكراهية لكتاب الله، فالاستعارة (النبذ) التي عدل إليها القرآن بدلًا من (الترك والطرح) مثلًا، هي استعارة تصريحية فيها تشبيه من يترك أو يطرح كتاب الله وراء ظهره احتقارًا له واستهانة بمن معه شيء فنبذه وراء ظهره، فاستعير المشبه به(المستعار منه) وحذف المشبه به(المستعار له) على سبيل الاستعارة التصريحية"[(3)]، يقول الزمخشري:" يعنى أن علمهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم، مثل لتركهم وإعراضهم عنه، مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه"[(4)].

الاستعارة العنادية (الاستعارة التهكمية):

أما عما اصطلح على تسميته الاستعارة التهكمية يكون باستعمال اللفظ في ضده معناه؛ لأن تشبيه الشيء بضده لا يروج في عقل العقلاء إلا على معنى التهكم والاستهزاء والسخرية، ففي قول الحق سبحانه: **{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/418)

(2) المصدر السابق (ج1/ 207)

(3) فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية(ص148)

(4) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 171)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } [هود: 87] يوضح الإمام في الآية الكريمة معنى الاستعارة التهكمية في قوله تعالى: {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} فيبين أن معنى هذا هو السفيه الجاهل، ويستشهد بقوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:49]، أى ذق هذا العذاب إنك أنت كنت العزيز في قومك. "أي: كنت الحليم الرشيد حتى الآن، كقول ثمود لصالح: {كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا} [هود:62]" [1]، ففيها تقريع له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة،: ذُق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم إنك أنت العزيز الكريم، وإنك اليوم أنت الذليل المهين. فخرج بهذا من المعنى الظاهر إلى المعنى المجازيّ في الآيتين. وقيل: هو على ظاهره، أي: كنت الحليم الرشيد حتى الآن.

أما قول الحق سبحانه: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات: 22 - 24] يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "{فَاهْدُوهُمْ} أمرٌ بالسّوق، {وَقِفُوهُمْ} أمر بالوقف بعد الأمر بالسّوق، إنّما هو، إن شاء الله، لتكرار الأمر بالسّوق، وتضعيف الخوف والهول عليهم"[2]، وهو بذلك يشير إلى هذه الاستعارة بلمحة تهكمية سريعة بقوله أمر بالسوق مخالفًا معاني الهداية التي يحملها الأمر{فَاهْدُوهُمْ} فالاستعارة تهكمية وهي أحد نوعي الاستعارة العنادية التي لا يتصور فيها اجتماع الأمرين ، فلا يتصور اجتماع البشرى والعذاب، والهداية والهلاك بسلوك صراط الجحيم، "وفي الأمر– على ما فيه من لهجة جازمة– تهكم واضح في قوله: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} . فما أعجبها من هداية خير منها الضلال. وإنها لهي الرد المكافئ لما كان منهم من ضلال عن الهدى القويم. وإذ لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم!"[3]، إنه تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا، وفي هذا تهكم بهم، "فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم"[4]. فالاستعارة العنادية، والتي تفيد التهكم والسخرية، يقصد بها القرآن عندما يريد أن يتهكم أو يستهزئ بقوم يؤثر استعمال ألفاظ المدح في ضدها من الذم والإهانة: بمثل قوله سبحانه:{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } [النساء: 138] فاستعيرت للإنذار– وهو الأخبار

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 112)

(2) المصدر السابق (ج2/ 510)

(3) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج5/ 2986)

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج3/ 28)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السيئ فنزل التضاد منزلة التناسب وشبه الإنذار بالتبشير بجامع السرور في كل – تحقيقًا في التبشير وتنزيلًا في الإنذار– ثم اشتق من التبشير بمعنى الإنذار بشر بمعنى أنذر – استعارة تبعية تهكمية.

الاستعارة التمثيلية:

الاستعارة التمثيلية هي ما يكون كل من الطرفين فيها هيئة منتزعة من متعدد، والعلاقة بينهما المشابهة كما تقدم في التشبيهات المركبة أي: في الهيئات المنتزعة من متعدد، إذا استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، كما في قوله تعالى: **{فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} [آل عمران: 187]** وحقيقة الكلام: فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالًا لأمره، وتهوينًا من شأنه، فالاستعارة التمثيلية أصلها تشبيه تمثيلي حُذِفَ منه المشبه وهو (الحالة والهيئة الحاضرة) وصرح بالمشبه به وهو (الحالة والهيئة السابقة) مع المحافظة على كلماتها وشكلها وتكثر غالبا في الأمثال عندما تشبه الموقف الجديد بالموقف الذي قيلت فيه[1].

يقول الإمام في تفسير قول الحق سبحانه: **{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل: 26]:** أنّ نمرود بن كنعان كان بنى صرحًا ببابل يمكر به، ويسخر وينمس، عن ابن عباس ووهب: كان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وعن كعب: كان فرسخين، فهبّت ريح فألقت رأسه، وخرّ عليهم الباقي من فوقهم. ويحتمل: أنّ ذكر البنيان وهدمه على وجه التمثيل والاستعارة، كنقض القول"[2]، ومعنى فأتى الله بنيانهم استعارة بتشبيه القاصد للانتقام بالجائي نحو المنتقم منه، ومنه قوله تعالى: **{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [الحشر: 2]**، وقوله تعالى: {فأتى الله بنيانهم من القواعد} تمثيل لحالات استئصال الأمم، فالبنيان مصدر بمعنى المفعول، أي المبني، وهو هنا مستعار للقوة والعزة والمنعة وعلو القدر، فقد شبه الله عز وجل حال أولئك الماكرين بحال قوم بنوا بنيانًا شديد الدعائم فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم، واستعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية، فالاستعارة تمثيلية فقد شبه حال جميع الماكرين المبطلين المدبرين للمكايد والمؤامرات والذين يحاولون إيقاع الضرر والمكر بالمؤمنين ونصب الشباك لهم بحال قوم بنوا بنيانًا شامخًا ودعموه بأساطين البناء وقواعده فطاح البنيان من الأساطين نفسها بأن وهنت ولم تقو على إمساك ما أقيم عليها فتهدم

---

(1) ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج1/ 144)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج185/2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السقف وهوى عليها. وكذا قوله سبحانه: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء: 24] وكما يقال عند البلاغيين: متى اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها صارت مثلاً، يقول الإمام في ذلك: "{وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ} أي: تواضع، وتذلّل لهما من رحمتك عليهما، وهذا أبلغ في الأمر بالتواضع من قوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:88]"(1)، "{وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنينَ} تواضع لهم، ولين جانبك لهم"(2). يوازن الإمام عبد القاهر بين الآيتين من سورة الإسراء وسورة الحجر ويستحسن بقوله: وهذا أبلغ في الأمر بالتواضع من قوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:88]. هذا وقد ذكر علماء البلاغة أن للتمثيل مظهرين أحدهما أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل وثانيهما ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس وهو على الحالين يكسو المعاني أبهة ويرفع من أقدارها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعوة القلوب إليها. تأمل قول أبي الطيب:

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍ مريضٍ — يجدْ مرًا به الماءَ الزلالا(3)

أما في قوله سبحانه:{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [البقرة: 166] يوضح الإمام :"{وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ} أي: انقطعت بهم سبيل النّجاة، وهي الأرحام والوسائل. والسّبب قد يعبّر به عن الطريق، قال الله تعالى: {فَأَتْبَعَ سَبَباً} [الكهف:85] {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً} [الكهف:89]" (4). وتقطعت بسبب كفرهم الأسباب التي كانوا يرجون من ورائها النجاة، وقيل للملابسة أي: تقطعت الأسباب ملتبسة بهم فخابت آمالهم وسقطوا صرعى، والْأَسْبابُ جمع سبب، وهو في الأصل الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه، ثم سمى به كل ما يتوصل به إلى غيره، عينا كان أو معنى. فيقال للطريق سبب، لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده، ويقال للمودة سبب لأنك تتواصل بها إلى غيرك، والمراد بالأسباب هنا: الوشائج والصلات التي كانت بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا، {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ} استعارة تمثيلية إذ شبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 210)
(2) المصدر السابق (ج2/ 178)
(3) ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج5/ 289 – 290)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 273)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأجله مدة حياتهم فتقطع به السبب- أي الحبل- عند ارتقائه فسقطوا هالكين، والاستعارة تمثيلية بديعة، ويشير الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أن السبب يعبر به عن الطريق.

أما في قول الحق سبحانه في الآيتين الكريمتين: { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88] وقوله أيضًا: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه: 131]. يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:" {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} ابن عباس: "نهى الله رسوله عن الرّغبة في الدنيا، فحظر عليه النظر إليها بعين الرّغبة. روي عنه عليه السّلام: أنّه مرّت به غنم في أيام الرّبيع، فغطّى كمّه على عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: بهذا أمرني ربّي"[1]، فالمستعار وهو مد العين محسوس والمستعار له وهو الانشغال في الدنيا والرغبة فيها معقول حيث أشار الإمام عبد القاهر على لسان ابن عباس حين أشار إلى نهي الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن الرغبة في الدنيا والنظر إليها بعين الرغبة، {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا} [طه: 131] فانظر إلى استعارة مد العين لإحراز محاسن الدنيا والشغف بحبها، والتهالك في جمع حطامها، والشح بما ظفر به منها وبين المد للعين، وهذه الأشياء، من الملائمة، والتناسب ما لا يخفى على أهل الكياسة، وهكذا قوله تعالى: {زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا} فاستعار الزهرة لما يظهر من زينة الدنيا ورونقها، وإدراك لذاتها كالزهر إذا تفتح وأعجبت غضارته وحسن بهجته[2].

أما في قوله سبحانه: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 7] يوضح الإمام مترادفات الكلام قبل توضيحه الدلالة في تفسيره: "{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} طبع الله على قلوبهم. والختم والطبع: الاستيثاق من المختوم حتى لا يخرج منه شيء ولا يدخله شيء، من ذلك ختم الصُّرَّة والكتاب. والقلوب: جمع قلب، وهي أول الأعضاء الرئيسة، سُمِّي قلبًا لكثرة تقلُّبه بالخواطر والمعاني، {وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} وأراد بالسمع: الأُذُن، وبالأبصار: العيون، إذ العرب تُسمي الشيء باسم الشيء إذا كان قريبًا منه. وإنما لم يقل على أسماعهم؛ لأنَّ العربَ تكتفي من جمع المضاف بجمع المضاف إليه"[3]، استُعير لفظ الختم استعارة محسوسة لمعقول بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عَمَّا مِنْ شأنه أن يقبله، ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه واشتقَّ من الختم المجازي صيغة

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 178)

(2) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 124)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/100- 101)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماضي فهو {خَتَمَ} فتكون الاستعارة في {خَتَمَ} تصريحية تبعية فعلية [1]. ويقول الإمام:{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} طبع الله على قلوبهم، والختم والطبع: الاستيثاق من المختوم حتى لا يخرج منه شيء ولا يدخله شيء، من ذلك ختم الصرّة والكتاب، والقلوب جمع قلب، وهو أول الأعضاء الرئيسة، سمّي قلبًا لكثرة تقلّبه بالخواطر والمعاني.{وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} أراد بالسمع الأذن، وبالأبصار العيون، إذ العرب تسمّي الشيء باسم الشيء إذا كان قريبا منه، وإنّما لم يقل: على أسماعهم؛ لأنّ العرب تكتفي من جمع المضاف بجمع المضاف إليه.(غشاوة): "غطاء". وهذه الغشاوة تمنع رؤية الاعتبار لا رؤية الاختيار"[2]، وإسناد الختم الى القلوب استعارة تمثيلية فقد شبّهت قلوبهم في نبوّها عن الحقّ وعدم الإصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها وهي قلوب البهائم وهو تشبيه معقول بمحسوس، جعل أسماعهم العاجزة عن سماع الآيات والنذر، وأعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية، كأنها مختوم عليها ومغشي دونها إما على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة، ومنه قوله تعالى: {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً}.

يقول الحق سبحانه: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54]** ويقول سبحانه: **{وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد: 3]** يبين الإمام: "{يُغْشِي اللَّيْلَ} يكسو ظلمة اللّيل نور النّهار ويسترها به، والنّور هو المشبه باللّباس؛ لأنّه عارض طارئ والظّلمة هي الأصل{يَطْلُبُهُ حَثِيثاً} صفة النّهار على سبيل التّشبيه أيضًا، أي: كأنّه طالب اللّيل مسرعًا في أثره. والطّلب لا محالة قبل التغشية فهو الإصباح وهو طلوع الشّمس" [3]. ووصف النهار بكونه غاشيًا استعارة ، إذ الغشاء هو الغطاء فنزل النهار في إذهابه لظلام الليل، منزلة من يغطى الشيء بالغشاوة ويستره، لأنه يذهب ظلمته ويزيلها بطلوعه، ويمحوها بإنارته {يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا} وأن فيها الاستعارة التبعية، والمكنية، والتمثيلية، والتمثيل أولى بالاعتبار والاستعارة في { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } حيث استعار لليل لباسًا يغشي به النهار فيُظلِم.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، حاشية درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/100– 101)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 108)

(3) المصدر السابق (ج1/659)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

1- الاستعارة الأصلية:

ما كان اللفظ المستعار اسمًا جامدًا فيها، أي اسم جنس غير مشتق، والمراد به الماهية الصالحة لأن تصدق على كثيرين، من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة، يقول الحق سبحانه: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: 99]** يوضح الإمام أن: "(العوج) بكسر العين: الزّيغ في الرّأي، والعوج بالفتح: الميل فيما يكون منتصبًا"[1]، وكلمة العوج لفظ مستعار وحقيقته الخطأ أو كما قال الإمام الزيغ في الرأي، والعوج عدول عن الاستقامة بالاعوجاج واللفظة اسم جامد والاستعارة أصلية. في الآية يستنكر المولى سبحانه على أهل الكتاب الزيغ والميل عن الاستقامة وينكر عليهم ضلالهم في نفوسهم كما بين الإمام وصدهم عن السبيل المستقيم وميلهم إلى السبيل المعوج، في الآية الكريمة شبه الصد عن السبيل من قبل أهل الكتاب بالسبيل المعوج أو الطريق المائل وحذف المشبه به وهو السبيل.

يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني دلالة ذات الشوكة دون الإشارة للتصنيف البلاغي والتحديد النوعي والتقسيم الفرعي الذي عرف متأخرًا عن عصره في قول الحق سبحانه: **{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}[الأنفال: 7]** يقول الإمام: "{الشَّوْكَةِ} البأس والشّدّة وحدّة [السّلاح]، فذات الشّوكة ههنا النّفير وغير ذات الشّوكة العير لتغنموا من غير قتال، وأراد الله أن يسلّطهم على ذات الشّوكة ليقطع دابر الكافرين، روي أنّهم لّما ظفروا بالعدوّ وفرغوا من القتال والأنفال طمعوا في العير، قالوا: يا رسول الله عليك بالعير، فقال عبّاس وهو أسير مشدود: لا ينبغي لك يا رسول الله، قال: ولم ؟ قال: لأنّ الله وعدك إحدى الطّائفتين وقد أنجز، وهذا دليل على إيمان عبّاس وعقله وفطنته قبل ظهور إسلامه"[2]. "اللفظ ها هنا بالشوكة مستعار، وهو أبلغ، وحقيقته السلاح"[3]، فلفظ الشوكة مستعار، وحقيقته كما أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني السلاح، بجامع الشدة والحدة والوخز بينهما، وهو اسم جامد غير مشتق فالاستعارة أصلية، وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ كناية عن استئصالهم بالهلاك. الشوكة أصلها الواحدة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 417)

(2) المصدر السابق (ج1/ 724)

(3) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص 89)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الشوك وهو ما يخرج في بعض النبات من أعواد دقيقة تكون محددة الأطراف كالإبر تؤذي، فإذا نزغت جلد الإنسان أدمته أو آلمته، وإذا علقت بثوب أمسكته، وشاع استعارة الشوكة للبأس، يقال: فلان ذو شوكة، أي ذو بأس.

وفي قوله أيضًا: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} **[الفاتحة: 6- 7]** يقول الإمام: "{اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ} أي: أرشدنا الطريق الواضح الذي لا ينثني ولا يضطرب، ويؤدّيك إلى مقصدك. وهو شريعة نوح، وملّة إبراهيم، وعلومهما عليهما السّلام"[1]، ففي هذه الآية الكريمة، استعير لفظ (الصراط المستقيم) للدين الحق لتشابهها في أن كلاً منهما يوصل إلى المطلوب، والقرينة- حالية – فالله سبحانه لا يهدي إلى الطريق الحسي الواضح إنما المراد الهداية إلى الدين الحق شريعة الأنبياء على التشبيه، وإجراء الاستعارة يكون على هذه الصورة تشبيهًا بالدين الحق أو بالطريق المستقيم، أو كما قال الإمام الطريق الواضح شريعة الأنبياء، وهو جامع الهداية ثم استعير المشبه به للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية الأصلية، وسميت تصريحية لأن المشبه به مصرح به في الكلام وسميت أصلية لأن الاستعارة في اسم جامد، والقرينة حالية إذا المراد تصوير الدين الواضح بالطريق.

يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسير قول الحق سبحانه: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} **[إبراهيم: 46]**: " {لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ} أراد المعاني العامّة المستفخمة العظيمة من الشرائع، والسنن، وقواعد الدين"[2]، والمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، واستعار الجبال لما يأتي به الرسول الكريم، "ولو أزال مكرهم الجبَالَ لما زال أمْرُ الإسلام وما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم" [3]. أو كما قال الإمام موجزًا المعاني العامّة المستفخمة العظيمة من الشرائع، والسنن، وقواعد الدين، والاستعارة في الآية الكريمة تصريحية، لأن المشبه به مصرح به، أصلية لأن المستعار اسم جامد. نفى الحق سبحانه أن تزول لمكرهم الجبال، والجبال كناية عن القرآن، والتقدير: وما كان مكر قريش وكفرهم ليزول منه القرآن إذا أنكروه، وكفروا به، بل فعلهم ذلك لا يضر القرآن، ولا يزيله من قلوب المؤمنين حتى يبلغ جميع الأمم الكائنة إلى يوم القيامة .

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج102/1)
(2) المصدر السابق (ج2/ 166)
(3) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 168)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الاستعارة التبعية:

هي ما كان اللفظ المستعار اسمًا مشتقًا، والاستعارة التبعية هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفًا والأفعال والصفات المشتقة منها، يقول الحق سبحانه: {**مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**} [**البقرة: 245**] وقوله: {**مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**} [**الحديد: 11**] يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى الاستعارة : "{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ} يعطي القرض، والقرض في الأصل هو القطع بالنّاب، ثمّ استعير لما تقتطعه من مالك فتدفعه إلى أخيك لينفقه ويغرم مثله من غير عقد ولا تأجيل، ثمّ استعمل في تقديم الحسن والسيّئ إذا اقتضت الجزاء، قال أميّة بن أبي الصّلت: [من البسيط]

لا تَخْلطنّ خبيثاتٍ بطيّبةٍ … واخْلَعْ ثيابَكَ مِنها وانجُ عريانَا

كلُّ أمرئ سوف يُجزى قرضًا حسنًا. أو سيئًا[1]. أي: من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء أن يعوضه، فإن كمن يقرضه. وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه، وتحري أكرم المال، وأفضل الجهات له. فالقرض مجاز عن حسن إنفاقه مخلصًا في أفضل جهات الإنفاق. وذلك إما بالتجوز في الفعل، فيكون استعارة تبعية تصريحية.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله سبحانه: { **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**} [**البقرة: 74**]: "{قَسَتْ} جفت وصلبت، وهي صلابة مذمومة ، يقال: درهم قسيّ على وزن شقيّ، وهو الرّديّ المغشوش، وذلك لأنّه أشدّ صلابة من الفضّة المحضة، {مِنْ بَعْدِ ذلِكَ} أي: بعد إحياء عاميل {فَهِيَ كَالْحِجارَةِ} أي: مثل الحجارة"[2] ، فالاستعارة مكنية تبعية في قوله تعالى: {ثم قست قلوبكم} تشبيها لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو ماثل أمامها، ناطق بلسان الحال، بالحجارة النابية التي من خصائصها القسوة والصلابة. {**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/239)

(2) المصدر السابق (ج1/ 181)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة:74] يقال: قسا وعسا وعتا كلها بمعنى واحد، وذلك إذا جفا وغلظ وصَلُب. ومعنى الآية: غلظت قلوبكم مثل غلظ الحجارة في عدم التأثر بالآيات فهي استعارة تبعية حيث شبه حال قلوبهم في عدم تأثرها من الآيات بحال الحجارة. ويقول أيضًا: "{مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} أي: من سبب خشية الله، وهذا يدلُّ على أن الجوهرَ محلٌّ للمعاني من الإرادة والتميز والخشية والنطق والألم واللذة إن أوجدَ اللهُ فيه، سواء كانت فيه الحياة والقدرة أو لم تكن، ولأنه لا تعلُّقَ لهذه المعاني بالحياة والقدرة كالظهور والخفاء والقيام والبقاء بخلاف الكسب والاختيار لأنهما مختصَّان بالحياة. لأنا نشاهد الجمادَ واهتزازَه ونضارَتَهُ وذبولَهُ وتعرِّي الحيوان عن هذه المعاني كلها أو بعضها"(1).

الاستعارة باعتبار ما يتَّصل بها من الملائمات، وعدمِ اتصالها.

تنقسم الاستعارةُ باعتبار ذكر ملائمِ المستعارِ منه، أو باعتبار ذكر ملائم المستعار لهُ، أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائمُ أحدهما، إلى ثلاثة أقسامٍ: مرَشحةٌ، ومجرّدةٌ، ومطلَقةٌ.

1- الاستعارة المرشحة:

وهي التي يذكر معها ما يلائم المشبه به في مثل قوله سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [البقرة: 16] في الآية الكريمة استعار الشراء للاختيار والاستبدال، ثم ذكر الربح والتجارة وهما يلائمان المشبه به(المستعار منه). يقول الحق سبحانه: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: 26] يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسيره الآية الكريمة: "{وَلِباسُ التَّقْوى} الريش؛ لأنّ الإنسان يتعفّف به ليحسب غنيًّا، وقيل: ما يستر مواضع الشّهوة سوى السّوأة، وقيل: ثياب التّواضع كالصّوف والفرو، وقيل: الحياء الذي هو من الفطرة، وعن ابن عبّاس العمل الصّالح، وعنه السّمت الحسن"(2)، فالزينة والجمال استعارة من ريش الطائر، محببًا فيما يبعد من الذنب ويقرب من الله، ولما ذكر اللباس الحسي، وقسمه على ساتر ومزين، أتبعه المعنوي فعلم أن ساتر العورات حسي ومعنوي، فالحسي لباس الثياب، والمعنوي التحلي بما يبعث على المناب؛ ثم زاد في تعظيم المعنوي بقوله:

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1 / 209)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 647)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{ذلك خير} أي ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب[1]، ففي الآية الكريمة استعارة مكنية تخيلية وترشيحية: ومثلها كثير الوقوع في كلام الشعراء، ومنه:

إذا المرءُ لم يلبسْ لباسًا من التُّقى تقلّبَ عريانًا وإنْ كانَ كاسيًا[2]

والمراد أنّ الله ألبسه حُلل العلم والمعرفة والسخاوة، وسائر الأخلاق الحميدة، أو كما قال الإمام الحياء الذي هو من الفطرة والعمل الصالح والسمت الحسن، وإذا اعتبرناها استعارة مرشحة أو ترشيحية، فهي التي يذكر فيها ما يناسب المشبه به، ففي الآية الكريمة استعار اللباس الحسي من زينة وجمال لتناسب الجمال المعنوي التي تحمله كلمة التقوى وما تعنيه من خلق وخير وعلم وعمل صالح وفطرة سليمة.

2- الاستعارة المجردة:

وهي التي يذكر معها ما يلائم المشبه، كقوله سبحانه: **{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}** **[النحل: 112]** يقول الإمام في موضع آخر: "و(الذّوق): إحساس طبيعته بالمس، يستعمل في المطعوم والمشروب حقيقة، وفي الثّواب والعقاب استعارة"[3]، إنَّ الآية تضمنت استعارتين الأولى في الأصل تشبيه أصله: الجوع كالطعام يذاق وهي صورة ذوقية مكنية حذف فيها المشبه به وهو الطعام، والثانية: الجوع كالإنسان يلبس لباسًا وهي صورة بصرية مكنية. فالاستعارة في قوله لباس الجوع والخوف، حيث استعير اللباس للجوع وقرن الكلام بما يلائم الجوع وهو المشبه (المستعار له)، فالاستعارة في الآية الكريمة مجردة بما قرنت بما يلائم المستعار له "المشبه" ، وهو قوله "فأذاقها" فالمراد بالإذاقة: إصابة القوم وابتلاؤهم بآلام الجوع، وهذا ملائم للمستعار له. والاستعارة في لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ فقد شبه أثر الجوع والخوف – من النحافة والاصفرار والضعف – باللباس بجامع الإحاطة في الكل، والقرينة هي إضافة اللباس إلى الجوع والخوف، واستعمال الإذاقة في الإصابة استعارة جرت مجرى الحقائق لشيوعها في البلاد والشدائد... [4].

---

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج7/ 379)

(2) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج8/ 384)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج419/1)

(4) ينظر: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه/ (ج2/ 17)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الاستعارة المطلقة:

وهي إذا ما خلت مما يلائم المشبه والمشبه به. في مثل قوله سبحانه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: 257] يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني: "{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} أراد ولاية النص ولذلك خصّ المؤمنين،{يُخْرِجُهُمْ} بالتوفيق والتأييد دون الإلجاء فلا يستحقّون ثوابًا، وإنّما شبه الكفر بالظلمات لأنّه وإن كان ملّة واحدة فإنّ فيه اعتقادات مختلفة، وجعل النّور مثلًا للإيمان لأنّه اعتقاد واحد، فأمّا ضلالات أهل البدع في الإيمان فليس بإيمان وإن لم يكفروا بها"(1). وفي قوله تعالى : {الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور ثم حذف المشبه (الكفر والإيمان) وذكر المشبه به (الظلمات والنور). ولم يقترن بالمستعار ما يلائم المشبه أو المشبه به، وقيمتها توضيح قبح الكفر وحلاوة الإيمان.

يقول الحق سبحانه:{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 27] فقد شبه العهد بالحبل المبرم ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من خصائصه أو لوازمه وهو النقض لأنه إحدى حالتي الحبل وهما النقض والإبرام. يبين الإمام بقوله: "{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ} ينكثون وصيّة الله وأمره، وهو ما أخذه الله على النبيّين ومن اتّبعهم أن لا يكفروا بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويبيّنوا نعته وصفته، دليله قوله: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ} الآية [آل عمران:81] والميثاق اسم لعقد من عقود الأحكام بالثقة والإحكام. {وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} يعني الأرحام. {الْخاسِرُونَ} المغبونون في الآخرة"(2). وفيها استعارة مطلقة خلت من ملائم الطرفين، أما في قوله سبحانه: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: 11] حيث شبه زيادة الماء زيادة مفسدة بالطغيان، بجامع مجاوزة الحد في كل منهما، والطغيان من صفات الإنسان، فشبه ارتفاع الماء وكثرته بطغيان الإنسان عند مجاوزته الحد، من دون أن يُذكرَ ملائم لأحد الطرفين.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 353)

(2) المصدر السابق (ج 1/ 127)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: الكناية وأنواعها

الكناية في اللغة:

أن تتكلم بالشيء، وتريد غيره، يقال: كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، فبابه: كنى يكني كرمى يرمي، وقد ورد: كنا يكنوا كدعا يدعو، وهي من كنيت الشيء أكنيه، إذا ستر بغيره، وقيل: كنانة، بنونين لأنها من (الكن) وهو الستر، و تعريف الكناية مأخوذ من اشتقاقها، واشتقاقها من الستر، ويقال كنيت الشيء إذا سترته، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام لأنه يستر معنى ويظهر غيره، ولذلك سميت كناية[1].

الكناية في الاصطلاح:

يتضح من هذا المعنى اللغوي معناها في اصطلاح أهل البلاغة والبيان، فالكناية شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز، فالكناية كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، ويكون المقصود المعنى المجازي ولا يمتنع أن يفهم المعنى الحقيقي، فالكناية إذا تتعلق بالمعاني وليست بالألفاظ فلا يكنى باللفظ عن اللفظ، وإنما يكنى بالمعنى عن المعنى، ومن عادة القرآن الكريم التعبير بالكناية عن معان بألفاظ تميل إلى الإشارة والتلميح لاختيار الأسلوب الأفضل والتعبير الألطف، ومن هنا تنبع جماليات التعبير بالكناية؛ إذ لابد أن يكون في كل نوع من التعبير البياني جانبًا من الجمال يكمن حينًا ويتجلى أحيانًا حسب السياق والنوع البياني، والتصوير بأسلوب الكناية، يحس السامع معه جمالًا ويجد للتعبير ما لا يجده للتعبير الصريح؛ وذلك لأن الكناية تعرض المعنى مصورًا بصورة محسوسة فيزداد تعريفًا ووضوحًا. وقال البيانيون في تعريف الكناية: "لفظٌ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه" [2]، الكناية هي اللّفظ المستعمل فيما وضِع له في اصطلاح التخاطب للدّلالة به على معنىً آخر لازمٍ له، أو مصاحبٍ له، أو يُشار به عادةً إليه، لما بينهما من الملابسة بوجهٍ من الوجوه. كالكناية عن طول القامة بطول نجادِ السيف "نجاد السيف: أي: حمائله" وكالكناية عن قضاء الحاجة الطبيعيّة بالمجيء من الغائط: "الغائط: الأرض المنخفضة التي كان العرب يقضون حاجتهم الطبيعية فيها. فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه،

---

(1) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (كني) (ص 1713) وزين الدين محمد الرازي، مختار الصحاح، (ص 58) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها(ج3/ 154)

(2) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 127) ، لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده، فيعبر به عنه، والقرآن الكريم إذ يستخدم الكناية، فإنه يرسم بها موقفًا، أو يجسم معنى على عادته في التصوير وهو قبل أن يصور معنى أو فكره، فانه يصور نفسًا إنسانية، انكشفت حالها، وما تخبئه من أسرار، أما الكناية في القرآن فإنها: " فوق طاقة بني الإنسان، لما فيها من روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب، ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن"[(1)]. ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان، فالكناية تعطي المعنى مصحوبًا بالدليل والبرهان فيكون ذلك تثبيتًا في الذهن وتأكيدًا؛ لأن ذكر الشيء ومعه دليله وبرهانه أوقع في النفس وأعلق في الفؤاد من أن تتركه من غير برهان وتكمن بلاغة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتذكر القضية، وفي طياتها برهانها الشاهد عليها، فتمتاز بالإقناع والإمتاع، ومتى ما جاء المعنى مصحوبًا بدليله كان أشد أثرًا وتأثيرًا، وأقوى إقناعًا[(2)].

إن حد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز وطبقًا لهذا التعريف فمثالها عنده قوله تعالى: { **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** } **[ص: 23]** فكنى بذلك عن النساء، والوصف الجامع بين المعنى الحقيقي والمجازي هو التأنيث. ولولا ذلك لقيل في هذا الموضع إن هذا أخي له تسع وتسعون كبشًا ولي كبش واحد، وقيل هذه كناية عن النساء[(3)].

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعهُ، وصفت قريحتُه، (والسر في بلاغتها) أنها في صُور كثيرة تعطيك الحقيقة، مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيّها برهانها، كقول البحتري في المديح:

يغضُّون فضلَ اللحظِ من حيثُ مَا بَدا … لَهم عن مهيبٍ في الصدورِ مُحبَّبِ

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه لنا جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة، ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون، فإن

(1) محمود السيد شيخون، الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم(ص 87)
(2) ينظر: الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق عائشة حسين فريد (ص44- 45)
(3) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص 220)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس، بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحًا ملموسًا فمثل (كثير الرماد) في الكناية عن الكرم (ورسول الشر) في الكناية عن المزاح(1)، وذهب ابن الأثير بأنها: كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة، فالكناية مشتقة من الستر، يقال: كنيت الشيء؛ إذا سترته، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة؛ فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا، (2). ويختلف أسلوب المجاز عن أسلوب الكناية في أنَّ أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، أما القرينة في أسلوب الكناية فإنها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي.

أنواع الكناية:

1- الكناية عن صفة:

كما تقول (هو ربيب أبي الهول) تكنى عن شدة كتمانه لسره. وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظًا أو ملحوظًا من سياق الكلام. الكناية التي يطلب بها (صفة) هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام وهي نوعان: كناية قريبة وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه – نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر (رفيع العماد طويل النجاد)، وكناية بعيدة يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو فلان كثير الرماد كناية عن المضياف. ففي قول الحق سبحانه: {**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**} [**الكهف: 42**] يبين الإمام عبد القاهر الجرجاني موجزًا:"{يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} عبارة عن غاية التأسّف، كما أن صكّ الوجه عبارة عن غاية التعجّب"(3)، فتقليب الكفين كناية عن الندم المؤكدة بالدليل والبرهان فتقليب الكفين يحمل في معناه الكناية ودليلها، وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد" (4)، يعبر الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الكناية بقوله غاية الأسف وهو الندم والحسرة بتقليب الإنسان كفيه، والعلاقة بين الندم والتحسر وغاية الأسف

---

(1) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 293)

(2) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج2/181- 183)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 248)

(4) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج2/ 724)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين عض اليدين أو تقليب الكفين تلازم يرجع إلى الإنسان وطباعه، فإنه إذا ندم عض على يديه أو قلَّب كفيه؛ متحسرًا على ما فات متأسفًا غاية الأسف، كما أن من طباعه حمرة الوجه عند الخجل وتقضيبه عند الغضب وصك الوجه عند التعجب كما أشار الإمام، ومثله قوله أيضًا: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [إبراهيم: 9] عضّوا أناملهم غيظًا، ويحتمل: معنى التعجب على ما جرت به العادة في العامّة، كصكّ الوجه"[1] ومثله قوله سبحانه: {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: 119] "أي: إذا فارقوكم، وخلصوا إلى أنفسهم، عضوا أناملهم من الغيظ حسرة وأسفًا، حيث لم يجدوا إلى التشفي والنيل منكم سبيلًا، وعض الأنامل في الآية، كناية عن شدة الغيظ[2]،"وعض الأنامل كناية عن صفة. وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المغتاظ النادم على ما فعل بعضّ الأنامل والبنان، وقد طفحت أشعارهم بهذا التعبير "[3].

2- الكناية عن موصوف:

كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن المصريين، و(مدينة النور) تكنى عن باريس كما يقال. وفي قوله سبحانه: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1] ومثلها الآيات الكريمة التي تعبر كِنَايَةُ عَنِ آدَمَ النَفْسِ الوَاحِدَةِ:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 98] ، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 189]، وقوله سبحانه: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمر: 6]، ينبه الإمام إلى ذلك بقوله:

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 159)

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج2/ 645)

(3) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج2/ 41)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ظاهر قوله: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ} ينبئ أنّه آدم عليه السّلام"[1]، "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة"، يعني آدم صلى الله عليه وسلم"[2].

أما في قول الحق سبحانه: **{لَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 27]** يذكر الإمام: "{وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} يعني الأرحام"[3]، ويقطعون الذي أمرَ الله بأن يُوصَل. والهاء التي في "به"، هي كناية عن ذكر "أن يوصل"، وفي تأويل قوله: "ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل"، وأنه الرّحم"[4]، " فالقطيعة: الهجران والصد، وهي فعيلة من القطع، ويريد به ترك البر والإحسان إلى الأهل والأقارب، وهي ضد صلة الرحم"[5]، فلا شك أن صلة الرحم واجبة كما بينت الأحاديث النبوية الكثيرة الواردة في ذلك ومنها: "حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا رشدين بن سعد، عن قرة، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أحب أن يوسع الله عليه في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه" [6]، فصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وقطع الرحم ضد ذلك كله، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر بمودة الاتصال والتواصل فكما ذكر الإمام موجزًا بقوله: {وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} يعني الأرحام.

3- الكناية عن نسبة:

وهي تتحقق في كل تعبير يراد به نسبه صفة إلى موصوف ثم لا يذكر تلك النسبة صراحة بل تنسب الصفة إلى ما له بالموصوف وثيق الصلة، أي ما صرح فيها بالموصوف وبالصفة ولم يصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزم نسبتها إليه، ومن الكناية عن نسبة قولهم في مقام المدح: المجد بين ثوبيه والكرم بين بُرديه، أرادوا نسبة المجد

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 715)
(2) الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج7/ 514)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 127)
(4) الطبري، تفسير جامع البيان ت شاكر (ج1/ 415)
(5) ابن منظور، لسان العرب (ج8/ 280)
(6) ينظر الحديث: مسند أحمد ط الرسالة (ج21/ 13585/209)، حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف وأخرجه البخاري (ج3/2067/56) ، ومسلم (ج4/2557/20/1982)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكرم إليه، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل المجد بين ثوبيه والكرم بين يديه، ومن روائع هذه الكناية قول أبي نواس يمدح الخصيب أمير مصر وكان قد رحل إليها في عهده:

فَمَـا جَـازَهُ جُـودٌ وَلا حَـلَّ دُونَـهُ ... وَلَكِـنْ يَصِـيْرُ الجُـوْدُ حَيـثُ يَصِـيْرُ (1)

حيث صرح بالموصوف وهو الخصيب وصرح بالصفة وهي المجد، ولكنه لم يصرح بنسبة المجد إليه وإنما ذكر نسبة أخرى تطلبها، وهي صيرورة المجد في المكان الذي يصير فيه الممدوح، وهذا يعني أنه غاية في الكرم فقد نسب الجود إلى شيء متصل بالممدوح وهو المكان الذي يوجد فيه ذلك الممدوح .

يقول الحق سبحانه:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } [الرحمن: 46] يشير الإمام بإلماحة سريعة إلى الكناية: {وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ} أي: مقامه بين يدي ربّه فيتّقيه وهو عامّ في الجنّ والإنس على الظّاهر"(2). أثبت الخوف للمقام وهو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة، وأراد بذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى وترك المعاصي ويراد هيمنة ربه عليه، ومراقبته له، وعلمه بما يسره وما يخفيه، فيتجنب المعصية ويبتعد عن اقتراف الإثم، وفي قول الحق سبحانه: **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ } [الزمر: 56]** قد أثبت التفريط في جنب الله وهذا لا يصح لأنه شيء محسوس لا يجوز على الله سبحانه فعلم أنه يراد بقوله في جنب الله أي في حق الله والمراد أنه فرط في عبادة الله وطاعته وأوامره (3)،أي فرط في ذات الله ومعناه أي لا بد من تقدير مضاف محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر: والمعنى: فرطت في طاعة الله.

الكناية في تفسير درج الدرر:

يقول الإمام عبد القاهر:" الكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة "وكثير رماد القدر" يعنون كثير القرى وفي المرأة: "نؤوم الضحى"، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من

---

(1) ينظر البيت: طبقات الشعراء، ابن المعتز(ص 74)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (2/ 610)

(3) ينظر: الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق عائشة حسين فريد (ص36)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى"[1]، ويقول :" قد أجمع الجميع على أن "الكناية" أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلًا، وأن المجاز أبدًا أبلغ من الحقيقة "[2]، ويقول الإمام : "إن الكناية أبلغ من التصريح"، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد، فليست المزية في قولهم: "جم الرماد"، أنه دل على قرى أكثر، بل المعنى إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشد، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق" [3].

يقول الإمام في تفسيره قول الحق سبحانه:{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**} **[النساء: 34]** " {قوّامون}: قيّامون وقيّمون على مصالحهنّ بسبب ما فضّلهم الله عليهنّ في العقل والشّهادة والجهاد والولاية والإمامة، وبسبب إنفاقهم على الزّوجات.{فَالصّالِحاتُ} غير النّاشزات الفاسدات، {قانِتاتٌ} مطيعات لله ولأزواجهنّ، {حافِظاتٌ} لأنفسهنّ وبيوتهنّ بحفظ الله تعالى وعصمته إيّاهنّ، وما حفظ الله عليهنّ من الأحكام الشّرعيّة، أو بما حفظ الله لهنّ من حقوقهنّ من المهر والنّفقة، وإنّما أثنى عليهنّ ليعلم أنّه ما عليهنّ من سبيل، و(الهجران في المضاجع) هو ألاّ يقربها مدّة ويري من نفسها الملال عنها لعلّها تخاف الفرقة فتترك النّشوز وتحسن العشرة والطّاعة {وَاِضْرِبُوهُنَّ} أدّبوهنّ بضرب لا إتلاف فيه ولا تبريح، {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ} في الدّين والفراش، {فَلا تَبْغُوا} تطلبوا {عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} حجّة وعلّة، ولا تتجنّوا عليهنّ، وإنّما وصف نفسه بالعلوّ والكبرياء لتعاليه عن إباحة التّجنّي والعدوان، والكبر"[4]، جاء معنى الكناية في قوله: {وَاللّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ}، الخروج عن الاستقامة والاعتدال، وظهور المخالفة، والعناد، وكما أوضح الإمام في تفسيره حين ذكر (الهجران في المضاجع) هو ألاّ يقربها مدّة ويري من نفسها الملال عنها لعلّها تخاف الفرقة فتترك النّشوز

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 66)

(2) المصدر السابق (ص70)

(3) المصدر نفسه (ص71)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 485)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالتالي تحسن العشرة والطّاعة، والمقارنة بالنشز من الأرض وهو المكان المرتفع فالتعالي على الآخر موجب لفساد العلاقة، "والنشوز: بغض المرأة للزوج، وأصله من النشز. فكأنها هي المرتفعة بنفسها أو طرفها عن التزام ما يلزمها للزوج"[1]، وقد بين الله سبحانه أن النشوز مذموم في الرجل كذلك؛ لقوله: ﴿إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: 128] ، والأصل في العلاقة بين الزوجين هي السكن من السكينة والمودة والرحمة فالحق سبحانه يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21] ؛ فلا تكون سعادة طرف على حساب طرف بل يجب المساواة بينهما، وإخفاض كل منهما جانبه للآخر لتستقيم الحياة الزوجية بالمعروف ويكون بينهما مودة ورحمة؛ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: 34] أي تلك المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره، فأمره الله أن يعظها، ويذكرها بالله، ويعظم حقه عليها.

يقول الحق سبحانه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149] يقول الإمام: "﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا، هذه لفظة موضوعة للنّدامة"[2]. "وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ كناية عن شدة ندمهم فإن الذي يشتد ندمه وتحسره يعض يده مسقوطًا فيها كأنّ فاه وقع فيها. والمعنى ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل غاية الندم"[3]، وسقط في أيديهم، وهذا تعبير لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب قبل هذا، وهو كناية عن الندم والحسرة، وذكرت اليد، وإن كان الندم في القلب لأن أثره يظهر فيها بعضّها أو بالضرب بها على أختها نحو قوله سبحانه:﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف 42] . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ضلالًا بعيدًا بعبادة العجل قالوا: لن يسعنا بعد هذا إلا رحمة ربنا ومغفرته، فقد وسعت كل شيء، وإن لم يغفر لنا ربنا لنكونن من الخاسرين في الدنيا والآخرة[4]. كلمة ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ تستعمل حال الندم والأسف، ومثله أسقط في أيديهم، وهو مردود لكونه استعمال قرآني لم تسبق إليه العرب، ومعناه اللفظي سقط تفكيرهم من رؤوسهم إلى أيديهم، وصار فيها وذلك أن من يقع في خطأ يندم عليه يضرب كف على كف أي يقلب كفيه، وأحيانًا يعض على بنانه تحسرًا، وهذا الكلام يدل على أن في الكلام كناية عن الندم لأنه ذكر اللازم الحسي له.

---

(1) الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني (ج3/ 1221)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 700)

(3) أبو الفداء الإستانبولي، روح البيان (ج3/ 245)

(4) ينظر: محمد الحجازي، التفسير الواضح (ج1/ 767)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني عادة المصطلح في تفسيره وتوضيح الوجوه البلاغية إلا نادرًا، وفي تفسيره للآية الكريمة في قول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: 43] يذكر الكناية:"{أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ} مِنَ الْغائِطِ: أي: رجع عن قضاء الحاجة، و(الغائط): اسم للمكان المطمئن، و(اللّمس): كناية عن الجماع، عن عليّ وابن عبّاس وأبي موسى الأشعريّ، ولأنّه لمس مطلق"[1]. وفي {لا مستم النساء} . أقوال: إنه كناية عن الجماع فهو يستوجب الغسل، وقول: إنه يعني حقيقة اللمس، لمس أي جزء من جسم الرجل لجسم المرأة، وهو يستوجب الوضوء في بعض المذاهب، ولا يستوجبه في بعضها، منها إجمالاً: اللمس يوجب الوضوء إطلاقاً- اللمس يوجب الوضوء إذا كان اللامس ممن تثور الشهوة في نفسه باللمس- اللمس يوجب الوضوء إذا أحس اللامس نفسه- حسب تقديره في كل حالة- اللمس لا يوجب الوضوء إطلاقاً[2]، جاء معنى الكناية في قوله: {مِنَ الْغَائِطِ} المكان المنخفض من الأرض، وذكر عما يستهجن ذكره فكنى عنه بمكانه، وهو كناية عن الحدث، جريًا على عادة العرب، وهي أن الإنسان منهم إذا أراد قضاء حاجة قصد مكانًا منخفضًا من الأرض وقضى حاجته فيه، وفي معنى الكناية في قوله: {لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} عن الجماع حيث أشار الإمام، وقد دلت عليه القرينة، والإعراض عنه لصرف الذهن عن تصوره.

يبين الإمام في تفسيره قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}[النساء:57]"{وَظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ} أي: وجعلنا عليهم الغمام ظلّة، والظّلّ: الستر، والظّلّة: السترة، والفرق بينهما أنّ الشيء يكون تحت الظلّ دون الستر، إلا أنّه يقال: الشمس مستظلّة، إذا كانت محتجبة بالسحاب، وفرق آخر أنّ الرائي يتخيّل الظلّ ولا يتخيّل الستر، وجمع الظلّ: ظلال، وجمع الظلّة: ظلل. والظّليل هو الطيّب، قال الله تعالى:{وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} [النساء:57]، وقال في ضدّه: {لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} [المرسلات:31]. وأظلّك الطائر: إذا حاذاك وقرب منك وألقى ظلّه عليك، أعني ما يتخيّل، ويستعار للشهر والزمان

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 491)

(2) ينظر: سيد قطب في ظلال القرآن (ج2/ 668)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيقال: أظلّ الشهر والزمان، والغمام: غيم أبيض، وإنّما سمّي غمامًا لأنّه يغمّ السماء ويسترها، وللقاحه بالماء لأنّه يغمّ الماء في جوفه. وغمغمة السّحاب: صوته. والغمام واحد وجماعة، قال الحطيئة يمدح رجلًا: [من الطويل]

إذا غِبـتَ عنّـا غـابَ عنّـا ربيعُنـا ونسْـقى الغمـامَ الغـرَّ حـين تـؤوب"(1)

وفي قوله: {**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**} [**النساء :57**]، كناية عن غضارة العيش، أو كما أشار الإمام "والظّليل هو الطيّب" والظلة: سحابة تظل، وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره. قال تعالى: {**كأنه ظلة**} [**الأعراف:171**]، {**عذاب يوم الظلة**} [**الشعراء:189**]، {**أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام**} [**البقرة:210**] فقد جاء معنى الكناية في قوله: {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}، النعيم وبُعد الشقاء، فيما غيرهم يقاسي شدة الأهوال، ويلاقي العذاب، وأن غيرهم يلفحه حر الشمس؛ لأن الظل مقابل الشمس ولهب النار، أو كما أوضح الإمام {**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**} [**النساء:57**]، وقال في ضدّه: {**لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**} [**المرسلات:31**]، والاستعمال لا يكون، فقط، مقابل الشمس؛ بل والأمن مقابل الخوف، وقد استوحي هذا المعنى من صورة حسية متقابلة هي الظل، وما يقابله من لهب الشمس.

يذكر الإمام سبب النزول لتوضيح الدلالة في قول الحق سبحانه: {**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**} [**النساء**: 78] فيقول: "{أَيْنَمَا تَكُونُوا} نزلت في المنافقين الذين قالوا لإخوانهم: {**لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا**} [**آل عمران:156**]، {وَلَوْ كُنْتُمْ} تأكيد للشّرط، وتقديره أينما تكونوا ولو كنتم في بروج مشيّدة يدرككم الموت، وواحد (البروج): برج، وهو ، قيل: ومنه سمّى الكواكب بروجًا"(2).

يتضح معنى الكناية في قوله: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} عدم امتناع أحد من الموت لأي سبب كان، وهذا ما عبر عنه الجرجاني حينما فسر: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ } فالقصر المرتفع المسمّى برجًا لظهوره من الأسباب المادية التي لا تؤخر الموت؛ لأن يقع بأجله قال تعالى: {**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**} [**الرعد:38**]، والبروج المشيدة تمتنع على

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 158)

(2) المصدر السابق (ج1/ 508)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب المادية؛ لأنها مادية، أما قدرة الله وقدرة رسله الموكلين فإنها نافذة؛ لأنها لا تخضع للمقاييس المادية.

أما في قوله سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16] يقول الإمام:" وهو أقرب من حبل الوريد، سبحانه وتعالى. وقد أوّل من أوّل من أصحابنا بأنّه الإقبال بالرحمة والرّضوان والقبول، وهو ممكن أن يكون مرادًا، (الواسع): الذي لا يضيق علمًا ورحمة وقدرة ، قال زيد بن عمرو: [من البسيط]

إنّ الإلــــهَ عزيــــزٌ واســــعٌ حكــــم بكفّـــهِ الخيـــرُ والبأســـاءُ والــــنّعمُ"[1]

يوضح الإمام عد القاهر الجرجاني في تفسير قول الحق سبحانه: { إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ } [ص: 23] يقول:"{نَعْجَةً} وهي الأنثى من الضّأن والبقر أو البقر الوحش والشّاء الجبليّ، وجمعها نعاج، وهذا مثل ضرباه للنّساء، وكان داود تحته تسع وتسعون امرأة، وكانت عند أوريا امرأة واحدة.{أَكْفِلْنِيها} أي: سلّمها إليّ، واجعلني كفيلها"[2]، وقول الإمام:{أَكْفِلْنِيها} أي: سلّمها إليّ، واجعلني كفيلها، أَكْفِلْنِيها مشتقة من الكفالة وهي هنا كناية عن التخلي ومعنى الجملة اجعلها لي وفي ملكيَّتي وكفالتي، أي امنحني إياها. ويقال لكل امرأة أنثى للحسناء الجميلة. والمعنى: وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها. إن الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما: إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسرًا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري، والثاني معسرًا ماله إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها[3]، يقول القرطبي: "والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة، لما هي عليه من السكون والمعجزة وضعف

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 231)

(2) المصدر السابق (ج2/ 522)

يذكر محقق الجزء الثاني من كتاب درج الدرر محمد أديب شكور: " بأن المؤلف رحمه الله تعالى ويقصد الإمام عبد القاهر الجرجاني، قد أكثر بالأخذ بأقوال الصحابة، ولكن لم يمحص هذه الأقوال تمحيصًا تامًّا، فذكر الصحيح منها والضعيف والموضوع، كما أنه أورد الإسرائيليات على ألسنة الصحابة، التي تجعل القارئ يحذر كثيرًا من مثل هذه الأقوال" وهذا القول في بعضه صحيح ولكن لا يؤخذ على الأغلب فهناك ما ورد متواترًا صحيحًا، ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 25)

(3) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/85– 88)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجانب. وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة"[1]، يقول الزركشي: "ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه كقوله تعالى: {إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة} فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب أنها تكني بها عن المرأة"[2]، وإن كانت إشارة الإمام سريعة في أن النعجة وهي الأنثى من الضّأن والبقر أو البقر الوحش والشّاء الجبليّ، وجمعها نعاج وهذا مثل ضرباه للنساء. إلا أن أسلوب الإمام الموجز يميزه فتكون كلماته مختارة بعناية فائقة؛ ولأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه وعليه تجوز الكناية في حقها وليس الغرض الذم أو التحقير.

أما قول الحق سبحانه:**{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 83]** يذهب الإمام عبد القاهر الجرجاني في توضيحه الدلالات القرآنية والنكت البيانية موجزًا فيفسر معاني الألفاظ ومن ثم يختار ما يريد إيصاله بإيجاز: " أولو الأمر: أمراء السّرايا، وقيل: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، وقيل: أولو العلم والبصارة.{يَسْتَنْبِطُونَهُ} يستخرجونه، وإنباط الماء: استخراجه، وسمّي الأنباط أنباطًا لعلمهم باستخراج المياه. و(القليل): مستثنى من المذيعين، وقيل: من معلوم المستنبطين، وقيل: من المستنبطين.(فضل الله ورحمته): الكتاب والرّسول، أو بعض أسباب التّوفيق ممّا استغنى عنه الخاصّة دون العامّة كانشقاق القمر والفتح"[3]، إن معنى الكناية كما ذكرها الإمام في: {يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}؛ نبط الماء: نبع، ومعناه أنهم يستخرجونه من مخابئهِ ومضانه الخفية عن سواهم؛ لأنهم امتازوا على غيرهم بالنبوغ والفهم، ويوضح الإمام وإنباط الماء: استخراجه، وسمّي الأنباط أنباطًا لعلمهم باستخراج المياه، وهو بهذا يشير إلى أن الله خص قومًا بذلك صرفًا لغيرهم، ودفعًا من أن يكون البتُّ بيد من هبَّ ودَبَّ دون دراية ومعرفة.

يبين الإمام في تفسير قوله سبحانه: **{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} [النساء: 90]** بقوله: "{حصرت صدورهم}: ضاقت، ونوت الإمساك والكفّ عن قتال الفريقين، و(الحصر): البخيل، {إلاّ الَّذِينَ يَصِلُونَ:} نزلت في المتّصلين بسراقة بن جعشم المدلجيّ وهلال

(1) القرطبي، التفسير (ج15/ 172)
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 302)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 511)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بن عويمر الأسلميّ وسائر بني مدلج وأسلم، كان بعضهم صالح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا يكون له ولا عليه، وبعضهم آمن به وصدّقه ولم يهاجر ولم يدعهم رسول الله إلى الهجرة، وكان هذا حين هاجر ومعه أبو بكر وعامر بن فهير وعبد الله بن أريقط، وكانوا يستقبلونه في الطّريق ليلًا ونهارًا أفواجا وفرادى، ويشاهدون منه الآيات، فيتّخذون لأنفسهم وعشائرهم عنده عهدًا يأمنون بها عند ظهوره على قومه، والمراد بالمتّصلين المنضمّون من قريش وسائر أهل الحرب إلى هؤلاء ليكونوا على حكمهم، أمر الله أن يسالمهم أيضًا. وقال أبو عبيدة: والمراد بالمتّصلين من رجع إلى هؤلاء في النسبة؛ لأنّهم دخلوا في عموم أمانه لعشائرهم. والمراد بقوله: {أَوْ جاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} جماعة من المستأمنين الذين قدموا المدينة أن يجيرهم، كما قال: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ} [التوبة:6]"** [1]. جاء معنى الكناية في قوله: "{حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} الضيق وعدم الرغبة في الدخول في أمر، وقول الإمام في ذلك: "ضاقت، ونوت الإمساك والكفّ عن قتال الفريقين"[2].

يقول الحق سبحانه: **{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء: 88]** وقوله أيضًا: **{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: 91]** يقول الإمام:"{أَرْكَسَهُمْ} نكسهم في الكفر، والكفر مشبّه بالعمق، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ} الآية [الحجّ:31]**، وليس الإركاس بردّ، وقال الله تعالى: {كُلَّما رُدُّوا} إِلَى الْفِتْنَةِ **{أُرْكِسُوا فِيها} [النّساء:91]** بسبب ما اجترموا من إفساد الهجرة، أو التّخلّف أو غيره"[3]. فقد جاء معنى الكناية في قوله: {أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} {أُرْكِسُوا فِيهَا}، الرَّكس: رد الشيء مقلوبًا؛ بمعنى أنهم يقحمون في الفتنة كلما أرادوا الخروج منها لعدم خلوص أنفسهم ولزيغ قلوبهم وبسبب ما اجترموا من إفساد الهجرة، أو التّخلّف أو غيره كما ذكر الإمام، وهي كناية عن التردد في الفتن لوجود مقدماتها.

يتضح من أمثلة كثيرة وردت وسيأتي على ذكرها أيضًا أن الإمام يميل إلى الإيجاز في تفسيره وهو أعلى مراتب الخطاب العربي، ففي قول الحق سبحانه: **{إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 515– 516)

(2) المصدر السابق (ج516/1)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 514)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } [النساء: 101] يقول: "وإنّما قال: {إذا ضربتم}؛ لأنّ هذه الواقعة تقع للمسافرين في الغالب"[1]، "{وَإِذا ضَرَبْتُمْ} سافرتم"[2]، وكما ورد عن الإمام أي ضربتم في الأرض سافرتم وهذه كناية عن السفر، أو إذا سافرتم في جهاد أو هجرة في سبيل الله كما هو سياق الآيات، فإذا سافرتم لهجرة أو جهاد أقصروا في الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الكفار وذلك عند الخوف، فيتبين من ذلك أن الإسلام شدد على الصلاة حتى في حال الحرب ولكنه شرع تسهيل الصلاة فيها. فقد جاء معنى الكناية في قوله: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ}، تتقلتم في أرجائها بحثًا، وتتبعًا، وتنقيبًا وسعيًا في طلب الرزق أو الجهاد في سبيله، فجاءت من ضرب الفأس للسعي والبحث عن الرزق، فيكون الضرب بمعناه الحقيقي البحث والتنقيب، أي ضربتم في الأرض في معناها المجازي كناية عن السفر. أما في قول الحق سبحانه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 77] وقوله سبحانه: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 171] يبين الإمام:{لا تَغْلُوا} لا تجاوزوا الحدّ و (الغالي): الفاحش، وغلوّهم في دينهم: الإفراط في أمر المسيح عليه السّلام"[3]. ويذكر الإمام: "{يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا} في شأن النّصارى، وقيل: في اليهود والنّصارى جميعًا"[4] ، جاء معنى الكناية في قوله: {تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} من غليان الماء، وارتفاعه، ومعناه مجانبة الحق، واتباع الهوى والميل معه، والزيادة في الدين ما ليس فيه، وإنما اتّباع الوسطية، وعدم الإفراط في أمر الدين، والمبالغة، وعدم التفريط، والإهمال، فالمسلمون أمة وسطًا؛ لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143] والغلو، في الأصل، من غلو الماء في المرجل وارتفاعه، وتجاوز الحد، ولا تغلوا فيه: تجاوزوا حده من حيث لفظه أو معناه بأن تتأولوه بباطل، أو المراد لا تبذلوا جهدكم في قراءته وتتركوا غيره من العبادات، وهجر القرآن الكريم أنواع عدة : هجر

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 519)
(2) المصدر السابق (ج1/ 521)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 541)
(4) المصدر نفسه (ج1/ 578)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التلاوة – هجر التدبر – هجر العمل به – هجر الاستشفاء به، فالغلو تجاوز الحد واتباع الهوى والميل عن الحق.

يقول الحق سبحانه: {أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} **[الفرقان: 75]** يقول الإمام: "{الْغُرْفَةَ} العليّة، وهي المنزل الرفيع"(1)، "فجائز أن يكون الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة، وجائز أن يراد به نفس الغرفة؛ وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل، وذلك مما يختار الكون فيها في بعض الأوقات في الدنيا، والناس يرغبون فيها لإشرافها وارتفاعها على غيرها؛ فرغبهم بذلك في الآخرة"(2).{الْغُرْفَةَ} كناية عن الدرجة الرفيعة في الدنيا والآخرة، وهي كناية عن الدرجة العالية في الجنة، والمراد بالصبر الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعند النوائب والشدائد. وفي قوله سبحانه: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} **[النساء: 114]** يقول الإمام:" {مِنْ نَجْواهُمْ} مصدر، ويطلق بمعنى الاسم. قال الله تعالى: {فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} **[المجادلة: 12]** وإذ هم نجوى متناجون فإن كان المراد هاهنا الاسم فهم بنو أُبيرق(3) والاستثناء منقطع بمعنى لكن، وإن كان بمعنى المصدر، فالكناية ترجع إلى معنى المؤمنين والاستثناء متصل، وإنما أخبر بأنه {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ}؛ لأنّ المناجاة في الشرِّ شرٌّ، وفي المباح الذي لا يمكن إظهاره شر أيضًا، قال – عليه السلام–: "لا يتناجى اثنان دون ثالث فإن ذلك يحزنه" (4)، والنجوى كناية عن اجتماعات الكفار الخفية في صدد التآمر على تكذيب النبي، فالنجوى كناية عن الشر والتآمر باستثناء تأويل الكلام بأن لا خير في كثير من المتناجين من الناس، إلا في من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فإن أولئك فيهم الخير، أو كما ذكر الأمام فالكناية ترجع إلى معنى المؤمنين الذين يأمرون بالصدقة والمعروف والإصلاح.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 391)

(2) الماتريدي، تفسير تأويلات أهل السنة (ج8/ 47)

(3) قوم من الأنصار

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 631)

ينظر الحديث: البخاري، الصحيح (6290/68/8) ومسلم، الصحيح (2184/1718/2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: التعريض

التعريض في اللغة:

التعريض في اللغة: أن تقول كلامًا لا تصرح فيه بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية، ويمكنك أن تتهرب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت محرجًا، يقال لغة: عرّض لي فلان تعريضًا: أي: قال فلم يبين بصراحة اللفظ. أعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه: كلام غير ظاهر الدلالة على المراد، أي: فيها سعة يتخلص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح، فالتعريض في الكلام: ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح [1]، والتعريض خلاف التصريح، يقال: عرّضت لفلان أو بفلان إذا قلت قولًا وأنت تعنيه، ومنه المعاريض في الكلام، وفى أمثالهم (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) أرادوا أن المعاريض فيها سعة عن قصد الكذب وتعمده، واشتقاقه من قولهم عرض له كذا؛ لأن الواحد منا قد يعرض له أمر خلاف التصريح فيؤثره ويقصده[2].

التعريض في الاصطلاح:

التعريض: هو اللفظ الدال على الشيء عن طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا بالمجازي، المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ أو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به أو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره. فإنك لو قلت لمن تتوقع عطاءه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فهذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعًا في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازًا. أو كما يقول ابن المعتز: "التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"[3]، التعريض طريقة من الكلام أخفى من الكناية فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني، ولا مصاحبة، ولا ملابسة ما بين الكلام وما يراد الدلالة به عليه، إنما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهنًا بها من توجيه الكلام، وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والتعريض[4]، لكن التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، والكناية تشمل لفظ المفرد والجملة، أما التعريض فلا يكون إلا في الجمل لأنه لا

---

(1) ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات (ص 62)

(2) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 192)

(3) ابن المعتز، البديع في البديع (ص 39)

(4) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 152)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز إنما يفهم من جهة التلويح والإشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكن يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب، يقول الإمام: "ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون. والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين" [(1)].

هناك فرق بين الكناية والتعريض من جهة خفاء الدلالة ووضوحها، وفرّق بينهما من جهة اللفظ، فالكناية تشمل المفرد والمركب معا، فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى، أمّا التعريض فيختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة[(2)]، ودليله على ذلك أنّ المعنى في التعريض لا يفهم من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنّما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا ينهض به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب. إنه اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي، ولا المجازي. فقوله اللفظ الدال على الشيء، عام في جميع ما يدل عليه اللفظ من جهة النص والظاهر والحقيقة والمجاز، وقوله من طريق المفهوم، يخرج جميع ما ذكرناه، فإن دلالتها من جهة اللفظ، لا من جهة مفهومها، وقوله لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي[(3)]، ومن التعريض بغباوة المخاطب، نحو: **{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } [الأنبياء: 63]** بعد قوله: **{أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 62]**، ومنه نحو: **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 145]** هذا كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى، ونظيره في التعريض: **{وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يس: 22]** ، إذ المراد: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ما يدل عليه {ترجعون} ووجه حسن التعريض وملاحته إسماع المخاطبين الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب؛ وذلك لأنك تترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل، وذلك أنفذ في أعماق القلوب، حيث لا يريد المتكلم لهم إلا ما يريده لنفسه، وهذا النوع كثير جدا في القرآن الكريم، نحو: **{ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ: 25]** [(4)]، ومن التعريض بأمر هو مقتضى

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم(ج148/1)
(2) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان (ص 45)
(3) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 193)
(4) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 137)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى الكلام بعدها نحو: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} **[الرعد: 19]** ، فإنه تعريض بذم الكافرين من حيث إنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب، ونظيره: **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا} [النازعات: 45]** إذ المراد أن من لم تكن له من هذه الخشية، فكأنه ليس له أذن تسمع، ولا قلب يعقل، فالإنذار وعدمه سيان[1]، "فالمعنى التعريضي ليس مدلولًا لها من طريق الحقيقة والوضع، ولا من طريق المجاز والتأول، ولا عن طريق الكناية والإرداف، دلالاتها استيعابية تفهم اللفظ سياقًا لا به وضعًا أو تأويلًا"[2].

التعريض في تفسير درج الدرر:

يقول الحق سبحانه: **{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } [هود: 27]** يوضح الإمام في أكثر من موضع استهجانهم واعتراضهم وتعجبهم أن يكون بشرًا رسولًا: **{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ } [الإسراء: 100]** اتصالها من حيث **{أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً} [الإسراء:94]** بخلوا بنعمة الله وإنعامه على بشر مثلهم"[3]. ويقول في تفسير الآية الكريمة: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ} [الرعد: 38]** "نزلت في تعجب المشركين من كون رسول الله بشرًا مثلهم، وفي تعجّبهم من تأخير العذاب، والآيات الملجئة، فنفى الله تعالى وجه تعجيبهم، وأخبر بسنّته فيمن مضى من المرسلين والرسل[4]، ويبين الإمام التعريض في تفسير الآية الكريمة: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي} [يوسف: 109]** نزلت لنفي تعجبهم من نبوة نبينا عليه السّلام متوهمين أن النبي عليه السّلام لا يكون بشرًا، أو لا يسكن فيما بين العشيرة والأهل، وليس في الآية امتناع ذلك"[5]. فقوله سبحانه: {ما نراك إلا بشرًا مثلنا} تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم. ويذكر الإمام تعريضهم بالمؤمنين بقوله: {أَرَاذِلُنا} جمع: أرذل، وأرذال: جمع رذل: وهو النّذل الخسيس، وإنّما

---

(1) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 155)

(2) إبراهيم محمد الخولي، التعريض في القرآن الكريم (ص81)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 231)

(4) المصدر السابق (ج2/ 156)

(5) المصدر السابق (ج2/ 146)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استحقروا المؤمنين؛ لقلّتهم، وفقرهم، ولكونهم بمنزلة السّفهاء عندهم(1)، وهذا تعريض بأنهم أحقّ بالنبوة منه، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملأ وموازٍ لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها؟ ألا ترى إلى قولهم: وما نرى لكم علينا من فضل(2)، وهو من بديع التعريض قوله سبحانه: فقوله سبحانه {ما نراك إلا بشرًا مثلنا} تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم(3)، فهذه الآية كلها موضعها في قصدهم واعتقادهم موضع التعريض بأنهم أحق بالنبوة، وأن نوحًا لم يكن متميزًا عليهم بحالة يجب لأجلها أن يكون نبيًا من بينهم، والتعريض في القرآن وارد كثيرًا بأحوال الكفرة في التهكم والنقص وإسقاط المنزلة وحط القدر، ومواضعها دقيقة تستخرج بالفكر الصافي، والرسوخ في قدم البلاغة(4). وهذا ما أشار إليه الإمام بقوله: "وإنّما استحقروا المؤمنين؛ لقلّتهم، وفقرهم، ولكونهم بمنزلة السّفهاء عندهم"(5). وفي قول الحق سبحانه: **{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود: 45]** لقد توجه الأمر الإلهي إلى نوح عليه السلام في آية تسبق هذه الآية بآيات بأن يحمل أهله معه في السفينة: **{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: 40]**، وبعد آية واحدة يوجهنا هذا الحوار اللاهث بين الأب عليه السلام وابنه: **{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ۝ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود: 42- 43]**، ومغزى ذلك أن نوحًا عليه السلام حين ساق مقولته تلك كان يعرض السؤال أو مطلوب ما، يتوجه به إلى المولى جل شأنه فهذا المعنى الذي آثرت الآية الكريمة التعريض به على التصريح (السؤال أو الطلب)، وفي الآية التالية ينهاه ربه سبحانه وتعالى صراحة عن التشبث به أو تكراره: **{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: 46]** يقول الإمام:"{وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ} يحتمل أنّه كان قد خوطب في الأهل بعموم، وظنّ كذلك، فلذلك تعرض للوعد، ويحتمل أنّه ظنّ أنّ المستثنى من أهله امرأته

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 100)

(2) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج2/ 200)

(3) ينظر: ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص 167)

(4) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج1/ 196)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 100)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحدها دون ابنه (يام) ويحتمل أنّ ابنه كان يظهر الإيمان والموافقة على سبيل النّفاق، فخاطب بظاهره {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} يعني: النجاة. {لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} الموعود لهم، أو من أهلك الذين أسباب الموالاة متصل بينك وبينهم"(1).

يقول الزمخشري في ذلك عند تفسير قوله سبحانه: {وإن وعدك الحق} : "إن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي وأنت أحكم الحاكمين"(2)، ويقول ابن كثير في تفسير قوله سبحانه: {قال رب إن ابني من أهلي} : "أي وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يُخلف فكيف غرق ولدى وأنت أحكم الحاكمين"(3)، إن سر إيثار التعريض على التصريح في الآية الكريمة الإشعار بمدى تأدب نوح عليه السلام ولطف توسله إلى خالقه. فرغم تأجج عاطفة الإشفاق الأبوي على ابنه بين حناياه منعه حياؤه من التصريح بمطلبه أو بسؤاله من أجله فخاطب بظاهره {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} يعني: النجاة كما ذكر الإمام عبد القاهر، وإنه لا يليق في الخطاب مع المولى عز وجل أن يقول (لماذا أغرقت ولدي وقد وعدتني قبل ذلك بنجاة أهلي؟) فمثل هذا لا يُتحدث به مع الملوك فكيف برب العالمين؟ من أجل ذلك حسن التعريض في الآيات الكريمة.

يذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني في تفسير الآية الكريمة: **{قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} [الأنبياء: 62- 63]** حديثًا مرويًا عن أبي هريرة: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لم يكذب إبراهيم قطّ إلا ثلاث كذبات: قوله: **{إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات:89]**، وقوله: "{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ} وقوله لسارة: أختي. قال: لهذا النوع من الكذب رتبة الصدق، قال عليه السّلام: "لا كذب إلا في اثنتين: في إصلاح ذات البين، وفي حديث الرجل لامرأته، وحديث المرأة لزوجها"(4)، وفي توضيح الإمام بعدم تصريح إبراهيم عليه السلام بما حدث حين قام بتحطيم أصنام قومه وتعريضه بالأمر إشارة بالتعريض حين ذكر أن إبراهيم عليه السلام ليس مقصده الكذب بل إرادة في أمر يُعرض به بفعل قومه ويدلل على ضلالهم لعبادتهم أصنامًا لا تنفع ولا تضر، ويحقق به غاية وغرضًا وهذا رتبة الصدق كما وضح الإمام (لهذا النوع من الكذب رتبة الصدق) وإن في المعاريض لمندوحة عن الكذب، والكذب ما نفاه الإمام عن سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما ذكر. يقول الزمخشري:" هذا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 103)
(2) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج2/ 398)
(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير ط العلمية (ج4/ 282)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 313)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من معاريض الكلام، والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم"[1]، لقد وقع هذا الحوار بعد أن قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بتحطيم أصنام قومه إلا كبيرها الذي تركه معلقًا الفأس في رأسه: **{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: 58]** والتعريض هنا ماثل في قوله سبحانه: {بل فعله كبيرهم}، فسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يرد بهذا القول نسبة فعل التحطيم حقيقة إلى كبير الأصنام إنما أراد أن ينسبه إلى نفسه دون مقصد من الكذب، بل على نحو تعريض يحقق به الغرض الذي يهدف إليه في هذا الموقف وهو السخرية من هؤلاء القوم والتهكم من عقولهم الضالة ومعتقداتهم الزائفة التي زينت لهم أن يعبدوا من دون الله تلك الأصنام التي يعرفون يقينًا أن كبيرهم لا يستطيع أن يفعل شيئًا، بل إنها جميعاً لا تستطيع أن تنطق فضلاً أن تنفع أو تضر.

يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: **{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ} [البقرة: 235]** "التّعريض بالكلام: صرفه عن الظّاهر وعن المراد.{خِطْبَةِ} مصدر كالخطب، وهو مثل قولك: إنّه لحسن المشية والقعدة والجلسة والزكاة، وقولك: ما خطبك يا فلان؟ أي: ما شأنك وإرادتك. فالخطبة من الزّوج، والاختطاب من وليّ المرأة. والخطبة من الخطيب في عقد النّكاح أو في غيره من المجامع بما يخاطب. ويسمّى التّشهّد خطبة الصلاة"[2]. ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء، أي: النساء المعتدات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح، والتعريض بالخطبة مباح في العدة، فلا إثم عليكم فيما تُلَمِّحون به مِن طلب الزواج بالنساء المتوفَّى عنهنَّ أزواجهن، أو المطلقات طلاقًا بائنًا في أثناء عدتهن، ولا ذنب عليكم أيضًا فيما أضمرتموه في أنفسكم من نية الزواج بهن بعد انتهاء عدتهن. فأباح الله لكم أن تذكروهن تلميحًا أو إضمارًا في النفس، واحذروا أن تواعدوهن على النكاح سرًا بالزنى أو الاتفاق على الزواج في أثناء العدة، إلا أن تقولوا قولا يُفْهَم منه أن مثلها يُرْغَبُ فيها الأزواج، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمان العدة حتى تنقضي مدتها. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فخافوه، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، حليم على عباده لا يعجل عليهم بالعقوبة. يتابع

---

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 124)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 331)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإمام تفسيره الآيات الكريمة: "{أَكْنَنْتُمْ} أضمرتم. والكنّ: الستر.{سِرًّا} زناء، عن إبراهيم والحسن، وقال الشاعر: [من الوافر]

وَيَحْــــرُمُ سِــــرُّ جَــــارَتِهِمْ عَلَــــيْهِمْ وَيَأْكُــــلُ جَــــارُهُمْ أَنْــــفَ الْقِصَــــاعِ [1]

يتابع الإمام: "وقال [ابن] المسيّب: السّرّ أن يواعدها خفية مالا لئلا تسبقه بنفسها، و(القول المعروف): ما أبيح على وجه التّعريض.{وَلا تَعْزِمُوا} تقصدوا.{عُقْدَةَ} اسم من العقد، وعقد الشيء ضبطه وإحكامه بنوع تأليف.{الْكِتابُ أَجَلَهُ} انتهاء العدّة التي أوجبها الله عليها. وخوف الشيء اتّقاؤه. وإنّما ذكر المغفرة والحلم لئلا يميلهم هذا التّحذير عن الاعتدال بين الخوف والرّجاء، فالله تعالى رفع الجناح عن شيئين: التّعريض والإضمار، وحرّم شيئين: المواعدة سرّا وعزم عقدة النّكاح. أمّا التّعريض فقد قال ابن عبّاس: أن يقول بمشهدها: إنّي أريد أن أتزوّج بزوجة، وأمّا الإضمار أن يخطر بباله أو ينويه من غير عزم صحيح، وأمّا المواعدة سرّا فقد سبق ذكرها، وأمّا العزم فهو أن يؤكّد رأيه عليها ويقصدها من غير تردّد فيعظم عليه فوتها"[2]. وذلك أن السر في اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه، يقول الشَّافِعِي رحمه الله: "وقد قال الله تبارك وتعالى في المعتدة: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} إلى: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}، فأحل الله التعريض بالخطبة، وفي إحلاله إياها تحريم التصريح، وقد قال الله تبارك وتعالى في الآية: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} والسر: الجماع، واجتماعهما على العدة، بتصريح العقدة، بعد انقضاء العدة" [3]، يقول الشعراوي:" أي لا جناح عليكم أن وضعتم في أنفسكم أمرًا يخفى على المرأة، وللمسلم أن يكنن ويخفي في نفسه ما يشاء، ولكن ما الذي يُدري ويعلم المطلقة أنها في بالك يا من أسررت أمرها في نفسك؟ إنك لابد أن تلمح وأن تعرض بأسلوب يليق باحترام المرأة"[4].

---

(1) فالجار أقرب الناس إلى جاره و أعرفهم بأخباره، فمن اللؤم والحرمة كشف خبره وهتك سره. أُنُفُ القصاع: يقال كلأ أُنُفُ إذا كان وافيًا لم يرع منه شيء، أول الطعام أي لم يؤكل منه شيء.

ينظر: الخطابي، غريب الحديث (ج2/ 394)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 332)

(3) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (ج1/ 391)

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر (ج2/ 1013)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة:{وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً} [الأنبياء:48]، "وقيل: إنّه من التّعريض؛ لأنّ التّعريض في التوراة كثير، وقيل: إنّه باللغة العبريّة: توروه، وهو الأدب والمتأدّب"[1]، يجوز أن يراد بالفرقان المعجزات الفارقة بين المعجزة والسحر كقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [هود: 96] ، ويجوز أن يراد به الشريعة الفارقة بين العدل والجور كقوله تعالى: {وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون } [سورة البقرة: 53]. وفيه تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب الله تعالى بدلالة مفهوم المخالفة لقوله تعالى: {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [الأنبياء: 49] فمن لم يهتد بكتاب الله فليس هو من الذين يخشون ربهم بالغيب، وهؤلاء هم فرعون وقومه. وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشئ هو عنه، وهو المقابلة بقوله تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [الأنبياء: 50] [2]، "ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما انذروه من العذاب"[3]، ويقول الإمام في موضع آخر من تفسيره: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الشعراء: 197]؛ لأنّهم وجدوه مصدّقًا لما بين يديه من التوراة، وموعود على سبيل التعريض والتصريح"[4].

يذكر الإمام ما ورد عن ابن عباس في تفسيره الآية الكريمة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 62] "عن ابن عباس قال: كان رسول الله إذا خطب يوم الجمعة عرّض بالمنافقين يعنيهم في خطبته، ويجعلهم رجسًا، فإذا سمعوا ذلك منه عرفوا لمكانهم، ثمّ نظروا يمينًا وشمالًا، فإذا أبصرهم إنسان، لم يقوموا، ولبثوا حتى يصلّوا الجمعة معه، فإن لم يبصرهم أحد تسلّلوا فخرجوا من المسجد، ولم يصلّوا الجمعة معه"[5]، يشير الإمام إلى موقف المنافقين المخالف لما في قلوبهم ويعلمه الله ورسوله، هؤلاء نقضوا عهودهم مع الله ورسوله وظنوا أنهم يخدعون الله ورسوله حين يتسللون خارجين لواذًا من المسجد فعرّض بهم الرسول

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 376)
(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/89- 90)
(3) أبو الفداء الإستانبولي، روح البيان (ج5/ 488)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 398)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 1300)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريم وجعلهم رجسًا بما فعلوا واقترفوا فهم ليسوا بمؤمنين. يقول صاحب التحرير والتنوير ابن عاشور: " قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا استئناف تهديد للذين كانوا سبب نزول آية: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النور: 62]** ، أي أولئك المؤمنون وضدهم المعرض بهم ليسوا بمؤمنين. وقد علمهم الله واطلع على تسللهم"[1]. والآيات من سورة الحجرات فيها تعريض بالكذب: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات:15]**. ومعنى قوله: {وَجَاهَدُوا}، أي: بذلوا الجهد، فجاهدوا العدو أو النفس والهوى {أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، أي: الذين صدقوا في ادعاء الإيمان؛ لظهور أثر الصدق على جوارحهم، وتصديق أفعالهم وأقوالهم، وفيه تعريض بكذب أولئك الأعراب في ادعائهم الإيمان وإفادة للقطع، أي: هم الصادقون لا أولئك، فإيمانهم إيمان صدق وبر، "أولئك هم الصادقون أي الذين صدقوا في ادعاء الإيمان، لظهور أثر الصدق على جوارحهم، وتصديق أفعالهم وأقوالهم. وفيه تعريض يكذب أولئك الأعراب في ادعائهم الإيمان وإفادة للحصر. أي: هم الصادقون، لا هؤلاء، أو إيمانهم إيمان صدق وجد"[2].

أما في قول الحق سبحانه: **{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء: 28]** يقول الإمام في تفسيره الآية من سورة الشعراء: "{إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} تعريض بأنّهم أولى بصفة الجنون منه؛ لأنّهم لم يكونوا يعقلون ما ينبّئهم عليه من المشاهدات من الأفاعيل الإلهية، فلمّا فرّ فرعون من الجدال إلى التهديد، قابله موسى بالبرهان العتيد"[3]. ويشير الإمام إلى ما دار بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون مبينًا التعريض في قوله: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} "فقال لفرعون وهو يحدثه عن رب العالمين : **{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء: 28]** وقوله :{إن كنتم تعقلون} تعريض لفرعون مقابل استهزائه له عندما قال لمن حوله : **{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ } [الشعراء: 23 - 25]** فقوله {إن كنتم تعقلون} إشارة إلى أنهم هم المحرومون من نعمة التعقل والتفقه حيث رماه بالجنون، أو كما قال الإمام تعريض بأنهم الأولى بصفة الجنون منه. فإن كنتم من أهل العقول أي إن كنت يا فرعون ومن معك من العقلاء، عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك إلا ما ذكرت لك، ثم لما رأى شدة شكيمتهم،

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/ 310)

(2) القاسمي، تفسير محاسن التأويل (ج8/ 543)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 394)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاشنهم واغلظ عليهم في الرد، وعارضهم بمثل مقالتهم بقوله: {إن كنتم تعقلون} لأنه أبلغ وأوفق بما قبله من رد نسبة الجنون إليه، ثم إن اللعين لما انقطع عن الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب والتهديد، وهكذا ديدن المعاند المحجوج(1).

أما في قول الحق سبحانه: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ} [يوسف: 79] يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: "{مَعاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ} ولم يقل: إلا السارق؛ لأنه علم أن بنيامين ليس بسارق، فلذلك عرّض بقوله: {إنّا إذاً لَظالِمُونَ} إن أمسكنا غير بنيامين؛ لأن بنيامين كان راضيًا بالإمساك، وغيره لم يكن راضًيا به"(2)، يقول محقق درج الدرر نسخة الحكمة:" مع أن كتاب التفسير جنح فيه مؤلِّفه عما اعتاده من أسلوب البسط والإطناب والإطالة في عرضه للمسائل البلاغية والنحوية لأنه يدرك أن الأسلوب الأمثل لتفسير القرآن هو الاختصار ليسهل تناوله والاستفادة منه لجميع شرائح قُرَّاء الكتاب الكريم"(3)، يلخص الإمام القصة بكلمات محددة؛ وذلك لأن تفسير درج الدرر جاء مختصرًا من غير تفصيلات كثيرة كما أراده، وتأتي قصص القرآن في مكان مختصرة، ثمّ تفصّل في موضع آخر.

---

(1) ينظر: القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج9/ 373)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 142)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 52)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل السادس

جمال البديع ووجوه تحسين الكلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد:

اكتشف البلاغيون في النصوص البليغة ذات البيان الرفيع منثورات جمالية متفرقة، لفظية ومعنوية، وهذا المتفرقات المتناثرات يعسر تأليفها في أبواب وفصول، ولا يتضح في معظمها إلحاقها بعلمي المعاني والبيان، وسموا كل واحد مما اكتشفوه منها باسم خاص به، وجمعوها في مسمى علم واحد، أطلقوا عليه اسم "علم البديع"، وهذه الجماليات البديعة التي يوجد فيها جماليات معنوية عبروا عنها بعبارة "محسنات معنوية" ويوجد فيها جماليات لفظية عبروا عنها بعبارة "محسنات لفظية"(1)، فالبديع إلى جانب اعتنائه في الأساس بمحسنات الكلام، فإنه يشتمل أيضًا على المعاني والبيان؛ لأن رعاية المطابقة أمر يختص به علم المعاني، ووضوح الدلالة أمر يختص به علم البيان، ولا بد من اجتماعهما في ألوان ومحسنات البديع، فهو علم ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته وهو علم البديع(2).

البديع في اللغة:

"البديع في لغة العرب: بدع الشيء يبدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولًا، والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال. ابن السكيت: البدعة كل محدثة. وفي حديث عمر – رضي الله عنه– في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه"(3)، وفي التنزيل الكريم: {**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**} [**الأحقاف**: 9] أي: ما كنت أول من أرسل فقد أرسل قبلي رسل كثيرون، والبديع المبدع، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال سابق، والبديع من أسماء الله الحسنى؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء. قال تعالى: {**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**} [**البقرة: 117**]، فبَدِيع فَعِيل بِمَعْنى فَاعِل مثل قدير بِمَعْنى قَادر، وَهُوَ صفة من صِفَات الله؛ لِأَنَّهُ بَدَأَ الْخلق على مَا أَرَادَ

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 367)

(2) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/ 50)

(3) ابن منظور المصري، لسان العرب، مادة (بدع) (ج8/ 6)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علـى غيـر مثـالٍ تَقَدّمـه"[1] ، "والبـديع أيضًـا: المبتـدع. يقـال: جئـت بـأمر بـديع، أي محـدث عجيب"[2].

البديع في الاصطلاح:

يحب العرب أن تكون كلماتهم حلوة، تتفتح لها النفوس، وتستجيب لها القلوب والضمائر وذلك لحرصهم على أفكارهم، ومعانيهم وخواطرهم، فالعناية باللفظ عندهم فرع العناية بالمعنى.

لم يكن البديع في أيام عبد القاهر الجرجاني من حيث استقلاله عن (المعاني والبيان) كما انتهى إليه حاله أيام السكاكي والقزويني؛ إذ كان يشمل البديع عند عبد القاهر ومَن سبقه أبواب البلاغة كلها، فالاستعارة مثلًا أول فنون البديع عند ابن المعتز، وهي كذلك عند أبي هلال العسكري، والكناية من البديع عند أبي هلال[3]، وكتاب ابن المعتز أول مؤلف في علم البديع وصنعة الشعر وألوان البيان، وقد عرض ابن المعتز فيه للاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي والالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والإفراط في الصفة وحسن التشبيه ولزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء[4].

لعلّ الإمام عبد القاهر الجرجاني خير من فصّل في هذه القضية، حيث يقول: " ولن تجد أيمن طائرًا وأحسن أولًا وآخرًا، وأهدى إلى الإحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها"[5]، فالنفس تستريح إلى هذا التوافق إذا جاء غير متكلف، ولم يلتزم القطع المطوّلة، فالمناسبة بين معنى البديع في لغة العرب وبين إطلاقه على المحسنات البديعية المخصوصـة مناسبة واضـحة ظـاهرة ودقيقـة؛ لأن الشـيء المبدَع المبتكر لا يخلـو من الحسن والروعة والانبهار والطرافة، كما أن ألوان الكلام التي أطلق عليها المُحْدَثون اسم البديع تكسب الكلام حسنًا وجمالًا، وتخلع عليه بهجةً وجلالًا[6].

---

(1) الهروي، تهذيب اللغة، مادة (بدع) (ج2/ 143)

(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (بدع) (ج20/ 307)

(3) ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين (ص 268)

(4) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج2/ 189)

(5) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص14)

(6) ينظر: جامعة المدينة، البلاغة (البيان والبديع) (ص 296)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المصطلح البلاغي قديمًا كان مزيجًا من علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع حيث أطلق اسم البلاغة والفصاحة والمجاز والبراعة والبيان أو البديع أو نظرية النظم، أما مرحلة تقسيم علوم البلاغة فأتت لاحقة على يد السكاكي والرازي وغيرهم، وحين النظر في تعريفات علوم البلاغة نجد العلاقة الواضحة بين العلوم الثلاثة: فعلم المعاني يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية، وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى الإيجاز والإطناب والفصل والوصل[1]، أما علم البيان فهو إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى[2]. والبديع :"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[3]. " علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنًا وطلاوة، وتكسوه بهاءً، ورونقًا، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظًا ومعنى"[4].

تنقسم المحسنات إلى قسمين:

محسنات معنوية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى أولًا وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضًا كالطباق بين يسر ويعلن في قوله تعالى: **{يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [البقرة: 77]**.

المحسنات اللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانًا تبعًا كالجناس في قوله تعالى: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: 55]**، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية [5].

---

(1) ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف ابو العدوس(ص53)

(2) ينظر: المصدر السابق، (ص 143)

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج50/1)

(4) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 298)

(5) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 319)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الطباق والمقابلة

أولا : الطباق

هو أحد فنون البديع المعنوية التي كثر ورودها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام البلغاء فهو من أعظم المحسنات أثرًا في تجميل الأسلوب وإبراز المعاني؛ لأنه يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، ولا يقف عند الألفاظ ، يل يتجاوزها إلى المعاني، وهو بذلك وسيلة إيضاح جيدة تعرض بها الأشياء أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعاني، فالجمع بين الأشياء المتطابقة يضفي على الكلام حسنًا وجمالًا، ويزيده رونقًا وبيانًا "فالضد يظهر حسنه الضد [1].

الطباق في اللغة:

هو الجمع بين الشيئين، يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك فقيل طابق البعير في سيره ، إذا وضع رجله موضع يده ، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين، قال الجعدي:

وخيلٌ تطابقَ بالذراعين طبق الكلابِ يطأن الهراسا

نقل عن الخليل بن أحمد: " يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذوٍ واحدٍ وألزقتهما فيسمى هذا المُطابَقَ، والمُطَبَّقُ [2].

الطباق في الاصطلاح:

المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان، فالمطابقة أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه، المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر [3]، ويرى ابن حجة الحموي أنه: " ليس بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية مناسبة، لأن المطابقة في الاصطلاح: الجمع بين الضدين في كلام، أو بيت شعر، كالإيراد والإصدار،

(1) ينظر: البيهقي، أحكام القرآن للشافعي (ج2/ 199)

(2) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج2/6)
والخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين(ج5/ 109)

(3) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج2/5-6)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والليل والنهار، والبياض والسواد"[1]، ويقول ابن الأثير: " وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده؛ كالسواد والبياض، والليل والنهار، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى، وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه، غير أن الأسماء لا مشاحّة فيها، إلا إذا كانت مشتقة "[2]. هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام من خلال لفظتين متضادتين، يتنافى وجودهما معًا في شيء واحد، في وقت واحد، وقد يكونا بلفظين متحدين في الاسمية، أو الفعلية، أو الحرفية، ففي قول الحق سبحانه: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154]**، يقول الإمام: "{أَمْوتُ} جمع مائت، كأصحاب جمع صاحب. وقيل: جمع مويت، كأشراف وشريف، و{أَحْياءٌ} جمع حيّ، وحيّ على وزن (فعيل) في الأصل، واختلفوا في حياة الشهداء فمن الناس من ذهب إلى المجاز، وإلى بقاء ذكرهم والثّناء عليهم، كما قال الشاعر: [من البسيط]

موت التّقيّ حياةٌ لا انقضاءَ لها قد ماتَ قومٌ وهم في النّاسِ أحياءُ"[3]

في القرآن الكريم ألفاظ لا تكاد تفترق، مثل: الحياة والموت، الجنة والنار، الرغبة والرهبة، النعيم والعذاب، الطيب والخبيث، النفع والضر، الجائز والمقتصد، والظل والحرور، وأن الحق سبحانه ما جاء بوعيد إلاَّ أعقبه بوعد، وما جاء بنذير إلا أعقبه ببشير . والطباق قد يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين، ومما وقع في الأسلوب القرآني، ما كان بين اسمين كقوله سبحانه: **{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: 19 - 22]** ويقصد بالأعمى الكافر، ويعني في إبعاده الجهل والضلالة وعدم الرؤية، ويقصد بالبصير "المؤمن" ويعني به العلم والهدى ووضوح الرؤية، وجاء بالظلمات: ويقصد بها الضلال، والنور: ويقصد بها الهداية، والظل والمراد به نعيم الجنة، والحرور والمراد به عذاب النار، والأحياء والأموات، وهما المؤمنون والكافرون، ولكل من هذه الأضداد معاني عميقة ودقيقة ومتشعبة، ونحو قوله سبحانه: **{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ**

---

(1) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 156)
(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت محيي الدين عبد الحميد (ج2/ 264)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 265)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَعْلَمُونَ} [البقـرة: 280]، يبين الإمام سبب العسرة ويصفه:"{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} مديونًا لكم، و(العسرة): ضيق المعيشة والحال، والعسير ضدّ اليسير، {وَأَنْ تَصَدَّقُوا} أي: تصدّقكم بالإبراء {خَيْرٌ لَكُمْ} من النّظرة"(1).

يقول الحق سبحانه: **{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: 27]**، ويورد الإمام في تفسيره الآية الكريمة الكثير من الألفاظ المتضادة بقوله: "الإيلاج: الإدخال، فالله تعالى يدخل بعض ساعات الليل في النهار إذا قدر طلوع الشمس بالصيف في البروج الشّماليّة، ويدخل بعض ساعات النهار في الليل إذا قدر طلوع الشمس بالشّتاء في البروج الجنوبيّة، ويجعل كلّ النهار ليلًا وكلّ الليل نهارًا بتفاوت الحساب بين السّنة القمريّة والسّنة الشمسيّة، {وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الجماد، كالطّير من البيض، والنّفس من النّطفة، والدّود من الأنداء، والعاقل من السّفيه، والمؤمن الوليّ من الكافر العدو، ويخرج الجماد من الحيّ كالشّعر والنّطفة والبيض من الحيوان، والسّفيه من العاقل، والكافر العدوّ من المؤمن الوليّ" (2)، ويوضح الإمام ماهية الليل والنهار بقوله: "{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} و{اللَّيْلِ}: وقت الظّلام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والواحد: ليلة، والجمع: ليال، مثل: أراض، وقيل: هو مقلوب ليايل، و(النّهار): "ضدّ الليل" ، وجمعه: النّهر، و(اختلافهما): مخالفتهما في اللون والساعات، أو تعاقبهما بأن يعقب كلّ واحد منهما الآخر"(3).

أما الطباق يكون بين فعلين كقوله سبحانه: **{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} [النجم: 43- 44]**، فقد وقع الطباق بين " أضحك وأبكى " وبين أمات وأحيى "، وفي هذين الطباقين معنى يتمثل في أن الله سبحانه أدخل السرور والبهجة والمرح والسعادة على النفس المؤمنة المطمئنة، وهو أيضًا الذي أدخل الحسرة والألم والتعاسة والشقاء على النفس الأمارة بالسوء، أي: خلق الضحك والبكاء، أو: خلق الفرح والحزن، أو: أضحك المؤمنين في الأخرة، وأبكى الكافرين، أو: أضحك المؤمنين في العُقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب، وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا أي: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو: أمات بالكفر وأحيا بالإيمان(4). أما في

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 368)
(2) المصدر السابق (ج1/ 389)
(3) المصدر نفسه (ج1/ 270)
(4) ينظر: الأنجري الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج5/ 516)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله سبحانه: {وَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 122] وقد يكون التضاد بين لفظين مختلفين: ومن أمثلة ذلك؛ قوله تعالى: {أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: 122]. فالتضاد هنا وقع بين لفظي" ميتًا ": وهو اسم، وبين" أحيينا ": وهو فعل. والمراد بالميت في الآية الكريمة:" الضال ". وبـ "أحييناه " أي: هديناه.

يقول الإمام في توضيح الآية الكريمة: {نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ} "حمزة وأصحابه، ومن {مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ} أبو جهل وأصحابه، روي أنّ أبا جهل رمى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالفرث وهو يصلّي وذلك قبل إسلام حمزة، فسمع حمزة ذلك فغضب لابن أخيه تعصّبًا، وأقبل على أبي جهل يضربه بقوسه، وأبو جهل يتضرّع ويعتذر بأنّه سفّه أحلامهم وعاب آلهتهم، فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة؟ ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، وروي أنها عامّة. والإحياء إحياء في الرّحم، والنّور نور الإيمان. وقيل: الإحياء بروح القرآن أو الإيمان، والنّور نور أحدهما، {مَثَلُهُ} أي: هو ، وقيل: إنّ صفته {فِي الظُّلُماتِ} لا يوصف إلاّ بها ولا يتّصف إلاّ بها"[1].

أما التضاد بين حرفين كقوله سبحانه:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: 286]. فالجمع بين حرفي: "اللام " في كلمة " لها" ، و"على" في كلمة " عليها" مطابقة. و{لَهَا} تفيد الملكية والاختصاص وهي ما تُفيد وتُكْسِبُ النفسَ ثوابًا، و{عَلَيْهَا} تفيد الوزر، و{لَهَا} جاءت مع {كَسَبَتْ}، و{عَلَيْهَا} جاءت مع {اكتسبت} إلا في آية واحدة يقول فيها الحق: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 81] ؛ لأن كسب تعني أن هناك فرقاً في المعالجة الفعلية بينها وبين كلمة {اكتسبت}، ولأن اكتسب فيها افتعل أي تكلف، وقام بفعل أخذ منه علاجًا، أما كسب فهو أمر طبيعي إذن فكسب غير اكتسب وكل أفعال الخير تأتي كسبًا لا اكتسابًا[2]، يقول الإمام: الآية عامّة خصّصها قوله: {لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَها} [البقرة:286]، ويحتمل أنّها عامّة في اللّفظ خاصّة في المعنى لدلالة الحال، ويحتمل أنّها فيما سبيله الاعتقاد دون العمل، ويحتمل أن تكون المحاسبة على وجه الإخبار دون السؤال والجزاء"[3].

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 628- 689)

(2) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر (ج2/ 1244)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 373)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرق بين المطابقة والتكافؤ:

استحسن ابن حجة الحموي تقسيم ابن أبي الإصبع: بقوله: " ولقد شفى ابن أبي الإصبع القلوب في ما قرره، فإنه قال: المطابقة ضربان: فالضرب الذي يأتي بألفاظ الحقيقة هو ما يسمي بالمطابقة الحقيقية، والضرب الذي يأتي بألفاظ المجاز: يسميه قدامة بن جعفر بالتكافؤ "[1].

أنواع الطباق:

أولًا: طباق الإيجاب

وهو الذي لا يختلف الضدان فيها إيجابًا وسلبًا. ومن أمثلتها في الأسلوب القرآني، قوله سبحانه: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154]**. فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون، وقد خص الله الشهداء بالذكر هنا تشريفًا لهم وتكريما أيضًا، فالمطابقة وقعت في الآية الكريمة بين " أموات: و"أحياء " . وهي مطابقة إيجاب، وبألفاظ الحقيقة، ومن ذلك أيضًا قوله سبحانه: **{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274]** يبين الحق سبحانه أن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، في جميع الأوقات بالليل والنهار، في السر والعلانية، بأن أجرهم على الله، وأنهم في الدرجات العالية في جنات الخلد، ولا خوف عليهم فيها، ولا يصيبهم فيها حزن أبدًا، فالطباق هنا وقع بين " الليل والنهار " وبين " السر والعلانية " وبين "لهم " و " عليهم" ، يقول الإمام في الآية الكريمة: "{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُمْ} نزلت في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت له أربعة دراهم ليس له غيرها، فسأله سائل بالنهار فأعطاه درهمين، وسأله سائل بالليل فأعطاه درهمين وخرج عن ماله فأنزل الله ثناء عليه"[2]، ومن ذلك أيضًا قوله سبحانه :**{فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان: 70]**، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن ظلمك"[3]، والمتأمل لهذه المطابقة بين الوصل والقطيعة، وبين العطاء والحرمان ، يدرك جمال الطباق، لما

(1) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج157/1)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 365)

(3) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ط الرسالة (ج24/ 15618/383)

" أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتصفح عمن شتمك "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحتويه الفعل " قطعك " من قطع مادى ومعنوي واجتماعي ونفسي، وقوله عليه السلام : "اليد العليا خير من اليد السفلى، اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله"[1]، فاليد العليا يد المعطي، والسفلى : يد المستعطي، وفي الحقيقة لا يد عليا ويد سفلى، وإنما المراد أن رتبة المعطي أعلى من الآخذ ، وبهذا يكون الطباق بين العليا والسفلى.

ثانيًا: طباق السلب

وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا، حيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد نحو قوله سبحانه: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} **[البقرة: 9]** يقول الإمام: "{يُخادِعُونَ اللهَ} يظنون أنهم يخادعون، والمخادعة فعل الخدع من اثنين على وجه المقابلة، وهو إظهار المحبوب مع إبطان المكروه، {وَما يَشْعُرُونَ} بأنّ خداعهم راجع إلى أنفسهم. والشعر هو العلم الدقيق الذي يتولّد من الفطنة، وهو من شعار القلب، ومنه سمّي الشاعر شاعرًا"[2]، يبين الله سبحانه وتعالى للمنافقين أنهم يخادعون أنفسهم بإظهارهم إيمانهم بالرغم من أنهم يسترون كفرهم، وجحودهم، بقوله { يخادعون الله } ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله {وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}؛ لأن المنافق يظن أنه يحسن لنفسه، وهو بذلك يوقعها في غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به ، فذلك خداع المنافق نفسه . فالطباق بين (يخدعون) و (ما يخدعون) طباق سلب بإيجاب الخداع، ونفيه لأنهما ضدان، ومن ذلك قوله سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} **[الزمر: 9]**، وقوله: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} **[المائدة: 116]**، وقد يكون أحد المصدرين في صيغة الأمر والآخر في صيغة النهي : كما في قوله سبحانه: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} **[الأعراف: 3]**. فطباق السلب وقع بين (اتبعوا) و(لا تتبعوا) ، وهذا النوع من الطباق يقع كثيرًا في القرآن الكريم، وفي مثله قول الحق سبحانه: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } **[البقرة: 216]** ففي الآية الكريمة مقابلة بين جملتين وفيها ما يسمى في علم البديع طباق السلب[3].

---

(1) ينظر: البخاري، صحيح البخاري (ج2/ 1429/112)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 109)

(3) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي (ج2/ 258)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: الطباق الخفي والمعنوي

يكون التضاد بين المعاني ظاهرًا جليًا كما في الأمثلة السابقة، ونحو قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: 267] يوضح الإمام:" فيها أمر بالنفقة فهو على الوجوب، ولذلك قلنا: "العشر واجب من قليل الخارج وكثيره. و(الخبيث): ضدّ الطيّب، والمراد به الحرام. وقيل: هو الرديء من الجنس، كالمهزول والمسنّ من السائمة"[1]، ومنها أيضًا قوله سبحانه: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} [آل عمران: 26] ، يقول الإمام: {مَالِكَ الْمُلْكِ} الذي تكون له المملكة وملك اليمين،{تُؤْتِي الْمُلْكَ} أي: البسطة والسّلطان، {وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ} تجذبه وتسلبه. {وَتُعِزُّ} تجعله عزيزًا من أيّ وجه كان، دنياويّا كان أو عقباويًّا، {وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} تجعله ذليلًا من أيّ وجه كان.{بِيَدِكَ الْخَيْرُ} أي: تحت يدك وسلطانك وتصرّفك وإحداثك. وإنّما خصّ الخير دون الشّرّ لمعنيين: أحدهما: أنّ الله يوصف بأنّه ربّ محمّد وربّ إبراهيم. والثاني: أنّ كلّ فعل لا يقع منه إلا حميدًا فيه"[2]. ويكون التضاد خفيًا: ومن أمثلته في الأسلوب القرآني قوله سبحانه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29] فالمطابقة هنا بين "أشداء" و"رحماء"، والرحمة ليست ضدًا في المعنى لأشداء، ولكن الرحمة تستلزم "اللين" الذي يتقابل ويتضاد مع " الشدة "؛ لأن من رحم لان قلبه ورق. فالتضاد ليس واضحًا، بل فيه خفاء، يقول الحق سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159] يقول الإمام في الآية الكريمة: " (اللّين): ضدّ الخشونة والفظاظة، ورجل ليّن الجانب إذا كان رقيقًا سهل المأخذ. و(الفظّ) في الأصل: ما في الكرش من الفرث، ورجل فظّ: سيّئ العشرة والخلق. وإنّما زاد (غلظ القلب) في الوصف للتأكيد؛ لأنّ من الناس من يكون رقيق القلب سريع الرّضا حسن المرجع مع سوء الخلق والعشرة"[3].

يقول الإمام في تفسيره قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة: 73] "ومجاهدة المنافقين هو التّعنيف في الملامة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 362)

(2) المصدر السابق (ج1/ 388)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 445)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإنذار والتّعزير والحبس ما لم يظهروا أمرهم، فإذا ظهر أمرهم فالسّيف، ومن علم منهم أنّه يتوب بلسانه تقيّة لم تقبل توبته، و(الغلظة): ضدّ الرّقّة. ولا تصلح المجاهدة بغير غلظة كما لا تصلح المسالمة بغير رفق"[1].

إيهام التضاد: " أن يجمع بين معنيين ليسا متقابلين، معبرًا عنهما بلفظين متقابلين، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر دعبل الخزاعي :

لا تَعْجبــي يْـــا ســـلمُ مِـــن رجـــلٍ ضَـــحكَ المشـــيبُ برأسِـــه فبَكَـــى

فإن ضحك بمعنى ظهر، وبكى بمعناه الحقيقي"[2] ، "ويسمى إيهام التضاد لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيًا لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرًا إلى الظاهر والحمل على الحقيقة"[3] فضحك المشيب من جهة المعنى ليس بضدٍ البكاء، لأنه كناية عن كثرة الشيب وانتشاره في الرأس، ومنه أيضًا قول الشاعر :

يُبــدي وشـــاحًا أبيضًـــا مِـــنْ ســـيبه والجـــوُ قـــدْ لـــبسَ الوشـــاحَ الأغبـــرا

فإن الأغبرا ، ليس بضد " الأبيض " وإنما يوهم بلفظه أنه ضد"[4]، يقول الحق سبحانه: **{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: 79]**، يقول الإمام:" ليس بين الآيتين تضادٌ؛ لأنّه تعالى قال: ما أصابك من حسنة، ولم يقل: ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيّئة فمن نفسك، ولو كان قال هكذا لحملنا الأوّل على الحكاية والثّاني على الاستفهام بمعنى الإنكار، وهذه في معنى قوله: **{وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ} [النّحل:53]**، **{وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشّورى:30]**، أي: النّعم مبتدأة من الله تعالى قبل الاستحقاق والاستيهال"[5]، وفي مثله يبين الإمام قول الحق سبحانه: **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ**

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 783)
(2) المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 321)
(3) أبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (ج2/ 190)
(4) عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 80)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 509)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} [فاطر: 45] بقوله: "المراد بالمؤاخذة المعالجة بالعقوبة، والوجه في إهلاك كلّ دابّة على ظهر الأرض عند مؤاخذة النّاس، {بِما كَسَبُوا} إنّما هو كون دوابّ الأرض كلّها لمنافع بني آدم واعتبارهم بها لا لمعنى مفرد، أوجب إهلاكهم إهلاكها، وفي الآية دلالة أنّ غضب الله غير مضادّ رحمته، فإنّه يريد الخير والشرّ على قضيّة حكمه لا على قضيّة رقة محرقة أو حدة مقلقة"(1)، والله بعد هذا كله يحلم عليه ويرأف به، ويمهله وإن كان لا يهمله، فهي الحكمة تصاحب القوة، وهي الرحمة تصاحب العدل {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: 34](2).

بلاغة الطباق:

إن بلاغة الطباق لا تكمن في الإتيان بلفظين متقابلين في المعنى فحسب، فإن هذا الصنيع لا طائل من ورائه، وهو أسهل شيء، بل قد يؤدي ذلك إلى التكلف والتصنع، وفساد المعنى، وإنما جمال الطباق وبلاغته يتجلى في بعده من التكلف، وانسجامه في المعنى، ولا يأتي مجرد، ففي العطف بقوله سبحانه: { وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: 27]، دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الحق سبحانه، فقد اجتمع فيه المطابق الحقيقية والعكس الذي لا يدرك، ومثل ذلك قول امرئ القيس:

مِكَــرٍ مفــرٍ مقبــلٍ مــدبرٍ معًــا   كجلمـودِ صـخرٍ حطَّـه السيلُ مـن علِ

فالمطابقة في الإقبال الإدبار، ولكنه لما قال: معًا، زادها تكميلًا في غاية الكمال (3). يقول الحق سبحانه: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: 103] يقول الإمام:" نزلت في الأوس والخزرج وتذكيرهم الضغائن واقتتال الطائفتين، قال ابن إسحق: كانت العداوة قائمة بينهم مئة وعشرين سنة، فأزالها الله تعالى بجمعهم على الإسلام، وقال الحسن: نزلت في جميع القبائل وما كان

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 493- 494)

(2) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج4/ 2179)

(3) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/160- 161)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينهم من الطوائل، فرفعها الله بالإسلام، و(الحبل): العهد، وعهد الله القرآن والإسلام،{وَلا تَفَرَّقُوا} أمر بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة؛ لأنّ ضدّ التّفرّق واحد وهو الإجماع، والنهي عن الشيء الذي له ضدّ واحد أمر بضدّه، و(التّأليف): التّوفيق وإزالة التّنافر "(1). أما في قوله سبحانه: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45]، يقول الإمام: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} كونها منافية لهما وجودها، فإنها موقوفة على شرائط فيها: الإيمان المضاد للكفر، والعقد مضاد للكسر، والطهارة المضادة للجنابة. والإنصات للكلام المتصور بهتانًا وغيبة وشتمًا وجدالًا، وترك الأكل المتصور حرامًا، والسترة المضادة للكشف، وترك الفعل المتصور قتالًا، وفيما روى أبو إمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقتًا"(2)، وثمّة أمر يستحقّ الإشارة إليه في هذا الموضع وهو أنّ الإمام كان يفسّر اللّفظ بضدّه أو نقيضه، ومن ذلك قوله: "والرّحمة منك إرادتك الخير بمن هو دونك في الرّتبة متّصلة بإنعامك عليه، وضدّه الفظاظة والجفاوة" (3).

وردت في تفسير الإمام أمثلة كثيرة على التضاد: "{بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ} يعني تحليل ما تعوّدوا تحريمه، وتحريم ما تعوّدوا تحليله، وما يشبهه من الابتلاء، و(الهوى): داعية النفس إلى لذّة عاجلة، وهو ضدّ الحكمة؛ لأنّها داعية العقل إلى ذخيرة آجلة"(4)، وفي قوله في تفسير الآية الكريمة:{فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ} أي: "فما ربحوا في تجارتهم"، والرّبح ضدّ الخسران "(5)، وقوله: ونقيض الإيمان: الإنكار، ونقيض الغيب: الشهادة"(6)، وقوله: و(الطّوع): قريب من الرّضا، وهو ضدّ الكره"(7)، وقوله: "و(المبارك):الذي بورك فيه أو عليه، وضدّه المشؤوم"(8)، وقوله: "الميل: الجور، ضدّ الإقرار"(9).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 418)

(2) المصدر السابق (ج2/ 433) ينظر الحديث: الطبراني، المعجم الكبير (11025/54/11)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 100)

(4) المصدر السابق (ج1/ 195)

(5) المصدر نفسه (ج1/ 113)

(6) المصدر نفسه (ج1/ 105)

(7) المصدر نفسه (ج1/ 411)

(8) المصدر السابق (ج1/ 415)

(9) المصدر نفسه (ج2/ 402)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: المقابلة

إن سر بلاغة كل من الطباق والمقابلة تداعي المعاني، فالضد أو المقابل يجلب إلى الذهن ضده، أو مقابله فإذا كتب الأديب أو نطق أحدهم وقع مقابلة في ذهن المتلقي الآخر، قبل أن يقرأه أو يسمعه.

المقابلة في اللغة والاصطلاح:

تعد المقابلة من المحسنات البديعية المعنوية التي ترجع إلى تحسين المعنى، وقد جعلها بعض علماء البلاغة مستقلة بذاتها، بعدما كانت عند بعضهم مختلطة مع الطباق، وكان قدامة ابن جعفر أول من تكلم عنها، وعدها فن مستقل بذاته وهي التي تعلي من قيمة العمل الأدبي، وخاصة الشعر، وقد عرفها بقولة: " وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطًا، ويعدد أحوالًا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك "[(1)]، وعرفها أبو هلال العسكري، بقوله: " هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى، واللفظ على وجه الموافقة، أو المخالفة، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل؛ مثاله قول الله تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: 52] ؛ فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم. نحو قوله سبحانه: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 50] فالمكر من الله تعالى: العذاب جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه، وأهل طاعته"[(2)]، يقول الإمام مفرقًا بين مكرهم ومكر الله: "{وَمَكَرُوا مَكْراً} وقتلوا الناقة، {وَمَكَرْنا} دمّرناهم. وقيل: مكرهم تقاسم هؤلاء التسعة رهط، ومكر الله إرسال الجبل عليهم، وهم في غار من الجبل"[(3)]. عرف ابن رشيق القيرواني بقوله: "المقابلة أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولًا، وآخره ما يليق به آخرًا، ويؤتى في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"[(4)]، وعرفها السكاكي بقوله: "المقابلة أن تجمع بين شيئين

---

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر (ص 47)

(2) أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص 337)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 414)

(4) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج2/ 15)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأكثر، وتقابل بالأضداد، ثم إذا شرط هنا شرطت هناك ضده "[1]، وعرفها الزركشى يقول: " هو ذكر الشيء مع ما يوازنه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها"[2]. فالمقابلة: أن يأتي المتكلم في كلامه بمعنيين متوافقين أو أكثر ليس بينهما تضاد، ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب، على شاكلة قوله سبحانه: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: 82]، فقد أتى الله سبحانه في هذه الآية بمعنيين يضحكوا وقليلًا وهما معنيان متوافقان أي ليس بينهما تضاد، ثم أتى بعد ذلك بما يقابلهما على الترتيب بقوله : وليبكوا وكثيرًا.

الفرق بين المطابقة والمقابلة:

يكمن الفرق بين المطابقة والمقابلة في وجهين:

الأول: أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبًا[3]، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك، كأن تكون مثلًا بين أربعة أضداد: ضدين في صدر الكلام، وضدين في عجزه، وقد تصل المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز[4].

الثاني: أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد، أما المقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولهذا جعل ابن الأثير، الطباق أحد أنواع المقابلة[5]، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة، وأعظم موقفًا. ويضرب ابن حجة مثلًا لذلك مشيرًا إلى معجزات هذا الباب في قوله سبحانه :{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [القصص 73] فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام، وهما ضدان، ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين، وهما السكون والحركة، على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ مرادف، فاكتسب الكلام بذلك ضربًا من المحاسن زائدًا على المقابلة[6].

---

(1) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 424)

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 458)

(3) المصدر السابق (ج3/ 458)

(4) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 129)

(5) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 458)

(6) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/129- 130)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواع المقابلة:

مقابلة اثنين باثنين: ومن ذلك في الأسلوب القرآني قوله تعالى :{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: 82] ، وقوله سبحانه :{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} [آل عمران: 26] ، وقوله أيضًا :{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ: 10- 11] ، وقوله سبحانه: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النمل: 86] ، فقد جاء في صدر هذه الآيات السابقة بضدين، ثم قابل الضدين بضدين لهما في عجزها، على الترتيب، ويوضح الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: 82] بذكر شواهد من القرآن تفسر القرآن بالقرآن: "{فَلْيَضْحَكُوا} {وَلْيَبْكُوا} وضحك الشّيء غاية ظهور جماله عند وجود مراده أو مسرّته أو شهوته أو حاجته الطّبيعيّة، يقال: ضحك الفجر إذا طلع، وضحك السّحاب إذا برق، وضحك الشّيب إذا تبيّن، وضحكت الشّمس إذا ازداد ضوؤها، وضحكت الأرض إذا اكتست بالأنوار"(1).

مقابلة ثلاثة بثلاثة: ومن أمثلة ذلك في قوله سبحانه:{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157] فالمقابلة بين " يحل ، و"يحرم " ، و" الطيبات والخبائث ". ومثله قوله سبحانه: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } [الحديد: 23]، ويشير الإمام بإيراده المقابلات الواردة في الآية الكريمة: "{لِكَيْلا} أخبرناكم وبيّنّا لكم، {لِكَيْلا تَأْسَوْا} والمراد بالأسى الأسى المضجر، وبالفرح الفرح المبطر، ما يعرض فيعرض عنه. وعن ابن عبّاس: أنّه ليس أحد إلا يفرح ويحزن، فمن أصابته مصيبة فليجعلها صبرًا، ومن أصابه خير فليجعله شكرا، {وَرَهْبانِيَّةً} تخليًا عن الأهل والمال لعبادة الله"(2).

مقابلة أربعة بأربعة: ومثاله قوله سبحانه: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } [الليل: 5 - 9] فالمقابلة بين قوله سبحانه " استغنى " و قوله " اتقى " لأن المعنى زهد فيما عنده، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وذلك يتضمن عدم التقوى. يقول الإمام موضحًا المقابلة في الآية الكريمة بذكره حديثًا لرسول الله صلى الله عليه يبين أعمال الناس حيث تنقسم لفريقين: "فريق ميسر عمله

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 789)

(2) المصدر السابق (ج2/ 620)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليكون من أهل الجنة، وفريق ميسر عمله ليكون من أهل النار: "عن جابر قال: سأل سراقة بن جعشم رسول الله عليه السّلام فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ قال: بل للأبد، قال: أخبرنا عن ديننا هذا كأنّا خلقنا له السّاعة، في أيّ شيء العمل، في شيء قد جرت فيه الأقلام، وثبتت فيه المقادير، أم في شيء نستأنف فيه العمل؟ قال: بل فيما تثبت فيه الأقلام، قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال عليه السّلام: "اعملوا فكلّ عامل ميسّر لعمله، ومن كان من أهل الجنّة يسّر لعمل أهل الجنّة، ومن كان من أهل النّار يسّر لعمل أهل النّار، ثمّ تلا هذه الآية: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى }" [1].

مقابلة خمسة بخمسة: قال علماء البديع كلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ ، فمن مقابلة خمسة بخمسة، وقد وقع ذلك في الشعر كثيرًا، ومن مثله قول أبي الطيب المتنبي :

أَزُورهـم وسـوادُ الليـلِ يشـفعُ لـي — وأنثنِـي وبيـاضُ الصـبحِ يُغـري بِـي

وضد الليل المحض هو النهار لا الصبح، والمقابلة الخامسة بين " بي " و "لي " ، فيها نظر لأن الباء ، واللام، صلتا الفعلين[2]، ومن صفات الأدب الجيد تلاحم وائتلاف ألفاظه وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد؛ لأن المعاني يستدعي بعضها بعضًا، وعلى هذا كلما ظهرت المطابقة أو المقابلة في الكلام بدعوة من المعنى لا تطفلًا عليه، كانت أنجح في أداء دورها المنوط بها في تحسين المعنى[3]، وكقول الشاعر:

ضِـدّان لمَّـا اسـتجْمَعَا حَسُـنا — والضـدُّ يُظهِـرُ حُسْـنَهُ الضِّـدُّ[4]

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 715) ينظر: الطبراني في الكبير (ج/7/120/6565)، وأخرجه مسلم في الصحيح (ج/4/2041/2648) بألفاظ متقاربة.

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 131)

(3) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 90– 91)

(4) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 64)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: المشاكلة

المشاكلة في اللغة:

المشاكلة، مفاعلة من الشكل: وهو الشبه والمثل، يقال: تشاكل الشيئان، وشاكل كل منهما صاحبه، "وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه"[1]، أي: صار شبيهًا له ومثيلًا، وفي فلان شبه من أبيه وشكل، وفي القرآن الكريم: {**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ۝ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ**} [ص 57- 58]، فالمشاكلة كالتشاكل معناها الموافقة والمماثلة، والشاكلة الناحية، والطريقة، "و(أشكل) الأمر التبس، و(شكل) الطائر والفرس بالشكال من باب نصر وكذا (شكل) الكتاب إذا قيده بالإعراب. ويقال أيضًا: (أشكل) الكتاب كأنه أزال به إشكاله والتباسه. و(المشاكلة) الموافقة و(التشاكل) مثله"[2]،

المشاكلة في الاصطلاح:

أما معناها في اصطلاح البلاغيين: هو ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، والمراد بالشيء في التعريف المعنى، فالمشاكلة، ذكر المعنى بلفظ غير لفظه الموضوع له، بل بلفظ موضوع لمعنًى آخر، والمسوغ لذكر المعنى بلفظ غيره هو وقوع ذلك المعنى في صحبة معنى آخر مدلولٍ عليه بلفظه الحقيقي. ويعدون من أنواع البديع المشاكلة، ويعنون بها ذكر الشيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته[3]، وسماها الرماني بالمزاوجة[4]، و"(المشاكلة) الْمُمَاثَلَة و (عِنْد أهل البديع) أَن يذكر الشَّيْء بِلَفْظ غَيره لوُقُوعه فِي صحبته"[5]. وتناولها كثير من أهل البلاغة المتقدمين والمتأخرين، وإنَّ أول من أطلق عليها تسمية المشاكلة أبو علي الفارسي [6]، والسكاكي في مفتاح العلوم يعرفها بأن: " تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته"[7]، وعرفها الخطيب وغيره، فقال: " ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، تحقيقًا أو تقديرًا ". ومثل لها من القرآن بقوله: {**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ**

---

(1) ابن منظور المصري، لسان العرب (ج11/ 356)

(2) الرازي، مختار الصحاح (ص 168)

(3) ينظر: أحمد البدوي، من بلاغة القرآن (ص 142)

(4) ينظر: الرماني، النكت في اعجاز القرآن (ص 99)

(5) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1/ 491)

(6) ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية (ج3/ 258)

(7) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 424)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: 116] فأطلق النفس على ذات الله. وقوله تعالى: {جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: 40] فسمى الجزاء سيئة، أما وقوعه تقديرًا فقد مثل له بقوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } [البقرة: 138] ،أي تطهير الله[1]، ففي الآية: وقعت لفظ سيئة الثانية، وليس مقصودًا بها حقيقة السيئة التي يُعاقب المرء على فعلها، وإنما المقصود بها الجزاء الواقع بالمعتدي، فقد ذكر الجزاء هنا بلفظ السيئة، والذي سوَّغ وقوع الجزاء بلفظ السيئة وقوعه في صحبة السيئة الأولى في الآية؛ حيث قصد بها معناها الحقيقي وهو الفعل المنهي عنه، وقول الشاعر:

مـنْ مبلـغِ أبنـاءِ يعـربَ كلهـا   أنّـي بَنيـتُ الجـارَ قبـلَ المنـزلِ

وفي البيت، جاءت كلمة بنيت إلى جانب الجار، وهو لا يقصد بها حقيقة البناء؛ لأن الجار لا يُبنى، والذي يبنى هو الجدار أو المنزل، ومن ثم جاء هذا المعنى مذكورًا بلفظٍ غير لفظه الموضوع له. والذي سوغ ذلك هو وقوع هذا المعنى بصحبة البناء الحقيقي، وهو بناء المنزل، فالمشاكلة أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدًا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسمى غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط والفظ، ومفهومهما مختلف[2].

أقسام المشاكلة:

1- المشاكلة التحقيقية:

ما كان وقوع المعنى في صحبة غيره وقوعًا محققًا، يعني: أنه وارد في اللفظ، كما نراه في الأمثلة السابقة، فوقوع سيئة الثانية في الآية الكريمة: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: 40] ، مرادًا بها الجزاء والعقاب، وإنما صح لوقوع المعنى الآخر معبرًا عنه بلفظه الخاص به، وهو سيئة الأولى، وهو وقوع حقيقي.

---

(1) ينظر: المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج2/ 424)

(2) ينظر: ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص 393)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- المشاكلة التقديرية:

في قول الحق سبحانه: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} [البقرة: 138] فقوله: صبغة الله أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة(1).

أصالة المشاكلة في القرآن:

المشاكلة هي أن يعمد المتكلم إلى معنى غير موجود فيقدره موجودًا من جنس معنى قابله به مقابلة الجزاء أو العوض ولو تقديرًا كقوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142] عبر عن العقاب بالخداع لوقوعه جزاء عن الخداع، يقول الحق سبحانه: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: 9]، يقول الإمام: {يُخادِعُونَ اللهَ} يظنون أنهم يخادعون. والمخادعة فعل الخدع من اثنين على وجه المقابلة. وهو إظهار المحبوب مع إبطان المكروه، {وَما يَشْعُرُونَ} بأنّ خداعهم راجع إلى أنفسهم، والشعر هو العلم الدقيق الذي يتولّد من الفطنة، وهو من شعار القلب، ومنه سمّي الشاعر شاعرًا"(2).

من أمثلة المشاكلة قول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } [البقرة: 26]، يقول الإمام: "{إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي} نزلت في المنافقين، قال ابن عبّاس وابن مسعود: إنّ الله تعالى لمّا ضرب المثلين اللّذين سبق ذكرهما قالوا: إنّ الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله الآية. وقال الحسن وقتادة ومقاتل وغيرهم: إنّ الله تعالى ضرب للأوثان المثل بالذّباب، وللكفّار المثل بالعنكبوت، فقال المشركون: إنّ ربّ محمّد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، فأنزل الله الآية. الاستحياء امتناع يقضيه الكرم، وقد ورد وصفه تعالى به، قال صلّى الله عليه وسلّم مخبرًا عن الله تعالى:" الشّيب نوري، وأنا أستحيي أن أحرق نوري بناري"(3) ، وقال ابن عبّاس: إنّ الله

---

(1) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (ج1/ 312)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 109)

(3) ينظر الحديث: عصام الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية (ج1/64/1108) والحديث موضوع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حييّ كريم، والكرم ههنا لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة إيجاده وتدبيره وحفظه"[1].

تفسير الإمام وشرحه للآية تعبير على أن نزولها في المشركين والمنافقين، وفي تفريقه بين حياء محمد صلى الله عليه وسلم وادعائهم، فالاستحياء كما قال الإمام امتناع يقضيه الكرم، وقد ورد وصفه تعالى به، وكما قال صلّى الله عليه وسلّم مخبرًا عن الله تعالى: "الشّيب نوري، وأنا أستحيي أن أحرق نوري بناري"، وقال ابن عبّاس: إنّ الله حييّ كريم، ومن هنا جاءت يستحي تقديرًا لسؤالهم: أما يستحي أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت كنوع من المشاكلة اللفظية وهي بهذا وقعت في كلامهم، فجاءت على سبيل المطابقة، وإطباق الجواب على السؤال.

أما في قول الحق سبحانه: {إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} **[البقرة: 14-15]**، يأتي الإمام عبد القاهر الجرجاني على ذكر المشاكلة موضحًا وشارحًا دون أن يكون تفسيره وشرحه وتوضيحه معنونًا بالمشاكلة فيقول: "{اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} "يجازيهم على استهزائهم"، كقوله: {وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها} **[الشورى:40]**، وقوله: {فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا} **[البقرة:194]**، وقال الشاعر: [من الوافر]:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علَيْنَا   فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا [2]

يقول الحق سبحانه: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} **[النحل: 126]** يقول الإمام: "فلمّا كان يوم أحد قيض الله الكفّار ففعلوا به ما تمنّاه، فمرّ به من سمع مقالته فقال: أمّا هذا فقد أعطاه الله في نفسه ما سأله في الدنيا وهو يعطيه ما سأله في الآخرة. ولمّا بلغ الأمر هذا المبلغ همّ صلّى الله عليه وسلّم أن يعمّهم بالدّعاء وأن ينال منهم ضعف ما نالوا فأنزل: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} الآية **[النّحل:126]** "[3]، أطلق الحق سبحانه في هذه الآية الكريمة اسم العقوبة على الجناية الأولى في قوله: {بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} والجناية الأولى ليست عقوبة؛ لأن القرآن بلسان عربي مبين، ونظير الآية الكريمة في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج1/ 130)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 112)
(3) المصدر السابق (ج1/ 431)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إطلاق إحدى العقوبتين على ابتداء الفعل مشاكلة للفظ الآخر، يقول الحق سبحانه:{**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**} **[النساء: 108]**، يقول الإمام: "{يبيّتون}: والتّبييت إذا وقع على المعاني هو التّفكير باللّيل، وإذا وقع على الذّوات فهو مكرها باللّيل، قال الله تعالى: {**إِذْ يُبَيِّتُونَ**} **[النّساء:108]**، وقال: {**لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**} **[النمل:49]**، وهو واقع ههنا على غير قولهم، وهي قريبة من قوله: {**وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ**} **[البقرة:14]**.{وَاللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ}: في اللّوح المحفوظ، وقيل: كتابة الحفظة"[1]، فأسلوب المشاكلة أسلوب أصيل في القرآن الكريم، وهو جدير بأن يلحق بأقسام البيان الأصيل، لأنه من مقتضيات الأحوال، فهي إما مجاز مرسل كقوله سبحانه:{**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**} **[الشورى:** 40] وما جرى مجرى هذه الآية، وإما استعارة كقول أبى الرقعمق[2]:

قالُوا اقترحْ شيئًا نَجِدْ لكَ طبْخَهُ ... قُلتُ اطبُخوا لي جبةً وقميصَا

عبر عن صنع الجبة والقميص بالطبخ لوقوعه عوضًا عن الطبخ، فالمشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز والكناية، وقيل: إنها دائما مجاز مرسل علاقته المجاورة التي هي هنا الوقوع في الصحبة، وقيل: إنها تجامع المجاز المرسل والاستعارة إن لوحظ علاقتهما، وإلا فهي واسطة – قاله بعض المشايخ، "وقد خالف عبد الحكيم القول بأن المشاكلة من المجاز فقال معلقًا عليه: " القول بكونه مجازًا ينافى كونه من المحسنات البديعية، وأنه لا بد في المجاز من اللزوم بين المعنيين في الجملة، فتعين الوجه الأول "[3].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/509– 510)

(2) هو أحمد بن محمد الأنطاكي من شعراء الشام ومدح ملوك مصر وكان في زمن كافور توفي سنة 399هـ ينظر: موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور (ص 47)

(3) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج2/ 426)

عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي: (000 – 1067 هـ = 000 – 1656 م) فاضل، من أهل سيالكوت التابعة للاهور، بالهند. اتصل بالسلطان (شاهجان) فأكرمه وأنعم عليه بضياع كانت تكفيه مؤنة السعي للعيش. له تآليف، منها (عقائد السيالكوتي – ط) و(حاشية على تفسير البيضاوي – ط) لم تكمل، و (زبدة الأفكار – ط) حاشية على شرح العقائد النسفية، و(حاشية على الجرجاني – ط) في المنطق، و(حاشية على القطب، على الشمسية – ط) منطق، و (حاشية على المطول – ط) بلاغة، و(حاشية على شرح تصريف العزي للسعد). ينظر: الزركلي، الأعلام(ج 3/283)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما قول الحق سبحانه: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: 138] يقول الإمام: "{صِبْغَةَ اللهِ} دين الله ، ردّا على (الملّة)، كأنّها تدلّ عليها، وهو اسم من الصبغ، وهو تلوين الشيء، سمّي بذلك لأنّه يؤثّر في المتديّن كالصبغ، قال الفرّاء: كانت النصارى إذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء لهم، يعدّون ذلك تطهّرا لهم كالختان، وقيل: كانت النصارى تصبغ أولادها بماء لهم أصفر، يريدون أنّه يصير بذلك نصرانيًّا خالصًا، ويقولون للمرتدّ: إن ارتددت فانصبغ بهذا الماء، {وَمَنْ أَحْسَنُ} استفهام بمعنى الإنكار، معناه: ليس أحد أحسن،{مِنَ اللهِ صِبْغَةً} "دينا". وممّا قام مقام الصبغ: {سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح:29] ، وورودهم على الحوض غرّا محجّلين من آثار الوضوء"[1]، وكما ذكر الإمام جواز أن تكون فيه مشاكلة تقديرية لما يصنعه النصارى، من صبغهم أولادهم بماءٍ أصفر يسمونه المعمودية، يزعمون أنه يطهر المولود، وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول: لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلًا يصطنع الكرم، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهّرهم من رجس الكفر، فلا صبغة أحسن من صبغته.

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 254)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : التورية

التورية في اللغة:

التورية نمط من التعبير فيه خلابة وله أسر، ومادة " ورى " تدور في اللغة حول الاختفاء والستر قال: واريت كذا إذا سترته، يقول الحق سبحانه:{يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: 26] وتوارى: استقر، ويقول الحق سبحانه: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص 32] [(1)]، مصدر وريّت الخبر تورية: إذا سترته، وأظهرت غيره[(2)]، هي مصدر ورى الخبر إذا ستره وأظهر غيره[(3)]، وأصل التورية في اللّغة: "إرادةُ الشيءِ وإظهارُ غيره إيهامًا، وقد جاء في كتب السيرة النبويّة أن الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أراد غزاة أو سفرًا إلى جهةٍ ورَّى بغيرها، ليعمّي الأخبار، حتَّى لا يترصَّد له الأعداء، وتسمى أيضًا بالإيهام والتوجيه والتخييل، والتورية أولى بالتسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنها مصدر (وريت الخبر تورية) إذا سترته وأظهرت غيره فكأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر"[(4)].

التورية في الاصطلاح:

أن يذكر لفظ له معنيان، أحدهما قريب أي: دلالة اللفظ عليه ظاهرة؛ لكثرة استعماله فيه، والثاني بعيد أي: دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه، ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على قرينة، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فلفظ {اسْتَوَى} له معنيان: قريب وهو الاستقرار في مكان، وبعيد وهو الاستيلاء على الشيء بالقهر والغلبة، والمراد منه في الآية المعنى البعيد، والقرينة على إرادته استحالة المعنى القريب على الله تعالى، ويسمى هذا النوع إيهامًا؛ لأن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ معناه القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أن المتكلم يريده، وهو ليس بمراد[(5)]، فهي أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد،

---

(1) ينظر: المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج2/ 420)

(2) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 300)

(3) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص227- 328)

(4) أبو البقاء الحنفي، الكليات (ص 277)

(5) ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج1/ 166)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد، لكن يورى عنه بالمعنى القريب، ليسبق الذهن إليه ويتوهمه قبل التأمل، وبعد التأمل يتنبه المتلقي فيدرك المعنى الآخر المراد.. [1]، يوضح الإمام قوله سبحانه: " {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} **[الأعراف: 54]** يدلّ [على] أنّ العرش لم يكن مستوى عليه في هذه الأيّام السّتّة مع كونه موجودًا من قبل لقوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} **[هود:7]**، وهذا الكلام يفيد كون العرش آية على الرّبوبيّة يوجب العلم لمن شاهده من غير استدلال، فإنّ العيون تتّجه إليه عند رؤية من تعالى عن الجهات، وإنّ الأسماع تصغي إليه عند استماع كلام من تعالى عن المخارج واللهاة"[2]، وفي كلام الإمام إشارة إلى التورية حين يقول: "يجتهدوا في الفروع بالبحث عن النّاسخ والمنسوخ، والظّاهر القريب والخفيّ البعيد، وأن يميزوا الصّحيح من السّقيم، والمتواتر من الآحاد، والمتعارف المعتاد بين النّاس من النّادر والشّادّ، وأن يتحرّوا الأشبه فالأشبه"[3]. فالمعنى القريب: الاستقرار في مكان.. المنزه عنه سبحانه.. والمعنى البعيد: الاستيلاء والتصرف؛ ونحو: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} **[سبأ: 28]** فالمعنى القريب هو العموم.. والبعيد هو الكف والمنع.. و"التاء" للمبالغة، والمعنى القريب غير مراد؛ لأن التوكيد لا يتقدم على المؤكد[4]،

يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} **[البقرة: 104]** يوضح الإمام المعنى والدلالة فيقول: "نزلت في النهي عن لفظة كان المسلمون يتلفظون بها، ويلحن فيها اليهود ليّا بألسنتهم يريدون الشتم، وهي لفظة (راعنا)، قال ابن عرفة: هو من المراعاة، والعرب تقول: راعني، أي: تعهّدني، وافهم عنّي وأفهمني. وقال الأزهري: ظاهرها: أرعنا سمعك وكانت اليهود تذهب بها إلى الرعونة، والأرعن: الأحمق. وقيل: كانوا يقولون: راعينا، يعنون راعي السائمة. فنسخ الله تعالى تلك الكلمة بقوله: {أَنْظُرْنا} أي: انتظر وارتقب ما يكون منّا من سؤال أو نحوه، والإنظار: التمهيل، والنّظرة: المهلة، ونظرت الشيء، أي: انتظرته، قال الله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} **[فاطر:43]**، وقال: {أَنْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} **[الحديد:13]** "[5]. ويبين في موضع آخر: "ويحتمل أنّهم كانوا يقولون: (راعنا) متابعة لليهود، ويظنّون أنّه أحسن للخطاب، ويستدلّون بكون اليهود أعرف

---

(1) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 373)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 658)
(3) المصدر السابق (ج1/ 712)
(4) ينظر: محمد عبد المنعم القيعي، الأصلان في علوم القرآن (ص 327)
(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 216)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بخطاب الأنبياء منهم لقراءتهم الكتب، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأعلمهم قبح موافقة اليهود، وما يؤدّون إليه من الكفر والضّلال،{ **أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران: 49]**"[1]، نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقامهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص، عليهم لعائن الله فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعونة كما قال تعالى: {**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ } [النساء: 46]** ، وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون السام عليكم، والسام هو الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ وعليكم وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولًا وفعلًا [2]، وفي قوله سبحانه: **{وَلَمَّا فَصَلَتِ العير قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ◉ قَالُواْ تالله إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القديم} [يوسف: 94 - 95]**، تُفَنِّدُونِ: تُخَطِّئُوني بأنّي أُحسُّ بإحْسَاسٍ من أصابَهُ الخرفُ وضعُفَ رأيُه، فصار يتصوّر تصورات باطلات، وتلاحظ التورية في عبارتهم: {إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القديم}[3]، وفي التورية معانٍ ليست وصفًا لله، وهى قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام: **{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} [يوسف: 95]**؛ لأن الضلال يُحمل على ضد الهدى ويحتمل الحب، فاستعملوه مريدين به ضد الهدى مورين به عن الحب ليعلم أن المراد ما أهملوا، لا استعملوا، ويقول الإمام:"{إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ} قول أولاده، ضللوه مثل آبائهم من قبل{الْقَدِيمِ} المقدم كونه"[4].

دواعي التورية:

لا يحسن بلاغيًا استخدام التورية إلا إذا دعا داع بلاغي يقتضيه ذلك، وهذا الداعي مما يقصد لدى أذكياء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرف خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقي والتأثير في نفسه بما يعجبه من أداء فني يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 223)

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير ط العلمية (ج1/ 256– 27)

(3) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 374)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 145)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من دواعي. فليس كل كلمة لها معنى قريب ولها معنى بعيد على وجه الحقيقة أو المجاز يحسن استخدامها، وقصد المعنى البعيد بها، على سبيل التورية، دون مراعاة أو ملاحظة داع بلاغي يقصد لدى البلغاء الفطناء(1) .

أنواع التورية:

التورية أن يطلق لفظ له معنيان، أحدهما قريب غير مراد، والآخر بعيد هو المراد، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية لا يدركها إلا الفطن، وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام: مجردة، ومرشحة ومبينة ومهيأة.

المجردة: هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين: كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال هذه أختي – أراد أخوة الدين، وكقوله سبحانه: {**وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ**} [**الأنعام: 60**] فإنه يحتمل (الجارحة) وهو القريب.

المرشحة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد، فكانه ضعيف، فاذا ذكر لازمه تقوى به، نحو: { **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**} [**الذاريات: 47**] ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على وجه الترشيح:، ويحتمل (القدرة) وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

المبينة: هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد – سميت بذلك لتبيين المورى عنه، بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفيًا

المهيأة: هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها(2).

مسميات التورية:

تسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه، وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد ويريد المعنى البعيد يوهم السامع أنه أراد القريب مثاله قوله سبحانه: {**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**} [**الرحمن: 6**]، أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر(3)، وسميت التورية بالمغالطة

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 374)

(2) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 300)

(3) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 445)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعنوية وهي أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة الاشتراك فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ، وذلك لأن الوضع في اللفظة المشتركة أن تكون دالة على معنيين فصاعدًا على جهة البدلية، هذا هو الأصل في وضع اللفظ المشترك، فإذا كان المعنيان مرادين عند إطلاقها، فإنما هو بالقصد دون اللفظ، والتفرقة بين المغالطة والإلغاز هو أن المغالطة كما ذكرناه إنما تكون بالألفاظ المشتركة وهى دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعًا، وقد يرادان جميعًا بالقصد والنية، بخلاف الإلغاز، فإنه ليس دالًا على معنيين بطريق الاشتراك ولكنه دال على معنى من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ[1].

يكرر ويكثر الإمام في تفسيره لفظة (ويحتمل) كثيرًا حيث وردت أكثر من مئتي مره وهو يريد تعدد الوجوه في قضايا النحو والصرف والتفسير والبلاغة والفصاحة وإيراد المعنى القريب والمعنى البعيد، على أن يرجح أحيانًا في بعضها رأيه وفي كثيرها يترك الأمر لتأمل الوجوه وتباينها: يقول الإمام: "{لَرَجَمْنَاكَ}: شتمناك، وقذفناك ويحتمل: الرجم بالحصى"[2]، ويذكر في موضع آخر: {شَرَوْهُ} يحتمل: البيع من إخوة يوسف. ويحتمل: الاشتراء من السيارة. ذكر في التواريخ: "أنّ إخوة يوسف لما رجعوا من الغد إلى البئر، لم يجدوا يوسف فيها، فافتقدوه، فوجدوه في هذه الرفقة، فأوهموه أنه عبد آبق، وباعوه منهم بعشرين درهما. وقيل: باثنين وعشرين.{بَخْسٍ} باخس، أو مبخوس"[3]، ويقول أيضًا:"{زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} الذكر والأنثى، إن كان المراد بالثمرات ثمرات النفوس، والمتشابهات: المتجانسات. وإن كان ثمرات النبات، ووجه التأكيد: نفي التوحيد، كما في قوله: **{لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ} [النحل:51]**، ويحتمل: أنّ المراد بالزوجين اثنين: الرطب واليابس، أو الجيد والرديء، أو المستطاب والمستبشع، أو الربعيّ والحرفيّ، أو ما يصلح للناس والدواب"[4]، ويقول: {أَمْوَاتٌ} أي: الذين تدعونهم من دون الله، وهم الشيطان والفراعنة أموات بقلوبهم، ليست لهم حياة الإيمان. ويحتمل: أنّ المدعوين قوم درجوا وانقرضوا من هؤلاء الشياطين والفراعنة. ويحتمل: الأصنام على سبيل الحقيقة عند من يجعل الموت والجمود شيئًا واحدًا، وعلى سبيل المجاز عند من يجعل الموت معنى تعقب الموت"[5].

---

(1) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/36)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 113)

(3) المصدر السابق (ج2/ 125)

(4) المصدر نفسه (ج2/ 148)

(5) المصدر نفسه (ج2/ 184)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: اللف والنشر

اللف والنشر في اللغة:

"التف الشيء: تجمع وتكاثف. لففت الشيء لفًا ولففته"، "والنشر: القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس. وجاء القوم نشرًا أي متفرقين"[1].

اللف والنشر في الاصطلاح:

ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالًا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال، اللف والنشر، عبارة عن ذكر متعدد، سواء كان اثنين أو أكثر، إما مفصلًا أو مجملًا بأن يشمل ذلك التعدد لفظ عام بالاستغراق، أو الصلاحية، وهذا هو اللف، ثم يذكر ما لكل، أي: ما يختص به كل واحد من ذلك المتعدد، من غير تعيين واحد منها لآخر، وثوقًا بأن السامع يرده إليه بقرينة حالية[2]، ويسميه بعض البديعيين (الطي والنشر): وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية. وهذا يعني أن تذكر شيئين فصاعدا إما تفصيلًا فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالًا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به من غير حاجة إلى أن تنص أنت على ذلك[3].

أقسام اللف والنشر:

اللف والنشر ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم "ذكر" ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه، فالأول ضربان؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف، كقوله سبحانه: **{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [القصص 73]**[4]، وإنما اللف، والنشر: أن يَذْكَرَ شيئين ثم يُرْمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد كل تفسير إلى اللائق به[5]، وكلنا يعرف أن الليل للراحة والنهار للتعب. والليل يسلم للنهار،

---

(1) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لف (ج9/318)، مادة نشر (ج5/208)

(2) ينظر: السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ج2/ 246)

(3) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 175)

(4) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 600)

(5) ينظر: البسيلي، التقييد الكبير للبسيلي (ص 561)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنهار يسلم لليل. إذن فالمسكن يعود إلى الليل، وابتغاء الفضل بالكد يعود إلى النهار. إذن فقد جاء الحكم على طريق اللف والنشر المرتب، وأوضحت من قبل كيف أن الشاعر العربي قد فعل ذلك فقال:

قَلبِـــي وجَفنِـــي واللســـانُ وخَـــالقِي راضٍ وبـــاكٍ شـــاكرٌ وغفـــورُ

فالقلب راض، والجفن باكٍ، واللسان شاكر، والخالق غفور، ولكن الشاعر جاء بالأحكام منشورة بعد أن لف الكلمات الأربع الأولى. أي أنه طوى المحكوم عليه مع بعضه ثم نشر الأحكام [1].

والثاني: كقوله سبحانه: **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [البقرة: 111]** ؛ فإن الضمير في "قالوا" لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فَلَفّ بين القولين ثقة بأن السامع يردّ إلى كل فريق قوله، وأمنًا من الإلباس؛ لِمَا عُلم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه[2]. فاللف والنشر هو أن يذكر شيئين أو أشياء، إما تفصيلًا بالنص على كل واحد أو إجمالًا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به فالإجمالي كقوله سبحانه: **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111]** أي وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى وإنما سوغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران[3].

يأتي الإمام على تلميحات للف والنشر بقوله في تفسير الآية الكريمة: **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [البقرة: 111]** فيوضح: "ويحتمل أنّ يهود وهودًا لمّا تشابها في اللفظ أقيم هود مقام يهود للتخفيف مع عدم الإيهام. {تِلْكَ} إشارة إلى كلمات القبيلتين {أَمانِيُّهُمْ} الأماني جمع أمنيّة، وهي اسم من التّمنّي وهو التّشهّي. و(البرهان):الحجّة الواضحة، يقال: برهن الرجل، إذا ذكر حجّة قوله وكان البرهان المطلوب منهم تمنّي الموت"[4]. فالإمام

---

(1) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر (ج6/ 3405)

(2) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 601)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 320)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 226-227)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حين يذكر فيمن نزل قوله سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ} [البقرة: 94] مبينًا أن تلك أمانيهم ويشير إلى كلمات القبيلتين ويقصد الفريقين: اليهود والنصارى ومن ثم يذكر البرهان المطلوب من الفريقين وهو تمنى الموت، وهو بهذا يلمح باللف والنشر بذكر المتعدد على جهة الإجمال.

أما قوله سبحانه: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: 6 - 11] فإن قوله: {فأما اليتيم فلا تقهر} راجع إلى قوله: {ألم يجدك يتيما فآوى} {وأما السائل فلا تنهر} راجع إلى قوله: {ووجدك ضالًا} فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره {وأما بنعمة ربك فحدث} راجع إلى قوله: {ووجدك عائلًا فأغنى} والثاني: أن يكون على عكس ترتيبه كقوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: 106-107][1]. {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ} تفصيل لأحوال الفريقين وابتدأ بحال الذين اسودت وجوههم لمجاورته وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ وليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر"[2].

لا يأتي الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله– على ذكر الاصطلاحات البلاغية التي عرفت متأخرًا عدا المعروفة والمتداولة في زمانه كما ورد فيما سبق ذكره في الفصول السابقة، لكنه يقترب كثيرًا من هذه التصنيفات بتوضيحه وتبيانه وإشاراته وتلميحاته، وهنا أيضًا لا يذكر اللف والنشر بمسماه ولكنه في تفسيره الآيات من سورة الضحى يوضح ويشرح كل تعيين بقرائن لفظية ومعنوية وبترتيب الآيات الكريمة: "{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى} إلى بيت عبد المطّلب، ثمّ إلى بيت أبي طالب، {وَوَجَدَكَ ضالاًّ} لا على الطّبيعة البشريّة التي هي النّفس الأمّارة بالسّوء، فهداك بالعقل قبل الوحي بالكتاب.{وَوَجَدَكَ عائِلاً} محتاجًا {فَأَغْنى} باطنه بالتّوفيق للتّفويض والرّضا بالقضاء، وأغنى ظاهره بأن حرّم عليه الصّدقة، وجعل يده العليا، ومدّه بمال خديجة وأبي بكر، وخمس المغنم، فكان ينفق ولا يخاف من ذي العرش إقلالًا، وهو يعيش في خاصّة نفسه عيشة الفقراء يجوع يومًا وينفق يومًا، {فَلا تَقْهَرْ} تبخس حقّه، واستخدامه، {فَلا تَنْهَرْ} تزجره، عن عبد الرّحمن السّلمانيّ، عنه عليه السّلام: "إذا سأل السّائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثمّ ردّوا عليه بوقار ولين، أو ببذل يسير أو بردّ جميل،

---

(1) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 321)

(2) الألوسي، تفسير روح المعاني (ج2/ 242)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنّه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جانّ ينظرون كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله" {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} في معنى قوله: "إذا أنعم الله تعالى على عبده نعمة أحبّ أن يرى أثرها عليه" والحديث بالنّعمة: هو الشّكر"[1].

قد يكون الإجمال في النشر لا في اللف بأن يؤتى بمتعدد ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما كقوله سبحانه: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} **[البقرة: 187]** على قول أبي عبيدة أن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل[2]، وذكر الزمخشري قسمًا آخر كقوله سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} **[الروم: 23]** قال: هذا من باب اللف وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين. لأنهما زمانان. والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللف على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما، والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن [3].

ترى كذلك هذا النمط البليغ في القرآن الكريم في سورة هود في قوله: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} **[هود: 24]** جاء هذا الأسلوب في هذه السورة الجامعة (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ) على الإجمال لأن الفريقين هاهنا هم الكافرون والمؤمنون فجاء على الإجمال ثم جاء بعد ذلك النشر على التفصيل (كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ) فيردّ ذلك للكافرين (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) فيردّ ذلك للمؤمنين لتكون مقالة جامعة فارقة بين هذين الفريقين من البشر الذي ليس فيهما فريق ثالث فهي من أجمع وأوجز الأساليب في القرآن الكريم في هذا المعنى جاءت على طريق اللف والنشر المجمل، وفي هذا يقول الإمام موجزًا: "{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} أحدهما: {مَنْ يَكْفُرْ بِهِ} **[هود:17]**، الذين افتروا على الله كذبًا، والآخر: من هو على بينة من ربه"[4].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 717)

(2) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 321)

(3) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/ 473)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 100)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: التجريد

التجريد في اللغة:

يقول ابن منظور "جرد الشيء: يجرده جرداً وجرَّدهُ: قشرهُ " [1]، والتجريد مصدر جردته من ثيابه إذا نزعتها عنهُ [2]، قشر الشيء، كقشر اللحاء عن الشجرة حتى تكون مجردة من لحائها، وإزالة ما على الشيء من ثوب ونحوه، وتعريته، وإزالة ما على الجلد من شعر ونحوه، فالتجريد في أصل اللغة هو إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، فيقال: جرّدت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه، إذا أزلتهما عنهما، ومنه قوله عليه السلام: "لا مد ولا تجريد" يعنى في حد القذف وحد الشرب، وأراد أن المحدود لا يمد على الأرض ولا يجرد عن ثيابه[3].

التجريد في الاصطلاح:

أن ينتزع المتكلم الأديب من أمر ما ذي وصف فأكثر أمرًا آخر فأكثر مثله في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة وبصيغة أخرى وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة، وذلك لكمال تلك الصفة في الأمر الآخر[4]، ويظهر معنى المبالغة حينما نلاحظ أنها قائمة على ادعاء أن الشيء الذي ينتزع منه مثله على سبيل التجريد هو بمثابة الذي يفيض بأمثال ما يستخرج منه دوامًا، فمن قال: " لي من فلان صديق حميم" فكأنما جرد فلانا من كل ظواهره واستخرج منه صديقًا حميمًا. وعرفه القزويني بقوله: " وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخرٌ مثلُهُ فيها مبالغة لكمالها فيه، وهو أقسام: منها نحو قولهم: من فلان صديق حميم، أي بلغ فلان من الصداقة حداً صحَّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها، ومنها نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنَّ به البحر [5]. فأما في مصطلح علماء البيان فهو مقول على إخلاص الخطاب إلى غيرك وأنت تريد به نفسك، وقد يطلق على إخلاص الخطاب على نفسك خاصة

---

(1) ابن منظور: لسان العرب: مادة (جرد).

(2) ينظر: ابن معصوم المدني، أنوار الربيع (ج6/ 153)

وأحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية (ج2/ 40)

(3) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 41)

(4) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 189)

(5) ينظر: القزويني، التلخيص(ص 368) وابن حجة، الحموي خزانة الأدب (ج2/ 438)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون غيرها، وهو من محاسن علوم البيان ولطائفه، وقد استعمل على ألسنة الفصحاء كثيرًا فصار مقولًا على هذين الوجهين"[1].

بلاغة التجريد:

التجريد أسلوب لطيف فيه شيء من الغموض الفني بما يحتاج إلى تأمل ونظر في كشف دلائله فهو طريف حسن. يذكر ابن الأثير في المثل السائر فائدتين للتجريد: "إحداهما أبلغ من الأخرى، فالأولى: طلب التوسع في الكلام، فإنه إذا كان ظاهره خطابًا لغيرك، وباطنه خطابًا لنفسك، فإن ذلك من باب التوسع، وأظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات، والفائدة الثانية: وهي الأبلغ، وذاك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح، أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبًا بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة، فيما يقوله غير محجور عليه[2].

أساليب التجريد:

الأسلوب الأول: التجريد باستخدام حرف الجر "من" داخلًا على المنتزع منه.

ومن أمثلته: قولهم: "لي من فلان صديق حميم". أي: بلغ من الصداقة والمودة الصحيحة مبلغًا صح معه أن يستخرج منه صديق آخر مثله في صفاته، فهو منبع أمثاله. وفائدة هذا النوع البديعي المبالغة في الصفة الملاصقة للموصوف فقولنا: " لي من فلان صديق حميم ". جردنا من الرجل الصديق آخر مثله متصف بصفة الصداقة، ومن مثله قول الحق سبحانه: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]** أي: ولتكونوا يا أيها الذين آمنوا بمحمد وبما جاء به عن ربه أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[3]، يوضح الإمام: "{وَلْتَكُنْ} لام أمر، سكّنت لصيرورة الواو من نفس الكلمة و (من): للتّبعيض. والأمر فرض على الكفاية إذا قام به البعض وحصل المعروف وزال المنكر سقط الفرض عن الباقين، وقيل: (من) لتخصيص المخاطبين، وهي مؤكّدة، كقوله: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحجّ:30]**"[4]، " فالخطاب للخواص بقوله

---

(1) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 41)

(2) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (ج2/128- 129)

(3) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 432)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 418- 419)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(لتخصيص المخاطبين) فمن للتبعيض؛ "لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات فإذا قام به البعض سقط عن الباقين"[1] . أما في قول الحق سبحانه: **{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: 74]** يقول الزمخشري: "يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا، ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسدًا، أي: أنت أسد"[2]، وعبارة رأيت منك أسدًا أي أنت أسد يشير إلى التجريد. وفي هذا يقول الإمام:"{قُرَّةَ أَعْيُنٍ} عبارة عن المرضيّ، وضدّه سخنة العين، وسخين العين. {وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِمامًا} أي: وفّقنا للتقوى، وأتبعنا ذرّيّاتنا بالتقوى، وإنّما لم يقل لاعتبار كلّ واحد من الراعين، أو لاعتبار المصدر، أو لاعتبار كون الاسم مشتقًا من الفعل، كقوله: **{إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ} [الشعراء:16]**"[3].

الأسلوب الثاني: التجريد باستخدام "الباء" الجارة داخلة على المنتزع منه.

أن تقول: "لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر، ولئن نظرت إليه لترين به البدر، ولئن سمعت كلامه لتجدن به السحر"[4]، "وقد تستعمل الباء هنا فتقول: لقيت به الأسد، وجاورت به البحر، أي: لقيت بلقائي إياه الأسد"[5].

الأسلوب الثالث: التجريد باستخدام "الباء" الجارة الداخلة على المنتزع: ومنه قول الشاعر:

وشوهاءُ تَعْدُو بِي إلى صارخِ الوَغَى ... بمستلئمٍ مثلَ الفنيقِ المرحلِ

وشوهاء: أي: ورب فرس شوهاء قبيحة المنظر لسعة أشداقها، وهذا مما يستحسن في الخيل المعدة للحرب، وهذا على سبيل التجريد، والباء هنا داخلة على المنتزع لا على المنتزع منه. مثل الفنيق: الفنيق هو الفحل المكرم عند أهله، شبه نفسه به. المرحل: هو البعير الذي وضع عليه رحله وأرسل مندفعا في رحلته[6].

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج1/ 396)
(2) المصدر السابق (ج3/ 296)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 390- 391)
(4) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 432)
(5) ابن جني، الخصائص (ج2/ 477)
(6) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 433)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمبحث السادس:(المبالغة– الإغراق – الغلو)

إنّ كتب البلاغة قد أسهبت وأطالت في شرح الأنواع البديعيّة وغير البديعيّة التي تعلي من مستويات اللغة وتحسّن فيها جماليّا وفنّيًا، ومنها المبالغة وهي أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه؛ ومثاله من القرآن قول الله تعالى: يقول الحق سبحانه: **{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: 2]** ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانًا حسنًا وبلاغة كاملة؛ وإنما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلًا ولا نهارًا، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف؛ لما أراد المبالغة في وصف محبّة المرأة له، قال: إني أليتها عن ولدها الذى ترضعه لمعرفته بشغفها به، وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه، وقوله سبحانه: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: 39]**، لو قال يحسبه الرائى لكان جيدًا؛ ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن؛ لأن حاجته إلى الماء أشد، وهو على الماء أحرص[1]. يقول الحق سبحانه: **{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان: 29]**، يقول الإمام موضحًا المبالغة في قوله سبحانه: "{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ} أي: أهل السماء، {وَالْأَرْضُ} أراد مبالغة وصفهم في الهوان، وسئل ابن عباس: أتبكي السّماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنّه ليس من الخلائق أحد إلا وله باب من السّماء أو في السّماء يصعد فيه عمله، وينزل رزقه، فإذا مات المؤمن بكت عليه معادنه من الأرض التي يذكر الله فيها، ويصلّي، وبكى بابه الذي يصعد منه، وأما قوم فرعون فلم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير"[2].

أما قول الحق سبحانه **{ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4]**، ففي هذا إبراز بارع جدًا، وتصوير بديع لحالة الذعر الشديد الذي يعانون منه في داخل أنفسهم، وقد دل على هذه الحقيقة المبالغة، لأن الخائف المذعور جدًا قد يسمع صياح المنجد له فيتصوره صياحًا ضده، وفي قوله سبحانه:**{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ}**

(1) ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص 365)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 86)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[البقرة: 19] ففي المبالغة بأنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم إبراز لصورة حالتهم النفسية، التي تدفعهم إلى سد مسامعهم بكل أصابعهم، فلو أنهم استطاعوا إدخال كل أصابعهم في آذانهم لفعلوا(1)، يوضح الإمام: "مثل المنافقين من أصحاب الصّيّب من حيث إنّ القرآن نازل عليهم من نحو السماء كالصيّب، وفيه متشابهات ومحكمات، وبشارة وإنذار، كما أنّ في الصيّب رعدا وبرقا، والمنافقون يكرهون ذلك ويعرضون عنه، ويكبر ذلك عليهم، وتارة ينظرون إلى مبلّغه نظر المغشيّ عليه من الموت، كما أنّ أصحاب الصيّب يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والقرآن يكاد يهديهم، أو يكاد يميتهم غيظًا كما أنّ البرق يكاد يخطف أبصار أصحاب الصيّب، وهم كلّما رأوا دولة أو طمعوا في بشارة قصدوا الإخلاص، وإذا حدثت نكبة أو نزل تكليف بقوا متحيّرين شاكّين، كما أنّ أصحاب الصيّب كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا"(2).

المبالغة في اللغة:

جاء في لسان العرب : "بلغ: بلغ الشيء يبلغ بلوغًا وبلاغًا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغًا وبلغه تبليغًا؛ وبالغ يُبالغُ مبالغةً: إذا اجتهد في الأمر؛ البلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. والبلاغ: ما بلغك."(3) ."المبالغة في اللغة: الاجتهاد في الشيء إلى حد الاستقصاء والوصول به إلى غايته، وتأتي بمعنى المغالاة، وهي الزيادة بالشيء عن حده الذي هو له في الحقيقة، يقال لغة: بالغ في الأمر مبالغة وبلاغًا، إذا اجتهد فيه واستقصى، وإذا غالى فيه أيضًا"(4)، ويقول الإمام: "مجاهدة الكفّار: المبالغة في قتالهم باستفراغ ما في الوسع"(5). ويقول: "{جَهْدَ} توكيد، والجهد: المبالغة والمشقّة"(6)، والمبالغة في اللغة: الاجتهاد في الشيء إلى حد الاستقصاء والوصول به إلى غايته، وتأتي بمعنى المغالاة، وهي الزيادة بالشيء عن حده الذي هو له في الحقيقة، يقال لغة: بالغ في الأمر مبالغة وبلاغًا، إذا اجتهد فيه واستقصى، وإذا غالى فيه أيضًا(7).

---

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 94)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 118)

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة بلغ(ج8/ 419)

(4) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 450)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 315)

(6) المصدر السابق (ج1/ 571)

(7) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 450)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبالغة في الاصطلاح:

هي أن يدعي المتكلم لوصف ما أنه بلغ في الشدة أو الضعف حدًا مستبعدًا أو مستحيلًا، يرى بعض المتشددين رفضها مطلقًا، لخروجها عن منهج الحق والصدق. ويرى المترخصون قبولها مطلقًا، في التعبيرات الأدبية، بدعوى أن أعذب الشعر أكذبه. أما جمهور العلماء والأدباء فقد توسطوا في الأمر، فقبلوا من المبالغة ما كان منها حسنًا جميلًا جاريًا مجرى الاعتدال الذي لا يراه الناس مستنكرًا ولا مستهجنًا، أو قائمًا على التصوير الخيالي في سياق من الكلام يسمح بذلك، بشرط أن لا يكون في المبالغة إيهام بأن المتكلم يقرر حقيقة واقعة بكل عناصرها، بل يدرك المتلقي أن الكلام مسوق على سبيل المبالغة، فيأخذ منها المعنى المعتاد في الكثرة مع زيادة مقبولة، فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق: التقصي، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء. فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة[1]، عرَّفها قُدامة بن جعفر فقال :" يذكر الشاعر حالًا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له "[2]، فالمبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور، فالمبالغة من محاسن أنواع البديع، ولم يستطرد في حلبات سبقها إلا فحول هذه الصناعة، ولولا سَمّو رتبتها ما وردت في القرآن العظيم والسنة النبوية [3].

يقول الإمام في هذا موجزًا:"{فَكُبْكِبُوا} فكبّوا على الوجوه، وتكرار الحرف للمبالغة كالذبذبة والحثحثة"[4]. ومنه قوله سبحانه: **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]** ، ويقول الإمام: "دليل على ثبوت صفات الفعل قبل المفاعيل.(خليفة): آدم وذرّيّته، والهاء للمبالغة والتأكيد. وهذا اسم لمن يخلف الغير ويقوم مقامه في ما أسند إليه ، وآدم خلف الملائكة في اتّخاذ الأرض مسكنًا"[5]. ويقول الإمام في موضع آخر: "{بَصِيرَةٌ} الهاء للمبالغة، مجازه: شاهد على نفسه، عارف بما فعل، وإن جحد وتناكر"[6]، ويقول في معرض تفسيره للآية الكريمة: **{إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**

---

(1) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج2/ 55)
(2) قدامة بن جعفر، نقد الشعر (ص 50)
(3) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (ج2/7– 8)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 395)
(5) المصدر السابق (ج1/ 130)
(6) المصدر نفسه (ج2/ 677)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28] أي: إلا جامعة للنّاس بالبشارة والإنذار، والهاء في كافّة: للمبالغة، كما هي في النسّابة والعلاّمة والرّاوية"[1].

أما لفظة (السبع والسبعين) في قول الحق سبحانه: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف: 155] وقوله : {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: 80] وفي قوله سبحانه عن السبع: {فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 29] وقوله: {أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف: 46] وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} [المؤمنون: 17] وقوله:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ } [الطلاق: 12] وقوله: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح: 15]. يقول الإمام: "أما المقصود من لفظة السّبعين: فهي المبالغة دون العدد؛ لأنّها مأخوذة من السبع التي هي نهاية كثير من الأعداد منها: عدد آيات فاتحة الكتاب، والسّور الطّوال، والمثاني، وعدد الثّابتين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم حنين، وعدد السّموات والأرض والأنجم السّيّارة والأقاليم والأبحر والأيّام والألوان وأعضاء السّجود وطبقات النّار وليالي عاد وسني يوسف عليه السّلام والسّنبلات والبقرات وأشواط الطّواف وأشواط السّعي، وأركان الصّلاة وهي: الافتتاح والقيام والقراءة والرّكوع والسّجود والتّشهّد والخروج، وأجناس أموال الزّكاة وهي: الذّهب والفضّة والإبل والبقر والغنم والخيل وما أخرجت الأرض، وأجناس الحيوان كالطّائر والقافز والماشي والزّاحف والعائم والمنساب والمختلج، والجهات المستقيمة مع الحيثيّة. وممّا أخذ من السّبع للمبالغة قوله: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} [البقرة:261]، وقوله: {ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً} [الحاقّة:32]"[2]، وممّا أخذ من السّبع للمبالغة قوله: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} [البقرة:261]، وقوله: {ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً} [الحاقّة:32]، "وقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة، وسمّي السّبع سبعًا؛ لأنّ قوّته مضاعفة"[3].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 484)

(2) المصدر السابق (ج1/ 787)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 787)

ينظر الحديث: أحمد بن حنبل، المسند(ج7195/122/12)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الحق سبحانه: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} **[المائدة: 14]** وقوله: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} **[المائدة: 64]** وقوله سبحانه:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} **[المائدة: 91]**، وقوله أيضًا: {وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} **[الممتحنة: 4]** فمن المبالغة جعل التكرير بالمعنى دون اللفظ، فإن البغضاء والعداوة بمعنى واحد، وإنما حسن إيرادهما معًا في معنى واحد للتأكيد والمبالغة[1]، حيث ردت كلمتا البغضاء والعداوة في سورة المائدة ثلاث مرات ومرة في سورة الممتحنة، فيقول الإمام: "و(إيقاعه العداوة) بين الشرب ووسوسته بالعربدة، وبين المقامرين ووسوسته بالمشاجرة، و(صدّهم): إلهاؤهم.{مُنْتَهُونَ} أمر بالانتهاء" [2]، وفي قول الحق سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} **[التوبة: 33]**، يقول الإمام:{بِالْهُدَى} الأصل، {وَدِينِ الْحَقِّ} الفرع إن شاء الله. ويحتمل (بالهدى):الفرقان، وبـ (دين الحقّ): الإسلام، وقيل: هما واحد واختلاف اللفظين [للتأكيد]، {لِيُظْهِرَهُ} لينصر أهله على أهل الأديان كلّها وليجعله أبين وأوضح من سائر الأديان، وقد كان كذا بحمد الله"[3].

أما في قول الحق سبحانه: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} **[المائدة: 100]**، يقول الإمام:"{الخبيث}: الكافرون، و{الطّيّب}: المؤمنون، ذكرهم لعموم الخطاب،{وَلَوْ أَعْجَبَكَ} على سبيل المبالغة، ولذلك لم يقتض جوابًا، كقوله: {أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} **[النّساء:129]**، وقال: [من الطويل]

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرح قاعدًا ... ولوْ قطعوا رأسِي لديكَ وأوصالي"[4]

---

(1) ينظر: علي سرحان القرشي، المبالغة في البلاغة العربية، تاريخها وأصولها (ص 148)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 582)

(3) المصدر السابق (ج1/ 762)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 587)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد دار نقاش حول استعمال صيغ المبالغة أوصافًا وأسماء لله عز وجل: فزعم بعضهم أنها مستعملة بجانب الله على سبيل المجاز، إذ هي موضوعة للمبالغة، ولا مبالغة فيها حين يوصف الله بها(1)، يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: {**هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**} [**الحشر: 22**] "هذا فصل آخر في الثّناء على الله، واتّصالها بذكر المؤمنين ليتجدّد إيمانهم، فينجع الوعظ السّابق في قلوبهم،{الْقُدُّوسُ} اسم عظيم من أسماء الله تعالى، اشتقاقه من القدس وقال أبو عليّ الفسويّ: أصله من السّريانيّة قديس، {الْمُؤْمِنُ} من أسماء الله تعالى لإيمانه المؤمنين ظلمه، وإيمانه الوحوش في الحرم، ونصبه بيتا في الدّنيا من دخله كان آمنا. و{الْمُهَيْمِنُ} اسم من اسماء الله تعالى مشتقّ. {الْبارِئُ} الذي برئ النّسمة فهي البريّة، واشتقاقه من البرء، وهو الفصل، فالله تعالى فصل بين الحق والباطل، والحسن والقبح، والحيوان والجماد، وقد استوفينا الكلام في الأسماء في مفتاح الهدى"(2)، يذكر الإمام الآية الذي يكون الخطاب متوجه إلى المؤمنين خاصّة موضحًا دلالة صيغ المبالغة: {**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**} [**آل عمران: 68**] حيث يشير إلى دلالة كلمة النصير في قوله سبحانه: {**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**} [**الأنفال: 40**] وقوله أيضًا: {**وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**} [**الحج: 78**] فيقول: "و(النّصير): النّاصر، على طريق المبالغة، كالشّهيد والقعيد"(3).

أقسام المبالغة:

أولًا : المبالغة: " أن يصرف المتكلّم كلامه عمّا يطابق المألوف ويوجّهه إلى ما لا يطابقه شرط أن يكون وقوع ما يقوله ممكنًا عقلًا وعادة" كقولِ الفرزدق:

يُغضِي حياءً ويُغضى في مهابته ... فلا يكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ

---

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 456)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 631)

وهذه إشارة من الإمام لكتابه (المفتاح في الصرف) بوصفه الكتاب مفتاح الهدى.

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 223)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويترادف هذا المعنى مع ما يسمّى في بعض كتب البلاغة بالمبالغة أو الإفراط في الصّفة، يقابله في ذلك الإغراق الذي يعدّ مقبولا عقلًا لا عادة، والغلوّ المرفوض عقلًا وعادة ، أما المردود ما ليس ممكنًا لا عقلًا، ولا عادة ولم يكن أحد الأنواع(1).

يقول الحق سبحانه: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} **[البقـرة: 249]**، يوضح الإمام: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ} ما أكثر من فئة، وإن كانت سؤالا عن كثرة الشيء وقلّته إذا نصب ما بعده، فإنّه يعبّر به عن الكثرة عند المبالغة إذا جرّ ما بعده، وكذلك (كأيّن) إلا أنّ (كم) أعمّ منه"(2)، وفي قوله سبحانه: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} **[النساء: 69]** **يقول الإمام**:"{وَمَنْ يُطِعِ اللهَ} نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان شديد الحبّ لرسول الله، قليل الصّبر عنه، فقال: يا رسول الله إنّي أخاف أن لا ألقاك في الآخرة فإنّك ترفع إلى الرّفيق الأعلى، وعن مقاتل: نزلت في عبد الله بن زيد الأنصاريّ صاحب الأذان، وقيل: نزلت في جماعة من الصّحابة. وهي على العموم في الظاهر، (الصّدّيق): فعّيل من الصّدق، وهي لأقصى غاية المبالغة في الوصف بالصّدق أو التّصديق، والصّدّيق المجمع عليه أبو بكر"(3)، يقول الإمام: "{وَالْمُطَلَّقَاتُ} (المطلّقة): من التّطليق دون الإطلاق، للمبالغة في الوصف؛ لأنّ طلاقها يتأبّد ويوجب حرمة، بخلاف الإطلاق المستعمل في الإرسال، و(التّربّص) بالشيء: ترقّب نزول الحادثة"(4). وفي قول الحق سبحانه: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا۝ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ} **[الصافات: 1 - 4]**، يبين الإمام أن : "للعرب طريقة في القسم بالأشياء الكريمة عندهم، العزيزة عليهم من غير ضرورة، يريدون بذلك تأكيد أخبارهم، وأن يبلغ كلامهم من المخاطبين كلّ مبلغ، فأقسم الله لتأكيد الأمر وتفخيمه بأنفس صافّات، وأنفس زاجرات، وأنفس تاليات من خلقه، فذهب أكثر المفسّرين إلى أنّها الملائكة، فإن كان كذلك فالـ(تا) للمبالغة، كما في علاّمة ونسّابة، والصّافّات من الملائكة هم الذين في صفوف الصّلاة"(5).

---

(1) ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة (ج1/ 173)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 346)

(3) المصدر السابق (ج1/ 503)

(4) المصدر نفسه (ج1/ 324)

(5) المصدر نفسه (ج2/ 509)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في قوله سبحانه: { أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} **[الأعراف: 100]** وللألفاظ عند الإمام معان يحكمها النظم ومناسبتها للاستخدام في السياق فتكون في موقعها؛ فيبين الإمام في تفسيره قوله سبحانه: {لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ} "هم الموجودون وقت الإنكار والإنذار،{وَنَطْبَعُ} كلام مستأنف، وقيل: معطوف على قوله: {أَصَبْناهُمْ}، كقوله:{لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ} **[يونس:11]**،{لا يَسْمَعُونَ} الشّيء النّافع إن شاء الله، وإنّما قال: لا يسمعون، ولم يقل: لا يفقهون، للمبالغة في النّفي"[1]، ويذكر أيضًا: "و(الملكوت): صيغة مبالغة من الملك، وقيل: المراد به نجوم السّماء والأرض والجبال والبحار، قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} **[الأعراف:185]**"[2].

ثانيًا: الإغراق: تقرر في نوع المبالغة أنها إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة. وهذا النوع، أعني الإغراق، فوق المبالغة، ولكنه دون الغلو، وهو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة، وقل من فرق بينهما، وغالب الناس عندهم المبالغة والإغراق والغلو نوع واحد، وكل من الإغراق والغلو لا يعد من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه إلى القبول، كقد، للاحتمال، ولولا، للامتناع، وكاد، للمقاربة، وما أشبه ذلك من أنواع التقريب[3].

ثالثا: الغلوّ: الغلو إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة، وتقرر أن الإغراق فوقها في الرتبة، وهو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة. والغلو، فوقهما فإنه الإفراط في وصف الشيء بالمستحيل وقوعه عقلًا وعادة وهو ينقسم إلى قسمين: مقبول، وغير مقبول. فالمقبول لا بد أن يقر به الناظم إلى القبول بأداة التقريب، اللهم إلا أن يكون الغلو في مديح النبي – صلى الله عليه وسلم– فلا غلو.

يذكر الإمام ما اقترن بأدوات تقرّبه إلى الواقع نحو: لو، كاد، لولا، قد وغير ذلك، كقوله سبحانه: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ} **[البقرة: 20]**، فيقول: "دلالة يكاد وعلاقتها بالمبالغة:" {يَكادُ} فعل ليس له مصدر ولا اسم، كاد يكاد إذا أوهم أن يفعل ولمّا، قال الله تعالى: {تَكادُ السَّماواتُ} **[مريم:90]**. {وَلا يَكادُ يُبِينُ} **[الزخرف:52]**، {وَما كادُوا يَفْعَلُونَ} **[البقرة:71]**، {لَمْ يَكَدْ يَراها} **[النور:40]** إذا أوهم أن لا يفعل ثمّ فعل. وقيل: يكاد

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 683)

(2) المصدر السابق (ج1/ 615)

(3) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج2/ 12)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقرب، إلا أنّه يستعمل بغير حرف (أن) بخلاف لفظ المقاربة والمداناة، {يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ} يستلب ويختلس أبصار المنافقين، نظيره: {يَكادُ سَنا بَرْقِهِ} [النور:43]، {كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ} (كلما) ظرف زمان ماض في محلّ النصب، وعلّة الظرف إضمار (في) في المعنى دون اللفظ كالاسم بنزع الخافض، وهو مبهم يحتاج إلى الصلة، وصلته (أضاء) والعامل فيه {مَشَوْا} مضوا في الضوء، {وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا} أي: صار ذا ظلمة، كقولك: ليل مظلم، وبيت مظلم، وقوله تعالى: "{قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً} [يونس:27]، وقوله: {فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ} [يس:37]، أي: يخلصون في الظلمة، إنّما قال: (عليهم)؛ لأنّ وبال الظلمة راجع إليهم.{وَلَوْ شاءَ اللهُ} معنى (لو) كمعنى الشرط، وهو يكون في الماضي والمستقبل"(1).

مسميات أخرى للمبالغة:

الإيغال:

الإيغال ضرب من المبالغة، إلّا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها، والإيغال مشتق من الإبعاد، يقال: أوغل في الأرض إذا أبعد فيها. وقيل إنه سرعة الدخول في الشيء يقال: أوغل في الأمر إذا دخل فيه بسرعة. فعلى القول الأول كأن الشاعر قد أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب، وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته القافية، والإيغال الذي هو ضرب من المبالغة مقصور على القوافي (2).

الاستحالة:

المصطلح البديل للاستحالة هو الإحالة، وهو الجمع بين المتضادّين، وهناك اختلاف بين الامتناع والاستحالة، الامتناع غير موجود في الواقع ولكن يمكن تخيله بينما تعتبر الاستحالة من عيوب المعاني عند البلاغيين القدماء ولكنّها لا تعتبر كذلك عند الشعراء والنقّاد المعاصرين. يوضح الإمام الاستحالة في قول الحق سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الزخرف: 81- 82] "وقيل: التّقدير: لو كان يجوز أن يكون للرحمن ولد، لكنت أول عابد لذلك الولد، وقد ذكرنا قضية لفظ أو، ولو كان هذا تقدير الآية فهي قريبة من قوله: {لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا}

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 117)

(2) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 112)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الأنبياء:17]، {لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ} [الزمـر:4]، وإنّما يكون مثل هذا الكلام للتّنبيه على غاية الاستحالة"[1].

الاقتصاد:

الاعتدال في الوصف بقوله سبحانه: {الم۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۞ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 1 - 5]، يقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة موضحًا قضية الاعتدال في الوصف وتفسيره القرآن بالقرآن وبالحديث الشريف: "{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} يقرّون ويصدّقون بالله تعالى بظهر الغيب قبل المشاهدة والإلجاء لقوله: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} [ق:33]. وقيل: الغيب ما جاء به النبيّ من أخبار ما لم يشاهد، ونقيض الإيمان: الإنكار، ونقيض الغيب: الشهادة، {وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ} إذا لم يعطّلوها، والصّلاة في اللغة: الدّعاء. وفي الشّرع: اسم لعبادة معروفة، تشتمل على أفعال وأركان عهودة، مقترنة بشرائط {وَمِمّا رَزَقْناهُمْ} أعطيناهم،{يُنْفِقُونَ} "يتصدّقون"، والمراد به الزّكاة عن ابن عبّاس، وقيل: جميع ما يحمد،{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ:} يعني القرآن والسّنّة، لقوله: {وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى} [النجم:3]، وقوله: {وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر:7]، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "أوتيت القرآن ومثله مرّتين،{وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} ما أتى به النّبيون من قبل، {وَبِالْآخِرَةِ} أي: الحياة الآخرة.{هُمْ يُوقِنُونَ} يستيقنون، وضدّ الإيقان الشّك.{أُولئِكَ} أهل هذه الصفة {عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ.}، {وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المفلحون] الناجون السعداء الباقون في الجنّة ، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: هم الذين وجدوا ما طلبوا، ونجوا من شرّ ما منه هربوا. وقيل: المفلح: الظافر ببغيته المنجح بطلبته. وقيل: كلّ من أصاب خيرا فهو مفلح"[2].

تباين الآراء حول المبالغة:

يرى البعض رفضها مطلقًا، لخروجها عن منهج الحق والصدق، ويرى البعض قبولها مطلقًا، في التعبيرات الأدبية، بدعوى أن أعذب الشعر أكذبه، أما جمهور العلماء والأدباء فقد توسطوا في الأمر، فقبلوا من المبالغة ما كان منها حسنًا جميلًا جاريًا مجرى الاعتدال الذي لا

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 559)
(2) المصدر السابق (ج1/105- 106)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يراه الناس مستنكرًا ولا مستهجنًا، أو قائمًا على التصوير الخيالي[1]، وانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: يحبذها ويدعو إليها موافقًا مرغبًا فيها، ويرى أن فحول الأدباء من شعراء وكتَّاب هم الذين يتعاطونها ويتسابقون في مضمارها.

والفريق الثاني: يقف موقفًا مضادًا للأول ويرى أنها سِمةٌ تدلل على عجز من يلجأ إليها، وأنه لولا قصور همَّته عن اختراع المبتكر الجديد من المعاني ما لجأ ولاذَ إليها. يقول الحق سبحانه:{**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**} [**يس: 69**]، ومن الآية الكريمة نتبين الحجة التي اعتمد عليها الفريق الثاني؛ لأن من الأسباب التي جعلت النبي – صلى الله عليه وسلم – منزَّها عن الشِّعر أن هذا يقوم على الكذب . ويذكر في هذا ثناء عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على زهير ابن أبي سلمى بأنه كان يمدح الرجل بما فيه، ولأجل كون الشعر مقر الكذب، نزه الله نبيه – عليه الصلاة والسلام – عنه لما كان مرشحاً لصدق المقال، وواسطة بين الله وبين العباد، فقال تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}، فنفى ابتغاءه له[2]. يذكر الإمام ما قاله النضر بن الحارث: "يا معشر قريش، والله لقد نزل إليكم أمر ما تقدرون قدره، كان محمد فينا حتى بلغ ما ترون، ولا أحد أرضى فينا منه، فلمّا جاءكم ما جاءكم به، قلتم: شاعر، والله ما الذي جاءكم بشعر، لقد رأينا الشعر وعرفناه، فما هو قريض ولا رجز، وقلتم: سحر، وقد رأينا وسمعنا السحر، فو الله ما هو بسحر، ثمّ قلتم: كاهن، فو الله ما هو بكهانة، ولا سجاعة، وقلتم: مجنون، وقد رأينا المجانين وعرفنا أصناف الجنون، فانظروا في أمركم"[3].

---

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 450)

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني (ج1/ 46)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 225)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع: تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيد المدح بما يشبه الذم في اللغة والاصطلاح:

المقصود تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها وهي المسماة: تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه بأن يأتي المتكلم بكلام يتضمن مدحًا، أو ذمًا، أو إثبات صفة أو حدث، أو نفي صفة، أو حدث، ويتبعه بكلام يبدأه بما يشعر باستثناء أو استدراك على كلامه السابق فإذا به يأتي بما يتضمن تأكيد كلامه السابق[1]، فهذا فن بديع في الكلام له حركة في النفس كقول الذبياني "من الطويل":

وَلَاْ عيــبَ فــيهمْ غيــرَ أنَّ ســيوفَهُمْ   بِهــنَّ فلــولٌ مِــنْ قــراعِ الكتائــبِ[2]

إن مصطلح تأكيد المدح بما يشبه الذم ظل هو مصطلح جمهرة علماء هذا الفن، وفي مقدمتهم ابن المعتز والسكاكي والخطيب وشراح (التلخيص) وغيرهم، والذي يُفهم من دلالة هذا المصطلح الشائع أن صورة المدح المراد تأكيدها تأتي في معرض ما يشبه الذم، ولو لم ترد في هذه الصورة لخرجت من هذا الباب، فإذا ما نظرنا في البيت المشهور الذي يعد عمدةً ؛ لأنه هو الذي فتح القولَ في هذا الباب من البديع، أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبتَ شيئًا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال؛ فهو في المعنى تعليق بالمحال؛ كقولهم: "حتى يبيضّ القار"؛ فالتأكيد فيه من وجهين: أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة، والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلًا، فإذا نطق المتكلم بـ "إلا" أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخرَج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتًا [3].

أساليب تأكيد المدح بما يشبه الذم:

الأسلوبَ الأولَ: أنْ يستثنَى من صفةِ ذمٍّ منفيةٍ عن الشيءِ صفةَ مدحٍ بتقديرِ دخولِها فيهِ، الشَّاعِرِ:

---

(1) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 392)

(2) ينظر: ابن المعتز، البديع في البديع لابن المعتز (ص 157)

(3) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 622)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لـــيسَ بـــه عيـــبٌ سِـــوَى أَنَّـــهُ   لا تَقَـــعُ العَـــيْنُ علـــى شِـــبْهِهِ[1]

بدأ ابن الرومي مدحه بأن نفى كلّ عيب عن الممدوح عند ما قال (ليس به عيب)، ولكنه أتبع هذا المدح بلفظ الاستثناء (سوى)، فأوهم السامع أنه تراجع عن تبرئة الممدوح من كل عيب، وأنّه سيكاشفه بعيب اكتشفه فوجب ذكره. غير أن ابن الرومي خدع سامعه حين أورد بعد الاستثناء مدحًا يفوق المدح الأول، ويؤكده حين قال: "لا تقع العين على شبهه" فهو مبرّأ من كل عيب، ولن ترى العين شبيها له في كماله[2]. وأما قوله سبحانه: **{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 25- 26]** فيبين الإمام أن الاستثناء في قوله سبحانه: "{إلاّ سَلاماً} قيل: استثناء منقطع وقيل: متّصل؛ لأنّ السّلام في دار السّلام من جنس اللغو؛ لأنّه كلام غير محتاج إليه بخلاف الحمد والتسبيح اللذين هما من أهل الإيمان بمنزلة التنفيس من الحيوان"[3].، فيحتمل الوجهين، وأما قوله سبحانه: **{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا} [مريم: 62]** ، فيحتملهما، ويحتمل وجها ثالثًا وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلاً؛ لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء؛ فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام، لولا ما فيه من فائدة الإكرام[4].

الأسلوبَ الثاني: أنْ يُثبتَ للشيءِ صفةَ مدحٍ، ويأتيَ بعدها بأداةِ استثناءٍ تليها صفةُ مدحٍ أخرى كقولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وأنَا أفصحُ العَرَبِ بيدَ أنَّي مِنْ قريش" فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وَصَفَ نَفسَهُ بصفةٍ ممدوحةٍ، وهِيَ أنَّه أفصحُ العَرَبِ، ولكنَّه صلى الله عليه وسلم أَتَى بعدَهَا بأَداةِ استثناءٍ، فدُهِشَ السَّامعُ، وظنَّ أنَّه سيذكُرُ بعدَهَا صفةً غيرَ محبوبةٍ، ولكنْ سُرْعَانَ مَا هدأَتْ نفسُهُ حِينَ وَجَدَ صفةً ممدوحةً بَعدَ أَداةِ الاستثناءِ، وهِيَ أنَّه مِنْ قريش، وقريشُ أَفصحُ العربِ غير منازَعين. فكانَ ذلكَ توكيدًا للمدحِ الأوَّلِ فِي أُسلوبٍ أَلفَ الناسُ سماعَه فِي الذَّمِّ[5].

---

(1) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 622)

(2) ينظر: محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) (ص 94)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 277)

(4) ينظر: الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 623)

(5) علي الجارم، البلاغة الواضحة (ص292)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الحق سبحانه: { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا } [النساء: 22] يذكر الإمام أربعة أقوال في قوله سبحانه: "{إلاّ ما قَدْ سَلَفَ} في معرض تفسيره الآية الكريمة: {وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ} تحريم موطوءة الأب ومنكوحته، عن ابن عبّاس وعكرمة وقتادة، وفي قوله: {إلاّ ما قَدْ سَلَفَ} أربعة أقوال: استثناء متّصلًا، كأنّه قيل: أنتم منهيّون عن نكاحهنّ، وذلك موهم للماضي والحال والمستقبل، فاستثنى ما سلف لإزالة الإيهام، والثاني: أنّ النّهي مقصور على ابتداء العقد دون استبقائه، وهذا لا يصحّ؛ لأنّ الشّرع لم يرد بجواز استبقاء نكاح محرّمة على التّأبيد. والثالث: استثناء منقطعًا بمعنى لكن، والرّابع: أن يكون الاستثناء بمعنى واو العطف، كقوله: {إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا} [البقرة:150]، أي: صاروا"(1)، نزلت الآية في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن، وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم(2). أما في قوله سبحانه: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصافات: 58 - 60] يقول الإمام: "{إلاّ مَوْتَتَنَا الْأُولى} تأكيد للكلام من حيث قطع توهّم السّامع أن يكون الكلام عامًّا في اللّفظ خاصًّا في المعنى مطلقًا على نيّة الاستثناء، كقولك لغريمك: ما لي عليك حقّ إلا الذي أخذته منك، وقريب منه قوله: {وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاّ ما قَدْ سَلَفَ} [النساء:22]" (3).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 476)

(2) ينظر: الطبري، تفسير جامع البيان ط هجر (ج6/ 548)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 512)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثامن: الجناس

وقع الجناس في القرآن الكريم في كثير من آياته، فهو ضرب من ضروب الإعجاز البلاغي، في بلاغته وبراعته وقمة فصاحته، فأعطى للمعاني قوة، وأضفى على الألفاظ جزالة، وصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، إنه جناس حسن، غير متكلف، بديع الأثر في إبراز المعاني المقصودة ، يدخل في نفس السامع والقارئ متعة وراحة.

الجناس في اللغة:

يقول صاحب لسان العرب: " والجنس أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل " [1]، و"التجنيس: تفعيل من الجنس، ومنهم من يقول من الجناس، ومنهم من يقول من المجانسة، لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والمجانسة، والجناس: مصدر (جانس)، ومنهم من يقول من (التجانس) وهو التفاعل من الجنس أيضًا ولما انقسم أقسامًا كثيرة وتنوع أنواعًا عديدة تنزل منزلة الجنس الذي يصدق على كل واحد من أنواعه، فهو حينئذ جنس"[2].

الجناس الاصطلاح:

الجناس: "هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى" [3]، والجناس من ألوان الجمال اللفظي، له أثر قوى على السامع، ينبع من التكرار والترديد وتقابل الألفاظ المتشابهة، فيطرد السآمة وينشط العقل، ويسهم في إيضاح المعاني و زيادة الفائدة، فإذا جاء عفو الخاطر دون تكلف وصنعة أحدث ما أحدث، وإلا كان دون ذلك شوه العبارة ، وأدى إلى التعقيد، والجناس عظيم الموقع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، ولولا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب، واختاره له كغيره من سائر أساليب الفصاحة [4]، وقد اختلفت نظرة البلاغيين والنقاد على مر العصور إلى الجناس، وبيان قيمته الفنية، فمنهم أبدى إعجابه به، وعد أثره في الكلام ومنهم من عده من أنواع الفراغ، وقلة الفائدة، والتكلف والصنعة ولم يحتج

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة جنس (ج6/ 43)

(2) أبو البقاء الحنفي، الكليات (ص 275)

(3) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 325)

(4) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 196)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليه، وقصرت همته عن اختراع المعاني، يقول ابن رشيق: "وهذا أسهل معنى لمن حاوله، وأقرب شيء ممن تناوله، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة، وهو مما لا شك في تكلفه، وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نثرهم ونظمهم"[1]،"وإن كان يذم الجناس المتكلف الممجوج"[2].

من الجناس ما هو حسن، ومنه ما هو قبيح، فيجيء الجناس حسنًا رائعًا إذا قصد إلى غاية تخدم غرضَ المتكلم وغايته بحسن إفهام السامع، كأن يخدعه عن حقيقة ما أراد وقد أعطاها له، أو يوهمه بأنه يكرر لفظًا دون فائدة، مع أن الفائدة محققة، أو يجعله يظن أنه لم يزده شيئًا مع أنه أحسن الزيادة ووفاها حقها من السماحة والقبول، كما أن الجناس يحسن ويلطف إذا كان موقع اللفظين من العقل موقعًا حميدًا.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة :"أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا. كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس" [3]، "وفائدة الجناس الميل إلى الإصغاء إليه فإنّ مناسبة الألفاظ تحدث ميلًا وإصغاء إليها، ولأنّ اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان النفس تشوق إليه"[4].

يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني للجناس بقوله: "ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون، والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين"[5].

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج1/ 329)

(2) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 486)

(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ت شاكر (ص 7-8)

(4) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج1/ 588)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 148)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقسام الجناس:

الجناس التام:

هو الذي يختلف فيه اللفظان في المعنى، ويتفقان في أمور أربعة هي : عدد الحروف- نوعها- ترتيبها- هيئتها، كما في قوله تعالى: **{عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ النبإ العظيم} [النبأ: 12]**، ونحو قوله سبحانه: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} [الروم: 55]** أي من ساعات الأيام والساعة الأولى بمعنى القيامة. وقيل الساعة في الموضعين بمعنى واحد. والتجنيس أن يتفق اللفظان ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازًا، بل يكونان حقيقتين، وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة(1)، وقد قسم البلاغيون الجناس التام إلي قسمين : جناس تام مركب وجناس تام غير مركب.

الجناس التام:

ينقسم إلي قسمين: أحدهما مماثل، والآخر مستوف.

الجناس التام المماثل: وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعًا وأسماها رتبة، وهو أن يتفق ركناه في أنواع الحروف، وعددها، وترتيبها، وهيئتها من غير تركيب فيها، وهو ما كان ركناه أي لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بمعنى أن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين(2)، فمن الجناس التام المماثل بين اسمين في الأسلوب القرآني كقوله سبحانه **:{يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} [الروم: 55]**، فالساعة الأولى: يوم القيامة والساعة الثانية: هي الساعة الزمنية التي يعرف بها الوقت، ويتكون من مجموعها الليل والنهار، وبينهما جناس تام، حيث اتفق اللفظان في عدد الحروف ، ونوعها ، وترتيبها ، وهيئتها. "واشتهر أنه ليس في القرآن جناس تام غير ما في قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ}"(3). وفي قوله سبحانه يخبر عن حال المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة من جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار: **{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا**

---

(1) ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ج1/ 588)

(2) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع (ص 197)

(3) الألوسي، تفسير روح المعاني (ج9/ 384)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} **[الكهف: 31]**، يقول الإمام في توضيح الآية الكريمة: "{مِنْ أَساوِرَ} من صلة أو تبعيض، و{مِنْ ذَهَبٍ} من للتجنيس "[1]. ويشير الإمام إلى الجناس موجزًا: "وجاء على التّجنيس كقوله: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}** **[النّساء:136]**"[2].

الجناس التام المستوفَي (بفتح الفاء):

وهذا النوع لم يشر إليه الجرجاني وهو أن يتفق اللفظان المتجانسان في أنواع الحروف، وعددها، وترتيبها، وهيئتها من غير تركيب فيها، ويكونا من نوعين مختلفين، بأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلًا أو غير فعل. ولم يشر الإمام أيضًا إلى الجناس التام المركب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين.

الجناس غير التام

أولًا: الجناس الناقص

"وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب"[3]، "وأما الناقص فأبنيته كثيرة ومضطرباته واسعة، فمنه التجنيس الناقص، وهو أن تكون إحدى الكلمتين مشتملة على لفظ الأخرى مع زيادة، ومثاله قوله سبحانه: **{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ۝ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}[القيامة: 29- 30]** فزيادة الميم في المساق هو الذى أوجب كونه جناسًا ناقصًا"[4]، إذا اختلف ركنا الجناس في عدد الحروف بزيادة حرف واحد ، أو أكثر في أحدهما، سواء في أوله أو وسطه أو آخره سمي هذا اللون من الجناس بـ (الجناس الناقص) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر، ومن أمثلته في الأسلوب القرآني قوله تعالى:{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } [القيامة: 29– 30] "أي إذا التفت ساقه بساقه، والتوت عليها عند الموت. فالتعبير القرآني **{وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ}** **[النمل: 22]** تعبير جميل لفظًا، دقيق مَعنىً، أَلاَ تراه لو قال (وجئتك من سبأ بخبر) لاختلّ اللفظ والمعنى معًا؛ لأن الخبر يُرَاد به مُطْلَق الخبر، أمّا النبأ فلا تُقال إلا للخبر العجيب الهام الملفت للنظر، ويقال له الجناس الناقص، والجناس المشبه، وهو ما اختلف فيه ركناه في واحد، أو أكثر من الشروط الأربعة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 246)

(2) المصدر السابق (ج1/ 367)

(3) الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 492)

(4) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 196)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام وهي : نوع الحروف – عددها – ترتيبها – هيئتها (حركاتها)، وذلك مع اختلافهما في المعنى، وهو ينقسم وفقًا للتعريف السابق إلى أربعة أقسام؛ تحت كل منها أقسام أخرى كثيرة :

ثانيًا: الاختلاف في هيئة الحروف

قد قسم البلاغيون هذا القسم إلى نوعين : جناس تحريف – جناس تصحيف.

الجناس المحرف: وفيه يختلف طرفا الجناس في حركات الحروف (هيئاتها) وسكناتها، مع اتفاقهما في الشروط الثلاثة الأخرى (عدد الحروف – نوعها – ترتيبها) سواء كانا من اسمين أو فعلين، أو فعل، أو من غير ذلك نحو قوله سبحانه: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**} [**الصافات: 72- 73**]. فوقع الجناس في هذه الآية بين (منذرين) الأولى، وهي اسم فاعل بين (منذرين) الثانية، وهي اسم مفعول.

يقول الحق سبحانه مخبرًا بثواب عبادة المؤمنين عن أنفسهم، وأموالهم إن بذلوها في سبيله بالجنة: {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ** } [**التوبة: 111**] وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ، وقوله " يقاتلون في سبيل الله ويقتلون ويقتلون " أي : سواء قَتَلوا أو قُتِلوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة، فالجناس المحرف في الآية الكريمة وقع بين (يقتلون) و (يقتلون) وهو وقع بين فعلين. وفي مثل قوله سبحانه:{**ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**} [**غافر: 75**] وبين تفرحون وتمرحون الجناس المحرف[1].

الجناس المصحف: ومنهم من يسميه جناس الخط، وهو ما تماثل ركناه خطًا واختلفا لفظًا. أو بعبارة أخرى هو ما اختلف فيه ركناه في (نقط الحروف)، ومن أمثلته في الأسلوب القرآني، قوله تعالى يخبر عن الأخسرين أعمالًا : {**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**} [**الكهف: 103- 104**] فالجناس المصحف وقع في الآية الكريمة بين { يحسنون} و{يحسبون} .

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج24/ 206)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: الاختلاف في أنواع الحروف

قد يكون الاختلاف في حروف متقاربة في المخرج ، فيطلقون عليه(الجناس المضارع) أو في حروف متباعدة المخارج فيطلقون عليه (الجناس اللاحق) . والجناس المضارع: وهو أن يختلف طرفا الجناس في حرف من حروفهما مع التقارب في المخرج بين الحرفين، فيكون باختلاف ركنيه في حرفين، لم يتباعدا مخرجًا إما: في الأول نحو: ليلٌ دامسٌ، وطريق طامس وإما في الوسط – نحو: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} **[الأنعام: 26]** وإما: في الآخر نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[1]، فالجناس في الآية الكريمة وقع بن (ينهون) و (ينأون) والحرفان الذي وقع بينهما الخلاف (الهاء) و(الهمزة) وهما متقاربان في المخرج لأنهما من مخرج(الحلق)، يقول الإمام في تفريقه بين النهي والنأي: "{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ} والمراد بالنّهي ذبّ أبي طالب عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رواية عن ابن عبّاس و(النّأي): تباعده عن القرآن وموجباته، أخبر الله عن تناقض أمره وعجب فعله، إلى هذا ذهب مجاهد وقتادة وابن زيد والحسن. وروي عن ابن عبّاس: المراد بالنّهي صدّهم وتنفيرهم النّاس عن الإسلام، والنّأي تباعدهم بأنفسهم. و (النّأي): البعد"[2].أما الجناس اللاحق: "وهو أن تتفق الكلمتان في جميع حروفهما إلا في حرفين لا تقرب بينهما" [3]، ومن أمثلته في الأسلوب القرآني، قوله تعالى يتوعد بالويل للهماز بالقول واللماز بالفعل ، الذي يزدري الناس وينتقص بهم ، فيقول :{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ } **[الهمزة: 1]** فقد وقع الجناس هنا بين (همزة) و(لمزة)، وهما مختلفان في أنواع الحروف، والحرفان اللذان وقعا بينهما الخلاف هما (الهاء)، و(اللام).

رابعًا: الاختلاف في التركيب أو الترتيب

الجناس المعكوس: وسمي أيضًا جناس (القلب)، وجناس (التبديل) " وهو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص، ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب" ويمكن أن نقسم هذا الجناس إلى قسمين ، أحدهما – يكون بعكس الحروف أو تبديلها، أو قلبها، والثاني: يكون بعكس الألفاظ أو تبديلها، أو قلبها.

---

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 327)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 604)

(3) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 138)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجناس المعكوس بالحروف: ومثاله في الأسلوب القرآني قوله سبحانه: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40] أي أن الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء.

جناس الاشتقاق:

"وهو توافق الكلمتين في الحروف والأصول مع الاتفاق في أصل المعنى"[1]، أن تتفق الكلمتان في معنى واحد يجمعهما كقوله: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}[الروم: 43]** وقوله تعالى: **{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ} [الرحمن: 54]** وقوله تعالى: **{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم: 30]** ونحو قوله تعالى: **{فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ}[الواقعة: 89]**[2]، وفي مثله قول الحق سبحانه: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} [المزمل: 15]** "وبين كلمتي {أَرْسَلْنَا} و {رَسُولًا} جناس الاشتقاق. وفي قول الحق سبحانه: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنعام: 101]**
ويقترب الإمام من توضيح جناس الاشتقاق بقوله: "{صاحِبَةٌ} أنثى قديمة مجانسة مفاعلة، وإثباتها لا يتصوّر؛ لأنّ الأنوثة والذكورة من أسباب الحاجة، ولأنّ الجنسيّة دالّة على الوضع والمثال والإحداث، والمفاعلة تحتاج التّقسيم، فإذا لم تثبت هذه المقدّمات كيف يترتّب ثبوت الولد عليها"[3].

---

(1) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج3/ 55)

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج3/ 197)

(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 625)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث التاسع: رد العجز على الصدر

رد العجز على الصدر في اللغة والاصطلاح:

ردُّ العَجُز على الصدر من الفنون البديعية التي فطن لها القدماء، فقد سمَّاه ابن المعتز: " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" [1]، ويَرِدُ في النثر كما يرد في الشعر، وقد عرَّفه المتأخرون من البلاغيين بأنه: " أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، في أول الفقرة والآخر في آخرها. أما في الشعر فهو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في أول الصدر، أو وسطه أو آخره أو في أول العجز. واللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، وهو اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه، وقد ذكر ابن المعتز أقسامه وشواهد كثيرة له، "فهو كل كلام منثور أو منظوم يلاقى آخره أوّله بوجه من الوجوه، كقوله سبحانه: **{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]** " [2]، فقد عده في كتابه أحد فنون البديع الخمسة الكبرى، وسماه (رد أعجاز الكلام على ما تقدمها). وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة أقسام: **الأول:** ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره كقول الشاعر:

يُلفى إذا ما كانَ يومُ عرمرم ... فِي جيش رأيٍ لا يفل عرمرم

الثاني: ما وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه، وهو الأحسن، كقول الآخر:

سريعٌ إلى ابنِ العمِ يلطمُ وجههُ ... وليسَ إلى داعي الندىْ بسريعِ

الثالث: ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلام في أي موضع كان، كقول الشاعر:

سقى الرملَ صوبَ مستهل غمامه ... وما ذاكَ إلا حُب من حلَّ بالرملِ [3]

ومن هذا النوع عنده قوله سبحانه: **{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء: 21]** وقوله سبحانه: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ**

---

(1) ابن المعتز، البديع في البديع (ص 140)

(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج7/ 109)

(3) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/255- 256)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: 10] وقوله أيضًا: {قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} [طه: 61] ، ونحو قوله سبحانه: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8] فاللفظ والمعنى واحد والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى. نحو: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل. فسائل الأولى من السؤال والثانية من السيلان ومنه قول الحق سبحانه: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 25- 26]، وفي قوله سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة: 13] ، أما في تفسيره قول الله سبحانه: {قَالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى} [طه:61]. يشير الإمام إلى رد العجز إلى الصدر بقوله: "ونظم الآية على طريقة مستحسنة غاية للبلاغة وآية للفصاحة، وهي ردّ آخر الكلام على أوّله، وإنّما قال لتقديم الدعوة والإنذار مرّة بعد أخرى"(1)، ومنه أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106] (2)، وفي قول الشاعر:

بهجرهمْ كمْ وكمْ فلَّ الهوى أممًا ... ورد عجزًا على صدرٍ بهجرِهم

هذا النوع سماه بعضهم بالتصدير، والأول أولى، لأنه مطابق لمسماه، وخير الأسماء ما طابق المسمى. وابن رشيق يسميه التصدير، ونقل فيه كثيرًا من مثل ابن المعتز وشواهده، ويذكر ابن رشيق من مثله نقلًا عن ابن المعتز:

ولمْ يحفظْ مضاعَ المجدِ شيءٌ ... من الأشياءِ كالمالِ المضاعِ

وابن الأثير يجعل رد العجز على الصدر ضربًا من التجنيس(3)، وذكر السكاكي في المفتاح أنه مما يلحق بالتجنيس نظير قوله سبحانه: {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ} [الشعراء: 168] وفي

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 290)
(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3/ 461)
(3) ينظر: ابن المعتز، البديع في البديع (ص 30)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله سبحانه: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: 54] وكثير ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان على أصل واحد في الاشتقاق مثل ما في قوله سبحانه: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} [الروم: 43] وقوله: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [الواقعة: 89] ومن جهات الحسن رد العجز على الصدر، وهو أن يكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والأخرى قبلها(1).

ينفرد الإمام بما ذكره على أن رد عجز الكلام على صدره عائد إلى أول القصة كما في قول الحق سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } [الأحزاب: 9] إلى قوله سبحانه: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 24] يذكر الإمام أن اللام في قوله سبحانه: {لِيَجْزِيَ اللهُ} عائدة إلى قوله: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } [الأحزاب: 9] إلى قوله: {وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا} [الأحزاب: 15] الأوّل أظهر؛ لأنّ الآية تليها: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الأحزاب:25] عائدة إلى أوّل القصّة على سبيل ردّ عجز الكلام على صدره"(2).

أقسام رد العجز على الصدر:

الأول: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: 166].

الثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو: { وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: 8] {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ} [الشعراء: 168].

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأنعام: 10] وقوله: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } [الإسراء: 21] (3)، وفي قوله سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ۝ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [غافر: 53- 54]، وتظل

(1) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص 430)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 457)

(3) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 354)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبارات الإمام مكثفة مختصرة: "{وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى.} على سبيل ردّ عجز الكلام على صدره"(1).

تقسيمات أخرى:

الأول: أن يكونا مكررين، كقوله تعالى: **{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]**

الثاني: أن يكونا متجانسين، نحو قولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل.

الثالث: أن يجمع اللفظين الاشتقاق، نحو قوله تعالى: **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: 10]**.

الرابع: أن يجمعهما شبه الاشتقاق، نحو قوله تعالى: **{قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ} [الشعراء: 168]** (2).

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 457)

(2) ينظر: المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، (ج3/94)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث العاشر: السجع (فواصل الآيات)

يجري السجع على ألسنة البشر في أكثر اللغات فيرد في أمثالهم، وحكمهم وخطبهم بصورة فطرية لما فيه من نغم وحسن ترنيم لا ينكر دوره في التأثير على العقول والقلوب، بل يدلل على رقة الأسلوب ورونقه وجزالته واشتماله المعني الكريم، فالنفس الإنسانية تشتاق إلى سماعها، وترتاح إلى إيقاعها. والأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع، وينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة طنَّانة رنَّانة، لا غثَّة ولا باردة، أي أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن، وهو الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابًا من الكرسف أو ينظم عقدًا من الخزف الملون، فإذا صُفِّيَ الكلام المسجوع من الغثاثة والبَرْد، فإنَّ وراء ذلك مطلوبًا آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعًا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعًا للفظ[1].

السجع في اللغة:

" سَجَعَ يَسجَع' سَجعًا: استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضًا، والسجع: الكلام المقفى، والجمع: أسجاعٌ وأساجيع وسَجَّعَ تَسجيعًا: تكلم بكلام له فواصل، كفواصل الشعر من غير وزن"[2]، وهو لغة من قولهم: "سجعت الناقة إذا مدت حنينها على جهة واحدة"[3].

السجع في الاصطلاح:

أن تتواطأ الفاصلتان في النثر على حرف واحد"[4]. وأصل السجع الاعتدال في مقاطع الكلام مما تميل إليه النفس، ويستسيغه السمع .

بناء السجع وشروط حسنه:

يقول الحق سبحانه: **{وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: 50- 51]** يكرر الإمام العبارة التي تشير إلى السجع أو فواصل الآي بصياغة مختلفة مشيرًا إلى اعتبار النظم والمعنى، وهو ما يسميه

(1) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج1/212– 213) الكرسف: القطن.

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج8/ 150)

(3) المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 360)

(4) المصدر السابق (ص 360)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجرجاني (لاعتبار نظم الآي) أو (لاعتبار رؤوس الآي) فيقول: "{كَانَ مُخْلَصًا} لتخليص الله إيّاه من القتل والغرق، وضلالة فرعون، وجناية القبطيّ، و{رَسُولاً نَبِيًّا} على التقديم والتأخير، لاعتبار نظم الآي، ومعناه: أنّه كان نبيًا مرسلًا"[1].

وفي قول الحق سبحانه: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: **192- 193**] ، يذكر الإمام: "وإنّما يتّصل قوله: {وَما لِلظّالِمِينَ} بما تقدّم؛ لأنّ الحال يدلّ على أنّ من يدخله النار إنّما أدخله عقوبة لظلم حصل منه على نفسه أو على غيره، وإنّما قال: {مِنْ أَنْصارٍ} ولم يقل: من ناصر، لنظم رؤوس الآي"[2]، وفي قوله الحق سبحانه أيضًا: {**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** } [**الأعراف: 29**] يبين الإمام:"{كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} تشبيه العود بالبدء من حيث التّقليب والتّركيب والإحياء والإنطاق، وعن ابن عبّاس أنّ التّشبيه لكونهم حفاة عراة غُرلًا بُهمًا، وإنّما لم يقل: يعيدكم، لاعتبار نظم رؤوس الآي عند الكوفيّين، ولاعتبار سائر الأفعال المسندة إليهم عند الباقين"[3]. فلا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء: أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع- أن تكون الألفاظ خدم المعاني، إذ هي تابعة لها – أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة- أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكرارا بلا فائدة. ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، ومن ثم لا تجد لبليغ كلامًا يخلو منه كما لا تخلو منه سورة، وإن قصرت [4].

قضية السجع في القرآن الكريم:

تحرج بعض القدماء في استعمال السجع، بل نفى البعض منهم وجوده في القرآن الكريم نفيًا قاطعًا، وسمى هذا الذي يُظَنُّ أنَّه سجع فواصل. وكان على رأس هؤلاء : علي بن عيسى الرماني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وجل الأشاعرة، وقد ذهب الرماني إلى نفى السجع من القرآن، وتسمية ما فيه من ذلك فواصل؛ لأن الاسجاع عيب، والفواصل بلاغة، وفواصل القرآن

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 272)
(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج2/ 558)
(3) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 649)
(4) ينظر: المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص 360)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة. وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة، فإذا كان المعنى لما ستكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المشاكلة. والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى: { طه۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [طه: 1- 3] وكقوله: {وَالطُّورِ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ۝ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور: 1 - 4]، وأما الحروف المتقاربة كالميم من النون، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: 3- 4]، وكالدال مع الباء نحو: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } [ق: 1] ثم قال: {هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} [ق: 2] "وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة وإنما حسن الكلام فيها"(1)، لم ير أبو هلال العسكري رأي الروماني في التفريق بين الفواصل والسجع، واعتبار السجع عيبًا، والفواصل بلاغة، فهو يجيز السجع، وإن كان يذم سجع الكهان، وقد ردَّ عليهما ابن سناء الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة " بقوله : " وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعًا وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها وقال الرماني: إن الفواصل بلاغة والسجع عيب والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول، والفواصل على ضربين ضرب يكون سجعًا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع وضرب لا يكون سجعًا وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض، فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة فمثال المتماثلة قوله سبحانه: {وَالطُّورِ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ۝ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور: 1 - 4] وقوله: {طه۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى۝ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 1 - 5](2). تتكرر

---

(1) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص 98)

(2) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (ص 172)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند الإمام عبارات بدلالات واحدة: (وحّد النظم رؤوس الآي) – (لاعتبار نظم رؤوس الآي) وإنما جمع (لوفق رؤوس الآي) مفسرًا المعنى المراد وأراد بالسجع ما يتبع المعنى: يقول الإمام موجزًا كلامه :"{فَتَشْقى} وحّد لنظم رؤوس الآي، ولأنّ الرجل هو المختصّ بشقوة الرعاية والكسب"(1).

أنكر ابن الأثير على من ذم السجع، فيقول : "السجع وحدُّه أن يقال: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد. وقد ذمَّه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهًا سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذمومًا لما ورد في القرآن الكريم (2)، فنظمه مخالف لنظم كلام الكهان إذ ليست فقراته قصيرة ولا فواصله مزدوجة ملتزم فيها السجع، ومعانيه ليست من معاني الكهانة الرامية إلى الإخبار عما يحدث لبعض الناس من أحداث، أو ما يلم بقوم من مصائب متوقعة ليحذروها، فلذلك كان المخاطبون بالآية منتفيًا عنهم التذكر والتدبر، وإذا بطل هذا وذاك بطل مدعاهم فحق أنه تنزيل من رب العالمين (3).

دلالة الفاصلة القرآنية:

الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع. وقيل: كلمة آخر الجملة. وقيل: الفواصل حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وثمة فرق بين الفواصل ورؤوس الآي، فالفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس. وكذلك الفواصل يكون رءوس آية وغيرها. وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية. ولمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي، وقياسي: أما التوقيفي: فما ثبت أنه صلّى اللَّه عليه وسلم وقف عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها، وأما القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل. والوقف على كل كلمة كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز. وفاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر(4).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 297)

(2) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (ج1/ –210– 211)

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (29/ 143)

(4) ينظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج2/ 275)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في قول الحق سبحانه:{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى۝ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} [طه: 68 - 70] وفي قوله سبحانه من سورة طه قدم هارون على موسى وفي الآية من سورة الأعراف قدم موسى على هارون، يقول الحق سبحانه:{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 121 - 123] ، وهذا من أوجه مراعاة الفاصلة، ما ذكره تعالى حول قصة موسى وهارون عليهما السلام في سورة طه؛ فقد جاءت الآية بتقديم ذكر هارون على موسى. وفي قوله سبحانه : {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1] يبين الإمام بقوله: {أُحْكِمَتْ} بمعنى: الخصوص، وهو إحكام التلاوة، وتهذيبها ممّا يلقي الشّيطان في الأمنيّة، {ثُمَّ فُصِّلَتْ} من عنده بلا وساطة، أو التفصيل: هو تفسير رسول الله مجملات الآي"[1]، يتحدث الإمام عن إحكام التلاوة وتهذيبها ثم فصلت من عنده بلا وساطة ويشير أيضًا إلى مجملات الآيات بعد التفصيل، ويفهم من قوله الإشارة إلى دلالات نظم الآيات للوصول إلى مجمل الآيات التي تحمل المعاني والدلالات المرادة. وفي قوله سبحانه:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: 97- 98]، يوضح الإمام أن سياق اللغة يتطلب (فسبح بحمد ربك وكن ساجدًا) لكنها وردت جمعًا لوفق رؤوس الآي. بقوله: "{مِنَ السّاجِدِينَ} كن ساجدًا، وإنما جمع لوفق رؤوس الآي، ويحتمل: أن المراد بـ {السّاجِدِينَ} الأنبياء عليهم السّلام"[2]. والفاصلة القرآنية: هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في الشعر، وسميت فاصلة؛ لأنها فصلت بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها. ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1] ، وقوله سبحانه: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت: 3].

يوضح الأمام سبب تأخير أسفًا بقوله: "{باخِعٌ} قاتل ومهلك،{آثارِهِمْ} خلفهم، وهم معرضون عنك، والأثر: رسم الشيء بعد مضيّه،{أَسَفًا} أخّر لرؤوس الآي، والتقدير: باخع نفسك أسفًا"[3]. وفي قول الحق سبحانه {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: 64] فالتقديم

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/ 963)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 180)

(3) المصدر السابق (ج2/ 237)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتخصيص مع مراعاة الفاصلة {سُجَّدًا} جمع ساجد أي حال كونهم ساجدين على وجوههم وَقِياماً جمع قائم مثل نيام ونائم او مصدر اجرى مجراه أي قائمين على أقدامهم وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل وليعلم ان القيام في الصلاة مقدم مع ان السجدة أحق بالتقديم لما ورد (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[1]، وفي قول الحق سبحانه: **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ۝ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: 34-35]** يقول الإمام: "{وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ} وهي شجرة السنبلة عن ابن عبّاس وأبي مالك وعطيّة ووهب وقتادة، وشجرة العنب عن ابن مسعود والسدّي وجعدة بن هبيرة وإحدى الروايات عن ابن عبّاس، وشجرة العلم عن الكلبيّ، يعني علم الخير والشرّ، {فَتَكُونا} نصب على جواب النهي بالفاء، ويجوز أن يكون جزما على العطف على قوله: (ولا تقربا هذه الشجرة)، وإنّما اقتضى النهي جوابًا مع استعماله بنفسه، وكذلك الأمر، لوجوب الجزاء عند ارتكاب النهي والائتمار بالأمر، فصارا من هذا الوجه كالشرط، وإنّما لم يقل: ظالمين، لوفق رؤوس الآي"[2].

ومثاله أيضًا ما ورد في الأسلوب القرآني قوله سبحانه: **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 1 - 4]** أما في قول الحق سبحانه: **{ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 64- 65]**، يقول الإمام في توضيحه أن كلمة الخاسرين جاءت مع كلمة خاسئين وكما في تعبيره لوفق رؤوس الآي في الآية الكريمة: "{قِرَدَةً} واحده قرد، كالفيل والفيلة، وهو ضرب من الوحوش يأتلف كالدّبّ. {خاسِئِينَ} متباعدين على الذلّ والصّغار، وتقديره: خاسئين قردة، وإلا يقال: قردة خاسئة، لكن التقديم والتأخير لوفق رؤوس الآي"[3]، وفي قوله سبحانه: **{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ۝ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 75- 76]** ، يقول الإمام في قوله: "{بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ} تأليف، استمالة لقلوب المؤمنين بالعهد،(بل): إضراب عن الكلام الأوّل، و (من

(1) ينظر: الإستانبولي، روح البيان (ج6/ 242)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 136)

(3) المصدر السابق (ج1/ 173)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أوفى): مبتدأ، وهو شرط، {وَاتَّقى} زيادة في الشرط، جوابه: {فَإِنَّ اللهَ}، وإنّما لم يقل: فإنّ الله يحبّه لنظم الآي، ولم يقل: يحبّ الموفين بالعهود والمتّقين؛ لأنّ الوفاء بعض التّقى فهو داخل فيه"[1]. وفي قوله سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [آل عمران: 22- 23] يقول الإمام: "حبوط عملهم في الدنيا أنّه لم يفد ثناء حسنًا، وحبوطه في الآخرة بطلان الثّواب، {ناصِرِينَ} من عذاب الله تعالى، وإنّما جمع {ناصِرِينَ} لنظم الآي"[2]، فالفاصلة الأولى ناصرين حتى قوله معرضون تسع عشرة لفظة، والإمام أشار أن لفظة ناصرين جمعت لنظم الآي.

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 408)
(2) المصدر السابق (ج1/ 387)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الحادي عشر: تجاهل العارف

فن طريف هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلًا منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التدله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ، وهو على قسمين: قسم يكون الاستفهام فيه عن شيئين أحدهما واقع والآخر غير واقع، وقد ينطق بأحد الشيئين ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه، وهو على قسمين: موجب، ومنفي، وقد جاء منه في الكتاب العزيز ما لا يلحق سبقًا، كقوله سبحانه: {فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} **[القمر: 24]** ، فهذا خارج مخرج التعجب، وقوله سبحانه: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} **[هود: 87]** ، وهذا خارج مخرج التوبيخ، وقوله سبحانه: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} **[المائدة: 116]** وقوله سبحانه: {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} **[الأنبياء: 62]** وهذان الموضعان خرجا مخرج التقرير، ومما جاء من القسم الثاني في الكتاب العزيز قوله سبحانه:{وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} **[يوسف: 31]** فحصل في فصاحة النسوة من المبالغة والتهذيب ما لم يقع في فصاحة العرب حيث شبهوا كل من راعهم حسنه بالجن(1).

تجاهل العارف في اللغة والاصطلاح:

تجاهل العارف عبارة عن سؤال المتكلم، عما يعلم، سؤال مَنْ لا يعلم، ليوهم أن شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به، وفائدته المبالغة في المعنى، نحو قولك: أوجهك هذا أم بدر، فإن المتكلم يعلم أن الوجه غير البدر، إلا أنه لما أراد المبالغة في وصف الوجه بالحسن استفهم: أهذا وجه أم بدر؟ ففهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر، فإن كان السؤال عن الشيء الذي يعرفه المتكلم خاليًا من الشبه بين الوجه والبدر، لم يكن من هذا الباب، بل يكون من باب آخر كقوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} **[طه: 17]** ، فإن السؤال هنا، ما وقع لأجل المبالغة في التشبيه المشار إليه، في تجاهل العارف، بل

---

(1) ينظر: ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص135– 137) وشهاب الدين محمود، حسن التوسل إلى صناعة الترسل (ص 58) ومحمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج17/ 46)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو لفائدة أخرى، إما الإيناس لموسى عليه السلام، لأن المقام مقام هيبة واحترام، وإما إظهار المعجز الذي لم يكن موسى يعلمه(1)، لا يحب السكاكي تسميته بالتجاهل ويسميه (سوق المعلوم مساق غيره) يقول: "ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا أحب تسميته بالتجاهل(2)، وسوق المعلوم مساق المجهول لنكتة تقصد لدى البلغاء، والدواعي لتجاهل العارف كثيرة(3)، ويسميه العسكري: " تجاهل العارف ومزج الشك باليقين: هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا"(4).

تجاهل العارف في تفسير درج الدرر:

يقول الإمام في توضيح قصد سؤال قوم شعيب في الآية الكريمة: **{ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: 87]** "كان شعيب عليه السّلام كثير الصّلاة والعبادة والدّعاء، وكانوا يستحسنون ذلك منه، فلمّا دعاهم إلى خلع الأنداد، وإيثار القسط، رأوه قبيحة، فقالوا تعجبًا: أصلاتك الحسنة أثمرت، وأفادت هذه الدعوة؟ وفيها اختصار، تقديرها: تأمرك، وتحملك على تكليفنا أن نترك، وقيل: تقديره: أصلاتك تأمرك، وإيانا أن نترك ما يعبد آباؤنا، وتنهاك وإيّانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، {الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} السّفيه الجاهل، كقوله: **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:49]**، وقيل: هو على ظاهره، أي: كنت الحليم الرشيد حتى الآن، كقول ثمود لصالح: **{كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا} [هود:62]** "(5)، ويبين الإمام قصد سؤال الحق سبحانه لعيسى عليه السلام: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ} بقوله: " السّؤال سؤال لوم وتقريع للنّصارى عند الجمهور، وسؤال الابتلاء والاختبار عند السدّي، روي أنّ عيسى عليه السّلام لمّا سئل هذا السّؤال أرعد كلّ مفصل منه، وانفجرت من تحت كلّ شعرة عين دم، {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ} تأكيد للنّفي، إذ لا يصحّ شيء من الأشياء لا يعلمه الله تعالى، والعلم أعمّ من السّمع، قال: **{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه:7]**، {تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي} مضمر ما في قلبي، {وَلا

---

(1) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 274)

(2) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 427- 428)

(3) ينظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/ 396)

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص 396)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 111- 112)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَعْلَمُ} ما هو مستور في غيبك. وإنّما ذكر النفس بمزدوج الكلام، ولا يحلّ نفس الله شيء من الحوادث، تعالى الله أن يكون ظرفًا للأشياء"[1].

يقول الحق سبحانه: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 19] يوضح الإمام فائدة السؤال: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ} "الإفحام، أو تفخيم الأمر في نفوس المخاطبين، وفي الآية دلالة على جواز إطلاق اسم الشّيء على الله، وإنّما لم يقل: شهيد لي ولكم ؛ لأنّ الشّهادة لم تكن لهم، وإنّما لم يقل: عليّ وعليكم؛ لأنّ الشّهادة لم تكن عليه، {وَمَنْ بَلَغَ} دلالة أنّ النّاس كلّهم مخاطبون بالقرآن على شرط العقل والسّماع،{أَئِنَّكُمْ} استفهام بمعنى التّقريع واللّوم، والسّؤال بـ (أئنّ) للتّقريع"[2]. وفي قول الحق سبحانه: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 44] يوضح الإمام المراد في قوله سبحانه:{أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} **المراد بالوعد فى حقّ أهل النّار الوعيد◉ وإنّما وقعت العبارة عنه بالوعد لازدواج الكلام◉ كقوله:** {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ} [الكهف:29]، ويحتمل أنّ المراد بالوعد في حقّ الفريقين جميعًا هو البعث بعد الموت، قال الله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا} [النّحل:38]، وفائدة السّؤال التّقريع والتّبكيت"[3].

يذكر الإمام في تفسير قوله سبحانه:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ◉ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: 76 - 80] "أي: بنو إسرائيل أنّه من سليمان أنه كان نبيًا مرضيًّا أم ملكًا مقارفًا للمعصية، وقد زكّاه الله وأثنى عليه.{إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى} ولكنّ الله أسمعهم كلامه على سبيل التقريع وهم في قليب بدر"[4]، وفي قول الحق

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 596)

(2) المصدر السابق (ج1/ 602)

(3) المصدر نفسه (ج1/ 654)

التَّبْكِيتُ: ضرب بالعصا والسيف ونحوهما [بكّته بالعصا تبكيتًا، وبالسيف ونحوه]، التبكيت. يُقَال بكته بِذَنبِهِ تبكيتا. (بكت) الباء والكاف والتاء كلمة واحدة لا يقاس عليها، وهو التبكيت والغلبة بالحجة. التبكيت: التقريع والتوبيخ. ينظر: الخليل بن أحمد، العين (ج5/ 342)، ابن قتيبة، غريب الحديث لابن قتيبة (ج2/ 323)، ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (بكت) (ج1/ 287)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (بكت) (ج2/ 11)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 415)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} **[الأنبياء: 22]** وهذا مسوق للتهكم وإدماج لإثبات البعث بطريقة سوق المعلوم مساق غيره المسمى بتجاهل العارف، إذ أبرز تكذيبهم بالبعث الذي أخبرهم الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في صورة تكذيبهم استطاعة الله ذلك وعجزه عنه(1).

يقول الحق سبحانه: { **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات: 58 - 61]** يقول الإمام في توضيح قصد السؤال: "{أَفَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ} سؤال منه لأصحابه الذين معه [في] الجنّة أو للملائكة على سبيل التّقدير يريد به تقريع قرينة الكافر، {إِلاّ مَوْتَتَنَا الْأُولى} تأكيد للكلام من حيث قطع توهّم السّامع أن يكون الكلام عامًّا في اللّفظ خاصًّا في المعنى مطلقًا على نيّة الاستثناء، كقولك لغريمك: ما لي عليك حقّ إلا الذي أخذته منك، وقريب منه قوله: **{وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاّ ما قَدْ سَلَفَ} [النساء:22]**"(2)، ومنها تجاهل العارف في قوله: **{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} [الأنبياء: 52]** ؛ لأن هذا السؤال تجاهل من إبراهيم، وإلّا فهو يعرف أن حقيقتها حجر، أو شجرٌ اتخذوها معبودًا. ليجيبوه بقولهم: {وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ} تسجيلًا عليهم بالتقليد، والقول بغير برهان، والانجرار إلى ما عليه آباؤهم"(3)، ومن تجاهل العارف أيضًا قوله سبحانه: **{قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} [الأنبياء: 62- 63]** "وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلًا منه، ليخرج الكلام مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة الوله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير"(4). يذكر الإمام: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لم يكذب إبراهيم قطّ إلا ثلاث كذبات: قوله: **{إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات:89]**، وقوله: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ،} وقوله لسارة: أختي". قال: لهذا النوع من الكذب رتبة الصدق، قال عليه السّلام: "لا كذب إلا في اثنتين: في إصلاح ذات البين، وفي حديث الرجل لامرأته، وحديث المرأة لزوجها"(5).

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/ 38)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 512)

(3) العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (ج18/ 162)

(4) المصدر السابق (ج18/ 163)

(5) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 313)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني عشر: أسلوب الحكيم

يعد القرآن الكريم خير مصدر لدراسة "البلاغة العربية" ذلك أن القرآن الكريم حوى أكثر ما تحدث عنه البلاغيون كما أنه كثيرًا ما خرج عن تلك التقسيمات التي ذكروها فصنع تميزًا خاصًا، ودراسة أي فن بلاغي من خلالهما يمنح تلك الدراسة حيوية مستمرة، لأن قيمة البلاغة لا تظهر إلا بالتذوق، وأسرار القرآن الكريم عظيمة لا حدود لها.

أسلوب الحكيم في اللغة والاصطلاح:

كل كلام محكم، وفي صفة القرآن: الذكر الحكيم أي الشرف المحكم العاري من الاختلاف"[1]،"وقيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"[2]. و "هو عند علماء البلاغة صَرْفُ كلامِ المتكلّم أو سؤال السائل عن المراد منه، وحَمْلُه على ما هو الأَوْلَى بالْقَصْد، أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد، وسمّاه الشيخ "عبد القادر الجرجاني": "المغالطة"[3]. أسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب في مثل قوله سبحانه: **{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [الأعراف: 76]** عدلوا عن الجواب المطابق وهو إنا بما أرسل به كافرون لدلالته على أن إرساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فكأنهم قالوا ليس إرساله معلومًا لنا مسلمًا عندنا وليس هناك إلا دعواه وإيمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون فالمؤمنون فرعوا ايمانهم على الإرسال الثابت والكفار فرّعوا كفرهم على ايمان المؤمنين واعلم ان الله تعالى ذم الكفار بوجهين أحدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والآخر أنهم استضعفوا من كان يجب أن يعظموه ويبجلوه، ومدح المؤمنين حيث ثبتوا على الحق وأظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار كما دل عليه **قوله {إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف:75]**[4]، فهو إما تلقي المخاطب بغير ما يترقب بسبب حمل كلام المخاطب على خلاف ما أراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد والإرادة، وهذا عين القول بالموجب؛ لأن حقيقته حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقة؛ وإما تلقي السائل بغير ما يتطلب تنبيهًا على أن الأولى له والأهم إنما هو السؤال عما أجيب عنه،أن يتلقى المخاطَب بأمر لا يتوقعه، وله طرق منها : ترك سؤاله والإجابة عن سؤال

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج4/ 311)

(2) المصدر السابق (ج12/ 140)

(3) الميداني، البلاغة العربية (ج1/ 498)

(4) ينظر: الألوسي، روح البيان (ج3/ 192)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آخر افتراضي، أو الإجابة عن سؤاله بغير ما يقصد السائل، كأنك تقول له كان ينبغي أن تسال عن كذا.

ويشير السكاكي في مفتاح العلوم أن هذا الأسلوب من علم المعاني بقوله:" وليكن هذا آخر كلامنا الآن في علم المعاني منتقلين عنه على علم البيان بتوفيق الله تعالى وعونه حتى إذا قضينا الوطر من إيرادنا منه لما نحن له استأنفنا الأخذ في التعرض للعلمين لتتميم المراد منهما بحسب المقامات إن شاء الله تعالى"[1]، وفي خزانة الأدب للحموي ذكر القول بالموجب أو أسلوب الحكيم:" ويقال له أسلوب الحكيم، وللناس فيه عبارات مختلفة: منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم، أو يقول بالصفة الموجبة للحكم، ولكن يثبتها لغير من أثبتها المتكلم"[2].

أنواع أسلوب الحكيم:

الأول: حمل كلام المخاطب على معنى غير المعنى الذي يقصده، وفيه شيء من المفاجأة، وفيه أيضًا شيء من الحكمة، والتنبيه اللطيف على أن الأولى بمثل المخاطب أن يكون هذا المعنى مراده لا ما ذكره، ومثاله قول الحجاج لابن القبعثري: لأحملنك على الأدهم، فقال له: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، أراد الحجاج: لأحملنك على القيد أي لأعذبنك، فالأدهم في كلامه مراد به القيد، ثم إن ابن القبعثري وجه لفظ الأدهم إلى معنى آخر هو الفرس الأدهم أي الذي فيه سواد، وكأنه يقول للحجاج من طرف خفي: الأولى بمثلك وهو في هذا السلطان، وهذه الهيئة أن يهب الخيول الدهم لا أن يقيد ويعذب، فإن الانتقام خلق الضعفاء، أما العطاء فهو خلق ذوي السلطان، قالوا: قال له الحجاج: إنه الحديد أي أنا أقصد بالأدهم القيد الحديد، فقال له ابن القبعثري: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا، أي: لأن يكون الفرس ذا حدة وقوة، ونشاط خير من أن يكون بليدًا فاترًا [3].

القسم الثاني: أن القول بالموجب، هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده، مما يحتمله بذكر متعلقه[4]. إن ما قدمه الجاحظ من أمثلة شتى في هذا الباب قد لفت أنظار

---

(1) السكاكي، مفتاح العلوم (ص 328)

(2) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 258)

(3) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص 270)

(4) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/ 259)، الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص، والسكاكي، المفتاح في علوم البلاغة (ج4/ 633)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البلاغيين من بعده لهذا النوع من الكلام، وأعطاهم الأساس، يقول الجاحظ في البيان والتبيين: "من اللغز في الجواب، قالوا: كان الحطيئة يرعى غنمًا له، وفي يده عصا، فمر به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجراء [1] من سلم يعني عصاه. قال: إني ضيف. فقال الحطيئة: للضّيفان أعددتها[2].

أسلوب الحكيم في تفسير درج الدرر:

سمي الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا الأسلوب في دلائل الإعجاز (المغالطة) بقوله: "وقول الناس: مثلك رعى الحق والحرمة"، وكقول الذي قال له الحجاج: (لأحملنك على الأدهم)، يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة: (ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب)، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه"[3]، يسمي الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (المغالطة) حيث أشار إلى نفس المثال الذي يورده البلاغيون في أسلوب الحكيم، أما في درج الدرر فقد أطلق عليه الإمام(الغلط) حين فسر الآية الكريمة: **{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: 11]** يذكر الإمام: "سلّموا للإنصاف في الجدال بما استدركوا الغلط في سائر دعاويهم بإثبات المشيئة لله في تفضيل بعض البشر على بعض بالخصال الحميدة؛ لإفحامهم في الجدال لعجزهم عن إنكار المشاهدة"[4] ، ومن هذا يتضح التقارب في فكر الإمام في الكتابين(دلائل الإعجاز ودرج الدرر)، أما قول الرسل إن نحن إلا بشر مثلكم جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع ببيان محل الاستدلال غير تام الإنتاج، وفيه إطماع في الموافقة، ثم كر على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم، ونظيره قوله سبحانه: **{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: 8]**، وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع على المناظر، فليس قول الرسل إن نحن إلا بشر مثلكم تقريرًا للدليل ولكنه تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله. ومحل البيان هو الاستدراك في قوله: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**

---

(1) العصا عجراء إذا كَانَت ذَات عجر، وَقَالَ رجل من الْعَرَب للحطيئة وَهُوَ رَاع: مَا عنْدك يَا راعي الْغنم؟ قَالَ: عجراء من سلم. قَالَ: إنِّي ضيف. قَالَ: للضيف أعددته. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة (ج1/ 461)

(2) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين (ج2/ 100- 101)

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر (ج1/ 138)

(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 159)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِـنْ عِبَـادِهِ } [إبـراهيم: 11] ، والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم(1).

يقول الحق سبحانه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 91] يقول الإمام مبينًا مكر اليهود حين يعدلون عن الجواب ويظنون أن جوابهم مخلص عن الكفر: "{وَإذا قِيلَ لَهُمْ} نزلت في من تكبّر من اليهود أن يقول عند الدعوة: نعم، وتحرّج أن يقول: بلى، فكانوا يعدلون عن الجواب إلى قولهم: {نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا} يعنون التوراة، ويظنّون أنّ جوابهم مخلّص عن الكفر، كما أنّ المؤمنين يقولون عند الشّكّ: آمنّا بجميع ما أنزل الله على رسله، فخطّأ الله اليهود وحكم بكفرهم إذ قال: { وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ}"(2).

يقول الحق سبحانه: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ۝ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [إبراهيم: 11- 12]، يقول الإمام: "{إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} سلّموا للإنصاف في الجدال بما استدركوا الغلط في سائر دعاويهم بإثبات المشيئة لله في تفضيل بعض البشر على بعض بالخصال الحميدة؛ لإفحامهم في الجدال لعجزهم عن إنكار المشاهدة"(3).

يقول الحق سبحانه: { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } [طه: 17- 18] وفي هذه الآيات قد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه مثل الاستلذاذ بالخطاب كما في جواب {وما تلك بيمينك يا موسى} وإظهار الابتهاج بالعبادة والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ السائل، كما {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} (4)، يقول الإمام: "{وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ} فائدة تقرير الحال لتفخيم الإحالة، {أَتَوَكَّؤُا} أتّكئ.{وَأَهُشُّ بِها} أخبط بها الشجر ليتناثر ورقها.{مَآرِبُ} حوائج، وإنّما ذكر منافع العصا ليكون به مؤتمرًا غاية الائتمار أو

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج13/ 201)

(2) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 197)

(3) المصدر السابق (ج2/ 159)

(4) ينظر: أبو البقاء الحنفي، الكليات (ص 501)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شاكرًا"[1]. أما في قول الحق سبحانه:{**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**} **[المائدة: 68]**، يقول الإمام: {يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ} قال ابن عبّاس: قالت جماعة من اليهود للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يا محمّد هل تقرّ بأنّ التّوراة حقّ؟ قال: نعم، قالوا: فنحن نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها؛ لأنّه متّفق عليه، فردّ الله عليهم بالمنع في ضمن قوله: {حَتّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ} أي: لستم آخذين بها ولا مقيمين إيّاها، وبالتّنبيه على فساد أصل المقالة في ضمن قوله: {وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} أي: ما ثبت من القول الجابر بالإعجاز والأمر والنّهي، فإنّ الموجب لقبول الكتاب هذا المعنى دون الإجماع، وإذا كان الموجب هذا لزم الحكم بوجوده وزال لعدمه"[2].

الإفحام يتمثل به البعض دفاعًا عن نفسه بأبسط طريقة، فهي ناجحة مبهرة فالأجوبة المفحمة مثار إعجاب الخاصة من أهل الأدب والبلاغة والعامة من الناس والمتذوقة، وفي دراسة لمنيرة منير محمد فاعور بعنوان: (بلاغة الأجوبة المسكتة، أسلوب الحكيم نموذجًا): حيث تشير إلى سمات الجواب المسكت في: السرعة في الرد والإصابة في القول والإيجاز في التعبير وحسن البيان وإفحام الخصم وإسكاته، وهذه النتيجة النهائية للسمات الأربع السابقة وهي قطع الطريق على المخاطب للرد أو الاستعداد للرد، فالأجوبة المسكتة تشبه الضربة القاضية[3]، كما وصفتها الباحثة، وتُبين أن الأسلوب الحكيم حقق حضورًا ملموسًا في الأجوبة المسكتة، برز في كثرة استعماله، وفي حسن استخدامه، وفي مهارة قائليه، وهو ينم على قدرة لغوية فائقة وحسن في التصرف وفطنة بهدف إقامة الحجة، وإفحامه عن الرد، وإعجازه عن المجاراة[4]، وتشير إلى كتاب الأجوبة المسكتة لإبراهيم ابن أبي عون تحقيق مي أحمد يوسف، فالجواب المسكت مجموعة من الأجوبة الحاذقة الذكية يرد بها المسئول على من سأله ليفحمه بالجواب المسكت، فهو قول بليغ يعتمد على المشافهة يقصد به تصحيح لكلام، أو إثبات حق، أو دفع شبهة مع الإصابة والسرعة.

إن عنوان الكتاب يدل على محتواه فالكتاب ليس مجرد مجموعة من الأجوبة الذكية المختارة فقط، بل في الحقيقة أكثر من ذلك ، فالأجوبة لم ترد مجردة أو منفردة، بل جاءت في

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج2/ 288)

(2) المصدر السابق (ج1/ 576)

(3) ينظر: منيرة محمد فاعور، بلاغة الأجوبة المسكتة أسلوب الحكيم نموذجًا (ص 116- 119)

(4) المصدر السابق (ص 126)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرض سرد لبعض الأخبار والقصص والنوادر والأمثال(1)، ومما ورد في الكتاب: :"سمع رجل يقول: أين الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة؟ قال اقلب كلامك وضع يدك على من شئت"(2)، ومنه أيضًا "قال المعتصم للفتح وهو صبي، وفي يده فص أرأيت أحسن من هذه الجوهرة، قال: نعم، اليد التي هي فيها"(3).

الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه درج الدرر لا يأتي على ذكر أسلوب الحكيم بالمسمى المعروف عند البلاغيين ولكن الإمام له مسمياته التي انفرد بها ومنها مصطلح الإفحام الذي ورد كثيرًا في كتابه. ففي قول الحق سبحانه: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} **[الأنعام: 12]** يقول الإمام في تفسير الآية الكريمة: "{قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} لم يقدروا أن يطلقوا إضافة الملك إلى آلهتهم، وكرهوا التّسليم للسّائل صلّى الله عليه وسلّم، فأمر الله أن يأتي بجواب سؤال بعينه، وفائدته الإفحام، {كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ} ضمن ووعد، {الرَّحْمَةَ} الإمهال بعد الدّعوة إن شاء الله. {لَيَجْمَعَنَّكُمْ} أي: والله ليجمعنكم ، {الَّذِينَ خَسِرُوا} مبتدأ في معنى الشّرط، ولذلك أجاب بالفاء.{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} **[الأنعام: 81]**"(4)، ويقول أيضًا: "{وَكَيْفَ أَخافُ} استفهام دخل على شيئين بمعنى الإنكار: خوف إبراهيم وأمن المخاطبين. {أَنَّكُمْ} أي: بأنّكم، أو لأنّكم. لمّا وقع الإفحام بالسّؤال أتى إبراهيم بالجواب"(5)، وفي قوله سبحانه: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } **[الأنعام: 144]** ، يقول الإمام: "وفائدة تكرار النّظم الأوّل صحّة السّؤال واستئناف الإلزام، {أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ} مطالبة بالتّوقيف الذي يكون بالوحي، وفائدة المطالبة هو الإفحام، فلم يجسروا على دعوى الوصيّة لخوفهم المطالبة بالبرهان فأفحموا عن الجواب وانقطعوا في الجدال"(6).

(1) ينظر: إبراهيم ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة (ص37)
(2) المصدر السابق (ص8)
(3) المصدر نفسه (ص40)
(4) عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (ج1/ 601)
(5) المصدر السابق (ج1/ 618)
(6) المصدر نفسه (ج1/ 635)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النتائج والتوصيات

وتتويجًا للبحث لابد من سرد أبرز النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث من خلال دراسته (الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر في الآي والسور للإمام عبد القاهر الجرجاني).

أولًا: النتائج

- يعد كتاب تفسير (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) أو (تفسير درج الدرر في تفسير الآي والسور) للإمام عبد القاهر الجرجاني من كتب التفسير القيمة، وقد حوى الكتاب نقولًا غزيرة عن عدد من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وعلم الكلام وغيرها من العلوم.
- تعتبر الدراسة جديدة حيث تم تحقيق الكتاب أول الأمر في شكل أجزاء على يد وبصيرة كثير من الباحثين والدارسين إلى أن انتهى الأمر وتم تحقيق الكتاب كاملًا، فصدر حديثًا في العام 2008م تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين يشاركه إياد عبد اللطيف القيسي، وفي العام2009م تحقيق: طلعت صلاح الفرحان يشاركه محمد أديب شكور. فالكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني موافقًا لرأي المؤلفين : (وليد بن محمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي) خلافًا لرأي مؤلفي درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام عبد القاهر الجرجاني (الفرحان وشكور) حيث رجح لديهم بأنه ليس للإمام مع أنهم لا يستطيعون نسبته لغير الإمام، وحسب ما ترجح لدى الباحث – والله أعلم – أن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني قطعًا لقول كل خطيب لا ظنًا دون تمحيص وتدقيق، وفي الدراسة مبحث كامل عن الأدلة التي تؤكد هذا الترجيح وتوافق من أكد أن الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني.
- لقد تبين أن ما ورد في الكتاب من إشارات حول نظرية النظم كثير حيث يشير الإمام في أكثر من موضع إلى نظريته، حيث أشار على أن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك، لزوم الفنّ الواحد من هذه الفنون، والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربيّ مبين. وعنده أن حدّ الإعجاز هو الإتيان بناقض العادة، الخارج عن طوق من هو مثل صاحب المعجزة في الخلقة، وذلك الشيء يزينه ولا يشينه، ويكون برهانًا على صحّة دعوى النبوّة، وإنّما وقع التحدّي، ههنا بنظم عجيب بديع، تضمّن،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى صحيحًا غير متناقض ولا هزل، فيسمّيه، الفصحاء لطيبه وذوقه وبدوّ أحكامه شعرًا وسحرًا.

- جمع الجرجاني بين مذهبي البصريين والكوفيين وخلط بينهما، فقد كان من أنصار المدرسة الانتقائية، فيورد أحيانًا مصطلحات البصريين وأحيانًا أخرى مصلحات الكوفيين، فلم يتعصب لمذهب معين، ولا يقف على مسائل الخلاف بل كان ينتقي ما وافق قناعاته ومنهجه. الإمام عبد القاهر الجرجاني "بالأساس رجل نحوي، وهكذا كان يسمى قديمًا، وأقواله بالأساس دفاع عن النحو، بل إن علم المعاني الذي قيل أنه واضع أصوله لم يكن إلا إحياء لروح المعنى والحس والذوق في علم النحو، الإمام لم يلتزم بمذهب المدرسة البصرية ولا تعصب لمذهب المدرسة الكوفية، بل يقرر آراء أحد المدرستين في الكثير من المسائل النحوية دون ترجيح أحدهما، فلم يعرضها بشكل خلاف نحوي، وإنما أوردها من خلال تفسيره للآيات القرآنية الكريمة وإعرابها.
- كان للإمام الجرجاني منهجه الخاص في الانتقاء والاختيار ورؤيته لدلالات الإعراب وعلاقتها بالنظم والمعاني بحيث تقتضي علم النحو وأصوله. وكان أحيانًا يورد الإمام عبد القاهر الجرجاني رأي المدرستين دون ترجيح ودون أن ينتصر لأحدهما أو يقر رأيًا دون الآخر، الإمام عبد القاهر الجرجاني وإن كانت له اختياراته من المدرستين وفقًا لرؤيته ومنهجه فهو في مواضع كثيرة يعرب عن رأيه مبديًا وجهة نظره موضحًا موقفه، فيقوم بتحليل المسائل النحوية وفقًا لذلك مع إيراد الاحتمالات المختلفة والأوجه الإعرابية وأسباب الجواز والوجوب مكررًا في تفسيره كلمة (ويحتمل)، وذلك تعبير واضح على مرونته وسعة معرفته.
- فطن الإمام عبد القاهر الجرجاني للمفهوم الحديث للتصريف وكل ذلك في إطار نظريته المشهورة نظرية النظم، فبين دلالات الألفاظ حين تتغير صورها وما يترتب عن ذلك من معان جديدة كما التصريف عند المحدثين: يعنى بالنظر فيما يعرض من للكلمات من تغيير في الصورة والشكل لاختلاف المعاني أي تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لاختلاف المعاني.
- ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني أهم الأغراض والأساليب البلاغية (خبرية أو إنشائية) فالإنشاء قسيم الخبر، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب حيث أوضح أغراض الخبر في توضيحه الوجوه البلاغية والإشارات الدلالية: فذكر الإنكار والتوبيخ والاستهزاء والتهكم وإظهار التحسر والاستغفار، وبين الخبر لإظهار الضعف والتحسر على فوات المأمول وتحريك الهمة والتحريض والوعد والوعيد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتوعد، وأشار إلى الخبر للتحذير والتعظيم والتقريع، وتفرد الإمام في حديثه عن أغراض الخبر دون أن يحدد مسميات اصطلاحية عرفت لاحقًا، لكنه من خلال التفسير يتضح أسلوبه الموجز، فيبدأ تفسيره بالمفردة وتصريفها، ومواقع الكلم والسياق وتبيان الدلالة فنجده يوجز مرة وأخرى يفصل وينَّوع في تفسيره بين الصرف والنحو والبلاغة والمعاني وفصاحة الآيات وسرد العبر من خلال القصص والموروث.

- الإمام في تفسيره لمعاني الخبر إنما كان مقصده تفسير المعاني القرآنية وتوضيح الشريعة الإسلامية مبرزًا بذلك فصاحة القرآن مستعينًا في كل المواضع بالحديث النبوي الشريف والشعر العربي والموروث القصصي وبآراء الفقهاء ومذاهبهم، وينتقى ما يجده وفق رؤيته ومسعاه، والغرض الأسمى من ذلك هو بيان إعجاز وفصاحة القرآن وبيان سبل نظمه ودلالة معانيه معتمدًا تفسير معاني المفردات ومواقع الكلم والسياق العام للآيات لفهم الخبر ومعانيه البلاغية.
- في تفسير درج الدرر يتبيّن أنّ الإمام ينهج مذهب الشافعي في بعض المسائل وينهج منهج الإمام أبي حنيفة النعمان في بعضها. فالإمام يتتبع الرأي الأرجح بدليله، إما بالأدلة المفصلة التي يعرفها ويفهمها، وإما بأن يرى أحد رجلين أعلم بتلك المسألة من الآخر وهو أتقى لله فيما يقوله فيرجح قول على قول، فالإمام عبد القاهر الجرجاني لا يأخذ برخص الفقهاء لمجرد الهوى، بل تكون أقوال الفقهاء التي يُترخّص بها معتبرة شرعًا بدليل شرعي يذكره فيرجح المسألة.
- يفرق الإمام بين اللغة الفنية والكلام المعتاد، لا من حيث الصحة اللغوية أو النحوية، بل من حيث الفنية التي تنطلق من قوانين اللغة، وعبارته المشهورة أن ليس النظم لا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، فهذه العبارة مهدت الطريق لرؤيته العلمية ومنهجه في التفكير النحوي والبلاغي.
- إن المصطلح البلاغي قديمًا كان مزيجًا من علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع حيث أطلق اسم البلاغة والفصاحة والمجاز والبراعة والبيان أو البديع أو نظرية النظم، فمن الصعوبة إيجاد المصطلح الذي يناسب وجوه البيان والإعجاز والدلالات، فكان الإمام يذكر العدول ويريد الالتفات ويشير إلى أسلوب الحكيم حين يتحدث عن الإفحام والغلط ويبين المشاكلة دون الإشارة إلى المصطلح، ويتحدث عن المجاز دون أن يفصل في علاقاته وأنواعه، ويشير إلى الاستعارة بشكل عام وإلى التشبيه والتمثيل وغيرها كالكناية والتعريض،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبين صنوف المعاني والبديع بعبارات موجزة مكثفة، وربما أراد أن يأخذ كتابه طابع الاختصار.

- لقد تميز وانفرد الإمام في تفسير درج الدرر بتبيانه أوجه البلاغة والفصاحة والإعجاز في الآيات الكريمة بعبارة موجزة مكثفة، لكنه كان يتبع ذلك بتوضيح الآراء المختلفة، واحتمالات الدلالة المتنوعة مدعمًا كلامه بالقرآن الكريم فكان تفسيره يقوم على التالي: تفسير القرآن بالقرآن، الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، إدراج آراء العلماء، الشواهد الشعرية، القصص، الأخبار، الأمثال، وغيرها. ومن خلال نظرية النظم تعددت أنواع علم المعاني مثل: الفصل والوصل، حروف العطف، التعريف والتنكير، التقديم والتأخير، الحذف، التكرار، الإضمار، والخبر والإنشاء.
- أنكر الإمام عبد القاهر تلك المميزات في فصاحة اللفظ دون السياق، بل للنظم العجيب البديع المتضمن معنى صحيحًا، فالفصاحة لا تظهر إلا بعد أن نعد جملة من القول لإبراز تلك الدقائق والأسرار فلا يمكن بحال من الأحوال أن نقدم اللفظ على المعنى من حيث فصاحة لفظه فلا توجب الفصاحة للفظ مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي فيه، ولكن موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها، فجمالية الكلمة وفصاحتها لا يكمن في ذاتها، بل في موقعها المناسب مع أخواتها، أي في سياقها الذي لا يكون غيره.
- اهتم الإمام بالبديع ومحسنات الكلام، لاشتمالها أيضًا على المعاني والبيان؛ لأن رعاية المطابقة أمر يختص به علم المعاني، ووضوح الدلالة أمر يختص به علم البيان، ولا بد من اجتماعهما في ألوان ومحسنات البديع، فهو علم ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، ولعلّ عبد القاهر الجرجاني خير من فصّل في هذه القضية، حيث ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها، فالنفس تستريح إلى هذا التوافق إذا جاء غير متكلف.

ثانيًا: التوصيات

- إن الذي تركه عبد القاهر الجرجاني من مصنفات بلاغية ونحوية وتصريفية وغيرها يدرك دونما شك أنه عَلَمٌ من أعلام التراث العربي أجمع العلماء على تفوقه، والاعتراف بتميزه، إنما اختلف بعضهم بتوجيه دراسته ومنهجه، لكنه متنوع الثقافة من نحوية إلى نقدية إلى أدبية إلى بلاغية، ويستدعي ذلك البحث في تراثه العلمي بشكل عام وبتفسير درج الدرر بشكل خاص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- لاشك في أنَّ الإمام عبد القاهر الجرجاني من كبار علماء اللغة والنحو والبلاغة والتفسير، وذائقته اللغوية والفنية لم تقف عند حد بل تناول في تفسيره وجوه البلاغة جميعها في عصر سبق تقنين وتحديد المصطلح البلاغي، والمدقق في كلام الإمام في تفسير الآيات الكريمة من وجهة بلاغية يلاحظ أنّه اكتفى بالعبارة الموجزة المكثفة التي تفي بالغرض وتحقق المراد، والملاحظ على تفسير الإمام هذا الإيجاز المكثف الذي يصل لكل مستويات القراء بسلاسة دون تطويل وحشو وتكرار. فلا يحدد الإمام في تفسيره تصنيفات أو مسميات بلاغية بتخصيص ولكنه إلى التعميم أقرب، ففي حديثه عن التشبيه لا يذكر إلا كلمتي التشبيه والتمثيل ومشتقاتهما مما يستدعي التأمل بدقة أكثر فيما يذكر للتعرف على ما يريد توضيحه من دلالات ووجوه بلاغية، ويختلف الإمام عن غيره بقدرته على عرض المسائل البيانية بإيجاز يختصر الوجه البلاغي بكلمات معدودة دون شروحات مطولة مملة وتقنين يفرض للوجه البلاغي فروعًا وأغصانًا مما يؤدي لاختلاف الرؤى في التفسير ويتطلب قدرًا من الاجتهاد، لكنه يعرض الكثير من الاحتمالات المطروحة لمسائل التفسير المختلفة في علوم اللغة المتنوعة وقضايا الإعجاز وعلى قمتها وجوه المعاني والبيان والبديع، وكتاب درج الدرر تربة خصبة لإبداع الباحثين والدارسين في كافة مجالات اللغة العربية (النحو والصرف واللغة والبلاغة) مع دراسات الفقه والتفسير والحديث وغيرها. ولاسيما أن مؤلف الكتاب شيخ العربية وإمام البلاغة ورائد البحث في إعجاز القرآن.
- إنَّ أعظم ما اشتغل به الباحثون، وأنفس ما صرفت إليه العقول والأذهان، وأعظم علم وأشرفه هو علم كتاب الله سبحانه جلَّ جلاله، والبحث في أغواره وأعماقه، فقد بذل علماء المسلمين في خدمة هذا الكتاب العظيم جهودًا جَبَّارة منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا وأقلام الباحثين لا تتوقَّف عن إخراج مكنونه ومعارفه المختلفة، فاعتنوا بألفاظه ومفرداته، ومعانيه وتراكيبه، وناسخه ومنسوخه، وأحكامه وقراءاته، وإعرابه وفقهه، إلى غير ذلك من ألوان معارفه المختلفة، وما تركوا جانبًا من جوانب الخدمة لكتاب الله إلا وقاموا به خير قيام، مما يتطلب العمل الدؤوب من الباحثين لطرق جوانب أخرى من درج الدرر زاخرة وغنية كالنحو والصرف واللغة.
- يعدُّ تفسير درج الدرر عملًا موسوعيًا في معارفه الشريفة، فالإمام عبد القاهر شيخ العربية وإن كان أسلوبه مختصرًا مكثفًا، لكنه لا يألو جهدًا في استعراض وبسط الكثير من المسائل التي تحتاج إلى تحرير ومناقشة وتفكر وتدبر؛ لذا يرى الباحث أن المباحث المطروقة في هذا التفسير ينشد إليها طالب العلم المتخصص كما ينشد إلى قراءتها والتلذذ في مادتها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العامة من الناس، فهي تخاطب كل العقول وتصل إليهم بإبلاغهم غاية الإمام بحسن الإفهام بأسلوب شيق ممتع.

- لم يُحَقَق من المخطوطات العربية وتراث سلفنا الصالح سوى معشار العشر؛ لذا تكمن أهمية هذا العلم في ألا يبقى هذا التراث العظيم خزين الرفوف، بل ينبغي أن يفاد منه علميًا، ورحم الله الأوائل وما بذلوه من الجهود في حفظ هذا العلم، فعلينا ألا نترك هذا التراث العظيم دون نفض الغبار عنه، فالمخطوط يحمل القرآن، يحمل الحديث والتفسير، يحمل اللغة والفقه، يحمل تاريخ الأمة وطبقات علمائها وروادها، يحمل كل علم وثقافة، يحمل الأدب والفن ويحمل البنية الأساسية لحضارتها؛ فليبادر طلاب العلم لتحقيق ما دوّن من تراثنا الذي انتبه إليه الغرب فاستفاد منه وبنى عليه وانطلق منه، وسجله لنفسه، وعلى الباحثين دراسته من جوانبه المختلفة وعلومه المتنوعة، ولولا جهود من قام بتحقيق مخطوط درج الدرر حديثًا مفرقًا أو مجموعًا لما وصل لدي الباحث فقام بدراسة الوجوه البلاغية لشيخ العربية وإمام البلاغة والإعجاز وأورد الأدلة التي تؤكد نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني.

وختامًا نسأل الله أن يكون هذا البحث خالصًا لوجه الله تعالى وذخيرة لي ولمن قرأه، فإن كنت قد أحسنت فبتوفيقه وفضله، وإن كانت الأخرى فحسبي أنّني بذلت من الجهد والصّبر والمصابرة في سبيل إنجازه – والله اعلم– والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على نبينا الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المصادر والمراجع

إبراهيم ابن أبي عون. (1996م). *الأجوبة المسكتة*. تحقيق: مي أحمد يوسف، ط.1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية.

إبراهيم أنيس. (1984م). *دلالة الألفاظ*. ط.5، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

إبراهيم أنيس. (1999م). *اللهجات العربية*. القاهرة: دار الفكر العربي.

إبراهيم أنيس.(1978م). *من أسرار اللغة*. ط.6، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

إبراهيم بن إسماعيل الأبياري. (1405 هـ). *الموسوعة القرآنية*. مؤسسة سجل العرب.

إبراهيم محمد الخولي. (1425هـ - 2004م). *التعريض في القرآن الكريم*. ط.1، القاهرة: دار البصائر.

إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. *المعجم الوسيط*. دار الدعوة.

ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري عبد العظيم بن الواحد بن ظافر.(1383هـ-1963م). *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر*. تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي. (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*. ط.3، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار الباز.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين. (1420هـ) .*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ابن الانباري، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة. (1407هـ - 1987م).*الأضداد*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت - لبنان: المكتبة العصرية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط.1، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين. *اللمحة في شرح الملحة*. تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح. (1406هـ – 1986م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط.1، دمشق– بيروت: دار ابن كثير.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي. (1410هـ – 1990م).*البديع في البديع*. ط.1، دار الجيل.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي. *طبقات الشعراء*. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط.3، القاهرة: دار المعارف.

ابن النقيب، أبو عبد الله جمال الدين بن محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي.(1995م). *مقدمة تفسير ابن النقيب*. تحقيق: زكريا سعيد علي، القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس شهاب الدين.(1423 هـ). *التبيان في تفسير غريب القرآن*. ط.1، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1419هـ – 1999م). *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط.7، بيروت: دار عالم الكتب.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1408هـ – 1987م).*الفتاوى الكبرى لابن تيمية*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. *المستدرك على مجموع فتاوى*. ط.1، الناشر: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله.(1416 هـ).*التسهيل لعلوم التنزيل*. ط.1، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. *الخصائص*. ط.4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. *اللمع في العربية*. تحقيق: فائز فارس، الكويت: دار الكتب الثقافية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي.(1373هـ – 1954م). *المنصف(شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني)*. ط.1، دار إحياء التراث القديم.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي.(1421هـ – 2000م). *سر صناعة الإعراب*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري. (2004م). *خزانة الأدب وغاية الأرب*. تحقيق: عصام شقيو، بيروت: دار ومكتبة الهلال– دار البحار.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي.(1379م). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ترقيم: أحمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي.(1390هـ /1971م). *في لسان الميزان*. تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، ط.2، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن أحمد. (1425هـ– 2004م). *مقدمة ابن خلدون*. تحقيق: عبد الله الدرويش، ط.1، دمشق: دار يعرب.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. (1994م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس، ط.7، بيروت: دار صادر.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي.(1987م). *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط.1، بيروت: دار العلم للملايين.

ابن رشيق القيرواني، أبو على الحسن الأزدي.(1401 هـ – 1981 م). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط.5، دار الجيل.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي. (1400هـ – 1980م). *الأمثال*. تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، ط.1، دار المأمون للتراث.

ابن سنان الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي. (1402هـ–1982م). سر الفصاحة. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1417هـ – 1996م). *المخصص*. تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1421 هـ – 2000 م). *المحكم والمحيط الأعظم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحسني العلوي. *عيار الشعر*. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. (1984هـ). *التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. *موجز البلاغة*. تونس: المطبعة التونسية. المكتبة العلمية.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. (1387هـ). *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم .(1404 هـ) . *العقد الفريد*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني. (1418هـ- 1997م). *الكامل في ضعفاء الرجال*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (1415 هـ - 1995 م). *تاريخ دمشق*. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عطية الأندلسي المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422 هـ). *تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري . (1400 هـ - 1980 م). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. ط.20، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار التراث - دار مصر للطباعة.

ابن فارس، أحمد ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. (1399هـ - 1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن فارس، أحمد ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. (1418هـ-1997م). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*. ط.1، الناشر: محمد علي بيضون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1397هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: عبد الله الجبوري، ط.1، بغداد: مطبعة العاني.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم. *أدب الكاتب*. تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم. *تأويل مشكل القرآن*. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1413هـ - 1993م). *طبقات الشافعيين*. تحقيق: أنور الباز، ط.1، المنصورة: دار الوفاء.

ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1420هـ - 1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.2، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1419 هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين. *الألفية*. مكة المكرمة: دار التعاون.

ابن معصوم المدني، علي صدر الدين. (1389هـ -1969م). *أنوار الربيع*. تحقيق: شاكر هادي شكر، ط.1، العراق -النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين. *لسان العرب*. ط.3، بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين. (1383هـ). *شرح قطر الندى وبل الصدى*. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط.11، الناشر: القاهرة.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين. (1985م) . *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط.6، دمشق: دار الفكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين. *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين. *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*. تحقيق: عبد الغني الدقر، سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي ابن يعيش النحوي. *شرح المفصل*. بيروت: عالم الكتب.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري. (1420هـ- 1999م). *أسرار العربية*. ط.1، دار الأرقم بن أبي الأرقم.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري. (2002م). الإنصاف في *مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*. تحقيق: جودة مبروك مراجعة: رمضان عبد التواب، ط.1، القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين. اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: عبد الإله النبهان، دمشق: دار الفكر.

أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، البغدادي محب الدين. (1406هـ – 1986م). *التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين*. تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، ط.1، دار الغرب الإسلامي.

أبو الرب ودرويش. (20 فبراير: 2011م). *القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني*. مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة.

أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. (1412هـ – 1992م). *فتح البيان في مقاصد القرآن*. تقديم ومراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي. (1417هـ -1997م). *حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو العلاء المعري. (1376هـ-1957م). *ديوان سقط الزند*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر.

أبو الفتح العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد. *معاهد التنصيص على شواهد التلخيص*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب.

أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي.(1420هـ - 2000م). *كشف الخفاء*. تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط.1، المكتبة العصرية.

أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي. (1426 هـ - 2005م). *المغني عن حمل الأسفار (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين)*. ط.1، بيروت – لبنان: دار ابن حزم.

أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (1407هـ - 1987م). *تاريخ جرجان*. تحقيق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، ط.4، بيروت: عالم الكتب.

أبو المرشد سليمان بن علي المعري.(1399هـ- 1979م). *تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي*. تحقيق: مجاهد محمد الصواف ومحسن عياض عجيل، دار المأمون للتراث.

أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي. (1432هـ - 2011م). *الأساليب والإطلاقات العربية*. ط.1، مصر: المكتبة الشاملة.

أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي.(1409هـ). *مصنف ابن أبي شيبة*. تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد.

أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي. (1425 هـ - 2004 م). *عمدة الكتاب*. تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط.1، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر.

أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (1420 هـ). *تفسير البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (1418هـ – 1998م). *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. تحقيق: رجب محمد ورمضان عبد التواب، ط. 1، القاهرة : مكتبة الخانجي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا– بيروت: المكتبة العصرية.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. *سنن أبي داود*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. *المعجزة الكبرى القرآن*. دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. زهرة التفاسير. دار الفكر العربي.

أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي. (1971م) . *فصل المقال في شرح كتاب الأمثال*. تحقيق: إحسان عباس، ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري. (1381هـ). *مجاز القرآن*. تحقيق: محمد فواد سزگين، القاهرة: مكتبة الخانجى.

أبو علي القالي. إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان. (1344هـ – 1926م). *الأمالي = شذور الأمالي = النوادر*. ترتيب: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط.2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني.(1394هـ – 1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. بيروت: دار الكتاب العربي ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

إحسان عباس، (1404هـ – 1983م). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*. ط.4، بيروت: دار الثقافة.

أحمد أحمد بدوي. *عبد القاهر الجرجاني، سلسلة أعلام العرب (8)*. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. دار مصر للطباعة.

أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي. (2005م). *من بلاغة القرآن*. القاهرة: نهضه مصر.

أحمد بن محمد الحملاوي. *شذا العرف في فن الصرف*. تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الرياض: مكتبة الرشد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله بن هلال بن أسد الشيباني. (1421هـ – 2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط.1، مؤسسة الرسالة.

أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي. *اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء*. القاهرة: دار الفضيلة.

أحمد حسن حامد. *التضمين في العربية*، بحث في البلاغة والنحو. الدار العربية للعلوم، ناشرون.

أحمد فتحي رمضان الحياني.(2014م). *الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية*. دار غيداء للنشر والتوزيع.

أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب. (1424هـ – 2003 م). *النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام*. تحقيق: الجزء الأول: علي بن غازي التويجري– والجزء الثاني والثالث: إبراهيم بن منصور الجنيدل– والجزء الرابع: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، ط.1، دار القيم – دار ابن عفان.

أحمد مختار عمر. (1429 هـ – 2008 م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط.1، عالم الكتب.

أحمد مختار عمر.(1419هـ–1998م). *أسس علم اللغة*. ط.8، عالم الكتب.

أحمد مختار عمر.(1998م). *علم الدلالة*. ط.5، القاهرة: عالم الكتب.

أحمد مطلوب (1393هـ–1973م). *عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده*. ط.1، بيروت– الكويت: وكالة المطبوعات.

أحمد مطلوب. (1980م). *أساليب بلاغية*. ط.1، الكويت: وكالة المطبوعات.

أحمد مطلوب.(2007م) *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*. مكتبة لبنان، ناشرون.

أحمد ياسوف.(1419 هـ – 1999م). *جماليات المفردة القرآنية*. ط.2، دمشق: دار المكتبى.

الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري. (1411هـ – 1990م). *معانى القرآن*. تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الأزهر الزناد. (1992م). *دروس في البلاغة العربية*. ط.1، بيروت: المركز الثقافي العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور. (2001م). معجم *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب ، ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أسامة بن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري. *البديع في نقد الشعر*. تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.

الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي. *روح البيان*. بيروت: دار الفكر.

الاستراباذي، رضى الدين محمد بن الحسن.(1969م). *شرْح الرَّضي على الكافية*. تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط.2، بنغازي: منشورات جامعة قان يونس.

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين. (1419هـ- 1998م). شرح *الأشمونى لألفية ابن مالك*. ط.1، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري. (1412هـ / 1992م). *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة*. ط.1، المملكة العربية السعودية- الرياض: دار المعارف.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. *ضعيف الجامع الصغير وزيادته*. أشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. المكتب الإسلامي.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415 هـ) . *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنجري الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني. (1419 هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة: بيروت: دار الكتب العلمية.

الإيجي الشافعيّ ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني. (1424هـ – 2004م). *تفسير جامع البيان في تفسير القرآن*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

بابكر والكاروري. *المشترك اللَّفظيّ ودور السِّياق فيه: دراسة نظريّة تطبيقيّة*. الخرطوم: جامعة الخرطوم، جامعة النيلين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن. (1414 هـ). *دمية القصر وعصرة أهل العصر*. ط.1، بيروت: دار الجيل.

الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب. (1407هـ – 1987م). *تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل*. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية.

الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب. (1997م). *إعجاز القرآن*. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط.5، مصر: دار المعارف.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. *.التاريخ الكبير*. مراقبة: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (1409هـ – 1989م). *الأدب المفرد*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.3، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط.،1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي).

بروكلمان، كارل.(1959م) . *تاريخ الأدب العربي*. نقله للعربية: عبد الحليم النجار، ط.5، القاهرة: دار المعارف.

البسيلي، أبو العباس البسيلي التونسي التونسي. *نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد*. (1429هـ – 2008م) تقديم وتحقيق: محمد الطبراني، ط.1/، الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المملكة المغربية: مطبعة النجاح الجديدة.

البسيلي، أبو العباس البسيلي التونسي التونسي. *التقييد الكبير للبسيلي*. المملكة العربية السعودية– الرياض: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني. (1951م). *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*. طبع بعناية استانبول: وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، أعادت طبعه: بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.

البغوي الشافعي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*. تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البكري الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(1971م). *فصل المقال في شرح كتاب الأمثال* . ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن. التفسير البياني للقرآن الكريم. ط.7، القاهرة : دار المعارف.

بهاء الدين البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي. (1417هـ). *التذكرة الحمدونية* . ط.1، بيروت: دار صادر.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (1418هـ). *تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. (1424هـ - 2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.3، بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. البيهقي.(1405هـ). *دلائل النبوة*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. (1414هـ - 1994م). *أحكام القرآن للشافعي*. ط.2، القاهرة: مكتبة الخانجي.

تاج القراء الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين. *غرائب التفسير وعجائب التأويل*. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة علوم القرآن.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. (1395هـ - 1975م). *السنن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط.2، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

التفتازني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله.(1401هـ - 1981م). *شرح المقاصد في علم الكلام*. باكستان: دار المعارف النعمانية.

تمام حسان عمر. (1427هـ- 2006م). *اللغة العربية معناها ومبناها*. ط.5، القاهرة: عالم الكتب.

تمام حسان عمر. *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

تمام حسان. (2007م). اجتهادات لغويّة. ط.1، القاهرة : عالم الكتب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (1418هـ). *تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري.(1998م). *الكناية والتعريض*. تحقيق: عائشة حسين فريد، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور. (1417هـ - 1997م). *لباب الآداب*. تحقيق: أحمد حسن لبج، ط.1، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور. (1422هـ - 2002م). *فقه اللغة وسر العربية*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط.1، إحياء التراث العربي.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور. *الإعجاز والإيجاز*. القاهرة: مكتبة القرآن.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق. (1422هـ - 2002م). *تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط.1، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، أبو عثمان.(1424هـ). *الحيوان*.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي،(1423هـ) أبو عثمان. *البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجارم وأمين.(1999م). *البلاغة الواضحة (البيان- المعاني- البديع)*. مصر: دار المعارف.

الجارم وأمين، *النحو الواضح في قواعد اللغة العربية*. القاهرة: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1407 هـ- 1987م). *المفتاح في الصرف*. ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1413هـ- 1992م). *دلائل الإعجاز*. تحقيق محمود شاكر، ط.3، مصر – جدة: مطبعة المدني.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1422هـ -2001م). *دلائل الإعجاز*. تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1429هـ- 2008م). *دَرج الدرر في تفسير الآي والسور*. تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي، ط.1، بريطانيا: مجلة الحكمة.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1430هـ-2009م). *العوامل المئة*. ط.1، السعودية – جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1430هـ- 2009م). *دُرج الدرر في تفسير القرآن العظيم*، دراسة وتحقيق: طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور، ط.1، عمان: دار الفكر، ناشرون وموزعون.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1976م). *الرسالة الشافية، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة (ذخائر العرب 16)*. تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، مصر: دار المعارف.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. (1982م). *المقتصد في شرح الإيضاح*. تحقيق: كاظم بحر المرجان، الجمهورية العراقية: دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، المجلد الأول.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي. *أسرار البلاغة*. تحقيق: محمود شاكر، مصر، جدة: مطبعة المدني.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي.(1392هـ- 1972م). *الجمل*. تحقيق: علي حيدر، دمشق: منشورات دار الحكمة بدمشق.

جرير بن عطية الخطفي. (1406هـ - 1986م). *ديوان جرير*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر. (1424هـ-2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط.5 ، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. (1415هـ-1994م). *أحكام القرآن*. تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط.1، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجواهري، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي. *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجوهري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي المالكي.(1997م). *مسند الموطأ* . تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(1407هـ - 1987م). *الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.4، بيروت: دار العلم للملايين.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني. (1941م). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. بغداد: مكتبة المثنى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية.
حازم القرطاجني. (2008م). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط.3، تونس: الدار العربية للكتاب.
الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد. (1431هـ - 2010م). *فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية للشنقيطي*. ط.1، مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.
حامد عوني. *المنهاج الواضح للبلاغة*. المكتبة الأزهرية للتراث.
الحريري البصري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد. (1418هـ-1998م). *درة الغواص في أوهام الخواص*. تحقيق: عرفات مطرجي، ط.1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
حسن طبل. (1418هـ- 1998م). *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية*. دار الفكر العربي.
حسن طبل.(1426هـ- 2005م). *الصورة البيانية في الموروث البلاغي*. ط.1، المنصورة: مكتبة الإيمان.
الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم. (1976م). *بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط.3، دار المعارف بمصر.
الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني.(1422هـ - 2001م). *درة التنزيل وغرة التأويل*. دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، ط.1، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية.
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (1422هـ - 2002م). *تاريخ بغداد*. تحقيق: بشار عواد معروف، ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. *الكفاية في علم الرواية*. تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. (1416هـ- 1995م). *الجمل في النحو*. تحقيق: فخر الدين قباوة، ط.5.

الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. معجم *العين*. تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (1412 هـ - 2000 م). *سنن الدارمي*. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط.1، السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية.

الدامغاني، الحسين بن محمد. *إصلاح الوجوه والنظائر*. تحقيق: عربي عبد الحميد علي، بيروت: دار الكتب العلمية.

دروزة محمد عزت.(1383هـ). *التفسير الحديث*. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الدميري، حمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي. (1424هـ). *حياة الحيوان الكبرى*. ط.2، بيروت: دار الكتب العلمية.

الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني. (1406 هـ - 1986م). *مسند الفردوس*. تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. *الكبائر*. بيروت: دار الندوة الجديدة.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. *سير أعلام النبلاء*. (1427هـ-2006م). القاهرة: دار الحديث.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (1420هـ). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. ط.3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي.(1420هـ / 1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.5، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1420هـ - 1999م). *تفسير الراغب الأصفهاني*. تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشِّدِي، كلية الآداب - جامعة طنطا.

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر. (1425هـ - 2005 م). *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. ط.8، بيروت: دار الكتاب العربي.

الربعي، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر.(1410 هـ). *مولد العلماء ووفياتهم*. تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط.1، الرياض: دار العاصمة.

الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن.(1976م). *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن النكت في إعجاز القرآن*. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط.3، مصر: دار المعارف.

رمضان عبد التواب، (1420هـ-1999م). *فصول في فقه اللغة*. ط.6، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (1408 هـ - 1988 م) . *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط.1، بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى التفسير المنير (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط.2، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (1376هـ - 1957م). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، بيروت- لبنان: دار المعرفة.

الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (2002م). *الأعلام*. ط.15، دار العلم للملايين.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* . ط.3، بيروت: دار الكتاب العربي.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1419هـ - 1998م). *أساس البلاغة أساس البلاغة*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1987م).*المستقصي في أمثال العرب*. ط.،2 بيروت: دار الكتب العلمية.

الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد. (1414هـ). *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف*. تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الرياض: دار ابن خزيمة.

السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين. (1423هـ - 2003م). عروس *الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. ط.1، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

السجستاني، محمد بن عُزير أبو بكر العُزيري. (1416هـ - 1995م). *غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب*. تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران، ط.1، سوريا: دار قتيبة.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة. (1414هـ-1993م). المبسوط. بيروت: دار المعرفة.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة. *أصول السرخسي*. بيروت: دار المعرفة.

السرمقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم.(1413هـ-1993م). *تفسير بحر العلوم*. تحقيق: على معوض وعادل عبد الموجود وزكريا النوتي، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية.

سعد سليمان حمودة. (2001م) . *دروس في البلاغة العربية*. مصر: دار المعرفة الجامعية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله.(1420هـ -2000 م). تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط.1، مؤسسة الرسالة.

السَّفَاقُسِي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي السَّفَاقُسِي، أبو إسحاق: برهان الدين. (1430هـ). *المجيد في إعراب القرآن المجيد*. تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط.1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب. (1407هـ - 1987م). *مفتاح العلوم*. ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط.2، بيروت: دار الكتب العلمية.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي. (1418هـ- 1997م). *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط.1: الرياض – السعودية: دار الوطن.

السمين الحلبي. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (1417هـ – 1996م). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء. (1408هـ – 1988م). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط.17، بيروت– القاهرة: دار الشروق.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1386 هـ – 1966 م). *شرح شواهد المغني*. تعليق على الحواشي: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1394هـ– 1974 م). *الاتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1396هـ). *طبقات المفسرين*. تحقيق: علي محمد عمر، ط.1، مكتبة وهبة – القاهرة .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1408هـ – 1988م). *معترك الأقران في إعجاز القرآن*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1411هـ – 1990م). *الأشباه والنظائر في النحو*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1418هـ– 1998م). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق: فؤاد علي منصور، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1424هـ – 2005م). *نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي*. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. *المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب*. تحقيق: التهامي الهاشمي، المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة: مطبعة فضالة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان – صيدا: المكتبة العصرية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مصر: المكتبة التوفيقية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى. *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)*. تحقيق الجزء السادس: عبد المجيد قطامش، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي. *ديوان الإمام الشافعي*. تعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: مكتبة ابن سينا.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي.(1400هـ). *المسند*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي. (1427 هـ- 2006م) . *تفسير الإمام الشافعي*. جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان، المملكة العربية السعودية: دار التدمرية .

الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي. (1285هـ). *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*. القاهرة: مطبعة بولاق.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين. (1403هـ -1983م). *التعريفات*. تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشريف الرضي، السيد محمد بن الحسين بن موسى.(1406هـ- 1986م). *تلخيص البيان في مجازات القرآن*. بيروت: دار الأضواء.

الشعراء الهذليون. (1385 هـ - 1965م). *ديوان الهذليين*. ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، القاهرة – جمهورية مصر العربية: الدار القومية للطباعة والنشر.

الشعراء الهذليون. (1385هـ - 1965م). *ديوان الهذليين*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي*. الخواطر. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني.(1415هـ - 1995م) *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ. (1421هـ-2001م). *الحدود في علم النحو*. تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام. (1995م). *البلاغة تطور وتاريخ*. ط.9، القاهرة: دار المعارف.

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام. *المدارس النحوية*. القاهرة: دار المعارف.

الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1414هـ). فتح القدير. ط.1، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.

الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1419هـ - 1999م). *إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول*. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، تقديم: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط.1، دار الكتاب العربي.

الصابوني، محمد علي. (1417هـ - 1997م). *صفوة التفاسير*. ط.1، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

صباح عبيد دراز .(1406هـ -1986م). *في البلاغة القرآنية، أسرار الفصل والوصل*. ط.1، القاهرة- شبرا : مطبعة الامانة.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي. (1417 هـ -1997م). *حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

صبحي الصالح. *دراسات في فقه اللغة*. (1379هـ - 1960م). ط.1، بيروت: دار العلم للملايين.

الصعيدي، عبد المتعال. (1426هـ-2005م). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*. ط.17، مكتبة الآداب.

صلاح الدين ابن شاكر محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر. (1973م). *فوات الوفيات*. تحقيق: إحسان عباس، ط.1، بيروت: دار صادر.

طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، (1405هـ- 1985م). *مفتاح السعادة ومصباح السيادة*. ط.1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الطائي، حاتم. (1401هـ- 1981م). *ديوان حاتم الطائي*. بيروت: دار صادر.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط.2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (1405هـ - 1984م) . *مسند الشاميين*. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. (1404هـ – 1983م). *الأحاديث الطوال*. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط.2، الموصل: مكتبة الزهراء.

الطبري، حمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر. (1420هـ – 2000م) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط.1، مؤسسة الرسالة.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر.(1420هـ – 2000م). *تفسير الطبري = جامع البيان في تأول القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الطرسوسي، أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي البغدادي.(1393هـ). *مسند عبد الله بن عمر*. تحقيق: أحمد راتب عرموش، ط.1، بيروت: دار النفائس.

طرفة بن العبد.(1423هـ – 2002م). *ديوان طرفة بن العبد*. تحقيق، مهدي محمد ناصر الدين، ط.3، بيروت: دار الكتب العلمية.

طنطاوي، محمد سيد طنطاوي. (1997م). *التفسير الوسيط* . ط.1، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة.

الطهطاوي، على أحمد عبد العال. (1425 هـ – 2004). *عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

العاكوب والشتيوي. (1993م).*الكافي في علوم البلاغة العربية*. الجامعة المفتوحة.

عبد الجبار، بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي.(1380هـ). *المغني في أبواب التوحيد*. ط.1، مصر: الشركة العربية.

عبد السلام الراغب.(1422هـ – 2001 م). *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*. ط.1، حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر.

عبد السلام هارون. (2001م). *الأساليب الإنشائية في النحو العربي*. ط.5، القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد العاطي غريب علي علام. (1413هـ–1993م). *البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين الجرجاني وابن سنان الخفّاجي*. ط.1، بيروت: دار الجيل.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

عبد العال سالم مكرم. (1417هـ). *المشترك اللفظي في الحقل القرآني*. ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد العزيز عبد المعطي عرفة. (1405هـ– 1985م). *قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية*. ط. 1، بيروت: عالم الكتب بيروت.

عبد العزيز عتيق.(1430هـ – 2009م). *علم المعاني*. ط.1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الفتاح لاشين. (1418هـ–1998م). *البيان في ضوء أساليب القرآن*. القاهرة : دار الفكر العربي.

عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني. (1382هـ – 1965م). *بيان المعاني*. ط.1، دمشق: مطبعة الترقي.

عبد الكريم يونس الخطيب. *التفسير القرآني للقرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي.

عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة.(1405هـ – 1984م). *من بلاغة النظم العربي: دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني*. ط.2. بيروت: عالم الكتب.

عبدالقادر حسين. (1405هـ–1984م). *فن البلاغة*. ط.2، بيروت: عالم الكتب.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. *جمهرة الأمثال*. بيروت: دار الفكر.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. (1428هـ–2007م). *تصحيح الوجوه والنظائر*. تحقيق: محمد عثمان، ط.1، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. *الصناعتين: الكتابة والشعر*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. *الفروق اللغوية*. تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة – مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

عصام الصبابطي. *جامع الأحاديث القدسية*. القاهرة: دار الريان للتراث.

العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي. (1410هـ– 1990م). *الفصول المفيدة في الواو المزيدة*. تحقيق: حسن موسى الشاعر، ط.1، عمان: دار البشير،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علماء نجد الأعلام. (1417هـ- 1996م). *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط.6.

العلوي الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني. (1423هـ). *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*. ط.1، بيروت: المكتبة العصرية.

العلوي الهرري الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي. (1421هـ - 2001م). *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط.1، بيروت – لبنان: دار طوق النجاة.

علي سرحان القرشي. (1406هـ-1985م).*المبالغة في البلاغة العربية ، تاريخها وأصولها*. ط.1،الطائف: مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

عمرو بن معدي كرب الزبيدي. (1405هـ- 1985م). *الديوان*. ط.2، دمشق: مجمع اللغة العربية، مطابع الطرابيشي.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.(1961م). *معيار العلم في فن المنطق*. تحقيق: سليمان دنيا، مصر: دار المعارف.

الفاسي الصوفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري. (1419ه). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة: حسن عباس زكي.

فاطمة البريكي. (1429هـ- 2008م). *إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي التراثي*. مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، العدد الثاني.

فتحي أحمد عامر ،(1988م). *فكرة النظم بين وجوه الإعجاز*. الإسكندرية: منشأة المعارف.

فتحي رمضان الحياني،(2014م). *الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية*. دار غيداء للنشر والتوزيع.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط.1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

فرحان سليم. *اللغة العربية ومكانتها بين اللغات*. كتاب الكتروني. تاريخ الاطلاع:2017/7/1. http://elibrary.mediu.edu.my/books/MAL07017.pdf

فضل حسن عباس.(1417هـ- 1997م). *البلاغة فنونها وأفنانها*. ط.4، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضل حسن عباس، (1412هـ- 1991م). *إعجاز القرآن الكريم*. الأردن: وزارة التعليم العالي، كلية المجتمع.

فؤاد علي مخيمر.(1983م). *فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (142هـ- 2000م). *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*. ط.1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع .

الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426هـ - 2005م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط.8، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (3/ 1416هـ - 1996م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيومي الحموي، أحمد بن محمد بن علي. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

قاسم وديب، (2003م).*علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)*. ط.1، طرابلس- لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (1418هـ). *تفسير القاسمي = محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

قدامة بن جعفر، بن قدامة بن زياد البغدادي. (1302هـ). *نقد الشعر*. ط.1، قسطنطينية: مطبعة الجوائب.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين. (1430هـ- 2009م). *التلخيص في علوم البلاغة. تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط.2، بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين. *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط.3، بيروت: دار الجيل.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. *تفسير لطائف الإشارات*. تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون. (1407هـ- 1986م). *مسند الشهاب*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

القضاعي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي.(1400هـ- 1980م). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: بشار عواد معروف، ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. (1424 هـ). *إنباه الرواة على أنباه النحاة*. بيروت: المكتبة العنصرية.

قلعجي وقنيبي. (1408هـ - 1988م). معجم *لغة الفقهاء*. ط.2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري. *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

القلموني الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القِنَّوجي. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري.(1412هـ - 1992م). *فتح البيان في مقاصد القرآن*. بيروت، صيدا: المَكتبة العصرية للطبَاعة والنشر.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري. *زهر الآداب وثمر الألباب*. بيروت: دار الجيل.

القيسي القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار ثم الأندلسي القرطبي المالكي. (1405هـ). *مشكل إعراب القرآن*. تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

القيسي القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار ثم الأندلسي القرطبي المالكي.(1429هـ - 2008م). *الهداية الى بلوغ النهاية*. إشراف: الشاهد البوشيخي، ط.1، م الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكرماني، تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم. *أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

كل محمد باسل. (1423هـ- 2002م).*المعرب والدخيل في اللغة العربية*. إشراف: محمود شرف الدين ، إسلام آباد – باكستان: الجامعة الإسلامية العالمية.

كمال بشر. *دراسات في علم اللغة*. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. (1426هـ – 2005م). *تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة*. تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت، ط.1، لبنان: دار الكتب العلمية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. *تفسير النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس. (1405هـ- 1985م). *البلاغة*. تحقيق رمضان عبد التواب، ط.2، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس. (1350هـ). *ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد*. القاهرة : المطبعة السلفية.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس. *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت: عالم الكتب.

مجموعة من العلماء. (1414هـ – 1993م). *التفسير الوسيط*. إشراف: مجمع البحوث، ط.1: القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

مجيد عبد الحميد ناجي. (1984). *الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية*. ط.1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

محمد أبو موسى. (1418هـ- 1998م). مدخل *إلى كتابَيْ عبد القاهر الجرجاني*. ط.1، القاهرة: مكتبة وهبة .

محمد الانطاكي. *دراسات في فقه اللغة*. ط.4، دار الشرق العربي للطباعة والنشر.

محمد الخضري.(1389هـ – 1969م). *أصول الفقه*. ط.6، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

محمد السيد حسين الذهبي. التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة.

محمد السيد شيخون. *أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم*. القاهرة: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد الطنطاوي. (1426هـ - 2005م). *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*. تحقيق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، ط.1، مكتبة إحياء التراث الإسلامي.

محمد بركات حمدي أبو علي.(1405هـ- 1984م). *معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني*. عمان- الأردن: دار الفكر.

محمد بكر إسماعيل.(1419هـ-1999م). *دراسات في علوم القرآن*. ط.2، دار المنار.

محمد بن حبان التميمي الدارمي. (1414هـ- 1993م). *صحح بن حبان*. تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط.3، بيروت: دار الرسالة.

محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي. (1996م). *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، ط.1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

محمد حسين الصغير. (1420هـ- 1999م). *مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية*. ط.1، بيروت- لبنان: دار المؤرخ العربي.

محمد عبد الخالق عضيمة. *دراسات لأسلوب القرآن الكريم*. القاهرة: دار الحديث.

محمد عبد العظيم الزُرْقاني. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ط.2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

محمد عبد المنعم القيعي. (1417هـ- 1996م). *الأصلان في علوم القرآن*. ط.4، المؤلف.

محمد علوان ونعمان علوان.(1998م). *من بلاغة القرآن(المعاني- البيان- البديع)*. ط.3، الدار العربية للطباعة والنشر.

محمد مبارك، *فقه اللغة وخصائص العربية*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد محمد أبو موسى. (1408هـ- 1987م). *دلالات التراكيب البلاغية دراسة بلاغية*. ط.2، القاهرة: مكتبة وهبة.

محمد محمد أبو موسى. *خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. ط.7، القاهرة: مكتبة وهبة.

محمد محمود الحجازي. (1413هـ). *التفسير الواضح*. ط.10، بيروت: دار الجيل الجديد.

محمود بن عبد الرحيم صافي. (1418هـ). *الجدول في إعراب القرآن*. ط.4، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمود توفيق محمد سعد. *نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

محمود عكاشة. (2010م). *الربط في اللفظ والمعنى*. الأكاديمية الجامعية للنشر الجامعي.

محمود محمد شاكر، أبو فهر.(1423هـ– 2002م). مداخل إعجاز القرآن. ط.1، جدة: دار المدني مطبعة المدني، القاهرة: المؤسسة السعودية بمصر.

محيي الدين درويش، (1415هـ).*إعراب القرآن وبيانه*. ط.4، حمص – سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق – بيروت: دار اليمامة، دمشق: دار ابن كثير.

المرادي المصري المالكي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي. (1428هـ – 2008م). *توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك*. تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط.1، دار الفكر العربي.

المراغي، أحمد بن مصطفى. *علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع* . الناشر: المؤلف.

المرزوقي الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن.(1424هـ – 2003 م). *شرح ديوان الحماسة* . تحقيق: غريد الشيخ، ط.1، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية،

المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج. (1408هـ). *السنة*. تحقيق: سالم أحمد السلفي. ط.1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. *المسند الصحيح المختصر*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفى ناصف. (2000م).*النقد العربي نحو نظرية ثانية*. العدد255، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد.(1413هـ - 1992م). *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*. ط.1، القاهرة: مكتبة وهبة.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد.(1985م). *المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع*، القاهرة: مكتبة وهبة.

مقاتل بن سليمان البلخي.(1427هـ - 2006م). *الوجوه والنظائر في القرآن العظيم*. تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط.1، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

مقاتل بن سليمان.(1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته ط. 1، بيروت: دار إحياء التراث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدسي الحنبلي ، مجير الدين بن محمد العليمي. (1430هـ - 2009 م). *فتح الرحمن في تفسير القرآن*. تحقيق: نور الدين طالب. دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية).

مناهج جامعة المدينة العالمية . *البلاغة 2- المعاني*. الناشر: جامعة المدينة العالمية.

مناهج جامعة المدينة العالمية. *البلاغة1- البيان والبديع*. الناشر: جامعة المدينة العالمية.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين.(1417هـ) الترغيب والترهيب. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

منير سلطان. الفصل والوصل في القرآن الكريم. ط.2، الإسكندرية: منشأة المعارف.

منير محمود المسيري. (1426هـ- 2005م). *دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم*. ط.1، القاهرة: مكتبة وهبة.

منيرة محمد فاعور .(2014م). *بلاغة الأجوبة المسكتة أسلوب الحكيم نموذجًا* . مجلة جامعة دمشق، المجلد 30- العدد لثالث والرابع.

الميداني الدمشقي ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. (1416هـ - 1996م). *البلاغة العربية*. ط.1، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم. *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان: دار المعرفة.

النابغة الذبياني.(1968م). *الديوان*. تحقيق: شكري فيصل، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي. (1416هـ - 1996م). *توفيق الرحمن في دروس القرآن*. تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، ط.1، الرياض: دار العاصمة، القصيم - بريدة: دار العليان للنشر والتوزيع.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (1406هـ - 1986م). *المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط.2، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (1421هـ - 2001م). *السنن الكبرى*. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين.(1419هـ – 1998م). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، ط.1، بيروت: دار الكلم الطيب.

نسيم عون. (2005م).*الألسنية*، محاضرات في علم الدلالة. دار الفارابي.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي.(1419 هـ – 1998م). *اللباب في علوم الكتاب*. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط.2، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1405هـ – 1985م). *التقريب والتيسير*. تحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، ط.1، بيروت: دار الكتاب العربي.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين. (1423هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. ط.1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. (1416هـ). *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. تحقيق: زكريا عميرات، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى . *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية.

الهروي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا. (1398هـ). *المصنوع في معرفة الحديث الموضوع*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان.(1414هـ– 1994م). مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*. تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.

الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. (1430هـ). *التفسير البسيط*. ط.1، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. (1415هـ – 1994م) *التفسير الوسيط*. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، بيروت : دار الكتب العلمية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. (1415هـ). *الوجيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط.1، دمشق– بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الولي محمد.(1990م). *الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي*. ط.1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. (1417 هـ – 1997م). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*. ط.1، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية .

ياقوت الحموي. (1414 هـ –1993م). *معجم الأدباء*. تحقيق إحسان عباس، ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

يوسف أبو العدوس.(1427هـ– 2007م). *مدخل إلى البلاغة العربية*. ط.1، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com